مجموعة التوحيد

راجعه

الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه

بشير محمد عيون

الاول

الناشر

مكتبة دار البـ

ص.ب ٢٨٥٤ - دمشق

التوزيع

مكتبة المؤيد

ص.ب: ١٠ - الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

مجموعة التوحيد

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد للّه وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أمَّا بعد : اعلم أرشدك اللّه تعالى أن اللّه خلق الخلق ليعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً . قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ . [الذاريات : ٥٦] .

والعبادة : هي التوحيد ، لأن الخصومة بين الأنبياء والأمم فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّـةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُـدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الـطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

أما التوحيد فهو ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصِفّات .

أما توحيد الربوبية ، فهو الذي أقر به الكفّار على زمن رسول اللَّه ﷺ ، ولم يُدخلهم في الاسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، وهو توحيد بفعله تعالى . والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] ﴿قُلْ

لِمَنْ الأرْضُ وَمَنْ فِيهَا إن كُنْتُم تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ للَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون : ٨٤ ـ ٨٩] والآيات على هذا كثيرة جداً ، أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر .

الأصل الثاني : وهو توحيد الألوهية ، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه ، وهو توحيد اللّه بأفعال العباد ، كالدُّعاء ، والنذر ، والنحر ، والرَّجاء ، والخوف ، والتوكل ، والرغبة ، والرهبة ، والإنابة .

ودليل الدعاء قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] وكل نوع من هذه الأنواع عليه دليل من القرآن .

وأصل العبادة : تجريد الإخلاص للّه تعالى وحده ، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ [الجن : ١٨] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَىٰ المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلاَّ فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ

وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾.[الحج : ٦٢] والآيات معلومات .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

والأصل الثالث : فهو توحيد الذات والأسماء والصّفات . وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّه الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْواً أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَآءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

ثم اعلم أن ضدَّ التوحيد الشرك ، وهو ثلاثة أنواع : شرك أكبر ، وشرك أصغر ، وشرك خفي .

والدليل على الشرك الأكبر قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ [النساء : ١١٦] .

﴿ وَقَالَ المَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلْظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

وهو أربعة أنواع :

النَّوع الأول : شرك الدعوة . والدليل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكَ

دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُم إِلَىٰ البَرِّ إِذَا هُم يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

النوع الثاني : شرك النيَّة والإرادة والقصد ، والدليل قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِم أَعْمَالَهُم فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَباطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود : ١٥ ـ ١٦] .

النوع الثالث : شرك الطاعة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ وَالمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] وتفسيرها الذي لا إشكال فيها طاعة العلماء والعباد في المعصية ، لادعاؤهم إياهم ، كما فسَّرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم لما سأله ، فقال : لسنا نعبدهم ، فذكر له أنَّ عبادتهم طاعتهم في المعصية(١) .

النوع الرابع : شرك المحبَّة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير : باب تفسير سورة التوبة ، وابن جرير الطبري ١٤/ ٢١٠ رقم (١٦٦٣١) و (١٦٦٣٢) و (١٦٦٣٣) من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ ، قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، فقال : « بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » وهو حديث حسن بشواهده ، ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٣/ ٢٣٠ وزاد نسبته لابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في « سننه » ، وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم في تفسير ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا . وانظر الطبري رقم (١٦٦٣٤) عن حذيفة رضي الله عنه وسيرد بلفظه ص (١٧٣ ـ ١٧٤) .

والنوع الثاني[1] شرك أصغر ، وهو الرياء ، والدليل قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف : ١١٠] .

والنوع الثالث : شرك خفي ، والدليل عليه قوله ﷺ : « الشِّرْكُ فِي هٰذِهِ الأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَىٰ صَفَحَاتٍ سَوْدَاءٍ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ »[2] .

وكفَّارته قوله ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئاً وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَاسْتَغْفِرُكَ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي لَا أَعْلَمُ »[3] .

فالكفر كفران : كفر يخرج من الملَّة ، وهو خمسة أنواع :

النوع الأول : كفر التكذيب ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٨] .

النوع الثاني : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٣٤] .

النوع الثالث : كفر الشك ، وهو كفر الظن ، والدليل قوله تعالى :

---

(١) يعني من أنواع الشرك الثلاثة .

(٢) هو ضعيف بهذا اللفظ ، وقد صح بشواهده ، فيما رواه الحكيم الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بلفظ « الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا » .

(٣) هو جزء من حديث طويل رواه أحمد في « المسند » ٤/٤٠٣ ، والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » من حديث أبي علي رجل من بني كاهل عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وأبو علي لم يوثقه غير ابن حبان ، ولكن له شاهد من حديث حذيفة رضي الله عنه ، رواه أبو يعلى الموصلي من رواية ليث بن أبي سليم ، فهو حديث حسن به ، وانظر « مجمع الزوائد » ١٠/ ٢٢٣ و ٢٢٤ ، و « الترغيب والترهيب » ١/ ٧٦ . و « صحيح الجامع » للألباني رقم (٣٦٢٥) .

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ، وَلَئِن رُدِدتُ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً ﴾ [الكهف : ٣٥ ـ ٣٨] .

النوع الرابع : كفر الإعراض ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣] .

النوع الخامس : كفر النِّفاق ، والدليل قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُم آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم فَهُم لاَ يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون : ٣] .

وكفر أصغر لا يخرج من الملَّة ، وهو كفر النعمة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغداً مِنْ كُلِ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ وَالخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] .

وأمَّا النفاق فنوعان : اعتقادي ، وعملي .

فأمَّا الاعتقادي ، فهو ستة أنواع : تكذيب الرسول ، أو تكذيب بعض ما جاء به ، أو بغض الرسول ، أو بغض بعض ما جاء به الرسول ، أو المسرة بانخفاض دين الرسول ، أو الكراهية بانتصار دين الرسول . فهذه الأنواع الستة صاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار .

وأمَّا العملي : فهو خمسة أنواع ، والدليل قوله ﷺ : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُئْتُمِنَ خَانَ »[1] ، « وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ،

(١) رواه البخاري ١/٨٣ في الإيمان : باب علامات المنافق ، و ٥/٢١٣ في الشهادات : باب من أمر بانجاز الوعد ، و ١٠/٤٢٣ في الأدب : باب قول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع =

وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ »[1] .

فهذه الأنواع الخمسة ، وصاحبها من أهل الدرك الأسفل من النار[2] نعوذ باللّه من النفاق والشِقّاق وسوءِ الأدب ، واللّه أعلم .

* * *

= الصادقين ﴾ ، وما ينهى عن الكذب ، ومسلم رقم (٥٩) في الإيمان : باب بيان خصال المنافق ، والترمذي رقم (٢٦٣٣) في الإيمان : باب ما جاء في علامة المنافق ، والنسائي ١١٧/٨ في الإيمان : باب علامة المنافق ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) رواه البخاري ٨٤/١ في الإيمان : باب علامات المنافق ، و ٧٧/٥ في المظالم : باب إذا خاصم فجر و ٢٠٠/٦ في فرض الخمس ، باب إثم من عاهد ثم غدر ، ومسلم رقم (٥٨) في الإيمان : باب بيان خصال المنافق من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

ولفظه بتمامه : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من نفاق حتى يدعها ، إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » .

ومعنى « إذا خاصم فجر » : أي مال عن الحق وقال الباطل والكذب ، قال أهل اللغة : وأصل الفجور الميل عن القصد .

(٢) قال الله تعالى : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ [النساء : ١٤٥] ولكن النفاق الذي يوصل صاحبه إلى الدرك الأسفل من النار هو النفاق الاعتقادي ، وهو الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، أما من كان يبطن الإسلام ، ويظهر منه بعض علامات المنافق ، فهو النفاق العملي وصاحبه ليس في الدرك الأسفل من النار .

ثلاث مسائل للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك اللّه تعالى أنه واجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلَّم ثلاث مسائل :

الأولى : أن اللَّه خلقنا ، ولم يخلقنا عبثاً ، ولم يتركنا هملاً ، بل أرسل إلينا رسولاً ، ومعه كتاب ، من أطاعه فهو في الجنة ، ومن عصاه فهو في النار ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُم رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُم كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَونَ رَسُولاً * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ [المزمل : ١٥ - ١٦] .

المسألة الثانية : أَنَّ أعظم ما جاء به هذا الرسول أن لا يشرك مع اللّه في عبادته أحد ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ ، [الجن : ١٨] .

المسألة الثالثة : أَنَّ من وحَّد اللّه وعبد اللّه لا يجوز له موالاة من حادّ اللّه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُم أَوْ أَبْنَاءَهُم أَوْ إِخْوَانَهُم أَوْ عَشِيرَتَهُم أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِم الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم

بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِـزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُون ﴾ [المجـادلة : ٢٢] .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله تعالى أنَّ أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت ، والإيمان بالله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

فأمَّا صفة الكفر بالطاغوت ، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها ، وتكفِّر أهلها وتعاديهم .

وأمَّا معنى الإيمان بالله ، أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الاخلاص وتواليهم ، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ؛ وهذه ملة إبراهيم التي سفه من رغب عنها .

وهذه هي الأسوة التي أخبر الله بها في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُم وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُم وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] .

والطاغوت عامٌّ في كل ما عبد من دون الله ورضي بالعبادة فهو طاغوت ، من

معبود ، أو متبوع ، أو مطاع في غير طاعة اللّه ورسوله ، فهو طاغوت ، والطواغيت كثيرة ، ورؤوسهم خمسة :

الأول : الشيطان الداعي إلى عبادة غير اللّه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [يس : ٦٠] .

الثاني : الحاكم الجائر المغيِّر لأحكام اللّه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ [النساء : ٦٠] .

الثالث : الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

الرابع : الذي يدعي علم الغيب من دون اللّه ، والدليل قوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴾ [الجن : ٢٦ ـ ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

الخامس : الذي يُعبدَ من دون اللّه وهو راض بالعبادة ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُم إِنِّي إِلٰهٌ مِن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩] .

واعلم أن الانسان ما يصير مؤمناً باللّٰه إلا بالكفر بالطاغوت ، والدليل قوله

تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُر بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

الرشـد : دين محمد ﷺ ، والغي : دين أبي جهل ، والعروة الوثقى : شهادة أن لا إله إلا اللّه ، وهي متضمنة للنفي والإثبات ، تنفي جميع أنواع العبادة عن غير اللّه ، وتثبت جميع أنواع العبادة كلها للّه وحده لا شريك له .

* * *

رسالة في الأصول الثلاثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم ثلاثة أصول : وهي معرفة ربِّه ، ودينه ، ونبيِّه .

الأصل الأول : إذا قيل لك : من ربُّك ؟ فقل : ربِّي اللَّه الذي رباني بنعمته ، وخلقني من عدم إلى وجود ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ هٰذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٥١] .

وإذا قيل لك : بأيِّ شيءٍ عرفت ربك ؟ فقل : عرفته بآياته ومخلوقاته ، فأما الدليل على آياته فقوله تعالى : ﴿ وَمِن آيَاتِهِ اللَيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إن كُنْتُم إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧] .

ودليل مخلوقاته قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُم اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَمٰواتِ وَالأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ يُغْشِي اللَيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

وإذا قيل لك : لأيِّ شيءٍ خلقك اللَّه ؟ فقل : خلقني لعبادته وطاعته واتباع

أمره واجتناب نهيه ، ودليل العبادة قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾ [الذرايات : ٥٦ ـ ٥٨] .

ودليل الطاعة قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم فَإِن تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء : ٥٩] يعني كتاب اللّه وسنة نبيه .

وإذا قيل لك : أيّ شيء أمرك اللّه به وأي شيء نهاك عنه ؟ فقل : أمرني بالتوحيد ونهاني عن الشرك . ودليل الأمر قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَآءِ ذِي القُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ ﴾ . [النحل : ٩٠] .

ودليل النهي عن الشرك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ ﴾ [النساء : ١١٦] . و ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

الأصل الثاني : إذا قيل لك : ما دينك ؟ فقل : ديني الإسلام ، وهو الاستسلام والإذعان والإنقياد إلى اللّه تعالى ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] ، ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

وهو مبني على خمسة أركان : أولها شهادة أن لا إله إلَّا اللّه وأنَّ محمَّداً رسول اللّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلًا .

فأما دليل الشهادة قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا

العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

ودليل أن محمداً رسول اللّه قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّـدٌ أَبَا أَحَـدٍ مِن رِجَالِكُم وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤] .

ودليل الصلاة قوله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى المُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ [النساء : ١٠٣] .

ودليل الزكاة قوله تعالى : ﴿ خُذْ مِن أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِم إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ١٠٣] .

ودليل الصوم قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مَن قَبْلِكُم ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

وإذا قيل لك : الصيام شهر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدىً لِلْنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَىٰ وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

وإذا قيل لك : الصيام في الليل أو في النهار ؟ فقل : في النهار ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

ودليل الحج قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مِن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وإذا قيل لك : وما الإيمان ؟ فقل : أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره من اللّه تعالى .

والدليل قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

ودليل القدر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] .

وإذا قيل لك : وما الاحسان ؟ فقل : أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

وإذا قيل لك : منكر البعث كافر ؟ فقل : نعم : ، والدليل قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] .

الأصل الثالث : إذا قيل لك : من نبيك ؟ فقل : محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم ، وهاشم من قريش ، وقريش من كنانة ، وكنانة من العرب ، والعرب من ذرية إسماعيل ، وإسماعيل من إبراهيم ، وإبراهيم من نوح ، ونوح من آدم ، وآدم من تراب . والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] .

وإذا قيل لك : من أول الرسل ؟ فقل : أولهم نوح ، وآخرهم ، وأفضلهم محمد ﷺ . والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ [النساء : ١٦٣] .

وإذا قيل لك : بينهم رسل ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

وإذا قيل لك : محمد بشر ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ :

إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُم إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وإذا قيل لك : محمد عبد ؟ فقل : نعم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَىٰ الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ [الإسراء : ١] .

وإذا قيل لك : كم عمره ؟ فقل : ثلاث وستون سنة ، أربعون منها قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبياً ورسولاً ، نبيء بـ ﴿إقرأ﴾، وأرسل بـ ﴿المدثر﴾ ، وخرج على الناس فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم جَمِيعاً ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . فكذبوه وآذوه وطردوه وقالوا : ساحر كذاب ، فأنزل اللَّه عليه : ﴿ وَإِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم مِن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣] . بلده مكة ، وولد فيها ، وهاجر إلى المدينة وبها توفي ، ودفن جسمه ، وبقي علمه ، نبي لا يعبد ، ورسول لا يكذب ؛ بل يطاع ويتبع ، صلوات اللَّه وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

* * *

القواعد الأربعة
للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذه أربع قواعد من قواعد الدين ، يميِّز بهن المسلم دينه من دين المشركين(١) .

القاعدة الأولى : أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ كانوا مقرِّين للَّه بتوحيد الربوبية ، يشهدون أن اللَّه هو الخالق الرازق ، المحيي المميت ، المدبر لجميع الأمور ، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام ، والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِن السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ ، ويُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] .

القاعدة الثانية : أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللَّه ﷺ ما أرادوا ممن قصدوا إلاَّ قربة وشفاعة . والقربة : قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُم إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُم فِيمَا هُمْ فيه يَخْتَلِفُون إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي مَن هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر : ٣] .

---

(١) سترد هذه الرسالة مرة ثانية ضمن المجموعة باختلاف يسير ص (٧١) ، ولولا أنها موجودة في جميع الطبعات التي اعتمدناها أثناء التصحيح لحذفناها لأن هذه تغني عنها واللَّه الموفق .

ودليل الشفاعة قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُمُ ، وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّؤُونَ اللَّه بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] .

القاعدة الثالثة : إن الله بعث النبي ﷺ إلى أهل الأرض وهم على أديان مختلفة ، وعبادات متفرقة ، منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد النبيين والصالحين ، ومنهم من يعبد الأحجار والأشجار ، وقاتلهم صلى الله عليه وسلم ولم يفرِّق بينهم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

ودليل الملائكة قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُم كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٤٠ ـ ٤١] .

ودليل النبيين قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُم إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوااللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم وَكُنْتُ عَلَيْهِم شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِم فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِم وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُم فَإِنَّهُم عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُم فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٦ ـ ١١٨] .

ودليل الصالحين قوله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِ عَنْكُم وَلَا تَحْوِيلاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِم الوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ [الاسراء : ٥٦ ـ ٥٧] .

ودليل الأحجار والأشجار قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ والعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٩ - ٢٠] .

القاعدة الرابعة : أنَّ الكفار الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ كانوا يخلصون في الشدَّة ، ويشركون في الرخاء .

والدليل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا في الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُم إِلَىٰ البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥] .

وأهل زماننا هذا يشركون في الشدة ، وفي الرخاء كذلك ، واللّه أعلم[١] .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله ؟

قلت : طاعته بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه .

فان قيل : فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا للّه ؟

قلت : من أنواعها الدعاء ، والاستعانة ، والاستغاثة ، وذبح القربان ، والنذر ، والخوف ، والرجاء ، والتوكل ، والانابة ، والمحبة ، والخشية ، والرغبة ، والرهبة ، والتألُّه ، والركوع ، والسجود ، والخشوع ، والتذلُّل ، والتعظيم الذي هو من خصائص الآلهية .

ودليل الدعاء قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾

---

(١) هذا هو الواقع من عباد القبور الآن ، ويعتقدون شركهم وجهلهم وضلالهم قربة تقربهم إلى اللّه ، وعلماء الضلال ودعاة البدعة يحرفون الكلم عن مواضعه ، فالشرك الاكبر جعلوه توسلاً وطاعة ، ومع ذلك يضللون من دان اللّه بالتوحيد الخالص وأفرده بالعبادة .

وما أحسن ما قال ابن القيم :

هَرَبُوا مِنَ الرِّقِ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ   فَبُلُوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

وقال أيضاً :

وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَّرُونَا بِالَّذِي   هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ

[الجن : ١٨] وقوله تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلَى المَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الكَافِرِينَ إلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد : ١٤] .

ودليل الاستعانة قوله تعالى : ﴿ إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٤] .

ودليل الاستغاثة قوله تعالى : ﴿ إذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال : ٩] .

ودليل الذبح قوله تعالى : ﴿ قُلْ إنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ المُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٣ - ١٦٤] .

ودليل النذر قوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ [الدهر : ٧] .

ودليل الخوف قوله تعالى : ﴿ إنَّما ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

ودليل الرجاء قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف : ١١٠] .

ودليل التوكل قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٢٣] .

ودليل الإنابة قوله تعالى : ﴿ وَأَنِيبُوا إلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر : ٥٤] .

ودليل المحبَّة قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحَبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبَّاً لِلّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

ودليل الخشية قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة : ٤٤] .

ودليل الرغبة والرهبة قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ في الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الانبياء : ٩٠] .

ودليل التألُّه قوله تعالى : ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٣] .

ودليل الركوع والسجود قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُم وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعلَّكُم تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج : ٧٧] .

ودليل الخشوع قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِن أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ [آل عمران : ١٩٩] الآية ونحوها . فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله فقد أشرك بالله غيره .

فان قيل : فما أجلُّ أمرٍ أمرَ الله به عباده ؟

فقل : توحيده بالعبادة . وقد تقدم بيانه ، وأعظم نهي نهى الله عنه الشرك به ، وهو أن يدعو مع الله غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ، فقد اتخذه ربّاً وإلهاً ، وأشرك مع اللَّه غيره ، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة . وقد تقدم من الآيات ما يدل على أن هذا هو الشرك الذي نهى اللَّه عنه ، وأنكره على المشركين .

وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ

وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ [النساء : ١١٦] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلْظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة : ٧٢] .

* * *

تفسير سورة الفاتحة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ .

قال الشيخ رحمه اللّه تعالى : تضمنت الثلاث آيات ثلاث مسائل : الآية الأولى فيها المحبَّة ، فإنّ اللَّه منعم ، والمنعم يحب على قدر إنعامه .

والمحبَّة تنقسم على أربعة أنواع :

محبَّة شركيّة وهم الذين قال اللَّه فيهم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ للَّهِ جَمِيعاً وأَنَّ اللَّهَ شَدِيْدُ العَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِيْنَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهم حَسَرَاتٍ عَلَيْهِم وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٥ ـ ١٦٧] .

المحبة الثانية : حب الباطل وأهله ، وبُغض الحق وأهله ، وهذه صفة المنافقين .

المحبة الثالثة طبيعية ، وهي محبة المال والولد ، إذا لم تشغل عن طاعة الله ولا تعين على محارم الله ، فهي مباحة .

والمحبة الرابعة : حب أهل التوحيد ، وبغض أهـل الشرك ، وهي أوثق عرى الإيمان ، وأعظم ما يعبد به العبد ربه .

الآية الثانية : فيها الرجاء .

والآية الثالثة : فيها الخوف .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ، أي أعبدك يا رب بما مضى بهذه الثلاث : بمحبتك ، ورجائك ، وخوفك ، فهذه الثلاث أركان العبادة ، وصرفها لغير اللّه شرك . وفي هذه الثلاث الرد على من تعلَّق بواحدة منهن ، كمن تعلَّق بالمحبة وحدها ، أو تعلق بالرجاء وحده ، أو تعلق بالخوف وحده . فمن صرف واحدة منهنَّ لغير اللّه فقد أشرك . وفيها من الفوائد الردَّ على الطوائف الثلاث التي كلُّ طائفة تتعلق بواحدة منها ، كمن عبد اللّه بالمحبة وحدها . وكذلك من عَبد اللّه بالرَّجاء وحده ، كالمرجئة ، وكذلك من عبد اللّه بالخوف وحده ، كالخوارج .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فيها توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية .

﴿ إياك نعبد ﴾ فيها توحيـد الألوهيـة ، و ﴿ إِيَّاكَ نَسْتِعِينُ ﴾ فيهـا توحيـد الربوبية .

﴿إِهْدِنَا الصِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة : ٦]، فيها الرد على المبتدعين .

وأما الآيتان الأخيرتان . ففيها من الفوائد ذكر أحوال الناس ، قسمهم اللَّه ثلاثة أصناف : منعم عليهم ، ومغضوب عليهم ، وضالون .

فـ ﴿ المَغْضُوبِ عَلَيْهِم ﴾ : أهل علم ليس معهم عمل . و ﴿الضَّالِّينَ ﴾ : أهل عبادة ليس معها علم وإن كان سبب النزول في اليهود والنصارى ، فهي لكل من اتصف بذلك .

الثالث : من اتصف بالعلم والعمل ، وهو المنعم عليهم ، وفيها من الفوائد التبري من الحول والقوة ، لأنه منعم عليه . وكذلك فيها معرفة اللَّه على التمام ، ونفي النقائص عنه تبارك وتعالى . وفيها معرفة الانسان ربه ، ومعرفة نفسه ، فإنه إذا كان رب ، فلا بد من مربوب ، وإذا كان هنا راحم ، فلا بد من مرحوم ، وإذا كان هنا مالك ، فلا بد من مملوك ، وإذا كان هنا عبد ، فلا بد من معبود ، وإذا كان هنا هادٍ ، فلا بد من مهدي ، وإذا كان هنا منعم عليه ، فلا بد من منعم ، وإذا كان هنا مغضوب عليه ، فلا بد من غاضب .

فهذه السورة تضمنت الألوهية ، والربوبية ، ونفي النقائص عن اللّه عز وجل ، وتضمنت معرفة العبادة وأركانها ، واللّه أعلم[1] .

* * *

---

(١) وللإمام أبي بكر ابن قيم الجوزية كلام نفيس في هذا حيث قال في كتاب « الفوائد » ص٣٩ ـ ٤٠ . من طبعتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق :

للإنسان قوتان : قوة علمية نظرية ، وقوة عملية ارادية : وسعادته التامة موقوفة على استكمال قوتيه العلمية والارادية ، واستكمال القوة العلمية إنما يكون بمعرفة فاطره وبارئه ، ومعرفة أسمائه وصفاته ، ومعرفة الطريق التي توصل إليه ، ومعرفة آفاتها ، ومعرفة نفسه ، ومعرفة عيوبها ؛ فبهذه المعارف الخمسة يحصل كمال قوته العلمية ، وأعلم الناس أعرفهم بها وأفقههم فيها ، واستكمال القوة العملية الإرادية لا تحصل إلا بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد والقيام بها اخلاصاً وصدقاً ونصحاً وإحساناً ومتابعة وشهوداً لمنته عليه وتقصيره هو في أداء حقه ، فهو مستحي من مواجهته بتلك الخدمة لعلمه أنها دون ما يستحقه عليه ، ودون ذلك ، وأنه لا سبيل له إلى استكمال هاتين القوتين إلا بمعونته، فهو مضطر إلى أن يهديه الصراط المستقيم الذي هدى إليه أولياءه وخاصته ، وأن يجنبه الخروج عن ذلك الصراط المستقيم الذي هدى إليه أولياءه وخاصته ، وأن يجنبه الخروج عن ذلك الصراط ، إما بفساد في قوته العلمية فيقع في الضلال ، وأما في قوته العملية فيوجب له الغضب .

شرح ستة مواضع من السيرة
تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه وعفا عنه بمنه وكرمه آمين .

تأمّل رحمك اللّه ستة مواضع من السيرة ، وافهمها فهماً حسناً ، لعل اللّه أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ، ودين المشركين لتجتنبه ، فان أكثر من يدَّعي الدين ، ويدَّعي أنه من الموحدين لا يفهم الستة كما ينبغي .

الأولى : قصة نزول الوحي ، وفيها أن أول ما أرسله اللّه به : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ [المدثر : ١ ـ ٢] ، فاذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة ، ويعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا ، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة ، ويتقربون بها إلى اللّه ، مثل الحج ، والعمرة ، والصدقة على المساكين ، وغير ذلك وأجلّها عندهم الشرك ، فهو أجلّ ما يتقربون به إلى اللّه عندهم ، كما ذكر اللّه عنهم أنهم قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ ٱللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر : ٣] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُم اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٠] .

فأول ما أمر به الإنذار عنه ، قبل الإنذار عن الزنا وغيره ، وعرفت أن منهم من تعلّق على الأصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بني

آدم ، ويقولون : ما نريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالانذار عنه في أول آية أرسل بها رسوله ، فان أحكمت هذه المسألة ، فيا بشراك ، خصوصاً إذا عرفت أن ما بعدها أعظم من صلاة الخمس ، ولم تفرض إلا في ليلة الاسراءِ سنة عشر بعد حصار الشعب وموت أبي طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين .

فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة ، والعداوة البالغة لكل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة .

الموضع الثاني : أنه ﷺ لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد ، لم يكرهوا ، واستحسنوا ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح بسبِّ دينهم ، وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمَّروا له ولأصحابه عن ساق العداوة ، وقالوا : سفّه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا .

ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ولا الصالحين . لكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتماً .

فإذا عرفت هذه عرفت أن الانسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد اللّه وترك الشرك ، إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض ، كما قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَآدَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

فإذا فهمت هذا فهماً جيداً، عرفت أن كثيراً من الذين يدَّعون الدين لا يعرفونها، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصبر على ذلك والعذاب، والأسر، والضرب، والهجرة إلى الحبشة ،مع أنه ﷺ أرحم الناس، لو لم يجد لهم رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل اللّهُ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللّهِ ﴾ [العنكبوت : ١٠] .

فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه ، فكيف بغير ذلك .

الموضع الثالث : قصة قراءته ﷺ سورة النجم بحضرتهم ، فلما بلغ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ [النجم : ١٩] ألقى الشيطان في تلاوته : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فظنوا أنَّ رسول اللّهِ ﷺ قرأها ، ففرحوا بذلك وقالوا كلاماً معناه : هذا الذي نريد ، ونحن نعرف أنَّ اللّه هو النافع الضَّار وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده ، فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه ، فشاع الخبر أنهم صافوه وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول اللّه ﷺ عادوا إلى أشر ما كانوا عليه ، ولما قالوا له : إنَّك قلت ذلك ، خاف من اللّه خوفاً عظيماً ، حتى أنزل اللّه عليه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَتِهِ ﴾ الآية [الحج : ٥٢] ، فمن فهم هذه القصة ثم شك بعدها في دين النبي ﷺ ، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين ، فأبعده ، خصوصاً إن عرف أن قولهم تلك الغرانيق[1] ، الملائكة .

الموضع الرابع : قصَّة أبي طالب . فمن فهمها فهماً حسناً، وتأمل إقراره بالتوحيد ، وحث الناس عليه ، وتسفيه عقول المشركين ، ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول اللّه ﷺ إلى أن مات ، ثم صبره على المشقة العظيمة ، لكن لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلماً ، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم ، ثم مع قرابته ونصرته ، استغفر له رسول اللّه ﷺ ، فأنزل اللّه عليه ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ الآية [التوبة : ١١٣] .

---

(١) قصة الغرانيق باطلة لا تصح ، وليس لها إسناد صحيح ، وطرقها مراسيل لا تصح للتقوية . وانظر تفصيل ذلك في كتاب « نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق » للشيخ محمد ناصر الدين الألباني .

والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الإحساء يحب الدين ويحب المسلمين ، مع أنه لم ينصر الدين بيدٍ ولا مال ، ولا له من الإعذار مثل ما لأبي طالب ، وفهم الواقع من أكثر من يدَّعي الدين ، تبين له الهدى من الضلال ، وعرف سوء الأفهام ، واللّه المستعان .

الموضع الخامس : قصة الهجرة ، وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها ؛ ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها ، وهي أن من أصحاب رسول اللّه ﷺ من لم يهاجر ، من غير شك في الدين ، وفي تزيين دين المشركين ، ولكن محبة الأهل والمال والوطن ، فلما خرجوا إلى بدر خرجوا مع المشركين كارهين ، قتل بعضهم بالرمي ، والرامي لا يعرفه ، فلما سمع الصحابة : أن أصبح من القتلى فلان أو فلان ، شق عليهم وقالوا : قتلنا إخواننا ، فأنزل اللّه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم ﴾ الى قوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ [النساء : ٩٧ - ٩٩] .

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة : قتلنا إخواننا أنه لو يبلَّغ عنه كلاماً في الدين أو كلاماً في تزيين دين المشركين ، لم يقولوا : قتلنا إخواننا ، فإن اللّه قد بين لهم وهم قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الايمان بقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل : ١٠٦] .

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام اللّه فيهم ، فان الملائكة تقول : ﴿ فِيمَ كُنْتُم؟ ﴾ ولم يقولوا : كيف تصديقكم؟ ﴿ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ لم يقولوا : كذبتم مثل ما يقول اللّه للمجاهد الذي يقول : «جاهدت في سبيلك حتى قتلت ، فيقول اللّه : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل قاتلت ليقال : جريء ، وكذلك يقولون للعالم والمتصدق : كذبت بل تعلمت ليقال : عالم ،

وتصدقت ليقال: جواد»[1] وأما هؤلاء فلم يكذبوهم، بل أجابوهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُن أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء : ٩٧] . ويزيد ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيْلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٩٨] .

فهذا أوضح جداً أن هؤلاء خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكنْ لمن طلب العلم ، بخلاف من لم يطلبه ، بل قال اللّه فيهم : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٨] .

ومن فهم هذا الموضع والذي قبله ، فهم كلام الحسن البصري ، قال : ليس الايمان بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال ، وذلك أن اللّه تعالى يقول : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] .

الموضع السادس : قصة الردة بعد موت النبي ﷺ ، فمن سمعها ثم بقي في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمّون العلماء ، وهي قولهم : هذا هو الشرك ، لكن يقولون : لا إله إلا اللّه ، ومن قالها لا يكفر بشيء .

وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الاسلام شعرة ، ولكن يقولون : لا إله إلا اللّه ، وهم بهذه اللفظة إسلام ، وحرَّم الاسلام مالهم ودمهم مع إقرارهم أنهم تركوا الاسلام كله ، ومع علمهم بانكارهم البعث ،

---

(١) هذه قطعة من حديث رواه مسلم رقم (١٩٠٥) في الإمارة : باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار . والترمذي رقم (٢٣٨٣) ، والنسائي ٦/ ٢٣ و ٢٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول:« إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ... » الحديث .

واستهزائهم بمن أقرَّ به، واستهزائهم، وتفضيلهم دين آبائهم مخالفاً لدين النبي ﷺ ، ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة أن البدو أسلموا ، ولو جرى منهم ذلك كله ، لأنهم يقولون : لا إله إلا اللّه ، ولزم قولهم أن اليهود أسلموا ، لأنهم يقولونها ، وأيضاً كفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة ، أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا .

والذي يبيِّن ذلك من قصة الرِّدَّة أن المرتدين افترقوا في ردتهم ، فمنهم من كذَّب النبي ﷺ ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان وقالوا : لو كان نبياً ما مات ، ومنهم من ثبت على الشهادتين ، ولكن أقر بنبوة مسيلمة ظناً أن النبي ﷺ أشركه في النبوة ، لأن مسيلمة أقام شهود زور شهدوا له بذلك ، فصدقهم كثير من الناس ، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدون ولو جهلوا ذلك . ومن شك في ردتهم فهو كافر ، فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا أن الذين كذبوهم ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان ، وشتموا رسول اللّه ﷺ . ومنهم من أقر بنبوة مسيلمة في حال واحدة ولو ثبت على الاسلام كله . ومنهم من أقر بالشهادتين ، وصدَّق طليحة في دعواه النبوة . ومنهم من صدق العنسي صاحب صنعاء . كل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء ، ومنهم من كذب النبي ﷺ ورجع الى عبادة الأوثان على حال واحدة .

ومنهم أنواع ، آخرهم الفجاءة السلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبي بكر أن يمده ، فأعطاه سلاحاً ورواحل ، فاستعرض السلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهز أبو بكر جيشاً لقتاله ، فلما أحس بالجيش قال لأميرهم : أنت أمير أبي بكر ، وأنا أميره ولم أكفر . فقال : إن كنت صادقاً فألق السلاح ، فألقاه ، فبعث به إلى أبي بكر ، فأمر بتحريقه بالنار وهو حي .

فإذا كان هذا حكم الصحابة في هذا الرجل مع إقراره بأركان الاسلام

الخمسة ، فما ظنك بمن لم يقر من الاسلام بكلمة واحدة ؟ إلا أن يقول : لا إله إلا اللّه بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ ، ومن كتاب اللّه ، ويقولون هذا دين الخضر ، وديننا دين آبائنا ، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال أن هؤلاء مسلمون ولو صرحوا بذلك كله إذا قالوا : لا إله إلا اللّه ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

وما أحسن ما قال واحد من البوادي لما قدم علينا وسمع شيئاً من الاسلام . قال : أشهد أننا كفار ، يعني هو وجميع البوادي ، وأشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل إسلام أنه كافر .

والحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم أن نواقض الاسلام عشرة نواقض[1] :

الأول : الشرك في عبادة اللّه . قال اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ﴾ [النساء : ٤٨ و ١١٦] و ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلْظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴾[المائدة : ٧٢] .

ومنه الذبح لغير اللّه ، كمن يذبح للجن أو للقبر .

الثاني : من جعل بينه وبين اللّه وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ، ويتوكل عليهم ، فقد كفر إجماعاً .

الثالث : من لم يكفِّر المشركين ، أو يشك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم ، كفر .

الرابع : من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضِّلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ، ولو عمل به ، كفر .

---

(١) من أهم ما يجب على المسلم الموحد الحريص على دينه ، أن يعرف نواقض الاسلام ، فإن أكثر الناس يجهلها ولا يعرفها ، فلهذا وقعوا في الشرك الأكبر وهم يحسبون أنهم مهتدون .

السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه ، كفر ، والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُوا قَد كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم ﴾ [التوبة : ٦٥ - ٦٦] .

السابع : السحر ، ومنه الصرف ، والعطف ، فمن فعله أو رضي به كفر ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام ، فهو كافر .

العاشر : الاعراض عن دين اللّه ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ المُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴾ [السجدة : ٢٢] .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجادّ والخائف ، إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ، وأكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه ، نعوذ باللّه من موجبات غضبه ، وأليم عقابه ،

وصلى اللّه على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

غربة الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد : فهذه عشر درجات قالها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه تعالى في قوله : ﴿ وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُواْ مَعَ اللّهِ أَحَداً ﴾ [الجن : ١٨] . فهذا كلام وجيز يبيّن غربة الدين لمن تدبره ، وهو عشر درجات :

الأولى : تصديق القلب أنَّ دعوة غير اللّه باطلة ، وقد خالف فيها من خالف[١] .

الثانية : أنها منكر يجب فيها البغض ، وقد خالف فيها من خالف .

الثالثة : أنها من الكبائر والعظائم المستحقة للمقت والمفارقة ، وقد خالف فيها من خالف .

الرابعة : أن هذا هو الشرك بالله الذي لا يغفره ، وقد خالف فيها من خالف .

الخامسة : أن المسلم إذا اعتقده أو دان به كفر ، وقد خالف فيها من خالف .

---

(١) أي لأنها شرك ، وصرف للعبادة لمن لا يستحقها ، والمشركون خالفوا في ذلك فاعتقدوا جواز الشرك وصرف العبادة لغير اللّه ، والدعاء مخ العبادة ، فخالفوا الحق الذي جاء به النبي ﷺ واعتقدوا الباطل وعملوا به .

السادسة : أن المسلم الصادق إذا تكلم به هازلاً أو خائفاً أو طامعاً ، كفر بذلك لعلمه ، وأين ينزل القلب هذه الدرجة ويصدقه بها ؟ ! وقد خالف فيها من خالف .

السابعة : أنك تعمل معه عملك مع الكفار من عداوة الأب والابن وغير ذلك ، وقد خالف فيها من خالف .

الثامنة : أن هذا معنى لا إله إلا اللّه . والإله : هو المألوه . والإله : عمل من الأعمال ، وكونه منفيّاً عن غير اللّه ترك من التروك .

التاسعة : القتال على ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله للّه .

العاشرة : أن الداعي لغير اللّه لا يقبل منه الجزية[1] كما يقبل من اليهود ، ولا تنكح نساؤهم كما تنكح نساء اليهود ، لأنه أغلظ كفراً. وكل درجة من هذه الدرجات إذا علمت بها تخلف عنك بعض من كان معك ، واللّه أعلم .

قوله : عند كل درجة . وقد خالف فيها من خالف ناس يعتقدون أن دعوة غير اللّه جائزة ، والرسول ومن آمن به مخالفون لهم ، وناس ما يكفرون بالطاغوت ولا يبغضونه ، والرسول وأتباعه مخالفون لهم . بل ملّة إبراهيم هي الكفر بالطاغوت ، والايمان باللّه ، وهكذا سائر الدرجات ، واللّه أعلم .

قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إن كُنْتُم في شَكٍّ مِن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم ، وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِن

---

(١) أي لأن الجزية لا تؤخذ إلا من اليهود والنصارى والمجوس على القول الصحيح الراجح من حيث الدليل ، والخلاف مشهور .

دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٤ ـ ١٠٦] .

فيه ثمان حالات :

وقوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلْدِينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠] .

الأولى : ترك عبادة غير اللّه مطلقاً ولو حاوله أبوه وأُمه بالطمع الجليل ، كما جرى لسعد مع أُمه[١] .

الحالة الثانية : أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه ، لا يفطن بما يريد اللَّه من إجلاله ، ورهبته ، فذكر هذه الحالة بقوله ﴿ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم ﴾ [يونس : ١٠٤] .

الحالة الثالثة : إن قدَّرنا أنه ظن وجود الترك والفعل ، فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ، ولو لم يفض هذا الغرض إلا بالهرب عن بلد فيها كثير من الطواغيت الذين لا يبلغون الغاية في العداوة ، حتى يصرح أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم .

الحالة الرابعة : إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث ، فقد لا يبلغ الجد في العمل بالدين . والجد والصدق هو إقامة الوجه للدين .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧٤٨) في الجهاد : باب الأنفال ، وفي فضائل الصحابة : باب من فضائل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وأوله : « أنزلت فيَّ أربع آيات من القرآن ، قال : حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً . . . . » الحديث .

الحالة الخامسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع ، فلا بد من مذهب ينتسب إليه ، فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية ، وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحاً ، ففي الحنيفية عنه غنية .

الحالة السادسة : إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست ، فقد يدعو من غير قلبه نبيّاً ، أو غير شيء من مقاصده ، ولو كان ديناً يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا ، خصوصاً عند الخوف ، أنه لا يدخل في هذا .

الحالة الثامنة : أنه ظن سلامته من ذلك ، لكن غيره من إخوانه فعله خوفاً ، أو لغرض من الأغراض ، هل يصدق اللّه أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين ؟ أو يقول : كيف يكفر ؟ ! فهو يحب الدين ويبغض الشرك ، وما أعز من يتخلص من هذا ؛ بل ما أعز من يفهمه وإن لم يعمل به ؛ بل ما أعز من لا يظنه جنوناً ، واللّه أعلم .

* * *

كتاب الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ باب

شروط الصلاة تسعة :

الاسلام ، والعقل ، والتمييز ، والطهارة ، وستر العورة ، واجتناب النجاسة ، والعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، والنية بالقصد .

٢ ـ باب

نواقص الوضوء ثمانية :

الخارج من السبيلين ، والخارج الفاحش من البدن ، وزوال العقل بنوم أو غيره ، ولمس المرأة بشهوة ، ومس الفرجين لآدمي ، وغسل الميت ، وأكل لحم الجزور ، والردة عن الاسلام أعاذنا اللّه منها .

٣ ـ باب

شروط الوضوء خمسة :

ماء طهور ، وكون الرجل مسلماً مميزاً ، وعدم المانع ، ووصول الماء إلى البشرة ، ودخول الوقت في دائم الحدث .

٤ ـ باب

فرائض الوضوء ستة أشياء :

غسل الوجه ، وغسل اليدين إلى المرفقين ، ومسح جميع الرأس ، وغسل الرجلين إلى الكعبين ، والترتيب ، والموالاة .

٥ ـ باب

أركان الصلاة أربعة عشر ركناً :

القيام مع القدرة ، وتكبير الاحرام ، وقراءة الفاتحة ، والركوع والرفع منه ، والاعتدال ، والسجود ، والرفع منه ، والجلوس بين السجدتين ، والطمأنينة في الجميع ، والتشهد الأخير ، والجلوس له ، والتسليمة الأولى[١] ، وترتيب الأركان .

٦ ـ باب

موجبات الصلاة ثمانية :

التكبيرات غير تكبيرة الاحرام . الثاني : قول سمع اللّه لمن حمده ، لامام ومنفردٍ . الثالث : قول ربنا ولك الحمد . الرابع : تسبيح الركوع . الخامس : تسبيح السجود . السادس : قول رب اغفر لي بين السجدتين ، والواجب مرة . السابع : التشهد الأول ، لأنه عليه السلام فعله وداوم على فعله وأمر به ، وسجد للسهو حين نسيه . الثامن : الجلوس له .

---

(١) أي والثانية سنة .

٧ ـ باب

مبطلات الصلاة ثمانية :

الكـلام العمـد ، والضحـك ، والأكـل ، والشـرب ، وكشف العـورة ، والانحراف عن جهة القبلة ، والعبث الكثير ، وحدوث النجاسة .

والله أعلم .

* * *

شرح رسالة
أصل دين الاسلام وقاعدته
الأمر بعبادة الله والإنذار عن الشرك

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله رحمه اللّه تعالى : « أصل دين الاسلام وقاعدته أمران :

الأول : الأمر بعبادة اللّه وحده لا شريك له ، والتحريض على ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه » .

قلت : وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَن لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية [آل عمران : ٦٤] أمر اللّه تعالى نبيه أن يدعو أهل الكتاب الى معنى لا إله إلا اللّه الذي دعي اليه العرب وغيرهم .

والكلمة : هي لا إله إلا اللّه ، ففسرها « بقوله : أن لا نعبد إلا اللّه » .

فقوله : أن لا نُعبد فيه معنى لا إله ، وهو نفي العبادة عما سوى اللّه .

قوله : إلا اللّه ، هو المستثنى في كلمة الإخلاص ، فأمره تعالى أن يدعوهم إلى قصْر العبادة عليه وحده ، ونفيها عمن سواه . ومثل هذه الآية كثير يبين أن الإلهية هي العبادة ، وأنها لا يصلح منها شيء لغير اللّه ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الاسراء : ٢٣] معنى : ﴿قَضَىٰ﴾ : أمر ووصّى ، قولان ، ومعناهما واحد .

وقوله : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا ﴾ فيه معنى لا إله .

وقوله : ﴿ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ فيه معنى إلا الله ، وهذا هو توحيد العبادة ، وهو دعوة الرسل إذ قالوا لقومهم : أن ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَالَكُم مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٥٩] فلا بد من نفي الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبدونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف : ٢٦ ـ ٢٧] فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله . وقال عنه عليه السلام : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُم وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [مريم : ٤٨] فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما كما صرح به في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَآءُوا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ العَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدَاً حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] . والذين معهم هم الرسل ، كما ذكره ابن جرير(١) .

وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا(٢) رحمه الله ، من التحريض على التوحيد ، ونفي الشرك ، والموالاة لأهل التوحيد ، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له ، فان من فعل الشرك فقد ترك التوحيد ، فانهما ضدّان لا يجتمعان ، فمتى وُجد الشرك انتفى التوحيد . وقد قال تعالى في حق من أشرك : ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر : ٨] فكفره تعالى باتخاذ الأنداد ، وهم الشركاء في العبادة . وأمثال هذه الآيات كثير ، فلا يكون المرء موحداً إلا بنفي الشرك ، والبراءة منه ، وتكفير من فعله .

ثم قال رحمه الله تعالى :

---

(١) انظر « تفسير الطبري » ٢٨/ ٤١ .
(٢) يعني به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

« الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة اللّه ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا ، وهو دين الرسل أنذروا قومهم عن الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُر أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِن خَلْفِهِ أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّه ﴾ [الأحقاف : ٢١] » .

قوله في عبادة اللّه :

العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه ، من الأقوال ، والأعمال الباطنة والظاهرة(١) .

قوله : والتغليظ في ذلك .

وهذا موجود في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً إِنِّي لَكُم مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات : ٥٠ ـ ٥١] ولولا التغليظ لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ما جرى من الأذى العظيم ، كما هو مذكور في السيرة مفصلاً ، فانه بادأهم بسب دينهم ، وعيب آلهتهم .

قوله رحمه اللّه تعالى : والمعاداة فيه ، كما قال تعالى : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم وَخُذُوهُم وَاحْصُرُوهُم وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة : ٥] والآيات في هذا كثيرة جداً ، كقوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لَا تَكُونَ

---

(١) انظر تفصيل ذلك في رسالة «العبودية» لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الآتية ضمن هذه المجموعة ص (٤٥٣) .

فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] . والفتنة : الشرك . ووسم تعالى أهل الشرك بالكفر فيما لا يحصى من الآيات ، فلا بد من تكفيرهم أيضاً .

هذا هو مقتضى لا إله إلا اللّه كلمة الاخلاص ، فلا يتمّ معناها إلا بتكفير من جعل للّه شريكاً في عبادته ، كما في الحديث الصحيح : « مَنْ قَالَ لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ »(١) .

فقوله : وكفر بما يعبدون من دون اللّه ، تأكيد للنفي فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك ، فلو شك أو تردد ، لم يعصم دمه وماله ، فهذه الأمور هي تمام التوحيد ، لأن لا إله إلا اللّه قيّدت في الأحاديث بقيود ثقال ، بالعلم ، والإخلاص ، والصدق ، واليقين ، وعدم الشك ، فلا يكون المرء موحداً إلا باجتماع هذا كله ، واعتقاده ، وقبوله ، ومحبته ، والمعاداة فيه ، والموالاة ، فبمجموع ما ذكره شيخنا رحمه اللّه يحصل ذلك .

ثم قال رحمه اللّه تعالى « والمخالف في ذلك أنواع : فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع ، فقبل الشرك واعتقده ديناً ، وأنكر التوحيد واعتقده باطلاً ، كما هو حال الأكثر » .

وسببه الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد ، وما ينافيه من الشرك والتنديد واتباع الأهواء ، وما عليه الآباء كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل ، فرموا أهل التوحيد بالكذب ، والزور ، والبهتان ، والفجور . وحجتهم : إنا وجدنا آباءنا ، كذلك يفعلون .

وهذا النوع من الناس والذين بعده ، قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣) في الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأحمد في « المسند » ٣/٤٧٢ من حديث طارق بن أشيم الأشجعي والد أبي مالك رضي الله عنهما.

الإخلاص ، وما وضعت له ، وما تضمنته من الدين الذي لا يقبل اللَّه ديناً سواه ، وهو دين الاسلام الذي بعث اللَّه به جميع أنبيائه ورسله ، واتفقت دعوتهم عليه كما لا يخفى فيما قَصَّ اللَّه تعالى عنهم في كتابه » .

ثم قال رحمه اللَّه تعالى : « ومن الناس من عبد اللَّه وحده ، ولم ينكر الشرك ، ولم يعاد أهله » .

قلت : ومن المعلوم من لم ينكر الشرك لم يعرف التوحيد ، ولم يأت به ، وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك والكفر بالطاغوت المذكور في الآية .

ثم قال رحمه اللَّه تعالى : «ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم ، فهذا النوع أيضاً لم يأت بما دلت عليه لا إله إلا اللَّه من نفي الشرك ، وما تقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان إجماعاً ، وهو مضمون سورة ﴿الاخلاص﴾ ، و ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾ .

وقوله في آية الممتحنة : ﴿ كَفَرْنَا بِكُم ﴾ ومن لم يكفِّر من كفَّره القرآن ، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه » .

ثم قال رحمه اللَّه : « ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه » .

فالجواب : أن من لم يحب التوحيد لم يكن موحداً ، لأنه هو الدين الذي رضيه اللَّه لعباده ، كما قال تعالى : ﴿وَرَضِيتُ لَكُم الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة : ٣] فلو رضي بما رضي به اللَّه وعمل به لأحبه ، ولا بد من المحبة لعدم حصول الاسلام بدونها ، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد .

قال الشيخ ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى : الاخلاص محبة اللَّه ، وإرادة وجهه . فمن أحبَّ اللَّه أحب دينه . ومالا فلا . والمحبة يترتب عليها كلمة الاخلاص من شروط التوحيد .

ثم قال رحمه اللّه تعالى : « ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه » .

قلت : ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته لا إله إلا اللّه من الشرك والكفر بما يعبد من دون اللّه والبراءة منه ، فهذا ليس من الاسلام في شيء أصلاً ، ولم يعصم دمه ولا ماله ، كما دل عليه الحديث المتقدم .

وقوله رحمه اللّه : « ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ، فلم ينفه » ولا يكون موحداً إلا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فعله وكفرهم . وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه لا إله إلا اللّه ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها ، فليس من الاسلام في شيء ، لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ، ويقين ، وصدق ، وإخلاص ، ومحبة ، وقبول ، وانقياد . وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء . وإن قال : لا إله إلا اللّه ، فهو لا يعرف ما دلّت عليه وما تضمنته .

ثم قال رحمه اللّه تعالى : « ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره » .

فأقول : هذا كالذي قبله ، لم يرفعوا رأساً بما خلقوا له من الدين الذي بعث اللّه به رسله ، وهذه الحال حال من قال اللّه فيهم : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٤] .

وقوله رحمه اللّه : «ومنهم ـ وهو أشد الأنواع خطراً ـ من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره ، ولم يبغض من تركه ، ولم يكفّرهم » .

فقوله رحمه اللّه : «وهو أشد الأنواع خطراً» ، لأنه لم يعرف قدر ما عمل به ، ولم يجيء بما يصحح توحيده من القيود الثقال التي لا بد منها ، لما علمت أن التوحيد يقتضي نفي الشرك ، والبراءة منه ، ومعاداة أهله ، وتكفيرهم مع قيام الحجة عليهم ، فهذا قد يغتر بحاله ، وهو لم يجيء بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الاخلاص نفياً وإثباتاً .

وكذلك قوله رحمه اللّه : «ومنهم من ترك الشرك وكرهه ، ولم يعرف قدره» وهذا أقرب من الذي قبله ، لكن لم يعرف قدر الشرك ، لأنه لو عرف قدره لفعل ما دلت عليه الآيات المحكمات ، كقول الخليل : ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف : ٢٦ ـ ٢٧] .

وقوله : ﴿ إِنَّا بُرَآءُوا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم العَدَاوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَداً ﴾ [الممتحنة : ٤] .

فلا بد لمن عرف الشرك وتركه ، من أن يكون كذلك من الولاء ، والبراء من العابد والمعبود ، وبغض الشرك وأهله ، وعداوتهم .

وهذان النوعان هو الغالب على أحوال كثير ممن يدعي الاسلام ، فيقع منهم من الجهل بحقيقته ما يمنع الاتيان بكلمة الاخلاص ، وما اقتضته ، على الكمال الواجب الذي يكون به موحداً ، فما أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين ؟ !

فاذا عرفت أن اللّه كفَّر أهل الشرك ، ووصفهم به في الآيات المحكمات ، كقوله : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ١٧] وكذلك السنة .

قال شيخ الإسلام رحمه اللّه تعالى : «فأهل التوحيد والسنة يصدقون الرسل فيما أخبروا ، ويطيعونهم فيما أمروا ، ويحفظون ما قالوا ، ويفهمونه ، ويعملون به ، وينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ويجاهدون من خالفهم تقرباً إلى اللّه ، وطلباً للجزاء من اللّه لا منهم .

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به ، ونهوا عنه ، ولا بين ما صح عنهم ، ولا ما كذب عليهم ، ولا يفهمون حقيقة مرادهم ، ولا يتحرَّون طاعتهم . بل هم جهال بما أتوا به ، معظمون لأغراضهم » .

قلت : ما ذكره شيخ الاسلام يشبه حال هـذين النوعين الآخـرين . بقي مسألة حديث تكلم فيها شيخ الاسلام ابن تيمية ، وهو عدم تكفير المعيَّن ابتداءً لسبب ـ ذكره رحمة اللّه ـ أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه .

قال رحمه اللّه تعالى : ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يـدعو أحـداً من الأموات ، لا الأنبيـاء ، ولا الصـالحين ، ولا غيـرهم ، بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ، ولا إلى غير ميت ، ونحو ذلك . بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها ، وأن ذلك من الشرك الذي حرَّمه اللّه ورسوله ﷺ ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين ، لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين ما جاء به الرسول مما يخالفه . انتهى .

قلت : فذكر رحمه اللّه ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة ، إلا بعد البيان والاصرار ، فانه قد صار أمة واحدة ، ولأن من العلماء من كفَّره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة ، فلا يمكنه أن يعاملهم إلا بمثل ما قال ، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه في ابتداء دعوته ، فانه إذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب رضي اللّه عنه قال : اللّه خير من زيد ، تمريناً لهم على نفي الشرك ، بلين الكلام ، نظر إلى المصلحة وعدم النفرة ، واللّه سبحانه وتعالى أعلم .

* * *

قال شيخ الاسلام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رفع اللّه درجاته بمضاعفة حسناته مجيباً عن إيراد أورده جهمي ضالّ على بعض الأخوان :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه على محمد النبي الصادق الأمين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد : فقد وردت علينا أسئلة من عُمان ، صدرت من جهمي ضالّ ، يستعجز بها بعض المسلمين .

فينبغي أن نجيب عنها بما يفيد طالب العلم ، وما لا فائدة فيه لا يحتاج إلى الاشتغال بالجواب عنه .

فما ينبغي أن نجيب عنه قوله : إن الاسم مشتق من السمو ، أو من السمة ، واشتقاق الاسم من هذين ذكره العلماء في كتبهم ، لكن يتعين أن نسأله عن كيفية هذا الاشتقاق ، وما معنى الاشتقاق الذي يذكره العلماء ، فنطلب منه الجواب عن هذين الأمرين . وإن كانا مذكورين في كتب النحاة وغيرهم ، وقد ذكرته في « فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد »[١] .

---

(١) انظر « فتح المجيد » بتحقيق شيخنا المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى طبع مكتبة دار البيان بدمشق ص ١٠ و١١ .

وأما سؤاله عن الفرق بين القضاء والقدر ، فالقدر : أصل من أصول الايمان ، كما في سؤال جبريل ، وما أجابه رسول اللّه ﷺ حين سأله قال : « الإِيْمَانُ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاليَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »(١) .

وفي الحديث الصحيح : « إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللّه القَلَمَ(٢) . فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ »(٣) أي جرى بما يكون مما يعلمه اللّه تعالى ، فانه تعالى يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، لا يعزُب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين(٤) .

وأما القضاء فيطلق في القرآن ويراد به إيجاد المقدر ، كقوله : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت : ١٢] .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُم عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَآبَّةُ الأَرْضِ ﴾ [سبأ : ١٤] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٨) في الإيمان : باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله ، والترمذي رقم (٢٦١٣) في الإيمان : باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإسلام والإيمان ، وأبو داود رقم (٤٦٩٥) في السنة : باب في القدر ، والنسائي ٨/٩٧ - ١٠١ في الإيمان : باب نعت الإسلام ، وابن ماجة رقم (٦٣) في المقدمة : باب في الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) قال ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية ؛ خلقه الله تعالى بعد العرش ، ولكن الأرجح أن الله تعالى خلق القلم أولاً ، ثم أمر بأن يكتب كل شيء يكون ، ومنه العرش ، فعلى هذا يكون القلم متقدماً على العرش .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٥/٣١٧ ، وأبو داود رقم (٤٧٠٠) في السنة : باب في القدر ، والترمذي رقم (٢١٥٦) في أبواب القدر : باب رقم (١٧) ، و(٣٣١٦) في التفسير : باب ومن سورة (ن والقلم) ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، ورواه أيضاً البيهقي في « السنن » وأبو نعيم في « الحلية » من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح .

(٤) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ [يونس : ٦١] .

ويطلق ويراد به الإخبار بما سيقع مما قدر كقوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ نَبِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ ﴾ [الإسراء : ٤] أخبرهم في كتابهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين .

ويطلق ويراد به الأمر ، والوصية ، كما قال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَن لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : **٢٣**] أي أمر ووصَّى .

ويطلق ويراد به الحكم، كقوله: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالحَقِّ﴾ [الزمر: **٦٩**] .

ويطلق ويراد به القدر ، ونحو ذلك .

وأما ما زعمه من أن الأدلة الدالة على استوائه على عرشه لا تمنع أن يكون مستوياً على غيره .

فالجواب أن نقول : قد أجمع أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً على أنه لا يجوز أن يوصف اللّه بما لا يصف به نفسه ، ولا وصفه به رسوله ﷺ ومن وصفه بغير ما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسولهﷺ ، فهو جهمي ضالٌّ مضلّ ، يقول على اللّه بلا علم . وقد ذكر سبحانه استواءه على عرشه في سبعة مواضع من كتابه : في سورة ﴿الأعراف﴾، وفي سورة ﴿ يونس ﴾، وفي سورة ﴿ الرعد ﴾ ، وفي سورة ﴿طه﴾ ، وفي سورة ﴿الفرقان﴾ ، وفي سورة ﴿السجدة﴾ ، وفي سورة ﴿ الحديد ﴾ ، ولم يذكر تعالى أنه استوى على غير العرش ، ولا ذكره رسوله ﷺ فعلم أنه ليس من صفاته التي يجوز أن يوصف بها . فمن أدخل في صفات اللّه ما لم يذكر في كتاب اللّه ولا في سنة رسوله ، فهو جهمي يقول على اللّه ما لا يعلم . وقد قال اللّه تعالى : ﴿ تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِن فَوْقِهِم ﴾ [النحل : ٥٠] .

﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : ٥٥] .

﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨] ﴿ وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

﴿ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾ [سبأ : ٢٣] علو القدر ، وعلو القهر ، وعلو الذات ، لا يجوز أن يوصف إلا بذلك كله لكماله تعالى في أوصافه .

فله الكمال المطلق في كل صفة وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله ﷺ . وقال تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ ﴾ [غافر : ١٥] فذكر العرش عند هذه الصفة من أدلة فوقيته تعالى ، كما هو صريح فيما تقدم من الآيات ، وكقوله تعالى : ﴿ تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم ﴾ الآية [الشورى : ٥] .

وذكر النبي ﷺ في معنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ ﴾ الآية [الحديد : ٣] .

« اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الآخِرَ فَلَيْسَ بَعْدكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ »(١) .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧١٣) في الذكر والدعاء : باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، وأبو داود رقم (٥٠٥١) في الأدب : باب ما يقال عند النوم والترمذي رقم (٣٣٩٧) في الدعوات : باب من الأدعية عند النوم ، وابن ماجة رقم (٣٨٧٣) ، وأحمد في « المسند » ٢/٣٨١ و ٤٠٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه بتمامه :

« كان يأمرنا إذا أحب أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ، ثم يقول : اللهم ربَّ السموات وربَّ الأرض وربَّ العرش العظيم ، ربنا وربَّ كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والانجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدَّين ، وأغننا من الفقر » .

فقوله : « فليس فوقك شيء » نص في أنه تعالى فوق جميع المخلوقات ، وهو الذي ورد عن الصحابة والتابعين من المفسرين وغيرهم في معنى قوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥][1] إن معنى استوى استقر وارتفع وعلا ، وكلها بمعنى واحد ، لا ينكر هذا إلا جهميٌّ زنديق ، يحكم على اللّه وعلى أسمائه وصفاته بالتعطيل ، قاتلهم اللّه أنى يؤفكون .

والنصوص الدالة على إثبات الصفات كثيرة جداً . وقد صنف أهل السنة من المحدثين والعلماء مصنفات كباراً ، ومن ذلك كتاب « السنة » لعبد اللّه ابن الإمام أحمد ، ذكر فيه أقوال الصحابة والتابعين والأئمة ، وكتاب « التوحيد » لإمام الأئمة محمد بن خزيمة ، وكتاب « السنة » للأثرم صاحب الإمام أحمد ، وكتاب عثمان ابن سعيد الدارمي في رده على المريسي ، وكتاب « السنة » للخلال ، وكتاب « العلو » للذهبي وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ، وللّه الحمد والمنة .

ونذكر بعض الأحاديث الصريحة في المعنى ، فمن ذلك ما في « الصحيح »[2] عن النواس بن سمعان قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه

---

(١) وذكر ابن القيم في النونية أربعة معان لكلمة استوى هذه المذكورة وزاد صعد .

(٢) ليس هو في « الصحيح » من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه ، وإنما حديث النواس رواه ابن أبي حاتم في « التفسير » ، وابن جرير ، وابن خزيمة ، والذي في « الصحيح » رواه البخاري ٢٨٨/٨ في التفسير : باب تفسير سورة الحجر ، و٤١٣/٨ و ٤١٤ في التفسير : باب تفسير سورة سبأ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صنوان ، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق وهو العلي الكبير . . . الخ » ورواه أبو داود بنحو رواية المصنف رقم (٤٧٣٨) في السنة : باب في القرآن من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ « إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام ، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم ، فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق. فيقولون: الحق الحق » وهو حديث صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٢٩٣) .

وسلم : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالوَحْيِ ، أَخَذَتِ السَّمٰوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةٌ ـ أو قال : رَعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا سَمِعَ ذٰلِكَ أَهْلُ السَّموَاتِ صُعِقُوا ، وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّداً ، فَيَكُونَ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ ، ثُمَّ يَمرُّ جِبْرِيلُ عَلَىٰ المَلاَئِكَةِ ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَىٰ سَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلاَئِكَتُهَا : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ : قَالَ الحَقُّ ، وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَهُ جِبْرِيلُ ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » .

ففي هذا الحديث التصريح بأن جبريل ينزل بالوحي من فوق السموات السبع ، فيمر بها كلها نازلاً إلى حيث أمره اللّه ، وهذا صريح بأن اللّه تعالى فوق السموات على عرشه ، بائن من خلقه ، كما قال عبد اللّه بن المبارك لما قيل له : بمَ نعرف ربنا ؟ قال : بأنه على عرشه ، بائن من خلقه . وهذا قول أئمة الإسلام قاطبة ، خلافاً للجهمية الحلولية ، والفلاسفة ، وأهل الوحدة ، وغيرهم من أهل البدع .

فرحم اللّه أهل السنة والجماعة المتمسكين بالوحيين وصح عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أنه قال « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ : إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ »[1] .

وفي حديث العباس بن عبد المطلب رضي اللّه عنه الذي رواه أبو داود ،

---

(1) رواه البخاري ١٣ / ٣٢٥ في التوحيد : باب قول الله تعالى ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ ، وقول الله تعالى ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ ومسلم رقم (٢٧٥١) في التوبة : باب في سعة رحمة الله تعالى ، وأنها سبقت غضبه ، والترمذي رقم (٣٥٣٧) في الدعوات : باب رقم (١٠٩) وابن ماجة رقم (١٨٩) في المقدمة ، ورقم (٤٢٩٥) في الزهد : باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٤٢ و٢٥٨ و ٢٦٠ و ٣١٣ .

والترمذي، وابن ماجه، أن النبي ﷺ ذكر سبع سموات وما بينها، ثم قال: « وَفَوْقَ ذٰلِكَ بَحْرٌ، بَيْنَ أَعْلاَهُ وَأَسْفَلِهُ، كَمَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذٰلِكَ ثَمَانِيَةَ أَوْعالٍ[1]، مَا بَيْنَ أَظْلاَفِهِنَّ وَرُكَبِهِنَّ، كَمَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ظُهُورِهِنَّ العَرْشَ، مَا بَيْنَ أَعْلاَهُ وَأَسْفَلِهُ، كَمَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ، وَاللَّهُ تَعَالَىٰ فَوْقَ ذٰلِكَ »[2].

وفي حديث ابن مسعود الذي رواه عبد الرحمن بن مهدي شيخ الامام أحمد، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد اللّه بن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، واللّه تعالى فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

والجهمية جحدوا هذه النصوص، وعاندوا في التكذيب، فصاروا بذلك كفاراً عند أكثر أهل السنة والجماعة، وهذا القدر الذي ذكرنا كافٍ في بيان ما عليه أهل السنة والجماعة من علو اللّه تعالى على جميع المخلوقات، واستوائه على عرشه. وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك، ولو ذهبنا نذكر ما ورد في ذلك لاحتمل مجلداً.

فالحمد للّه الذي حفظ على الأمة دينها في كتابه وسنة رسوله، وبنقل

---

(١) قوله: « أوعال » قال في « النهاية »، وهم تيوس الجبل، واحدها: وَعِلٌ. يعني ملائكة على صورة الأوعال. قال السندي: ثم الله فوق ذلك تصويراً لعظمته سبحانه وتعالى، وفوقيته على العرش بالعلو والعظمة والحكم، لا الحلول والمكان.

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٧٢٣) في السنة: باب في الجهمية، والترمذي رقم (٣٣١٧) في التفسير: باب ومن سورة الحاقة، وابن ماجه رقم (١٩٣) في المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية، وهو حديث ضعيف، علته عبد الله بن عميرة، قال الذهبي: فيه جهالة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وروى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ورفعه، وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث وأوقفه ولم يرفعه.

العلماء الذين هم في هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل ، وهدانا إلى ذلك ، فأبطل اللّه بالعلماء كل بدعة وضلالة حدثت في هذه الأمة ، فيا لها من نعمة ما أجلها في حق من تلقَّى الحق بالقبول ، وعرفه ورضي به ، نسأل اللّه أن يجعلنا شاكرين لنعمه ، المثنين بها عليه ، فله الحمد لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، وفوق ما يثني عليه خلقه .

فأهل السنة والجماعة عرفوا ربهم بما تعرَّف به إليهم من صفات كماله اللائقة بجلال اللّه ، فأثبتوا له تعالى ما أثبته لنفسه ، وأثبته له رسوله ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وعرفوه بأفعاله وعجائب مخلوقاته ، وبما أظهره لهم من عظيم قدرته ، وبما أسبغه عليهم من عظيم نعمه .

فعبدوا رباً أحداً صمداً ، إلهاً واحداً ، وهو اللّه الذي الإلهية وصفه ، فالخلق خلقه ، والملك ملكه ، لا شريك له في إلّهيته، ولا في ربوبيته ، ولا في ملكه ، تعالى وتقدس ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ ﴾ [الناس : ١ - ٣] .

وننزهه عما تنزه عنه ، وعن كل ما فيه عيب ونقص ، وعن كل ما وصفته الجهمية وأهل البدع ، مما لا يليق بجلاله وعظمته . فعطَّلوه من صفات الكمال ، وصاروا إنما يعبدون عدماً ، لأنهم وصفوه بما ينافي الكمال ويوقع في النقص العظيم ، فشبهوه بالناقصات تارة ، وبالمعدوم تارة ، فهم أهل التشبيه كما عرفت من حالهم وضلالهم ومحالهم .

وأما ما أورده هذا الجهمي الجاهل من آيات العلم ، كقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] . وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] فلا منافاة بين استوائه على عرشه ، وإحاطة علمه بخلقه ، والسياق يدل على ذلك .

أما الآية الأولى فهي مسبوقة بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّـذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَىٰ الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ في الأَرْض وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ ، ذكر استواءه على عرشه ، وذكر إحاطة علمــه بمـا في الأرض والسمــاوات ثم قــال : ﴿ وَهُــوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَـا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] أي : بعلمه المحيط بما كان وما يكون .

وأما الآية الثانية ، فهي كذلك مسبوقة بالعلم ، وختمها تعالى به فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَىٰ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُم وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُم وَلاَ أَدْنَى من ذٰلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُم أَيْنَـمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] .

فعلم أن المراد علمه بخلقه ، وأنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، كما قال تعالى : ﴿ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُـوا أَنَّ اللّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيرٌ وَأَنَّ اللّهَ قَـدْ أَحَـاطَ بِكُـلِّ شَيْءٍ عِلْمـاً ﴾ [الطلاق : ١٢] .

وهذا المعنى الذي ذكرنا ، هو الذي عليه المفسرون من الصحابة والتابعين والأئمة وجميع أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية وأهل البدع ، فحرموا معرفة الحق لانحرافهم عنه ، وجهلهم به وبالقرآن والسنة ، كما قال العلامة ابن القيم رحمه اللّه تعالى : ثقل الكتاب عليهم لما رأوا تقييده بشرائع الإيمان . ومن المعلوم أنه لا يقبـل الحق إلا من طلبه .

وأما أهل البدع ، فأشربوا في قلوبهم ما وقعوا فيـه من البدع والضـلال ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فأبى اللّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فإذا عرف ذلك فيتعين أن نسأل هذا الجهمي وغيره من المبتدعة عن أمور لا يسع مسلماً أن يجهلها ، لأن الاسلام يتوقف على معرفتها .

فمن ذلك : ما معنى كلمة الإخلاص : لا إله إلا اللّه ؟

وما الآلهية المنفية بلا النافية للجنس ؟ وما خبرها ؟

وما معنى الآلهية التي ثبتت للّه وحده دون ما سواه ؟

وما أنواع التوحيد وألقابه وأركانه ؟ وما معنى الاخلاص الذي أمر اللّه به عباده ، وأخبرهم أنه له وحده ؟

وما تعريف العبادة التي خلقوا لها ؟

وما أقسام العلم النافع الذي لا يسع أحداً جهله ؟

وما معنى اسم اللّه تعالى الذي لا يسمى بهذا الاسم غيره ؟

وما صفة اشتقاقه من المصدر الذي هو معناه ؟

فالجواب عن هذا مطلوب ، واللّه المستعان ، وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم ؛ وصلى اللّه على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

هذه ستٌّ مسائل سئل عنها الشيخ سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم اللّه تعالى وعفا عنا وعنهم أجمعين وعن سـائر المسلمين آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

المسألة الأولى : هل يجوز للمسلم أن يسافر إلى بلد الكفار الحربية لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : الحمد للّه ، إن كان يقدر على إظهار دينه ولا يوالي المشركين ، جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة رضي اللّه عنهم ، كأبي بكر وغيره من الصحابة الى بلدان المشركين لأجل التجارة ، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ، كما رواه أحمد في « مسنده » وغيره .

وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ، ولا على عدم موالاتهم ، لم يجز له السفر إلى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك ، ولأن اللّه تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك، لم يجز. وأيضاً فقد يجره ذلك إلى موافقتهم أو إرضائهم ، كما هو الواقع كثيراً ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين ، نعوذ باللّه من ذلك .

المسألة الثانية : هل يجوز للانسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر الكفر ظاهرة لأجل التجارة ؟

الجواب عن هذه المسألة ، هو الجواب عن التي قبلها سواء ، ولا فرق في دار الحرب أو دار الصلح ، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها ، لا يجوز له السفر إليها .

المسألة الثالثة : هل يفرّق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، أو المدة البعيدة ؟

الجواب : أنه لا فرق بين المدة القريبة والبعيدة ، فكل بلد لا يقدر على إظهار دينه فيها ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً إذا كان يقدر على الخروج منها .

المسألة الرابعة : في معنى قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُم ﴾ [النساء : ١٤٠] . وقوله في الحديث : « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ ، فَإِنَّهُ مِثْلُهُ »[1] .

الجواب : إن معنى الآية على ظاهرها ، وهو أن الرجل إذا سمع آيات اللّه يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين ، من غير إكراه ولا إنكار

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٨٧) في الجهاد : باب في الاقامة بأرض الشرك ، من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف ، وله شاهد عند الترمذي رقم (١٦٠٥) في السير ، وأبي داود رقم (٢٦٤٥) في الجهاد ، من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا : يا رسول الله لم ؟ قال : لا تراءى ناراهما » . وقال الترمذي : وأكثر أصحاب إسماعيل قالوا : عن إسماعيل عن قيس بن أبي حازم أن رسول الله ﷺ .. الحديث يعني أنه مرسل ، وقال : المرسل أصح ، وقد صحح البخاري ، وأبو حاتم وأبو داود ، والدارقطني ، إرساله إلى قيس بن أبي حازم فالحديث حسن .

ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، فهو كافر مثلهم وإن لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذنب كفاعله ، فان ادعى أنه يكره ذلك بقلبه ، لم يقبل منه ، لأن الحكم على الظاهر ، وهو قد أظهر الكفر فيكون كافراً .

ولهذا لما وقعت الردة بعد موت النبي ﷺ ، وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ذلك ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، إلا من أنكر بلسانه وقلبه ، وكذلك قوله في الحديث : « من جامع المشرك وسكن معه فانه مثله » على ظاهره ، وهو أن الذي يدعي الاسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم ، بحيث يعده المشركون منهم ، فهو كافر مثلهم وإن ادعى الاسلام ، إلا إن كان يظهر دينه ولا يوالي المشركين .

ولهذا لما ادعى بعض الناس الذين أقاموا في مكة بعدما هاجر النبي ﷺ ، فادعوا الاسلام ، إلا أنهم أقاموا في مكة ، يعدهم المشركون منهم ، وخرجوا معهم يوم بدر كارهين للخروج فقتلوا ، فظن بعض الصحابة أنهم مسلمون وقالوا : قتلنا إخواننا ، فأنزل اللّه تعالى فيهم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ الآية [النساء : ٩٧] .

قال السدي وغيره من المفسرين : إنهم كانوا كفاراً ، ولم يعذر اللّه منهم إلا المستضعفين .

المسألة الخامسة : هل يقال لمن أظهر علامات النفاق ممن يدعي الاسلام : إنه منافق ، أم لا ؟

الجواب : إنه من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه ، كارتداده عند

التحريب على المؤمنين ، وخذلانهم عند اجتماع العدو ، كالذين قالوا : لو نعلم قتالاً لاتَّبعناكم ، وكونه إذا غلب المشركون التجأ معهم ، وإن غلب المسلمون التجأ إليهم ، ومدحه للمشركين بعض الأحيان ، وموالاتهم من دون المؤمنين ، وأشباه هذه العلامات التي ذكر اللّه أنها علامات للنفاق ، وصفات للمنافقين ، فانه يجوز إطلاق النفاق عليه وتسميته منافقاً .

وقد كان الصحابة رضي اللّه عنهم يفعلون ذلك كثيراً ، كما قال حُذيفة رضي اللّه تعالى عنه : إن الرجل ليتكلم بالكلمة في عهد رسول اللّه ﷺ فيكون بها منافقاً ، وكما قال عوف بن مالك لذلك المتكلم بذلك الكلام القبيح : كذبت ، ولكنك منافق . وكذلك قال عمر في قصة حاطب : يا رسول اللّه دعني أضرب عنق هذا المنافق . وفي رواية : دعني أضرب عنقه فانه منافق ، وأشباه ذلك كثير . وكذلك قال أسيد بن حضير لسعد بن عبادة لما قال ذلك الكلام : كذبت ولكنك منافق : تجادل عن المنافقين .

ولكن ينبغي أن يعرف أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهراً ، وبين كونه منافقاً باطناً ، فاذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقاً لمن أراد أن يسميه بذلك وإن لم يكن منافقاً في نفس الأمر ، لأن بعض هذه الأمور قد يفعلها الانسان مخطئاً لا علم عنده ، أو لمقصد يخرج به عن كونه منافقاً . فمن أطلق عليه النفاق لم ينكر عليه ، كما لم ينكر النبي ﷺ على أسيد بن حضير تسميته سعداً منافقاً ، مع أنه ليس بمنافق ، ومن سكت لم ينكر عليه ، بخلاف المذبذب الذي ليس مع المسلمين ولا مع المشركين ، فانه لا يكون إلا منافقاً .

واعلم أنه لا يجوز إطلاق النفاق على المسلم بالهوى والعصبية ، أو لكونه يشاحن رجلاً في أمر دنيا ، أو يبغضه لذلك ، أو لكونه يخالف في بعض الأمور التي لا يزال الناس فيها مختلفين . فليحذر الانسان أشد الحذر ، فانه قد صح في

ذلك الحديث عن النبي ﷺ فيمن رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله[1] .

وإنما يجوز من ذلك ما كانت العلامات مطردة في النفاق ، كالعلامات التي ذكرنا وأشباهها . بخلاف مثل الكذبَة والفجَرَة ونحو ذلك ، وكان قصد الانسان ونيته إعلاء كلمة اللّه ونصر دينه .

المسألة السادسة : في الموالاة والمعاداة ، هل هـي من معنى لا إله إلا اللّه ، أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال : اللّه أعلم ، لكن بحسب[2] المسلم أن يعلم أن اللّه افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم ، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الإيمان عمن يواد من حاد اللّه ورسوله ولو كانوا آبائهم ، أو أبناءهم أو إخوانهم ، أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا اللّه أو لوازمها ، فلم يكلفنا اللّه بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن اللّه فرض ذلك ، وأوجبه ، وأوجب العمل به ، فهذا هو الفرض والحتم الذي لا شك فيه ، فمن عرف أن ذلك من معناها ، أو من لازمها ، فهو حسن وزيادة خير . ومن لم يعرفه ، فلم يكلف بمعرفته ، لا سيما إذا

---

(١) روى البخاري ١٠/٤٢٨ في الأدب : باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، وروى مسلم رقم (٦٠) في الإيمان : باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم : يا كافر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومن حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بلفظ « إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما » وفي رواية لمسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، « أيما امرىء قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء أحدهما إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه » .

وروى الطبراني في « الكبير » عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قال الرجل لأخيه : يا كافر فهو كقتله ، ولعن المؤمن كقتله » وهو حديث صحيح .

(٢) في نسخة « أحبُ » وكلاهما صحيح .

كان الجدال والمنـازعة فيـه مما يفضي إلى شـر واختلاف ، ووقـوع فرقـة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الايمان وجاهدوا في اللّه وعادوا المشركين وَوَالوا المسلمين ، فالسكوت عن ذلك متعين ، وهذا ما ظهر لي . على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، واللّه تعالى أعلم ، وللّه الحمد والمنَّة ، وصلى اللّه على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

القواعد الأربعة
لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

أسأل اللّه الكريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة ، وأن يجعلك مباركاً أينما كنت ، وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صبر ، وإذا أذنب استغفر ، فان هذه الثلاث عنوان السعادة .

اعلم أرشدك اللَّه لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم ، وهو أن تعبد اللَّه مخلصاً له الدين ، وبذلك أمر اللَّه جميع الناس وخلقهم لها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] .

فاذا عرفت أن اللَّه خلقك لعبادته ، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد ، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة ، فاذا دخل الشرك فسدت ، كالحدث إذا دخل في الطهارة ، كما قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بالكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [التوبة : ١٧] .

فإذا عرفت أن الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين في النار ، عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك ، لعل اللَّه أن يخلصك من هذه الشبكة ، وهي الشرك باللَّه ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها اللَّه في كتابه :

القاعدة الأولى : أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ كانوا مقرين أن اللّه هو الخالق، الرازق. المحيي، المميت، النافع، الضار، الذي يدبر جميع الأمور، وما أدخلهم ذلك في الاسلام. والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّه فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

القاعدة الثانية : أنهم يقولون : ما توجَّهنا إليهم ودعوناهم إلا لطلب القربة والشفاعة، نريد من اللّه لا منهم، لكن بشفاعتهم والتقرب إليهم.

ودليل القربة قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُم إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّه يَحْكُمُ بَيْنَهُم فِيما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر : ٣].

ودليل الشفاعة قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُون اللَّه مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّؤُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمواتِ وَلَا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَه وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨].

القاعدة الثالثة : أن النبيَّ ﷺ ظهر على ناس متفرقين في عباداتهم، منهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم من يعبد الصالحين، ومنهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، وقاتلهم ﷺ، ولا فرق بينهم. والدليل قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩].

ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : ﴿ وَمِن آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إن كُنْتُم إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧].

ودليل الصالحين قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ [الإسراء : ٥٦ ـ ٥٧] .

ودليل الملائكة قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَؤُلاَءِ إِيَّاكُم كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ : ٤٠ ـ ٤٢] .

ودليل الأنبياء قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِم وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُم فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة : ١١٦ ـ ١١٨] .

ودليل الأشجار والأحجار حديث أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها : ذات أنواط ، فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال : « اللَّهُ أَكْبَرُ ، إِنَّهَا السُّنَنُ قُلْتُمْ ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ـ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلهاً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُم قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَؤُلاَءِ مُتَبَّرٌ مَا هُم فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *

قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُم إِلهاً وَهُوَ فَضَّلَكُم عَلَى العَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨ - ١٤٠][1] .

القاعدة الرابعة : أن مشركي زماننا أعظم شركاً من الأولين ، لأن الأولين يخلصون للَّه في الشدة ، ويشركون في الرخاء ، ومشركي زماننا شركهم دائم في الرخاء والشدة .

والدليل قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُم إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٥ - ٦٦] .

تمت والحمد لله رب العالمين ، وصلى اللَّهُ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

(١) رواه أحمد في « المسند » ٥/٢١٨ ، والترمذي رقم (٢١٨١) في الفتن : باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم من حديث أبي واقد الليثي ، وهو حديث صحيح بشواهده ، منها بالمعنى ما جاء في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في حجر ضب لإتبعتموهم » . قلنا : يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : « فمن » .

قال الترمذي : وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة .

دلائل التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا قيل لك : من ربك ؟ فقل : ربي اللَّه . فإذا قيل لك : أي شيء معنى الرب ؟ فقل : المعبود المالك المتصرف . فاذا قيل لك : أي شيء أكبر ما ترى من مخلوقاته ؟ فقل : السموات والأرض . فاذا قيل لك : أي شيء تعرفه به ؟ فقل : أعرفه بآياته ومخلوقاته . وإذا قيل لك : أي شيء أعظم ما ترى من آياته ؟ فقل : الليل والنهار .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُم اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ يُغْشِي اللَيْلَ النَهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ والنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

فاذا قيل لك : أي شيء معنى اللَّه ؟ فقل : معناه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين. فاذا قيل لك: لأي شيء خلقك اللَّه؟ فقل: لعبادته. فاذا قيل لك : أي شيء عبادته ؟ فقل : توحيده وطاعته . فاذا قيل لك : أي شيء يدل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . وإذا قيل لك : أي شيء أول ما فرض اللَّه عليك ؟ فقل : كفر بالطاغوت ، وإيمان باللَّه .

والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

فاذا قيل لك : أي شيء العروة الوثقى ؟ فقل : لا إله إلا اللّٰه ، ومعنى لا إله إلا اللّٰه : لا إله ، نفي . إلا اللّٰه ؛ إثبات .

فاذا قيل لك : أي شيء أنت نافٍ ، وأي شيء أنت مثبت ؟ فقل : نافٍ جميع ما كان يُعبد من دون اللّٰه ، ومثبت العبادة للّٰه وحده لا شريك له .

فاذا قيل لك : ما الدليل على ذلك ؟ فقل : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف : ٢٦ - ٢٧] .

فاذا قيل لك : أي شيء النفي ؟ وأي شيء الاثبات ؟ فقل : دليل النفي : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ هذا النفي ، ودليل الاثبات : ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ .

فاذا قيل لك : أي شيء الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلٰهية ؟ فقل : توحيد الربوبية فعل الرب ، مثل الخلق ، والرزق ، والاحياء ، والاماتة ، وإنزال المطر ، وإنبات النبات ، وتدبير الأمور .

وتوحيد الإلٰهية ، فعلك أيها العبد مثل الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل ، والانابة ، والرغبة ، والرهبة ، والنذر ، والاستعانة ، وغير ذلك من أنواع العبادة .

فاذا قيل لك : أي شيء دينك ؟ فقل : ديني الاسلام ، وأصله وقاعدته أمران : الأمر بعبادة اللّٰه وحده لا شريك له . والتحريض على ذلك ، والموالاة

فيه ، وتكفير من تركه ، والانذار عن الشرك في عبادة اللّه تعالى ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله ، وهو مبني على خمسة أركان :

أولها شهادة أن لا إله إلا اللّه، وأن محمداً رسول اللّه ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت مع الاستطاعة .

ودليل الشهادة قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلٰه إِلَّا هُوَ والمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا العِلْمِ قَائِماً بِالقِسْطِ لَا إِلَٰه إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨] .

ودليل أن محمداً رسول اللّه قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّـدٌ أَبَا أَحَـدٍ مِن رِجَالِكُم وَلَكِنْ رَسُولَ ٱللّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

والدليل على إخلاص العبادة والصلاة ؛ والزكاة قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذٰلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] .

ودليل الصوم قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] .

ودليل الحج قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

وأصول الايمان ستة : « أن تؤمن باللّه، وملائكته، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره »[١] .

والإحسان : « أن تعبد اللّه كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك »[١] .

---

(١) قطعة من حديث سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاسلام والايمان ، تقدم تخريجه ص (٥٦) رقم (١) .

فـإذا قيل : من نبيـك ؟ فقـل : محمـد بن عبـد اللّه بن عبـد المـطلب ابن هـاشم ، وهـاشم من قـريش ، وقـريش من العـرب ، والعـرب من ذريـة إسماعيل بن إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، بلده: مكة، وهاجر الى المدينة . وعمره ثلاث وستون سنة ، منها أربعون قبل النبوة وثلاث وعشرون نبي رسول ، نبىء بـ ﴿ إقْرأ ﴾ ، وأرسل بـ ﴿ المدثر ﴾ .

فإذا قيل : هو ميتٌ أو حيٌّ ؟ فقل : مات ، ودينه باقٍ إلى يوم القيامة . والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠ ـ ٣١] .

والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وَفِيهَا نُعِيدُكُم وَمِنْهَا نُخْرِجُكُم تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طه : ٥٥] . والذي ينكر البعث كافر . والدليل قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن : ٧] .

وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

هـذه
مسائل الجاهلية
تأليف
الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رحمه اللّه : هذه أمور خالف فيها رسول اللّه ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين ، مما لا غنى للمسلم عن معرفتها ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وبضدها تتبين الأشياء . فأهم ما فيها وأشدها خطراً ، عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ ، فإن انضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهـل الجاهليـة ، تمت الخسارة ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِـالبَاطِـلِ وَكَفَرُوا بِـاللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٢] .

المسألة الأولى : أنهم يتعبدون باشراك الصالحين في دعاء اللّه وعبادته ، يريدون شفاعتهم عند اللّه ؛ كما قال تعـالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَـا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَىٰ اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر : ٣] .

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول اللّه ﷺ ، فأتى بالاخلاص وأخبر أنه دين اللّه الذي أرسل به جميع الرسل ، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص ، وأخبر أن من فعل ما يستحسنونه فقد حرَّم اللّه عليه الجنة ومأواه النار .

وهذه المسألة التي تفرَّق الناس لأجلها بين مسلم وكافر ، وعندها وقعت

العداوة ، ولأجلها شرع الجهاد ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُم حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] .

الثانية : أنهم متفرقون في دينهم ، كما قال تعالى : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِم فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣٢] ، وكذلك في دنياهم ، ويرون ذلك هو الصواب ، فأتى بالاجتماع في الدين بقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى : ١٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

ونهانا عن مشابهتهم بقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

ونهانا عن التفرق في الدين بقوله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

الثالثة : أن مخالفة ولي الأمر وعدم الانقياد له فضيلة ، والسمع والطاعة ذل ومهانة ، فخالفهم رسول الله ﷺ ، وأمر بالصبر على جور الولاة ، وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة ، وغلظ في ذلك ، وأبدأ فيه وأعاد .

وهذه الثلاث التي جمع بينها فيما ذكر عنه ﷺ في « الصحيحين »[1] أنه قال :

---

(١) رواه مسلم رقم (١٧١٥) في الأقضية : باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ، وأحمد في « المسند »٢/٣٢٧ و ٣٦٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه البخاري ٣/٢٧٠ في الزكاة : باب قوله تعالى ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ و٥/٥١ في الاستقراض : باب ما ينهى عن إضاعة المال ، ومسلم رقم (٥٩٣) (١٣) في الأقضية : باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ، وأحمد في « المسند » ٤/٢٤٦ و ٢٤٩ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

«إِنَّ اللَّهَ يَرْضَىٰ لَكُمْ[1] ثَلَاثاً : أَلا تَعْبُدوا إِلاَّ اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَأَنْ تَنَاصَحُوا مِنْ وَلاَّهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ » . ولم يقع خلل في دين الناس ودنياهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها .

الرابعة : أن دينهم مبني على أصول أعظمها التقليد ، فهو القاعدة الكبرى لجميع الكفار أولهم وآخرهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُم إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [لقمان : ٢١] ، فأتاهم بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِن جِنَّةٍ ﴾ الآية [سبأ : ٤٦] . وقوله : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِن رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣] .

الخامسة : أن من أكبر قواعدهم الاغترار بالأكثر ، ويحتجون به على صحة الشيء ، ويستدلون على بطلان الشيء بغربته ، وقلة أهله ، فأتاهم بضد ذلك ، وأوضحه في غير موضع من القرآن[2] .

السادسة : الاحتجاج بالمتقدمين ، كقوله : ﴿ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴾

---

(١) قوله : « إن الله يرضى لكم » قال العلماء : الرضاء والسخط والكراهة من الله تعالى ، المراد بها أمره ونهيه أو ثوابه وعقابه ، أو إرادته الثواب لبعض العباد والعقاب لبعض .

(٢) وذلك كقوله تعالى ﴿ وإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ . . . ﴾ [الأنعام : ١١٦] وكقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [هود: ١٧] ، وكقوله ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ في أكثر من إثنين وعشرين موضعاً . وكذلك قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الصافات : ٧١] وكقوله ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٨] وغيرها كثير .

[طه : ٥١] ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنين : ٢٤] .

السابعة : الاستدلال بقوم أعطوا قوىً في الأفهام والأعمال ، وفي الملك والمال والجاه ، فرد اللّه ذلك بقوله : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُم فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُم فِيهِ ﴾ الآية [الأحقاف : ٢٦] وقوله : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ [البقرة : ٨٩] . وقوله : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم ﴾ الآية [البقرة : ١٤٦] .

الثامنة : الاستدلال على بطلانِ الشيء بأنه لم يتبعه إلا الضعفاء ، كقوله : ﴿ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ ﴾ [الشعراء : ١١١] . وقوله : ﴿ أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا ﴾ ، فرده اللّه بقوله : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام : ٥٣] .

التاسعة : الاقتداء بفسقة العلماء ، فأتى بقوله : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٤] . وبقوله : ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُم غَيْرَ الحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة : ٧٧] .

العاشر : الاستدلال على بطلان الدين بقلة أفهام أهله ، وعدم حفظهم ، كقوله : ﴿ بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾ [هود : ٢٧] .

الحادية عشرة : الاستدلال بالقياس الفاسد ، كقوله : ﴿ إِنْ أَنْتُم إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾ [إبراهيم : ١٠] .

الثانية عشرة : إنكار القياس الصحيح ، والجامع لهذا وما قبله عدم فهم الجامع والفارق .

الثالثة عشرة : الغلو في العلماء والصالحين ، كقوله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُم وَلَا تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ [النساء : ١٧١] .

الرابعة عشرة : أن كل ما تقدم مبني على قاعدة وهي النفي والاثبات ، فيتبعون الهوى والظن ، ويعرضون عما آتاهم اللّه .

الخامسة عشرة : اعتذارهم عن اتباع ما آتاهم اللّه بعدم الفهم ، كقوله : ﴿ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [النساء : ١٥٥] ، ﴿ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ ﴾ [هود : ٩١] ، فأكذبهم اللّه ، وبين أن ذلك بسبب الطبع على قلوبهم ، والطبع بسبب كفرهم .

السادسة عشرة : اعتياضهم عما أتاهم من اللّه بكتب السحر ، كما ذكر اللّه ذلك في قوله : ﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ آللّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِم كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ [البقرة : ١٠١ - ١٠٢] .

السابعة عشرة : نسبة باطلهم إلى الأنبياء ، كقوله : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾ [البقرة : ١٠٢] . وقوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً ﴾ [آل عمران : ٦٧] .

الثامنة عشرة : تناقضهم في الانتساب ، ينتسبون إلى إبراهيم ، مع إظهارهم ترك اتباعه .

التاسعة عشرة : قدحهم في بعض الصالحين بفعل بعض المنتسبين ، كقدح اليهود في عيسى ، وقدح اليهود والنصارى في محمد ﷺ .

العشرون : اعتقادهم في مخاريق السحرة وأمثالهم أنها من كرامات الصالحين ، ونسبته إلى الأنبياء كما نسبوه لسليمان .

الحادية والعشرون : تعبدهم بالمكاءِ والتصدية .

الثـانيـة والعشرون : أنهم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً .

الثالثة والعشرون : أن الحياة الدنيا غرتهم ، فظنوا أن عطاء اللَّه منها يدل على رضاه ، كقوله : ﴿ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَـذَّبِينَ ﴾ [سبأ : ٣٥] .

الرابعة والعشرون : ترك الدخول في الحق إذا سبقهم إليه الضعفاء تكبراً وأنفةً ، فأنزل اللَّه : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾ الآية [الأنعام : ٥٢] .

الخامسة والعشرون : الاستدلال على بطلانه بسبق الضعفاء كقوله : ﴿ لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف : ١١] .

السادسة والعشرون : تحريف كتاب اللَّه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون .

السابعة والعشرون : تصنيف الكتب الباطلة ونسبتها إلى اللَّه ، كقولـه : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُـونَ الكِتَابَ بِـأَيْدِيهِم ثُمَّ يَقُـولُونَ هَـذَا مِن عِنْدِ اللَّهِ ﴾ الآيـة [البقـرة : ٧٩] .

الثـامنة والعشـرون : أنهم لا يعقلون من الحق إلا الذي مـع طائفتهم ، كقوله : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : ٩١] .

التاسعة والعشرون : أنهم مع ذلك لا يعلمون بما تقوله الطائفة كما نبه اللَّه عليه بقوله : ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٩١] .

الثـلاثـون : وهي من عجـائب آيـات اللَّه أنهم لمـا تـركـوا وصيـة اللَّه بالاجتماع ، وارتكبوا ما نهى اللَّه عنه من الآفة ، صـار﴿ كُلُّ حِـزْبٍ بمَا لَـدَيْهِم فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] .

الحادية والثلاثون : وهي من عجائب اللَّه أيضاً ، معاداتهم الدين الـذي

انتسبوا إليه غاية العداوة ، ومحبتهم دين الكفار الذين عادوهم وعـادوا نبيهم ، وفتنتهم غاية المحبة ، كما فعلوا مع النبي ﷺ لما آتاهم بدين موسى واتبعوا كتب السحر ، وهي من دين آل فرعون .

الثانية والثلاثون : كفرهم بالحق إذا كـان مع من لا يهـوِّدونه ، كمـا قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ اليَهُـودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ، وَقَـالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ الآية [البقرة : ١١٣] .

الثالثة والثلاثون : إنكارهم ما أقروا أنه من دينهم ، كما فعلوا في حج البيت فقـال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَـرْغَبُ عَن مِلَّةِ إبْرَاهِيمَ إلاَّ مَن سَفِـهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقـرة : ١٣٠] .

الرابعة والثلاثون : أن كل فرقة تدعي أنها الناجية ، فأكذبهم اللّه بقوله : ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُم إن كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾ [النحل : ٦٤] . ثم بين الصواب بقوله : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ الآية [البقرة : ١١٢] .

الخـامسة والثـلاثون : التعبـد بكشـف العورات ، كقـوله : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ الآية [الأعراف : ٢٨] .

السادسة والثلاثون : التعبد بتحريم الحلال ، كما تعبد بالشرك .

السابعة والثلاثون : التعبد باتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون اللّه .

الثامنة والثلاثون : الالحاد في الصفات ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَكِن ظَنَنتُم أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُون ﴾ [فصلت : ٢٢] .

التاسعة والثلاثون : الإلحاد في الأسماء كقوله تعـالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بالرَّحْمٰنِ ﴾ [الرعد : ٣٠] .

الأربعون : التعطيل ، كقول آل فرعون[1] .

الحادية والأربعون : نسبة النقائص إليه[2] .

الثانية والأربعون : الشرك في الملك ، كقول المجوس .

الثالثة والأربعون : جحود القدر .

الرابعة والأربعون : الاحتجاج على اللَّه .

الخامسة والأربعون : معارضة شرع اللَّه بقدره .

السادسة والأربعون مسبة الدهر ، كقولهم : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

السابعة والأربعون : إضافة نعم اللَّه إلى غيره كقوله : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ [النحل : ٨٣] .

الثامنة والأربعون : الكفر بآيات اللَّه .

التاسعة والأربعون : جحد بعضها .

الخمسون : قولهم : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١] .

الحادية والخمسون : قولهم في القرآن : ﴿ إن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ [المدثر : ٢٥] .

الثانية والخمسون : القدح في حكمة اللَّه تعالى .

الثالثة والخمسون : إعمال الحيل الظاهرة والباطنة في دفع ما جاءت به الرسل ، كقوله : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٥٤] . وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ ﴾

---

(١) يشير إلى ما حكاه الله عنه في قوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إِلٰهٍ غَيْرِي ﴾ سورة القصص ، الآية : ٢٨ .

(٢) كقوله تعالى ﴿ وَقَالَتْ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [المائدة : ٦٤] .

[آل عمران : ٧٢] .

الرابعة والخمسون : الاقرار بالحق ليتوصلوا به إلى دفعه كما قال في الآية[1] .

الخامسة والخمسون : التعصب للمذهب ، كقوله فيها : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُم ﴾ [آل عمران : ٧٣] .

السادسة والخمسون : تسمية إتباع الاسلام شركاً ، كما ذكره في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ والنُّبوَّةَ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية [آل عمران : ٧٩] .

السابعة والخمسون : تحريف الكلم عن مواضعه .

الثامنة والخمسون : تلقيب أهل الهدى بالصُّباة والحشوية .

التاسعة والخمسون : افتراء الكذب على اللَّه .

الستون : كونهم إذا غلبوا بالحجة فزعوا إلى الشكوى للملوك ، كما قال[2] : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٢٧] .

الحادية والستون : رميهم إياهم بالفساد في الأرض ، كما في الآية .

الثانية والستون : رميهم إياهم بانتقاص دين الملك ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف : ١٢٧] وكما قال تعالى : ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُم ﴾ الآية [غافر : ٢٦] .

الثالثة والستون : رميهم إياهم بانتقاص آلهة الملك ، كما في الآية .

الخامسة والستون[2] : رميهم إياهم بتبديل الدين ، كما قال : ﴿ إِنِّي

---

(١) يعني المتقدمة .

(٢) كذا الأصل .

أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُم أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ ﴾ [غافر : ٢٦] .

السادسة والستون : رميهم إياهم بانتقاض الملك ، كقولهم : ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف : ١٢٧] .

السابعة والستون : دعواهم العمل بما عندهم من الحق ، كقوله : ﴿ نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : ٩١] . مع تركهم إياه .

الثامنة والستون : الزيادة في العبادة ، كفعلهم يوم عاشوراء .

التاسعة والستون : نقصهم منها ، كتركهم الوقوف بعرفات .

السبعون : تركهم الواجب ورعاً .

الحادية والسبعون : تعبدهم بترك الطيبات من الرزق .

الثانية والسبعون : تعبدهم بترك زينة اللَّه .

الثالثة والسبعون : دعواهم الناس إلى الضلال بغير علم .

الرابعة والسبعون : دعواهم محبة اللَّه مع تركهم شرعه ، فطالبهم اللَّه بقوله : ﴿ إن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ ﴾ الآية [آل عمران : ٣١] .

الخامسة والسبعون : دعواهم إياهم إلى الكفر مع العلم .

السادسة والسبعون : المكر الكبَّار ، كفعل قوم نوح .

السابعة والسبعون : أن أئمتهم : إما عالم فاجر ، وإما عابد جاهل ، كما في قوله : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُم يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمِنْهُم أُمِّيُّونَ ﴾ [البقرة : ٧٥ ـ ٧٨] .

الثامنة والسبعون : تمنيهم الأماني الكاذبة ، كقوله لهم : ﴿ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَاماً مَعْدُودَةً ﴾ [البقرة : ٨٠] ، وقولهم : ﴿ لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً

أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [البقرة : ١١١] .

الثمانون[١] : إتخاذ قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد .

الحادية والثمانون : اتخاذ آثار أنبيائهم مساجد ، كما ذكر[٢] عن عمر .

الثانية والثمانون : اتخاذ السرج على القبور .

الثالثة والثمانون : اتخاذها أعياداً .

الرابعة والثمانون : الذبح عند القبور .

الخامسة والثمانون : التبرُّك بآثار المعظمين ، كدار الندوة ، وافتخار من كانت تحت يده بذلك ، كما قيل لحكيم بن حزام : بعث مكة قريش ، فقال : ذهب المكارم إلا التقوى .

السابعة والثمانون[١] : الفخر بالأحساب .

الثامنة والثمانون : الاستسقاء بالأنواء .

التاسعة والثمانون : الطعن في الأنساب .

التسعون : النياحة .

الحادية والتسعون : أن أجلَّ فضائلهم الفخر بالأنساب ، فذكر اللَّه فيه ما ذكر .

الثانية والتسعون : أن أجل فضائلهم أيضاً الفخر ولو بحق ، فنهي عنه .

الثالثة والتسعون : أنَّ الذي لا بد منه عندهم تعصب الانسان لطائفته ، ونصر من هو منها ظالماً أو مظلوماً ، فأنزل اللَّه في ذلك ما أنزل .

الرابعة والتسعون : أن دينهم أخذ الرجل بجريمة غيره ، فأنزل اللَّه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٦٤] .

---

(١) كذا الأصل .

(٢) الأولى أن يقال : ورد ، فإن السند إلى عمر رضي الله عنه بذلك صحيح .

الخامسة والتسعون : تعيير الرجل بما في غيره ، فقال : «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ، إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ(١) »(٢) .

السادسة والتسعون : الافتخار بولاية البيت ، فذمهم الله بقوله : ﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٦٧] .

السابعة والتسعون : الافتخار بكونهم ذرية الأنبياء ، فأتى الله بقوله : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ الآية [البقرة : ١٣٤] .

الثامنة والتسعون : الافتخار بالصنائع ، كفعل أهل الرحلتين على أهل الحرث .

التاسعة والتسعون : عظمة الدنيا في قلوبهم ، كقولهم : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف : ٣١] .

المائة : التحكم على الله كما في الآية .

الحادية بعد المائة : ازدراء الفقراء ، فأتاهم بقوله : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ [الأنعام : ٥٢] .

الثانية بعد المائة : رميهم أتباع الرسل بعدم الاخلاص وطلب الدنيا ، فأجابهم بقوله : ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ ﴾ الآية [الأنعام : ٥٢] وأمثالها .

---

(١) قوله : «إنك امرؤٌ فيك جاهلية » أي هذا التعبير من أخلاق الجاهلية ، ففيك خلق من أخلاقهم .

(٢) رواه البخاري ١ / ٨٠ و ٨١ في الإيمان : باب المعاصي من أمر الجاهلية ، و ٥/١٢٦ في العتق : باب قول النبي ﷺ « العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون » وفي الأدب : باب ما يعني من السباب واللعن ومسلم رقم (١٦٦١) في الأيمان : باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ، ولا يكلفه ما يغلبه ، وأبو داود رقم (٥١٥٧) و (٥١٥٨) و (٥١٦١) في الأدب : باب في حق المملوك ، وأحمد في « المسند » ١٦١/٥من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

الثالثة بعد المائة : الكفر بالملائكة .

الرابعة بعد المائة : الكفر بالرسل .

الخامسة بعد المائة : الكفر بالكتب .

السادسة بعد المائة : الإعراض عما جاء عن اللّٰه .

السابعة بعد المائة : الكفر باليوم الآخر .

الثامنة بعد المائة : التكذيب بلقاء اللّٰه .

التاسعة بعد المائة : التكذيب ببعض ما أخبرت به الرسل عن اليوم الآخر ، كما في قوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾ [الكهف : ١٠٥] ومنها التكذيب بقوله : ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة : ٢] وقوله : ﴿ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] وقوله : ﴿ إلَّا مَن شَهِدَ بِالحَقِّ وَهُم يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦] .

العاشرة بعد المائة : الإيمان بالجبت والطاغوت .

الحادية عشرة بعد المائة : تفضيل دين المشركين على دين المسلمين .

الثانية عشرة بعد المائة : لبس الحق بالباطل .

الثالثة عشرة بعد المائة : كتمان الحق مع العلم به .

الرابعة عشرة بعد المائة : قاعدة الضلال ، وهي القول على اللّٰه بلا علم .

الخامسة عشرة بعد المائة : التناقض الواضح لما كذبوا الحق ، كما قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالحَقِّ لَمَّا جَاءَهُم فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾ [ق : ٥] .

السادسة عشرة بعد المائة : الإيمان ببعض المنزل دون بعض .

السابعة عشرة بعد المائة : التفريق بين الرسل .

الثامنة عشرة بعد المائة : مخالفتهم فيما ليس لهم به علم .

التاسعة عشرة بعد المائة : دعواهم اتباع السلف مع التصريح بمخالفتهم .

العشرون بعد المائة : صدهم عن سبيل اللَّه من آمن به .

الحادية والعشرون بعد المائة : مودتهم الكفر والكافرين .

الثانية والعشرون بعد المائة : والثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، والسادسة ، والسابعة ، والثامنة ، والتاسعة والعشرون ، وتمام الثلاثين ، والواحدة والثلاثون بعد المائة : العيافة ، والطَرق ، والطيرة ، والكهانة ، والتحاكم إلى الطاغوت ، وكراهة التزويج بين العيدين ، واللَّه أعلم .

وصلى اللَّه على محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

كشف الشبهات

تأليف

الشيخ الإمام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك اللّه أن التوحيد هو إفراد اللّه سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم اللّه به إلى عباده .

فأولهم نوح عليه السلام ، أرسله اللّه إلى قومه لما غلَوا في الصالحين : وَدٍّ ، وسُواعٍ ، ويَغُوثَ ، ويعوقَ ، ونَسر[1] .

وآخر الرسل محمد ﷺ ، وهو الذي كسر صور هؤلاءِ الصالحين ، أرسله اللّه إلى أناس يتعبدون ، ويحجون ، ويتصدقون ، ويذكرون اللّه كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين اللّه ، يقولون : نريد منهم التقرب إلى اللّه ، ونريد شفاعتهم عنده ، مثل الملائكة ، وعيسى ، ومريم ، وأناس غيرهم من الصالحين ، فبعث اللّه محمداً ﷺ يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ، ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق اللّه ، لا يصلح منه شيء لا لملك مقرَّب ، ولا نبي مرسل ، فضلاً عن غيرهما ، وإلَّا فهؤلاء

---

(١) قطعة من حديث رواه البخاري ٦/ ٢٦٥ في الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً الى قومه ﴾ و ٨ / ٣٠٠ في التفسير : باب تفسير سورة بني اسرائيل : باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ و ﴿ إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو جزء من حديث الشفاعة الطويل .

المشركون مقرُّون يشهدون أن اللّه هو الخالق الرازق وحده لا شريك له ، وأنه لا يرزق إلا هو ، ولا يحيي ولا يميت إلا اللّه ، ولا يدبر الأمر إلا هو ، وأن جميع السموات السبع ومن فيهن ، والأرضين ومن فيهن ، كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره .

فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ يشهدون بهذا ، فاقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ : أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٣١] وقوله : ﴿ قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُم تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٤ ـ ٨٩] وغير ذلك من الآيات .

فإذا تحققت أنهم مقرّون بهذا ، وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول اللّه ﷺ ، وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه هو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، كما كانوا يدعون اللّه سبحانه ليلاً ونهاراً .

ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من اللّه ليشفعوا له ، أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات ، أو نبياً مثل عيسى ، وعرفت أن رسول اللّه ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم إلى اخلاص العبادة للّه وحده ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ [الجن : ١٨] ، وكما قال تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ [الرعد : ١٤] ، وتحققت أن رسول اللّه ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله للّه ،

والذبح كله للّه ، والنذر كله للّه ، والاستغاثة كلها باللّه ، وجميع أنواع العبادة كلها للّه .

وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام ، وأن قصدهم الملائكة أو الأنبياء أو الأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى اللّه بذلك ، هو الذي أحل دماءهم وأموالهم .

عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك : لا إله إلا اللّه ، فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور ، سواء كان ملكاً ، أو نبياً ، أو وليّاً ، أو شجرة ، أو قبراً ، أو جنّياً . لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبِّر ، فإنهم يعلمون أن ذلك للّه وحده كما قدمت لك ، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد ، فأتاهم النبي ﷺ يدعوهم إلى كلمة التوحيد ، وهي : لا إله إلاّ اللّه ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد اللّه تعالى بالتعلق ، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه ، فإنه لما قال لهم : قولوا : لا إله إلا اللّه ، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] .

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك ، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهلة الكفار ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني .

والحاذق منهم يظن أن معناها : لا يخلق ولا يرزق إلا اللّه ، ولا يدبِّر الأمر إلا اللّه . فلا خير في رجل جهالُ الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا اللّه .

إذا عرفت ما قلت لك معرفة قلب ، وعرفت الشرك باللّه الذي قال اللّه فيه :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ الآية [النساء : ٤٨ و ١١٦] وعـرفت دين اللّه الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذي لا يقبل اللّه من أحد سـواه ، وعرفت ما أصبح غالب الناس فيه من الجهل بهذا ، أفادك فائدتين :

الأولى : الفرح بفضل اللّه وبرحمته ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : ٥٨] .

وأفادك أيضاً الخوف العظيم ، فإنك إذا عـرفت أن الإنسان يكفـر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل ، فلا يعذر بالجهل ، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى اللّه ، كما ظن المشركون ، خصوصاً إن ألهمك اللّه تعالى ما قص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] فحينئذ يعظم خوفك وحرصك على ما يخلصك من هذا وأمثاله .

واعلم أن اللّه سبحانه من حكمته لم يبعث نبياً بهذا التوحيد إلا جعل له أعداءً ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُم إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُوراً ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة ، وكتب وحجج ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِنَ العِلْمِ ﴾ [غافر : ٨٣] .

إذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق إلى اللّه تعـالى لا بد لـه من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج ، فالواجب عليك أن تعلم من دين اللّه ما يصير سلاحاً لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجـل : ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِن بَيْنِ أَيْـدِيهِم وَمِن خَلْفِهِم وَعَن أَيْمَانِهِم وَعَن شَمَائِلِهِم وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُم شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٦ - ١٧] . ولكن إذا أقبلت على اللّه ، وأصغيت إلى حجج اللّه وبيِّناته ، فلا تخف

ولا تحزن﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ [النساء : ٧٦] .

والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين، كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُم الغَالِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٣] ، فجند اللّه هم الغالبون بالحجة واللسان ، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان ، وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح .

وقد منَّ اللّه علينا بكتابه الذي جعله تبياناً لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ، فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالحَقِ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾ [الفرقان : ٣٣] ، قال بعض المفسرين : هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة .

وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر اللّه في كتابه جواباً لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين : مجمل ومفصل :

أما المجمل ، فهو الأمر العظيم ، الفائدة الكبيرة لمن عقلها ، وذلك قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مَتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] .

وقد صح عن رسول اللّه ﷺ أنه قال : « إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ سَمَّىٰ اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ »(١) .

---

(١) رواه البخاري ٨/١٥٧ ـ ١٥٩ في التفسير : تفسير آل عمران ، ومسلم رقم (٢٦٦٥) في العلم : باب النهي عن اتباع متشابه القرآن ، والترمذي رقم (٢٩٩٦) في التفسير : تفسير آل عمران ، وأبو داود رقم (٤٥٩٨) في السنة : باب النهي عن الجدال واتباع المتشابه من القرآن ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

مثال ذلك ، إذا قال لك بعض المشركين : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] ، أو إن الشفاعة حق ، أو إن الأنبياء لهم جاه عند اللّه ، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيء من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجاوبه بقولك : إن اللّه ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن اللّه تعالى ذكر أن المشركين يقرّون بالربوبية ، وأنه كفَّرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء ، مع قولهم : ﴿ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] هذا أمر محكم بيّن لا يقدر أحد أن يغيّر معناه ، وما ذكرته لي أيها المشرك من القرآن ، أو كلام رسول الله ﷺ ، لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام اللّه لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام اللّه عز وجل ، وهذا جواب جيد سديد ، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه اللّه تعالى ، فلا تستهن به ، فانه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت : ٣٥] .

وأما الجواب المفصَّل ، فإن أعداء اللّه لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل ، يصدُّون بها الناس عنه ، منها قولهم : نحن لا نشرك باللّه ، بل نشهد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا اللّه وحده لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً عن «عبد القادر»[1] أو غيره ، ولكن أنا مذنب ، والصالحون لهم جاه عند اللّه ، وأطلب من اللّه بهم ، فجاوبه بما تقدم ، وهو أن الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ مقرُّون بما ذكرت ، ومقرّون أن أوثانهم لا تدبر شيئاً ، وإنما أرادوا منها الجاه والشفاعة ، واقرأ عليه ما ذكر اللّه في كتابه ووضحه .

فـان قـال : هؤلاء الآيـات نـزلت فيمن يعبـد الأصنـام ، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام ؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً ؟ فجاوبه بما تقدم ، فانه

---

(١) هو الشيخ عبد القادر الجيلاني .

إذا أقرَّ أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها للّه ، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة ، ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر ، فاذكر له أن الكفار ؛ منهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال اللّه فيهم : ﴿ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ ﴾ الآية [الاسراء : ٥٧] ، ويدعون عيسى بن مريم وأمه . وقد قال تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُم الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُم ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَاللّه هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ [المائدة : ٧٥ ـ ٧٦] . واذكر له قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُم كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَل كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٤٠ ـ ٤١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهينِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ ﴾ [المائدة : ١١٦] .

فقل له : عرفت أن اللّه كفَّر من قصد الأصنام وكفَّر أيضاً من قصد الصالحين ، وقاتلهم رسول اللّه ﷺ .

فان قال : الكفار يريدون منهم ، وأنا أشهد أن اللّه هو النافع الضارَّ المدبر لا أريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ، ولكن أقصدهم أرجو من اللّه شفاعتهم .

فالجواب أن هذا قول الكفار سواء بسواء ، واقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزُّمر : ٣] . وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّهِ ﴾ [يونس : ١٨] .

واعلـم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم ، فاذا عرفت أن اللّه وضحها في كتابه ، وفهمتها فهماً جيداً ، فما بعدها أيسر منها .

فإن قال : أنا لا أعبد إلّا اللّه ، وهذا الالتجاء اليهم ودعاؤهم ليس بعبادة.
فقل له : أنت تقرُّ أن اللّهَ افترض عليك إخلاص العبادة للّه ، فاذا قال : نعم .
فقل له : بيِّن لي هذا الذي فرضه اللّه عليك ، وهو إخلاص العبادة للّه ، وهو حقه عليك ، فانه لا يعرف العبادة ولا أنواعها ، فبيِّنها له بقولك : قال اللّه تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

فاذا أعلمته بهذا ، فقل له : هل عملت هذا عبادة للّه ؟ فلا بد أن يقول : نعم . والدعاء مخ العبادة .

فقل له : إذا أقررت أنها عبادة ، ودعوت اللّه ليلاً ونهاراً ، خوفاً وطمعاً ، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره ، هل أشركت في عبادة اللّه غيره ؟ فلا بد أن يقول : نعم .

فقل له : فاذا عملت بقول اللّه تعالى : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] ، وأطعـت اللّه ونحرت له ، هل هذا عبادة ؛ فلا بد أن يقول : نعم .

فقل له : فان نحرت لمخلوق ، نبي ، أو جني ، أو غيرهما ، هل أشركت في هذه العبادة غير اللّه ؟ فلا بد أن يقرَّ ويقول : نعم .

وقل له أيضاً : المشركون الذين نـزل فيهم القرآن ، هـل كانـوا يعبدون الملائكة والصالحين واللّات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول : نعم .

فقل له : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء ، والذبح ، والالتجاء ، ونحو ذلك ؟ وإلا فهم مقرّون أنهم عبيده وتحت قهره ، وأن اللّه هو الذي يدبر الأمر ، ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهّر جداً .

فان قال : أتنكر شفاعة رسول اللّه ﷺ وتبرأ منها ؟ فقل : لا أنكرها ، ولا أتبرأ منها ، بل هو ﷺ الشافع المشفَّع ، وأرجو شفاعته ، ولكن الشفاعة كلها للّه تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً ﴾ [الزمر : ٤٤] ، ولا تكون إلا من بعد إذن اللّه ، كما قال تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، ولا يشفع في أحد إلا بعد أن يأذن اللّه فيه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الانبياء : ٢٨] ، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

فاذا كانت الشفاعة كلها للّه ، ولا تكون إلا من بعد إذنه ، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن اللّه فيه ، ولا يأذن اللّه تعالى إلا لأهل التوحيد . تبين لك أن الشفاعة كلها للّه ، واطلبها منه فأقول : اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه فيَّ ، وأمثال هذا .

فان قال : النبي ﷺ أعطي الشفاعة ، وأنا أطلبه مما أعطاه اللّه .

فالجواب : أن اللّه أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا . فقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ [الجن : ١٨] ، فاذا كنت تدعو اللّه أن يشفع نبيه فيك ، فأطعه في قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ [الجن : ١٨] .

وأيضاً فان الشفاعة أعطيها غير النبي ﷺ ، فصح أن الملائكة يشفعون ، والأفراط يشفعون ، والأولياء يشفعون ، أتقول : إن اللّه أعطاهم الشفاعة فاطلبها منهم ؟ فان قلت هذا ، رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكرها اللّه في كتابه . وإن قلت: لا ، بطل قولك: أعطاه اللّه الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه اللّه .

فان قال : أنا لا أشرك باللّه شيئاً ، حاشا وكلا ، ولكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك .

فقل له : إذا كنت تقرُّ أن اللّه حرَّم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقرُّ أن اللّه لا يغفره ؟ فما هذا الأمر الذي حرَّمه اللّه ، وذكر أنه لا يغفره ؟ فانه لا يدري . فقل له : كيف تبرِّىءُ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه ؟ كيف يحرِّم اللّه عليك هذا ، ويذكر أنه لا يغفره ، ولا تسأل عنه ولا تعرفه ؟ أتظن أن اللّه يحرِّمه ولا يبيِّنه لنا ؟

فان قال : الشرك عبادة الأصنام ، ونحن لا نعبد الأصنام . فقل لـه : ما معنى عبادة الأصنام ؟ أتـظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشـاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن .

وإن قال : هو من قصد خشبةً ، أو حجراً ، أو بنيةً على قبر ، أو غيره ، يدعون ذلك ، ويذبحون له . يقولون : إنه يقربنا إلى اللّه زلفى ، ويدفع اللّه عنا ببركته ، أو يعطينا ببركته . فقل : صدقت ، وهذا هو فعلكم عند الأحجار والأبنية التي على القبـور وغيرهـا . فهذا أقـرَّ أن فعلهم هذا هـو عبادة الأصنـام ، فهو المطلوب .

ويقال له أيضاً قولك : الشرك : عبادة الأصنام ، هـل مرادك أن الشـرك مخصوص بهذا ، وأن الاعتماد على الصالحين ودعائهم لا يدخل في ذلك ؟ فهذا يـرد ما ذكـره اللّه في كتابـه من كفر مَن تعلق على المـلائكـة ، أو عيسى ، أو الصالحين ، فلا بد أن يقرَّ لك أن من أشرك في عبادة اللّه أحداً من الصالحين فهذا هو الشرك المذكور في القرآن ، وهذا هو المطلوب .

وسر المسألة أنه إذا قال : أنا لا أشرك باللّه ، فقل له : وما الشرك باللّه ، فسره لي ؟ فان قال : هو عبادة الأصنام . فقل : وما معنى عبادة الأصنام ؟ فسرها لي .

فإن قال : أنا لا أعبد إلا اللّه وحده . فقل : ما معنى عبادة اللّه وحده ،

فسرها لي ؟ فان فسرها بما بينه القرآن ، فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فكيف يدَّعي شيئاً وهو لا يعرفه ؟ وإن فسر ذلك بغير معناه ، بيَّنت له الآيات الواضحات في معنى الشرك باللّه وعبادة الأوثان ، أنه الذي يفعلونه في هذا الزمان بعينه ، وأن عبادة اللّه وحده لا شريك له هي التي ينكرون علينا ، ويصيحون فيه كما صاح إخوانهم حيث قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] .

فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد ، هو الشرك الذي نزل فيه القرآن ، وقاتل رسول اللَّه ﷺ الناس عليه ، فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين :

أحدهما : أن الأولين لا يشركون ، ولا يدعون الملائكة ، والأولياء ، والأوثان مع اللَّه إلا في الرخاء، وأما في الشدة فيخلصون للَّهِ الدعاء[1]، كما قال تعالى ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُم إِلَىٰ البَرِّ أَعْرَضْتُم وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً ﴾ [الإسراء : ٦٧] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُكُمْ إِن أَتَاكُم عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٠ ـ ٤١] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِل عَنْ سَبِيلِه قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر : ٨] وقوله : ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [لقمان : ٣٢] .

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها اللّه في كتابه ، وهي أن المشركين

---

(١) في نسخة « الدين » .

الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ يدعون اللّه تعالى ويدعون غيره في الرخاء ، وأما في الضرِّ والشدة فلا يدعون إلا اللّه وحده لا شريك له ، وينسون ساداتهم ، تبيَّن له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فهماً جيداً راسخاً ؟ واللّه المستعان .

والأمر الثاني : أن الأولين يدعون مع اللّه أناساً مقرَّبين عند اللّه ، إما أنبياء ، وإما أولياء ، وإما ملائكة . أو يدعون أحجاراً ، أو أشجاراً مطيعةً للّه ليست عاصيةً ، وأهل زماننا يدعون مع اللّه أناساً من أفسق الناس ، والذين يدعونهم ، هم الذين يحكون عنهم الفجور ، من الزنا ، والسرقة ، وترك الصلاة ، وغير ذلك ، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر ، أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول اللّه ﷺ أصح عقولاً وأخف شركاً من هؤلاء ، فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ما ذكرنا ، وهي من أعظم شبههم ، فأصغ سمعك لجوابها ، وهي أنهم يقولون : إن الذين نزل فيهم القرآن لا يشهدون أن لا إله إلا اللّه ، ويكذبون الرسول ﷺ ، وينكرون البعث ، ويكذبون القرآن ، ويجعلونه سحراً ، ونحن نشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه ، ونصدق القرآن ، ونؤمن بالبعث ، ونصلي ، ونصوم ، فكيف تجعلوننا مثل أولئك ؟

فالجواب : أن لا خلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول اللّه ﷺ في شيء وكذبه في شيء أنه كافر لم يدخل في الاسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه . كمن أقرَّ بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة ، أو أقرَّ بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة ، أو أقرَّ بهذا كله وجحد الصوم ، أو أقرَّ بهذا كله وجحد الحج .

ولما لم ينقد أناس في زمن النبي ﷺ للحج ، أنزل اللَّه في حقهم : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] .

ومن أقرَّ بهذا كله وجحد البعث ، كفر بالاجماع ، وحل دمه وماله ، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُم الكَافِرُونَ حَقاً وَاعْتَدْنَا لِلكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ [النساء : ١٥٠ ـ ١٥١] .

فإذا كان اللَّه قد صرَّح في كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض ، فهو الكافر حقاً ، زالت هذه الشبهة ، وهذه هي التي ذكرها بعض أهل الأحساء في كتابه الذي أرسله إلينا .

ويقال أيضاً : إذا كنت تقرُّ أن من صدَّق الرسول في كل شيء ، وجحد وجوب الصلاة فهو كافر حلال الدم والمال بالاجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شيء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان وكذب[1] بذلك كله ، لا يُجحد هذا ، ولا تختلف المذاهب فيه ، وقد نطق به القرآن كما قدمنا .

فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج .

فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ما جاء به الرسول ﷺ ؟ وإذا جحد التوحيد الذي هو دين الرسل كلهم لا يكفر ؟! سبحان اللَّه ما أعجب هذا الجهل ! .

---

(١) في نسخة « وصدق » .

ويقال أيضاً: هؤلاء أصحاب رسول اللّه ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ، وهم يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً عبده ورسوله، ويؤذِّنون ويصلون . فإن قال : إنهم يقولون : إن مسيلمة نبي . قلنا : هذا هو المطلوب . إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحلَّ ماله ودمه ، ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة ، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف[1] أو صحابياً أو نبياً في رتبة جبَّار السمٰوات والأرض ؟ سبحان اللّه ما أعظم شأنه ! ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم : ٥٩] .

ويقال أيضاً: الذين حرَّقهم علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه بالنار[2]، كلهم يدَّعون الإسلام ، وهم من أصحاب علي رضي اللّه عنه ، وتعلموا العلم من الصحابة ، ولكن اعتقدوا في عليّ مثل الاعتقاد في يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم ؟! أتظنون أن الصحابة يكفِّرون المسلمين ؟ أتظنون أن الاعتقاد في تاج وأمثاله لا يضر ، والاعتقاد في علي بن أبي طالب يكفر .

ويقال أيضاً : بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر في زمن بني العباس ، كلهم يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه ، ويدَّعون الإسلام ، ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة في أشياء دون ما نحن فيه ، أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم ،وأن بلادهم بلاد حرب ، وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا ما بأيديهم من بلدان المسلمين .

---

(١) يوسف وشمسان وتاج ، أسماء لبعض المعتقدين في تلك البلاد الذين يدعون مع الله أو من دون الله كالبدوي ، والدسوقي ، والمتبولي ، وأمثالهم في مصر ، وكابن عربي في دمشق .

(٢) البخاري في الجهاد: باب لا يعذب بعذاب الله ، و ١٢/ ٢٣٨ في استتابة المرتدين : باب حكم المرتد والمرتدة ، وأبو داود رقم (٤٣٥١) في الحدود: باب الحكم فيمن ارتد، والترمذي رقم (١٤٥٨)، والنسائي ٧/ ١٠٤ ـ ١٠٥ وابن ماجه رقم (٢٥٣٥) وأحمد ١/ ٢١٧ و ٢٨٢ .

ويقال أيضاً : إذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسول ﷺ والقرآن ، وإنكار البعث ، وغير ذلك ، فما معنى الباب الذي ذكر العلماء في كل مذهب ؟ « باب حكم المرتد » وهو المسلم الذي يكفر بعد إسلامه ، ثم ذكروا أنواعاً كثيرة ، كل نوع منها يكفِّر ، ويحل دم الرجل وماله ، حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها ، مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه ، أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب .

ويقال أيضاً : الذين قال الله فيهم : ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] ، أما سمعت الله كفَّرهم بكلمة مع كونهم في زمن رسول الله ﷺ ، وهم يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحِّدون ؟ وكذلك الذين قال الله فيهم : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم ﴾ [التوبة : ٦٥ - ٦٦] ، فهؤلاء الذين صرَّح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم ،وهم مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح .

فتأمل هذه الشبهة ، وهي قولهم : تكفِّرون من المسلمين أُناساً يشهدون أن لا إله إلا الله ، ويصلون ويصومون ، ثم تأمل جوابها ، فإنه من أَنفع ما في هذه الأوراق .

ومن الدليل على ذلك أيضاً ما حكى الله تعالى عن بني إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم ، أنهم قالوا لموسى : ﴿ اجْعَل لَنَا إِلَٰهاً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] ، وقول أُناس من الصحابة : اجعل لنا ذات أنواط . فحلف رسول الله ﷺ أن هذا مثل قول بني إسرائيل لموسى : ﴿اجْعَل لَنَا إِلَٰهاً﴾[١] ولكن للمشركين شبهة يدلون بها عند هذه القصة . وهي أنهم

---

(١) سبق لفظه وتخرجه ص (٧٤) ، وسياتي أيضاً ص (١٧٩) .

يقولون : إن بني إسرائيل لم يكفروا بذلك ، وكذلك الذين قالوا للنبي ﷺ : اجعل لنا ذات أنواط ، لم يكفروا .

فالجواب أن نقول : إن بني إسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبي ﷺ لم يفعلوا . ولا خلاف أن بني إسرائيل لو فعلوا ذلك لكفروا ، وكذلك لا خلاف أن الذين نهاهم النبي ﷺ لو لم يطيعوه واتخذوا ذات أنواط بعد نهيه لكفروا ، وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك لا يدري عنها ، فتفيد التعلم والتحرز ، ومعرفة أن قول الجاهل : التوحيد فهمناه ، أن هذا من أكبر الجهل ومكائد الشيطان ، وتفيد أيضاً أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لا يدري ، فنبه على ذلك وتاب من ساعته ، أنه لا يكفر ، كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا النبي ﷺ وتفيد أيضاً أنه لو لم يكفر ، فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظاً شديداً ، كما فعل رسول اللّه ﷺ .

ولهم شبهة أخرى : يقولون : إن النبي ﷺ أنكر على أُسامة قتل من قال : لا إله إلا اللّه وقال : « أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ ؟! »(١) ، وكذلك قوله : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ »(٢) ، وأحاديث أُخر في

---

(١) رواه البخاري ٧/٣٩٨ في المغازي : باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ، و ١٢/١٧١ ـ ١٧٢ في المحاربين من أهل الكفر والردة : باب ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ، ومسلم رقم (٩٦) (١٥٨) و (١٥٩) في الإيمان : باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله ، وأبو داود رقم (٢٦٤٣) في الجهاد : باب على ما يقاتل المشركون ، وأحمد في « المسند » ٥/٢٠٠ و ٢٠٧ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري ١/٧٠ ـ ٧١ في الإيمان : باب ﴿ فإنْ تابوا وأقاموا الصلاة ﴾ ، ومسلم رقم (٢٢) في الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وتمامه : « ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » .

ورواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه البخاري ٣/٢١١ في أول الزكاة وفي استتابة المرتدين : باب=

الكف عمن قالها . ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر ، ولا يقتل ، ولو فعل ما فعل .

فيقال لهؤلاء المشركين الجهال : معلوم أن رسول اللّه ﷺ قاتل اليهود وسباهم ، وهم يقولون : لا إله إلا اللّه ، وأن أصحاب رسول اللّه ﷺ قاتلوا بني حنيفة ، وهم يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه ، ويصلون ويدعون الإسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن أبي طالب ، وهؤلاء الجهلة مقرّون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال : لا إله إلا اللّه ، وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها ، فكيف لا تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع ، وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرسل ورأسه ؟! ولكن أعداء اللّه ما فهموا معنى الأحاديث .

فأما حديث أُسامة ، فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله . والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك ، وأنزل اللّه في ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ [النساء : ٩٤] أي فتثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه ، والتثبت ، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل ، لقوله : ﴿ فَتَبَيَّنُوا ﴾ ولو

= قتل من أبى قبول الفرائض ، ومسلم رقم (٤١) في الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، والترمذي رقم (٢٦١٠) في الإيمان : الباب الأول ، والنسائي ١٤/٥ في الزكاة : باب مانع الزكاة ، وأبو داود رقم (٢٦٤٠) في الجهاد : باب على ما يقاتل المشركون .

وفي الباب عن جابر رضي الله عنه ، رواه مسلم والترمذي ، وعن أنس رضي الله عنه رواه البخاري والترمذي وأبو داود والنسائي ، وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما رواه النسائي ، وعن أوس بن حذيفة رواه النسائي ، وعن طارق بن أشيم الأشجعي رضي الله عنه عند مسلم ، وعن معاذ رضي الله عنه عند ابن ماجه ، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عند الطبراني .

انظر « جامع الأصول » رقم (٣٥) و (٣٦) و (٣٧) و (٣٨) و (٣٩) و (٤٠) و (٢٦٥٦) ، بتحقيق استاذنا الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، و « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (٤٠٧) - (٤١١) .

كان لا يقتل إذا قالها ، لم يكن للتثبت معنى . وكذلك الحديث الآخر وأمثاله ، معناه ما ذكرناه أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه ، إلا إن تبين منه ما ينقض ذلك .

والدليل على هذا أن رسول اللّه ﷺ هو الذي قال : «أَقَتَلْتَه بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » وقال : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ » هو الذي قال في الخوارج : « أَيْنَمَا لَقِيْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتِلَنَّهُمْ قَتْلَ عادٍ »[1] مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلاً ، حتى إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم ، وهم تعلموا العلم من الصحابة ، فلم تنفعهم لا إله إلا اللّه ، ولا كثرة العبادة ، ولا ادِّعاء الإسلام لمَّا ظهر منهم مخالفة الشريعة ، وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بني حنيفة .

وكذلك أراد النبي ﷺ أن يغزو بني المصطلق لما أخبره رجل أنهم منعوا الزكاة ، حتى أنزل اللّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُم نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] وكان الرجل كاذباً عليهم ، فكل هذا يدل على أن مراد النبي ﷺ في الأحاديث التي

---

(١) هذا الحديث ملفق من حديثين ، الحديث الأول : « أينما لقيتموهم فاقتلوهم » رواه البخاري ٤٥٦/٦ في أحاديث الأنبياء : باب علامات النبوة في الإسلام و ٨٦/٩ في فضائل القرآن : باب إثم من راءى بقراءة القرآن ، و ٢٥٥/١٢ في استتابة المرتدين : باب قتل الخوارج ، ومسلم رقم (١٠٦٦) في الزكاة : باب التحريض على الخوارج ، من حديث علي رضي الله عنه .

والفقرة الثانية « لأقتلنهم قتل عاد » رواها البخاري ٥٥/٨ في المغازي : باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع ، ومسلم رقم (١٠٦٤) في الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ولفظه في البخاري « وأظنه قال لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود » ولكن قال الحافظ في « الفتح » ٥٥/٨ في رواية سعيد بن مسروق : « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » ولم يتردد فيه وهو الراجح ، وهو كذلك في بعض روايات مسلم ، والصواب الرواية الأولى .

احتجوا بها ما ذكرناه(١) .

ولهم شبهة أخرى : وهي ما ذكر النبي ﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم ، ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، فكلهم يعتذرون حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ(٢) . قالوا : فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً .

فالجواب أن نقول : سبحان من طبع على قلوب أعدائه ، فإن الاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه لا ننكرها ، كما قال تعالى في قصة موسى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِن عَدُوِّهِ ﴾ [القصص : ١٥] ، وكما

---

(١) روى سبب نزول هذه الآية أحمد في « المسند » ٤/٢٧٩ من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي رضي الله عنه وفي سنده دينار الكوفي والد عيسى مولى عمرو بن الحارث بن أبي ضرار ، لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات . قال الحافظ ابن كثير في التفسير : وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق ، قال : ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد من رواية الحارث بن ضرار الخزاعي ، يعني الحديث الذي تقدم .

أقول : وأما نزول الآية في عقبة بن أبي معيط فذكره الواحدي في أسباب النزول بغير سند ، ورواه الطبري من حديث أم سلمة ، وفي سنده موسى بن عبيدة الربذي ، وهو ضعيف ، قال الحافظ ابن حجر ، وأخرجه ابن مردويه من طريق عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن موسى بن المسيب عن سالم بن أبي الجعد عن جابر .

(٢) الذي في « صحيح البخاري » ٣/٢٦٨ في الزكاة : باب من سأل الناس تكثرا من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ، ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ . وفي حديث الشفاعة الطويل الذي رواه البخاري ٨/٣٠٠ في تفسير سورة الإسراء : باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح ﴾ ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، من حديث أبي هريرة ، والبخاري ١١/٣٧٣ - ٣٨٢ في الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، ومسلم رقم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه « فيأتون آدم ، ثم يأتون نوحاً ، ثم يأتون إبراهيم ، ثم يأتون موسى ، ثم يأتون عيسى ، فكلهم يعتذر ، حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ . . . » الحديث . ولكن هذا الحديث بطوله وذكر هؤلاء الأنبياء الستة ، ليس فيه ذكر الاستغاثة ، وإنما ذكر الاستغاثة في «صحيح البخاري» مختصراً ، وفيه ذكر آدم وموسى ومحمد ﷺ أجمعين .

يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب وغيرها من الأشياء التي يقدر عليها المخلوق . ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء ، أو في غيبتهم ، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا اللّه .

إذا ثبت ذلك ، فالاستغاثة بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا اللّه أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف ، وهذا جائز في الدنيا والآخرة أن تأتي عند رجل صالح حي ، يجالسك ويسمع كلامك ، وتقول له : ادع اللّه لي ، كما كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يسألونه في حياته . وأما بعد موته ، فحاشا وكلا أنهم سألوه[1] ذلك عند قبره ، بل أنكر السلف على من قصد دعاء اللّه عند قبره ، فكيف دعاؤه نفسه ؟!

ولهم شبهة أخرى : وهي قصة إبراهيم عليه السلام لما أُلقي في النار ، اعترض له جبريل في الهواء ، فقال : أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ فقال إبراهيم عليه السلام : أَمَّا إِلَيْكَ فَلاَ[2] .

---

(١) كذا في الأصل . والمراد أنهم ما سألوه . وهذا التعبير مستعمل في نجد ، وفي الأمصار في النفي ، أي حاشا يكونوا سألوه .

(٢) الذي في « صحيح البخاري » ١٧٢/٨ في تفسير سورة آل عمران : باب قوله : ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ قالها إبراهيم حين ألقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا : ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ .

والرواية التي بعدها في « البخاري » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار : حسبي الله ونعم الوكيل .

وأما قول المؤلف رحمه الله : اعترض جبريل في الهواء فقال : ألك حاجة ، فقال إبراهيم عليه السلام : أمّا إليك فلا ، فهو من رواية كعب الأحبار أن إبراهيم قال حين أوثقوه ليلقوه في النار : لا إله إلا أنت ، سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ، ولك الملك ، لا شريك لك ، ثم رموه بالمنجنيق إلى النار ، فاستقبله جبريل فقال : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، قال جبريل : قل ربي ، فقال إبراهيم : حسبي من سؤالي علمه بحالي . وهذا الرواية تتنافى مع رواية البخاري الصحيحة ، فإن سؤال =

قالوا : فلو كانت الاستغاثة بجبريل شركاً ، لم يعرضها على إبراهيم .

فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى ، فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه ، كما قال اللّه تعالى فيه : ﴿ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [النجم : ٥] . فلو أذن اللّه له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ، ويلقيها في المشرق أو المغرب لفعل ، ولو أمره أن يضع إبراهيم عليه السلام في مكان بعيد عنهم لفعل ، ولو أمره أن يرفعه إلى السماء لفعل ، وهذا كرجل غني له مال كثير ، يرى رجلاً محتاجاً ، فيعرض عليه أن يقرضه ، أو أن يهب له شيئاً يقضي به حاجته ، فيأبى ذلك الرجل المحتاج أن يأخذ ، ويصبر حتى يأتيه اللّه برزق لا منّة فيه لأحد ، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون ؟

ولنختم الكلام إن شاء اللّه تعالى بمسألة عظيمة مهمة جداً تفهم مما تقدم ، ولكن نفرد لها الكلام لعظم شأنها ، ولكثرة الغلط فيها فنقول :

لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به ، فهو كافر معاند ، كفرعون وإبليس وأمثالهما ، وهذا يغلط فيه كثير من الناس يقولون : هذا حق ، ونحن نفهم هذا ، ونشهد أنه الحق ، ولكن لا نقدر أن نفعله ، ولا يجوز عند أهل بلدنا إلا من وافقهم[1] ، وغير ذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ، ولم يتركوه إلا لشيء من الأعذار ، كما قال تعالى : ﴿ اشْتَرَوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنَاً قَلِيلاً ﴾ [التوبة : ٩] وغير ذلك من الآيات ،

= الله تعالى دعاء ، والدعاء هو العبادة ، كما قال رسول الله ﷺ فيما ثبت عنه .
انظر « كشف الخفا » في حرف الحاء : « حسبي من سؤالي علمه بحالي » .

(١) هذا من حكاية قولهم ، يريدون به أنه لا يكون مقبولاً عندهم إلا من وافقهم .

كقوله :﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم﴾ [البقرة : ١٤٦] . فإن عمل بالتوحيد عملاً ظاهراً وهو لا يفهمه ، أو لا يعتقده بقلبه ، فهو منافق ، وهو شر من الكافر الخالص : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] .

وهذه المسألة مسألة كبيرة طويلة ، تتبين لك إذا تأملتها في ألسنة الناس ، ترى من يعرف الحق ويترك العمل به ، لخوف نقص دنيا ، أو جاه ، أو مداراة ، وترى من يعمل به ظاهراً لا باطناً ، فإذا سألته عما يعتقد بقلبه ، فإذا هو لا يعرفه . ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب اللّه ، أولاهما ما تقدم من قوله : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُم ﴾ [التوبة : ٦٦] ، فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول اللّه ﷺ ، كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه المزح واللعب ، تبين لك أن الذي يتكلم بالكفر ، أو يعمل به خوفاً من نقص مال ، أو جاه ، أو مداراة لأحد ، أعظم ممن تكلم بكلمة يمزح بها .

والآية الثانية قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيْمَانِ ﴾ [النحل : ١٠٦] . فلم يعذر اللّه من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان . وأما غير هذا ، فقد كفر بعد إيمانه ، سواء فعله خوفاً ، أو مداراة ، أو مشحَّة بوطنه ، أو أهله ، أو عشيرته ، أو ماله ، أو فعله على وجه المزح ، أو لغير ذلك من الأغراض إلَّا المكره . والآية تدل على هذا من جهتين :

الأولى قوله : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ ﴾ فلم يستثن اللّه إلَّا المكره . ومعلوم أن الإنسان لا يكره إلا على العمل أو الكلام . وأما عقيدة القلب فلا يكره أحد عليها .

والثانية : قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُم اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ ﴾ [النحل : ١٠٧] . فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد أو الجهل ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من

حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين ، واللّه سبحانه وتعالى أعلم .

والحمـد للَّه ربّ العالمين ، وصلى اللَّه على محمـد وعلى آله وصحبـه أجمعين آمين .

* * *

الواسطة بين الحق والخلق
لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فهذه رسالة في مسألة رجلين تناظرا . فقال أحدهما : لا بد لنا من واسطة بيننا وبين اللّه ، فإنا لا نقدر أن نصل إليه بغير ذلك .

الجواب : الحمد للّه رب العالمين . إن أراد بذلك أنه لا بد من واسطة تبلغنا أمر اللّه ؛ فهذا حق ؛ فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه اللّه ويرضاه ؛ وما أَمر به وما نهى عنه ؛ وما أعده لأوليائه من كرامته ؛ وما وعد به أَعداءه من عذابه ؛ ولا يعرفون ما يستحقه اللّه تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التي تعجَز العقول عن معرفتها وأَمثال ذلك إلا بالرسل الذين أُرسلهم اللّه تعالى إلى عباده .

فالمؤمنون بالرسل ، المتبعون لهم ؛ هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ؛ ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة .

وأما المخالفون للرسلْ ، فإنهم ملعونون ، وهم عن ربهم ضالون محجوبون . قال اللّه تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُم رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُم آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٥ - ٣٦] ،

وقال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ اليَوْمَ تُنْسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ ـ ١٢٧] .

قال ابن عباس(١) : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ، أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة . وقال تعالى عن أهل النار : ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُم خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُم إِلاَّ فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك : ٨ ـ ٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُم خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُم رُسُلٌ مِنْكُم يَتْلُونَ عَلَيْكُم آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُم لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَابِ عَلَى الكَافِرِينَ ﴾ [الزمر : ٧١] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ المُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ العَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٨ ـ ٤٩] . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُم عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُم عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً * رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥] ، ومثل هذا في القرآن كثير ؛ وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل من المسلمين ، واليهود ، والنصارى ؛ فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده ؛ وهم الرسل الذين بلَّغوا عن الله أمره وخبره ؛ قال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً

---

(١) قف على قول ابن عباس رضي الله عنهما ، وتأمل فيه ، فإنه مدار الدين ، فاجعله نصب العين .

وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج : ٧٥] . ومن أنكر هذه الوسائط ، فهو كافر بإجماع أهل الملل . والسور التي أنزلها اللّه تعالى بمكة ، مثل : الأنعام والأعراف ، وذوات ﴿ آلر ﴾ ، و﴿ حم ﴾ ، و﴿ طس ﴾ ونحو ذلك ، هي متضمنة لأصول الدين ، كالايمان باللّه ورسله واليوم الآخر : وقد قص اللّه قصص الكفار الذين كذبوا الرسل ، وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُم لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الغَالِبُونَ ﴾ [الصافات : ١٧١ ـ ١٧٣] . وقال : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ [غافر : ٥١] . فهذه الوسائط ، تطاع وتتبع ويقتدى بها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقال : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

وإن أراد بالواسطة أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ، ودفع المضار ، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ، ونصرهم وهداهم ، يسألونه ذلك ، ويرجون إليه فيه ، فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر اللّه به المشركين ، حيث اتخذوا من دون اللّه أولياء وشفعاء ، يجتلبون بهم المنافع ، ويدفعون بهم المضار . لكن الشفاعة لمن يأذن اللّه له فيها حق . قال اللّه تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ مَا لَكُمْ مِن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة : ٤] . وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِر بِهِ الَّذِينَ

يَخافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِم لَيْسَ لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٥١] ، وقال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام :٧٠] ، وقال سبحانه : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُم وَلَا تَحْوِيلاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَه وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ [الإسراء : ٥٦ ـ ٥٧] ، وقال : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٢ ـ ٢٣] .

وقالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة ، فبين اللّه لهم أن الملائكة والأنبياء لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلاً ، وأنهم يتقربون إلى اللّه ويرجون رحمته ويخافون عذابه . وقال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُم تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُم تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُم أَن تَتَّخِذُوا المَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّين أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ [آل‌عمران : ٧٩ ـ ٨٠] فبين سبحانه أن إتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر .

فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط ، يدعوهم ويتوكل عليهم ، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات ، فهو كافر بإجماع المسلمين[1] وقد قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم وَمَا خَلْفَهُم وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُم

---

(١) وفي متن الإقناع في باب حكم المرتدين ، من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ، أنّه كافر بإجماع الأمة ـ إلى قوله ـ لا شك في كفره ، بل لا شك في كفر من شك في كفره . اهـ. زيادة من مطبوعة نجد ص ٩٤ .

مِن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُم إِنِّي إِلٰهٌ مِن دُونِهِ فَذٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلاَ المَـلاَئِكَةُ المُقَـرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَـادَتِهِ وَيَسْتَكْبِـر فَسَيَحْشُرُهُم إِلَيْهِ جَمِيعاً ﴾ [النساء : ١٧٢] وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً * لَقَد جِئْتُم شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُم وَعَدَّهُم عَدّاً * وَكُلُّهُم آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً ﴾ [مريم : ٨٨ ـ ٩٥] .

وقال تعالى ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُـرُّهُم وَلاَ يَنْفَعُهُم وَيَقُولُـونَ هٰؤُلاَءِ شُفَعَـاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُـلْ أَتُنَبِّؤُونَ اللَّهَ بِمَـا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمٰـوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ . سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَىٰ عَمَّا يُشْـرِكُونَ ﴾ [يـونس : ١٨] ، وقال تعـالى : ﴿ وَكَم مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُم شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم : ٢٦] وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُـوَ ، وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْـرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [يـونس : ١٠٧] وقال تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾ [فاطر : ٢] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هِنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ، أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَـةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر : ٣٨] .

ومثل هذا كثير في القرآن ، ومن سوى الأنبياء ، من مشايخ العلم والدين ، فمن أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبـونهم ويقتدون بهم ؛ فقد أصاب في ذلك .

وهؤلاء إذا أجمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة ، وإن تنازعوا في شيء ردوه إلى اللَّه والرسول ، إذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق ، بل كل واحد من الناس يؤخذ من كلامه ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ .

وقد قال النبي ﷺ : « العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِيناراً وَلَا دِرْهَماً ، وإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ »[1] .

ومن أثبتهم وسائط بين اللَّه وبين خلقه ، كالحجَّاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكونون هم يرفعون إلى اللَّه حوائج خلقه ، فاللَّه إنما يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألونهم وهم يسألون اللَّه ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك ، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب للحوائج !

فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب ، فان تاب وإلا قتل .

وهؤلاء مشبهون للَّه ، شبهوا المخلوق بالخالق ، وجعلوا للَّه أنداداً .

وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى ، فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس يكونون على أحد وجوه ثلاثة :

إما لاخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه . ومن قال : إن اللَّه لا يعلم

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٦٤١) و (٣٦٤٢) في العلم : باب الحث على طلب العلم ، والترمذي رقم (٢٦٨٣) و (٢٦٨٤) في العلم : باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، وأحمد في « المسند » ١٩٦/٥ ، وابن ماجه رقم (٢٢٣) في المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، والدارمي رقم (٣٤٩) في المقدمة : باب في فضل العلم والعالم ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٨٠) وغيرهم ، من حديث قيس بن كثير رحمه الله تعالى ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦١٧٣) .

أحوال عباده حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر ، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى ، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير ، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولا يتبرم[1] بإلحاح الملحين .

الوجه الثاني : أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته ، ودفع أعدائه إلا بأعوان يعينونه ، فلا بد له من أنصار وأعوان لذله وعجزه ، واللّٰه سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل . قال تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ في السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُم فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ : ٢٢] ، وقال تعالى ﴿ وَقُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً ﴾ [الاسراء : ١١١] وكل ما في الوجود من الأسباب فهو خالقه وربه ومليكه ، فهو الغني عن كل ما سواه ، وكل ما سواه فقير إليه ، بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم[2] ، وهم في الحقيقة شركاؤ هم في الملك ، واللّٰه تعالى ليس له شريك في الملك ، بل لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

والوجه الثالث : أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه ، أو من يدل عليه ، بحيث يكون يرجوه ويخافه ، تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، إما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل من الرغبة أو الرهبة من كلام المدل عليه .

---

(١) في نسخة «يبرم» .

(٢) في نسخة « ظهيرهم » .

والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه ، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الأشياء إنما تكون بمشيئته ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهو إذا أجرى نفع العباد بعضهم على بعض ، فجعل هذا يحسن إلى هذا ، ويدعو له ، ويشفع فيه ونحو ذلك ؛ فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن الداعي الشافع إرادة الاحسان والدعاء والشفاعة . ولا يجوز أن يكون في الوجود من يُكرهه على خلاف مراده ، أو يُعلمه ما لم يكن يعلم ، أو من يرجوه الرب ويخافه ولهذا قال النبي ﷺ « لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إنْ شِئْتَ ، وَلْكِنْ لِيَجْزِم[1] المَسْأَلَةَ ، فَإنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ »[2] والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا باذنه ، كما قال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] ، وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُم فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٢ ـ ٢٣] .

فبين أن كل من دعي من دونه ، ليس له ملك ولا شرك في الملك ، ولا هو ظهير . وأن شفاعتهم لا تنفع إلا لمن أذن له . وهذا بخلاف الملوك ، فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكاً لهم في الملك ، وقد يكون مظاهراً لهم معاوناً لهم على ملكهم ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك هم

---

(١) وفي « صحيح مسلم » : ليعزم . قال العلماء : عزم المسألة : الشدة في طلبها ، والجزم من غير ضعف في الطلب ، ولا تعليق على مشيئة ونحوها . ومعنى الحديث استحباب الجزم في الطلب وكراهة التعليق على المشيئة .

(٢) رواه البخاري ١١/١١٨ في الدعوات : باب ليعزم المسألة فإنه لا يكره له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه مسلم رقم (٢٦٧٩) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار بلفظ « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم في الدعاء ، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له » .

وغيرهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم ، وتارة لخوف منهم ، وتارة لجزاء إحسانهم إليه ومكافئتهم ولإنعامهم عليـه ، حتى إنه يقبـل شفاعـة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة وإلى الولد ، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة مملوكه ، فاذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ، أو أن يسعى في ضرره .

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض ، كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة ، واللّه تعالى لا يرجو أحداً ، ولا يخافه ، ولا يحتاج إلى أحد ، بل هو الغني .

قال تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُم إِلَّا يَخْرُصُـونَ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ والنَّهارَ مُبصِراً إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُـوَ الغَنِيُّ لَهُ مَـا فِي السَّمٰوَات وَمَـا فِي الأَرْضِ ﴾ [يونس : ٦٨] .

والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعدونه من الشفاعة قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّؤُنَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَـهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّـا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّه قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنهُم وَذٰلِكَ إِفْكُهُم وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٨] .

وأخبر عن المشركين أنهم قالوا : ﴿مَا نَعْبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر : ٣] . وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا المَلَائِكَةَ وَالنَّبِيينَ أَرْبَاباً

أَيَأْمُرُكُم بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٠] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً * أُوْلَئِكَ الذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ [الإسراء : ٥٦ - ٥٧] ، فأخبر أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويله ، وأنهم يرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ويتقربون إليه .

فهو سبحانه قد نفى ما أثبتوا للملائكة والأنبياء إلا الشفاعة باذنه . والشفاعة هي الدعاء ؛ ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع ، واللَّه قد أمر بذلك .

لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعو ويشفع إلا أن يأذن اللَّه له في ذلك ، فلا يشفع شفاعة نهى عنها ، كالشفاعة للمشركين ، والدعاء لهم بالمغفرة قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِروا للمُشْرِكينَ وَلَوْ كانوا أوْلي قُرْبىٰ مِن بعْدِ ما تبين لَهُم أَنَّهُم أَصْحَابُ الجحيم * وما كَانَ اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إلاَّ عَن مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إيَّاهُ ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للَّه تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [التوبة : ١١٣ - ١١٤] .

وقال تعالى في حق المنافقين : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِم اسْتَغْفَرْتَ لَهُم أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُم لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُم ﴾ [المنافقون : ٦] .

وقد ثبت في «الصحيح»(١) أن اللَّه تعالى نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين

---

(١) رواه البخاري ٣/ ١٧٦ و ١٧٧ في الإيمان : باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ، وفي أبواب عدة ، ومسلم رقم (٢٤) في الإيمان : باب الدليل على صحة اسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع ، والنسائي ٤/ ٩٠ و٩١ ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٤٣٣ . من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه .

والمنافقين ، وأخبر أنه لا يغفر لهم ، كما في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨ و ١١٦] ، وقوله : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُم مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُم كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٨٤] ، وقال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِم أَسْتَغْفَرْتَ لَهُم أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِر لَهُم لَنْ يَغْفِرَ اللَّه لَهُم ﴾ [المنافقون : ٦] .

وقد قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٥] . في الدعاء ، ومن الاعتداء في الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله ، مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم ، أو المغفرة للمشركين ونحو ذلك ، أو يسأله ما فيه معصية للّه عز وجل ، كإعانته على الكفر والفسوق والعصيان .

فالشفيع الذي أذن اللّه له في الشفاعة ، شفاعته في الدعاء الذي ليس فيه عدوان ، ولو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه ، فانهم معصومون أن يقروا على ذلك . كما قال نوح : ﴿ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحَاكِمِينَ ﴾ [هود : ٤٥] . قال تعالى : ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِر لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٦ ـ ٤٧] .

وكل داع شافع دعا اللّه سبحانه وتعالى وشفع ، فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء اللّه وقدره ومشيئته ، وهو الذي يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة ، فهو الذي خلق السبب والمسبب ؛ والدعاء من جملة الأسباب التي قدرها اللّه سبحانه وتعالى ، وإذا كان كذلك ، فالالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً ، نقص في العقل . والاعراض عن الأسباب بالكلية ،

قدح في الشرع[1] .

بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى اللّه سبحانه وتعالى ، واللّه يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء .

والدعاء مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى ، والأدنى للأعلى ، فطلب الشفاعة والدعاء من الأنبياء ، كما كان المسلمون يستشفعون بالنبي ﷺ في الاستسقاء ، ويطلبون منه الدعاء ، بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه ، والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء ومحمد ﷺ ، وهو سيد الشفعاء ، وله شفاعات يختص بها .

ومع هذا فقد ثبت في « الصحيحين »[2] عن النبي ﷺ أنه قال : « إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّىٰ اللّهُ عَلَيْهِ عَشْراً ، ثُمَّ سَلُوا اللّهَ لِيَ الوسيلَةَ[3] فَإِنَّهَا دَرَجَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللّهِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ ذٰلِكَ العَبْدِ ، فَمَنْ سَأَلَ اللّهَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ » .

وقد قال لعمر لما أراد أن يعتمر وودعه : « يَا أُخَيَّ لَا تَنْسَنِي مِنْ دُعَائِكَ »[4] .

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » للمؤلف رحمه الله تعالى وهو من مطبوعات مكتبة دار البيان بدمشق بتحقيق شيخنا عبد القادر الأرنؤوط حفظه الله تعالى .

(٢) رواه مسلم رقم (٣٨٤) في الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلي على النبي ثم يسأل الله له الوسيلة ، وأبو داود رقم (٥٢٣) في الصلاة : باب ما يقول إذا سمع المؤذن ، والترمذي رقم (٣٦١٩) في المناقب : باب رقم (٣) ، والنسائي ٢ / ٢٥ في الآذان : باب الصلاة على النبي ﷺ ، وأحمد في « المسند » ٢ / ١٦٨ ، ولم يروه البخاري كما قال المؤلف رحمه الله .

(٣) قوله : « الوسيلة » قد فسرها ﷺ بأنها منزلة في الجنة . قال أهل اللغة : الوسيلة المنزلة عند الملك . قوله : « حلت » أي وجبت ، وقيل : نالته .

(٤) رواه أبو داود رقم (١٤٩٨) في الصلاة : باب الدعاء ، والترمذي رقم (٣٥٥٧)في الدعوات :باب رقم =

فالنبي ﷺ قد طلب من أمته أن يدعوا له، ولكن ليس ذلك من باب سؤ الهم، بل أمره بذلك لهم كأمره لهم بسائر الطاعات التي يثابون عليها، مع أنه ﷺ له مثل أجورهم في كل ما يعملونه، فانه قد صح عنه أنه ﷺ قال: « مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الوِزْرِ مِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ تَبِعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً »[1]. وهو داعي الأمة إلى كل هدى، فله مثل أجورهم في كل ما اتبعوه فيه، وكذلك إذا صلوا عليه، فان اللّه يصلي على أحدهم عشراً، وله مثل أجورهم مع ما يستجيبه من دعائهم له، فذلك الدعاء قد أعطاهم اللّه أجرهم عليه، وصار ما حصل له به من النفع نعمة من اللّه عليه.

وقد ثبت عنه ﷺ في « الصحيح »[2] أنه قال: « مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ[3] بِدَعْوَةٍ، إلاَّ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ مَلَكاً، كُلَّمَا دَعَا لأخِيهِ بِدَعْوَةٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِين وَلَكَ مِثْلَ ذٰلِكَ ».

وفي حديث آخر: « أَسْرَعُ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ »[4].

= (١١٠)، وابن ماجه رقم (٢٨٩٤) في المناسك: باب فضل دعاء الحاج، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي سنده عاصم بن عبيد الله العدوي، قال الحافظ في « التقريب »: ضعيف، انظر « ضعيف الجامع » للألباني رقم (٦٢٩٢) و(٦٣٩٢). قوله: « أُخَيَّ » بالتصغير.

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٧٤) في العلم: باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، وأحمد في « المسند » ٢/٣٩٧ و٥٠٥ و٥٢٠، والترمذي رقم (٢٦٧٦) في العلم: باب فيمن دعا إلى هدى فاتبع ضلالة، وأبو داود رقم (٤٦٠٩) في السنة: باب لزوم السنة، و« الموطأ » ١/٢١٨ في القرآن: باب العمل في الدعاء، وابن ماجه رقم (٢٠٦) في المقدمة: باب من سن سنة حسنة، والدارمي رقم (٥١٩) في المقدمة: باب رقم (٤٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٣٢) في الذكر والدعاء: باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، وأبو داود رقم (١٥٣٤) في الصلاة: باب الدعاء بظهر الغيب، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٣) قوله: « بظهر الغيب » معناه في غيبة المدعوّ له وفي سرّه، لأنه أبلغ في الإخلاص.

(٤) رواه أبو داود رقم (١٥٣٥) في الصلاة: باب الدعاء بظهر الغيب، والترمذي رقم (١٩٨١) في البر

فالدعاء للغير ينتفع به الداعي والمدعو له ، وإن كان الداعي دون المدعو له ، فدعاء المؤمن لأخيه ينتفع به الداعي والمدعو له . فمن قال لغيره : ادع لي وقصد انتفاعهما جميعاً بذلك، كان هو وأخوه متعاونين على البر والتقوى، فهو نبه المسؤول وأشار عليه بما ينفعهما ، والمسؤول فعل ما ينفعهما ، بمنزلة من يأمر غيره ببر وتقوى، فيثاب المأمور على فعله،والآمر أيضاً يثاب مثل ثوابه،لكونه دعا إليه ، لا سيما ومن الأدعية ما يؤمر بها العبد ، كما قال تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [محمد : ١٩] ، فأمره بالاستغفار ، ثم قال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوااللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ [النساء : ٦٤] ، فذكر سبحانه استغفارهم واستغفار الرسول لهم إذ ذاك ، مما أمر اللّه به الرسول ، حيث أمره أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ، ولم يأمر اللّه مخلوقاً أن يسأل مخلوقاً شيئاً لم يأمر اللّه المخلوق به ، بل ما أمر اللّه به العبد أمر إيجاب أو استحباب ففعله ، هو عبادة للّه ، وطاعة وقربة إلى اللّه وصلاح لفاعله وحسنة فيه . وإذا فعل ذلك كان من أعظم إحسان اللّه اليه وإنعامه عليه ، بل أجل نعمة أنعم اللّه بها على عباده أن هداهم للايمان .

والايمان : قول وعمل يزيد بالطاعة والحسنات ، وكلما ازداد العبد عملاً للخير ، ازداد إيمانه .

هذا هو الإنعام الحقيقي المذكور في قوله : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم ﴾ [الفاتحة : ٦] ، وفي قوله : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم ﴾ [النساء : ٦٩] .

بل نعم الدنيا بدون الدين . هل هي نعمة أم لا ؟ فيه قولان مشهوران

= والصلة : باب دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وفي سنده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي ، وهو ضعيف . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٩٤١) : الحديث ضعيف جداً .

للعلماء من أصحابنا وغيرهم . والتحقيق أنها نعمة من وجه . وإن لم يكن نعمة تامة من وجه .

وأما الانعام بالدين الذي ينبغي طلبه ، فهو ما أمر اللّه به ، من واجب ومستحب ، فهو الخير الذي ينبغي طلبه باتفاق المسلمين ، وهو النعمة الحقيقية عند أهل السنة ، إذ عندهم أن اللَّه هو الذي أنعم بفعل الخير . والقدرية عندهم إنما أنعم بالقدرة عليه الصالحة للضدين .

والمقصود هنا أن الله لم يأمر المخلوق أن يسأل مخلوقاً إلا ما كان مصلحة لذلك المخلوق، إما واجب ، أو مستحب، فانه سبحانه لا يطلب من العبد إلا ذلك ، فكيف يأمر غيره أن يطلب منه غير ذلك ، بل قد حرَّم على العبد أن يسأل العبد ماله إلا عند الضرورة ، وإن كان قصده مصلحة المأمور ، أو مصلحته ومصلحة المأمور ، فهذا يثاب على ذلك . وإن كان قصده حصول مطلوبه من غير قصد منه لانتفاع المأمور ، فهذا من نفسه أتى ومثل هذا السؤال لا يأمر اللّه تعالى به قط ، بل قد نهى عنه ، إذ هذا سؤال محض للمخلوق من غير قصده لنفعه ولا لمصلحته ، واللّه يأمرنا أن نعبده ونرغب اليه ، ويأمرنا أن نحسن إلى عباده ، وهذا لم يقصد لا هذا ولا هذا ، فلم يقصد الرغبة إلى اللّه ودعاءه وهو الصلاة . ولا قصد الاحسان إلى الخلق الذي هو الزكاة ، وإن كان العبد قد لا يأثم بمثل هذا السؤال ، لكن فرق ما بين ما يؤمر به العبد وما يؤذن له فيه ، ألا ترى أنه قال في حديث السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب : « إِنَّهُمْ لَا يَسْتَرِقُونَ »[1]

---

(١) رواه البخاري ١٠/ ١٣٠ ـ ١٣١ في الطب : باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ، و١٠/ ١٧٩ في الطب : باب من لم يرق ، وفي الأنبياء : باب وفاة موسى عليه السلام ، وفي الرقاق : باب من يتوكل على الله فهو حسبه ، وباب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ومسلم رقم (٢٢٠) في الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ، والترمذي (٢٤٤٨) في صفة القيامة : باب رقم (١٧) . وأحمد ١/ ٢١٧ والدارمي رقم (٢٨١٠) ، من حديث ابن عباس رضي الله عنه سيرد نصه كاملاً ص ١٩٨ .

وإن كان الاسترقاء جائزاً ، وهذا قد بسطناه في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين اللّه وبين خلقه ، كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية ، فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين عبّاد الأوثان ، كانوا يقولون : إنها تماثيل الأنبياء والصالحين ، وإنها وسائل يتقربون بها إلى اللّه ، وهو من الشرك الذي أنكره اللّه على النصارى ، حيث قال : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللّهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً وَاحِداً لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] ، أي فليستجيبوا لي إذا دعوتهم بالأمر والنهي ، وليؤمنوا بي ، أي أن أجيب دعاءهم لي بالمسألة والتضرع . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الانشراح : ٧ - ٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي البَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء : ٦٧] ، وقال تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُم خُلَفَاءَ الأَرْضِ ﴾ [النمل : ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] .

وقد بين اللّه هذا التوحيد في كتابه ، وحسم مواد الإشراك به حتى لا يخاف أحد غير اللّه ، ولا يرجو سواه ، ولا يتوكل إلا عليه ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ﴾ ، أي يخوفكم أولياءه ﴿ فَلَا تَخَافُوهُم وَخَافُونِي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] . وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ قِيلَ لَهُم كُفُّوا أَيْدِيَكُم وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُم يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ [النساء :

٧٧] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّه ﴾ [التوبة : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ [النور : ٥٢] فبين أن الطاعة للّه ورسوله .

وأما الخشية فلله وحده . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَىٰ اللَّه رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة : ٥٩] فبين أن إيتاء اللّه والرسول كما قال ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولَ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا ﴾ [الحشر : ٧] فإن الرسول هو الذي يبين ما أمر الله به وما نهى عنه وما أباحه لنا .

وأما التحسب فهو لله وحده كما قالوا : « حسبنا الله » ، ولم يقولوا : « حسبنا الله ورسوله » ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته ، ويحسم عنهم مواد الشرك ، إذ هذا تحقيق قولنا : لا إله إلا اللّه ، فان الإله هو الذي تألهه القلوب ، بكمال المحبة والتعظيم ، والاجلال والاكرام ، والرجاء والخوف ، حتى قال لهم : « لاَ تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللّهُ ، ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ »(١) .

وقال له رجل : ما شاء اللّه وشئت . فقال : « أَجَعَلْتَنِي لِلّهِ نِدّاً ؟ قُلْ مَا شَاءَ

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٩٨٠) في الأدب : باب لا يقال خبثت نفسي ، وأحمد في « المسند » ٥/٣٨٤ والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٩٨٥) ، وابن السني رقم (٦٦٦) طبعتنا ، من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (١٣٧) .

اللّهُ وَحْدَهُ »(١) .

وقال ﷺ : « مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ »(٢) .

وقال ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ »(٣) .

وقال ﷺ لابن عباس : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللّهِ ، جَفَّ القَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ ، فَلَوْ جَهِدْتَ الخَلِيقَةُ عَلَىٰ أَنْ تَنْفَعَكَ لَمْ تَنْفَعكَ إِلَّا بِشَيءٍ كَتَبَهُ اللّهُ لَكَ ، وَلَوْ جَهِدْتَ أَنْ تَضُرَّكَ لَمْ تَضُرَّكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللّهُ عَلَيْكَ »(٤) .

---

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٧٨٧) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٩٨٨) وعنه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٦٦٧) من طبعتنا ، بلفظ « أجعلتني لله عدلاً » ورواه أيضاً أحمد في « المسند » بهذا اللفظ ١/٢١٤ و ٢٨٣ و ٣٤٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه ابن ماجه رقم (٢١١٧) في الكفارات : باب النهي أن يقال : شاء الله وشئت ، بلفظ : « إذا حلف أحدكم فلا يقل : ما شاء الله وشئت ـ ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت » وهو حديث حسن وروايته بلفظ « اجعلتني لله نداً » من رواية ابن مردويه ، والمعنى واحد . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (١٣٩) .

(٢) رواه البخاري ١١/٤٦٢ في الأيمان : باب لا تحلفوا بآبائكم ، وفي مواضيع أخر ، ومسلم رقم (١٦٤٦) في الأيمان : باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى ، و« الموطأ » ٢/٤٨٠ في الأيمان : باب جامع الأيمان ، وأبو داود رقم (٣٢٤٩) في الأيمان : باب في كراهية الحلف بالآباء ، والترمذي رقم (١٥٣٤) في الأيمان : باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، والنسائي ٧/٥ في الأيمان : باب الحلف بالآباء ،وأحمد في « المسند » ٢/١١ .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٥٣٥) في النذور ، والأيمان : باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/ ٦٩ و٨٧ و١٢٥ والحاكم ٤/ ٢٩٧ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو حديث صحيح . انظر « الارواء » للألباني رقم (٢٥٦١) .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٥١٨) في صفة القيامة : باب رقم (٦٠) ، وأحمد في « المسند » ١/٢٩٣ و٣٠٣ و٣٠٧، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال . قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في«جامع العلوم والحكم »ص١٦١ : وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح ، وعمرو بن دينار ، وعبيد الله بن عبد الله ، وعمر مولى عفرة ، وابن أبي مليكة ، وغيرهم ، وقد جمع الحافظ ابن رجب الحنبلي طرق هذا الحديث وشرحه شرحاً وافياً في رسالة سماها « نور الاقتباس في وصية ابن عباس » فلتراجع ، فإنها رسالة قيمة .

وقال أيضاً : « لَا تَطْرُونِي(١) كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عَيْسَى بنَ مَرْيَمَ ، وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللّهِ ، وَرَسُولُهُ »(٢) .

وقال ﷺ : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ »(٣) .

وقال ﷺ : « لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ »(٤) .

وقال ﷺ في مرضه : « لَعَنَ اللّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا . قَالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجداً(٥) .

وهذا باب واسع ، ومع علم المؤمن أن اللّه رب كل شيء ومليكه ، فانه لا

---

(١) قوله : « لا تطروني » الإطراء : مجاوزة الحد في المدح ، والكذب فيه .

(٢) رواه البخاري ٦/٣٥٥ في أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ﴾ و ١٢/١٣١ في الحدود : باب رجم الحبلى من الـزنا إذا احصنت . والدارمي رقم (٢٧٨٧) في الرقاق : باب قول النبي ﷺ : « لا تطروني » وأحمد في المسند» ١/٢٣ و٢٤ و٤٧ و٥٥ ، من حديث عمر رضي الله عنه .

(٣) رواه مالك في « الموطأ » رقم ٨٥ في قصر الصلاة في السفر : باب جامع الصلاة مرسلاً ، ورواه أحمد في « المسند » ٢/٢٤٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسنداً ، بلفظ « اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . ورواه أيضاً ابن سعد وأبو نعيم في « الحلية » ٧/٣١٧ وهو حديث صحيح .

(٤) رواه أبو داود رقم (٢٠٤٢) في المناسك : باب في زيارة القبور ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/٣٦٧ ، والحسن بن أحمد بن ابراهيم بن فيل البالسي أبو طاهر في جزئه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده حسن ، ورواه أيضاً اسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢٠) و(٣٠) وغيره وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٥) رواه البخاري ١/٤٤٤ في الصلاة : باب الصلاة في البيعة ، و٦/٣٥٩ في أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، و٨/١٠٨ في الغزوات : باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، و١٠/٢٣٤ في الطب : باب المغفر ، ومسلم رقم (٥٣١) في المساجد ومواضع الصلاة : باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم .

ينكر ما خلقه اللّه من الأسباب ، كما جعل المطر سبباً لإنبات النبات ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ [البقرة : ١٦٤] . وكما جعل الشمس والقمر سبباً لما يخلقه بهما ، وكما جعل الشفاعة والدعاء سبباً لما يقضيه بذلك ، مثل صلاة المسلمين على جنازة الميت ، فإن ذلك من الأسباب التي يرحمه اللّه بها ، ويثيب عليها المصلين عليه .

لكن ينبغي أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور :

أحدهما : أن السبب المعين لا يستقبل بالمطلوب ؛بل لا بد معه من أسباب أخر ، ومع هذا فلها موانع ، فان لم يكمل اللّه الأسباب ، ويدفع الموانع ، لم يحصل المقصود ، وهو سبحانه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس ، وما شاء الناس لا يكون إلا أن يشاء اللّه .

الثاني : أن لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم ، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم ، أو يخالف الشرع كان مبطلاً ، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء .

وقد ثبت في « الصحيحين »[1] عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال : « إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ »[2] .

---

(١) رواه البخاري ١١/٤٣٧ في القدر : باب إلقاء العبد النذر إلى القدر ، وفي الأيمان والنذور : باب الوفاء بالنذر ، ومسلم رقم (١٦٣٩) في النذر : باب النهي عن النذر ، وأنه لا يرد شيئاً ، وأبو داود رقم (٣٢٨٧) في الأيمان والنذور : باب النهي عن النذر ، والنسائي ٧/١٥ و١٦ في الأيمان والنذور : باب النهي عن الـنذر وباب النذر لا يقدم شيئاً ولا يؤخره ، من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(٢) قوله : « إنما يستخرج منه البخيل » معناه أنه لا يأتي بهذه القربة تطوعاً محـضاً مبتدأ ، وإنما يأتي بها في مقابلة شفاء المريض وغيره، مما تعلق النذر عليه .

الثالث : أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سبباً إلا أن تكون مشروعة ، فان العبادات مبناها على التوقيف ، فلا يجوز للانسان أن يشرك بالله فيدعو غيره وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه .

ولذلك لا يعبد الله بالبدع المخالفة للشريعة ، وإن ظن ذلك ، فان الشياطين قد تعين الانسان على بعض مقاصده إذا أشرك .

وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان بعض أغراض الانسان ، فلا يحل له ذلك ، إذ المفسدة الحاصلة بذلك أعظم من المصلحة الحاصلة به ، إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكمليها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها .

فما أمر الله به فمصلحته راجحة ، وما نهى عنه فمفسدته راجحة ، وهذه الجمل لها بسط لا تحمله هذه الوريقات ، والله أعلم .

والحمد لله وحده ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله وسلم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

هدية طيبة

تأليف
الشيخ الامام العالم محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه ، والصلاة على نبيِّه .

سئل الشيخ رحمه اللّه تعالى عن معنى : لا إله إلا اللّه .

فأجاب بقوله : اعلم رحمك اللّه أن هذه الكلمة هي الفارقة بين الكفر والاسلام ، وهي كلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها ، فان المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار ، مع كونهم يصلُّون ويتصدقون ، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ، ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض من خالفها ، ومعاداته ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ مُخْلِصاً » وفي رواية : « خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ » وفي رواية : « صَادِقاً مِنْ قَلْبِهِ »[1] .

---

(١) رواه البخاري ١٧٣/١ و ١٧٤ في العلم : باب الحرص على الحديث ، و ٣٨٥/١١ في الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وأحمد في « المسند » ٣٧٣/٢ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ولفظه : قلت للنبي ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال النبي ﷺ « لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك ، لما رأيت من حرصك على الحديث ، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة : من قال لا إله إلا الله خالصة من قلبه أو نفسه» .

وفي حديث آخر : « مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللّٰهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ »[1] .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .

فاعلم أن هذه الكلمة نفي وإثبات ؛ نفي الإلٰهية عما سوى اللّٰه تعالى من المخلوقات ، حتى محمد صلى اللّٰه عليه وسلم ، وجبريل ، فضلاً عن غيرهم من الأولياء والصالحين .

إذا فهمت ذلك ، فتأمل هذه الألوهية التي أثبتها اللّٰه لنفسه ، ونفاها عن محمد وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة من خردل .

فاعلم أن هذه الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا : السر والولاية .

والإلٰه معناه : الولي الذي فيه السر ، وهو الذي يسمونه : الفقير والشيخ ، وتسميه العامة : السيِّد ، وأشباه هذا ، وذلك أنهم يظنون أن اللّٰه جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الانسان يلتجىء إليهم ، ويرجوهم ، ويستغيث بهم ، ويجعلهم واسطة بينه وبين اللّٰه فالذي يزعم أهل الشرك في زماننا أنهم وسائط ، هم الذين يسميهم الأولون : الآلهة . والواسطة : هو الإلٰه . فقول الرجل : لا إلٰه إلا اللّٰه ، إبطال للوسائط . وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة ، فذلك بأمرين :

الأول : أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول اللهﷺ ، وقتلهم ، ونهب أموالهم ، واستحل نساءهم ، كانوا مقرِّين لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ، ولا يرزق ، ولا يحيي ، ولا يميت ، ولا يدبر الأمور إلا اللّٰه وحده ، كما

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣) في الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ، وأحمد في « المسند » ٤٧٢/٣ من حديث طارق بن أشيم الأشجعي والد أبي مالك رضي الله عنهما .
وتتمته : « حَرُمَ مالُهُ ودمُه وحسابُهُ على الله » .
تقدم تخريجه ص (٥٠) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ [يونس : ٣١] .

وهذه مسألة عظيمة مهمة ، وهي أن تعرف أن الكفار شاهدون بهذا كله ، ومقرّون بها ، ومع هذا لم يدخلهم ذلك في الاسلام ، ولم يحرِّم دماءهم ولا أموالهم ، وكانوا أيضاً يتصدقون ، ويحجون ، ويعتمرون ، ويتعبدون ، ويتركون أشياء من المحرمات خوفاً من اللّه عز وجل .

ولكن الأمر الثاني : هو الذي كفَّرهم ، وأحلَّ دماءهم وأموالهم ، وهو أنهم لم يشهدوا للّه بتوحيد الألوهية ، وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا اللّه وحده لا شريك له ، ولا يستغاث بغيره ، ولا يذبح لغيره ، ولا ينذر لغيره ، لا لملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، فمن استغاث بغيره فقد كفر ، ومن ذبح لغيره فقد كفر ، ومن نذر لغيره فقد كفر ، وأشباه ذلك .

وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين ، مثل : الملائكة ، وعيسى ، وعزير ، وغيرهم من الأولياء ، فكفروا بهذا ، مع إقرارهم بأن اللّه هو الخالق ، الرازق ، المدبر .

إذا عرفت هذا ، عرفت معنى : لا إله إلا اللّه ، وعرفت أن من نخا نبياً ، أو ملكاً ، أو ندبه ، أو استغاث به ، فقد خرج من الاسلام ، وهذا هو الكفر الذي قاتلهم عليه رسول اللّه ﷺ .

فان قال قائل من المشركين : نحن نعرف أن اللّه هو الخالق ، الرازق ، المدبر ، ولكن هؤلاء الصالحين مقرَّبون ، ونحن ندعوهم وننذر لهم ، وندخل عليهم ، ونستغيث بهم ، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة ، وإلا فنحن نفهم أن اللّه

هو الخالق المدبر .

فقل : كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله ، فانهم يدعون عيسى ، وعزيراً ، والملائكة ، والأولياء ، يريدون ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّه زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر : ٣] . وقال : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَآءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] .

فاذا تأملت هذا تأملاً جيداً ، عرفت أن الكفار يشهدون للّه بتوحيد الربوبية ، وهو تفرد بالخلق والرزق والتدبير ، وهم ينخون[1] عيسى ، والملائكة ، والأولياء ، يقصدونهم لأنهم يقرِّبونهم إلى اللّه ، ويشفعون عنده .

وعرفتَ أن من الكفار ، خصوصاً النصارى منهم من يعبد اللّه الليل والنهار ، ويزهد في الدنيا ، ويتصدق بما دخل عليه منها ، معتزل في صومعة عن الناس ، ومع هذا كافر عدو للّه ، مخلَّد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء ، يدعوه ، أو يذبح له ، أو ينذر له ، تبين لك كيف صفة الاسلام الذي دعا اليه نبيّك ﷺ ، وتبين لك أن كثيراً من الناس عنه بمعزل ، وتبين لك معنى قوله ﷺ : « بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ »[2] .

---

(١) أي يقصدون .

(٢) رواه مسلم رقم (١٤٦) في الإيمان : باب بيان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وتمامه «وهو يأرز بين المسجدين ،كما تأرز الحية في جحرها » ، ورواه أحمد ٢ / ٣٨٩ ، ومسلم رقم (١٤٥) ، وابن ماجة رقم (٣٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وتمامه «فطوبى للغرباء» ، وأحمد ٤ / ٧٣ من حديث عبد الرحمن بن سنة وتمامه «قيل : يا رسول الله! من الغرباء؟ قال : «الذين يصلحون إذا فسد الناس»، ورواه أحمد ١ / ١٨٤ من حديث سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه،ورواه أحمد ١ / ٣٩٨،والدارمي رقم (٢٧٥٨)،والترمذي رقم(٣٦٣١)،وابن ماجة رقم (٣٩٨٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وللحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله =

فاللّه اللّه يا إخواني ، تمسَّكوا بأَصل دينكم ، وأوله وآخره ، وَأُسِهِ ورأسه ، شهادة أن لا إله إلا اللّه ، واعرفوا معناها وأحبُّوها ، وأحبـوا أهلها ، واجعلوهم إخوانكم ، ولوكانوا بعيدين ، واكفروا بالطواغيت وعادوهم ، وأَبغضوهم وأبغضوا من أحبهم أو جادل عنهم أو لم يكفِّرهم ، أو قال : ما عليَّ منهم ، أو قال : ما كلفني اللّه بهم ، فقد كذب هذا على اللّه وافترى ، فقد كلفه اللّه بهم ، وافترض عليه الكفر بهم ، والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم .

فاللّه اللّه ، تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم ، لا تشركون به شيئاً ، اللهم توفَّنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

ولنختم الكلام بآية ذكرها اللّه في كتابه تبيِّن لك أنَّ كفْر المشركين من أهل زماننا أعظم كفراً من الذين قاتلهم رسـول اللّه ﷺ ، قال اللّه تعـالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُم إِلَىٰ الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً ﴾ [الإسراء : ٦٧] .

فقد سمعتم أن اللّه سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسَّهم الضر تركوا السادة والمشايخ ، ولم يستغيثوا بهم ، بل أخلصوا للّه وحده لا شريك له ، واستغاثوا به وحده ، فاذا جاء الرخاء أشركوا .

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعلَّ بعضهم يدَّعي أنه من أهـل العلم ، وفيه زهد ، واجتهاد ، وعبادة ، إذا مسه الضر قام يستغيث بغير اللّه ، مثل معروف الكرخي ، أو عبـد القادر الجيـلاني ، وأجلَّ من هؤلاء ، مثـل زيد بن الخطاب ، والزبير ، وأجلَّ من هؤلاء ، مثل رسول اللّه ﷺ . فاللّه المستعان .

= رسالة في هذه الأحاديث وشرحها سماها « كشف الكربة في وصف أهل الغربة » وهو تحت الطبع ، من مطبوعات « مكتبة دار البيان » بدمشق .

وأعـظم من ذلك وزراً أنهم يستغيثـون بالـطواغيت ، والكفـرة والمـردة ، مثـل شمسان ، وإدريس ، ويونس وأمثالهم[1] ، واللّه سبحانه أعلم .

الحمد للّه أولاً وآخراً ، وصلى اللّه عَلَىٰ خير خلقه محمد وآله أجمعين .

* * *

(١) « إدريس » و « يونس » ليس المقصود منهما النبيين الكريمين صلى الله عليهما وسلم بل هما اسمان لبعض الطغاة والكفرة ممن تسمى بهذين الاسمين . والله أعلم .

أوثق عرى الايمان
الحب في الله والبغض في الله

تأليف

العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
رحمهم اللّه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد للّه رب العالمين .

اعلم أولاً أيَّدك اللّه بتوفيقه ، أن أوثق عرى الايمـان : الحب في اللّه ، والبغض في اللّه ، وهذا وجهه في أهل بلد مرتدِّين ، أو بادية ، وهم بنو عم ، ويجيء لهم ذكر عند الأمراء ، فيتسبب بالدفع عنهم حميَّة دنيويـة ، إما بـطرح نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم ، هل يكون هذا موالاة نفاق ، أو يصير كفراً ؟ فان كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبِّهم ، ما حكمه ؟ وكذلك إذا عرفت هذا من إنسان ، ماذا يجب عليك ؟ أفتنا مأجوراً .

فـأقول : أولاً : إن اللّه افتـرض على المؤمنين عداوة المشـركين ، من الكفار ، والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين يعرفون بالنفاق ، ولا يؤمنون باللّه ورسوله ﷺ ، وأمرهم بالجهاد ، والإغلاظ عليهم بالقول والفعـل ، وتوعـدهم باللعن والقتل، كقوله: ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦١] .

وقطع الموالاة بين المؤمنين وبينهم ، وأخبر أن من تولاهـم فهـو منهم ، وكيف يدَّعي رجل محبَّة اللّه وهو يحب أعـداءه الذين ظـاهروا الشيـاطين على

عدوانهم واتخذوهم أولياء من دون اللّه ؟ كما قيل :

تُحِبُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّنِي صَدِيقُكَ إِنَّ الوِدَّ عَنْكَ لَعَازِبُ

وبالجملة : فالحب في اللّه ، والبغض في اللّه أصل عظيم من أصول الايمان ، يجب على العبد مراعاته ولهذا جاء في الحديث : « أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيمَانِ : الحُبُّ فِي اللّهِ ، وَالبُغْضُ فِي اللّهِ »(١) .

ولذلك أكثر اللّه من ذكره في القرآن . قال تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا مِنْهُم تُقَاةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

قال بعض المفسرين : نهوا أن يوالوا الكافرين ، كقرابة بينهم ، أو صداقةٍ قبل الاسلام ، أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر .

وقوله : ﴿ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار ، فلا تؤثروهم عليهم ؛ ومن يفعل ذلك فليس من اللّه في شيء : أي ومن يتول الكفرة ، فليس من ولاية اللّه في شيء يقع عليه اسم الولاية ، يعني أنه منسلخ من ولاية اللّه رأساً . وهذا أمر معقول ، فان موالاة الوالي وموالاة عدوه متنافيان ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا مِنْهُم تُقَاةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] فرخص في موالاتهم إذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم إلا بذلك ، وكانوا مقهورين لا يستطيعون إظهار العداوة لهم ؛ فحينئذٍ تجوز المعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٤ / ٢٨٦ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وفي سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف ، ورواه أيضاً الطبراني والبغوي في « شرح السنة » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي سنده حنش وهو متروك ، والطيالسي وابن أبي شيبة والطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .
قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٧٢٨) : الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل ، والله أعلم . انظر « مجمع الزوائد » ١/ ٨٩ - ٩٠ .

بالعداوة والبغضاء ، ينظر زوال المانع ، كما قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بِالإِيْمَانِ ﴾ [النحل : ١٠٦] .

قال ابن عباس : ليس التقية بالعمل ، إنما التقية باللسان . قال أيضاً : نهى اللّه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجةً من دون المؤمنين ، إلا أن يكون الكفار ظاهرين ، فيظهرون لهم اللطف ، ويخالفوهم في الدين ، وذلك قوله : ﴿ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُم تُقَاةً ﴾ ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم(١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُم ﴾ الآية [آل عمران : ١١٨] . قال القرطبي : لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُم أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم ﴾ إلى آخر قوله : ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الغَالِبُونَ ﴾ [المائدة : ٥١ ـ ٥٦] .

قال حذيفة : ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر ، لهذه الآية : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنكُم فَإِنَهُ مِنْهُم ﴾ [المائدة : ٥١] .

قال مجاهد في قوله تعالى : ﴿ فَتَرَىٰ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم ﴾ [المائدة : ٥٣] قال : المنافقون في مصانعة اليهود، ومداخلتهم ، واسترضاعهم أولادهم إياهم .

وقال عَلي رضي اللّه عنه في قوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] قال : أهل رِقَّة على أهل دينهم ﴿ أَعِزَةٍ عَلَىٰ الكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، قال : أهل غلظة على من خالفهم في دينهم . وكذا نقل معناه

---

(١) انظر تفسير « ابن كثير » عند تفسير الآية (٢٨) من سورة آل عمران .

عن غير واحد من السلف .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُم هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُم وَالكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة : ٥٧] ، وقال تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُم يَتَوَلَّـوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِم وَفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة : ٨٠] ، والآية بعدها .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِم وَمَأْوَاهُم جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣] . فقد أمر اللّه بجهاد الكفار والمنافقين مع دعواهم الاسلام ، وأمر بالإغلاظ عليهم قولاً وفعلاً .

وقال ابن عباس رضي اللّه عنهما في الآية : ﴿ جَاهِدِ الكُفَّارَ ﴾ بالسيف ﴿وَالمُنَافِقِينَ ﴾ باللسان ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِم ﴾ قال : أذهب الرفق عنهم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ﴿جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ﴾ ، قال : بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وليلقه بوجه مكفهِر ، أي عابس متغير من الغيظ والبغض . ذكره ابن أبي حاتم ، وجاء ـ معناه في حديث ـ مرفوعاً ، رواه البيهقي في « الشعب » .

وقال تعالى : ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُم أَوْ أَبْنَـاءَهُم ﴾ الآية [المجادلة : ٢٢] . نفى سبحانه وتعالى الايمان عمَّن هذا شأنه ، ولو كانت مودته ومحبته ومناصحته لأبيه وأخيه وابنه ونحوهم ، فضلاً عن غيرهم .

وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَىٰ الَّـذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] ، قال ابن عباس : ولا تركنوا ، قال : لا تميلوا . وقال عكرمة : أن تطيعوهم ، أو تودوهم ، أو تصطنعوهم . ومعنى تصطنعوهم : أي تولوهم الأعمال ، كمن يولي الفسَّاق والفجَّار .

وقال الثوري : ومن لاق[1] لهم دواة، أو برى لهم قلماً ، أو ناولهم قرطاساً دخل في هذا . قال بعض المفسرين في الآيـة : النهي متناول لـلانحطاط في هـواهم ، والانقـطاع إليهم ، ومصـاحبتهم ، ومجـالستهم ، وزيـارتهـم ، ومداهنتهم ، والرضى بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيّ بزيهم ، ومد العين إلى زهرتهم ، وذكره بما فيه تعظيم لهم. وتأمل قوله : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا ﴾ والركون : هو الميل اليسير .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ إلى قوله : ﴿ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُـونَ ﴾ [الممتحنة : ١ - ٩] . وصـح أن صدر هـذه السورة نـزلت في حاطب بن أبي بلتعـة ، لمـا كتب إلى المشركين يخبرهم بمسير رسول اللّه ﷺ إليهم[2] .

وجاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمَاً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ الآية [المجادلة : ٢٢] : أنها في أبي عبيدة بن الجراح لما قتل أباه يوم بدر كما رواه الطبراني ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وغيرهم[3] .

وعن ابن جريج، قال: حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ، فصكه أبو بكر صكة سقط ؛ فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال : « أَفَعَلْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ » فَقَال :

---

(١) لاق الدواة : فلاقت ، لزق المداد بصوفها ، والاسم منه اللِّيقَة .

(٢) الحديث رواه البخاري ٧/ ٤٠٠ من حديث علي رضي الله عنه ، في المغازي ، باب فتح مكة ، وباب فضل من شهد بدراً ، وفي الجهاد ، باب الجاسوس ، وباب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن ، وتفسير سورة الممتحنة في فاتحتها ، وفي الاستئذان ، باب من نظر في كتاب من يحذر من المسلمين ليستبين أمره ، وفي استتابة المرتدين باب ما جاء في المتأولين . ومسلم رقم (٢٤٩٤) في فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة .

(٣) قال الحافظ ابن كثير : وقيل نزلت في الصديق همَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن ، وفي مصعب بن عمير ، قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ، وفي عمر قتل قريباً له ، وفي حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ ، والله اعلم . اهـ .

واللّه لو كان السيف قريباً مني لضربته . فنزلت : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ . رواه ابن المنذر .

وهذا واللّه أعلم في أول الإسلام ، فإن أبا قحافة أسلم عام الفتح ، فلم يكن ليسب النبي ﷺ بعد الإسلام ، وأبو بكر خرج مهاجراً من مكة ، ولم يعد إليها إلا بعد الإسلام في عمرة مع النبي ﷺ .

وقال ابن عباس رضي اللّه عنهما: من أحب في اللّه ، وأبغض في اللّه ، وعادى في اللّه ، ووالى في اللّه ، فإنما تنال ولاية اللّه بذلك . رواه ابن أبي شيبة ، وابن أبي حاتم .

وفي حديث رواه أبو نعيم وغيره عن ابن مسعود قال : قال رسول اللّه ﷺ : « أَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِياءِ أَنْ قُلْ لِفُلَانٍ العَابِدِ أَمَّا زُهْدُكَ فِي الدُّنْيَا فَتَعَجَّلْتَ بِهِ رَاحَةَ نَفْسِكَ ، وَأَمَّا انْقِطَاعُكَ إِلَيَّ فَتَعَزَّزْتَ بِهِ ، فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا لِي عَلَيْكَ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ! وَمَا لَكَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : هَلْ وَالَيْتَ لِي وَلِياً ، أَوْ عَادَيْتَ لِي عَدُوّاً »[1] .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣] ، فعقد تعالى الموالاة بين المؤمنين ، وقطعهم من ولاية الكافرين ، وأخبر أن الكفار بعضهم أولياء بعض ، وإن لم يفعلوا ذلك وقع من الفتنة والفساد الكبير شيء عظيم وكذلك يقع . فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد وعلم الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر إلا بالحب في اللّه ، والبغض في اللّه ، والمعاداة في اللّه ، والموالاة في اللّه ؟ ولو كان الناس

---

(١) قال المناوي في «فيض القدير» ٣/ ٧٠ ـ ٧١ : رواه أبو نعيم في «الحلية» والخطيب في «التاريخ» في ترجمة محمد بن الورد الزاهد ، وفيه علي بن عبد الحميد ، قال الذهبي : مجهول ، وخلف بن خليفة أورده في الضعفاء ، وقال : ثقة كذبه ابن معين . ا هـ .

متفقين على طريقة واحدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل ، ولا بين المؤمنين والكفار ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان[١] ، والآيات في هذا كثيرة .

وأما الأحاديث : فروى أحمد عن البراء بن عازب : « أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ : الحُبُّ في اللّهِ ، وَالبُغْضُ فِي اللّهِ »[٢] .

وفي حديث مرفوع : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِلْفَاجِرِ عِنْدِي يَداً ، وَلَا نِعْمَةً فَيَوَدُّهُ قَلْبِي ، فَإِنِّي وَجَدْتُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ :﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة : ٢٢] » . رواه ابن مردويه وغيره[٣] .

عن أبي ذرّ مرفوعاً : « أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الحُبُّ فِي اللّهِ ، والبُغْضُ فِي اللّهِ » . رواه أبو داود ، ورواه أحمد مطولاً[٤] .

وفي « الصحيحين »[٥] : عن ابن مسعود مرفوعاً : « المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » .

---

(١) انظر كتاب « الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله «في هذه المجموعة ص (٥٣٦) .

(٢) تقدم تخريج الحديث ص (١٤٤) .

(٣) قال ابن كثير في تفسيره : وقال نعيم بن حماد : « حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن » فذكره ، والحديث من مراسيل الحسن البصري .

(٤) رواه أحمد في «المسند» ١٤٦/٥ وأبو داود رقم (٤٥٩٩) في السنة : باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم ، من حديث يزيد بن أبي زياد الهاشمي ، عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، ويزيد بن أبي زياد الهاشمي ، ضعيف ، وفيه أيضاً جهالة الرجل الراوي عن أبي ذر رضي الله عنه ، ويشهد له بالمعنى حديث « أوثق عرى الايمان : الحب في الله والبغض في الله » .

(٥) رواه البخاري ٤٦٢/١٠ في الأدب :باب علامة حب الله عز وجل ،ومسلم رقم (٢٦٤١) في البر والصلة : باب المرء مع من أحب ، وأحمد في «المسند» ٣٩٢/٤ و ٣٩٥ و ٣٩٨ و ٤٠٥ .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : « لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِناً ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ » رواه ابن حبان في « صحيحه »[1] .

وعن علي مرفوعاً : « لَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً إِلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ » رواه الطبراني بإسناد جيِّد . قاله ابن المنذر .

وقد روى أحمد معناه : عن عائشة بإسناد جَيِّدٍ عنها مرفوعاً : « الشِّرْكُ أَخْفَىٰ في أُمَّتِي مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَىٰ الصَّفَا فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ ، وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الجَوْرِ ، أَوْ تُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ العَدْلِ ، وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالبُغْضُ فِي اللَّهِ؟ » قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ الآية [آل عمران : ٣١] ، رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد[2] .

فقد جعل النبي ﷺ في هذا الحديث : الحب على شيء من الجور وإن قل ، والبغض على شيءٍ من العدل وإن قلَّ من الشرك ، فليحذر أشد الحذر من موادة أعداء اللّه من الكفار والمنافقين .

وعن بريدة مرفوعاً : « لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّد ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ » رواه أبو داود ، والنسائي بإسناد صحيح . ورواه الحاكم ولفظه : « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِلْمُنَافِقِ : يَا سَيِّدِي فَقَدْ أَغْضَبَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » وقال :

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٨٣٢) في الأدب : باب من يؤمر أن يجالس ، والترمذي رقم (٢٣٩٧) في الزهد : باب صحبة المؤمن ، وإسناده حسن ، وصححه ابن حبان رقم (٢٠٤٩) «موارد» ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) قال المناوي في « الفَيض » ٤/ ١٧٤ : رواه الحكيم في « نوادر الأصول » والحاكم في « التفسير » وأحمد كلهم عن عائشة رضي الله عنها ، وقال الحاكم : صحيح وتعقبه الذهبي في « التلخيص » بأن فيه عبد الأعلى بن أعين قال الدارقطني : غير ثقة ، وقال في « الميزان » عن العقيلي : جاء بأحاديث منكرة وساق هذا منها ، وقال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج بها . اهـ . قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٦٢٤) : صحيح بشواهده وطرقه .

صحيح الإسناد[1] .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : «مَثَلُ الَّذِي يُعينُ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الحَقِّ كَمَثَلِ بَعِيرٍ[2] تَرَدَّى فِي بِئْرٍ ، فَهُوَ يَنْزِعُ بِذَنْبِهِ » رواه أبو داود ، وابن حبان[3] .

قال ابن المنذر : ومعنى الحديث أنه وقع في الإثم ، وهلك البعير إذا تردى في بئر ، فصار ينزع بذنبه فلا يقدر على الخلاص . والأحاديث في ذلك كثيرة .

فصـل
في ذكر الآثار عن السلف

وهي كثيرة ، فنذكر منها بعضها :

قال اللّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٨ـ ١١٩] والآية بعدها.

قال ابن عبَّاس في الآية : رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود ، لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهليـة ، فأنـزل اللَّه فيهم ينهاهم عن بطانتهم لخوف الفتنة عليهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِن دُونِكُم لَا يَأْلُونَكُم خَبَالاً ﴾ قال : هم المنافقون رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه قيل له : إن هاهنا غـلاماً من

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٩٧٧) في الأدب : باب لا يقول المملوك ربي وربتي ، والبخاري في « الأدب المفـرد » رقم (٧٦٠) وأحمـد في « المسنـد » ٣٤٦/٥ ـ ٣٤٧ والنسـائي في « عمـل اليـوم والليلة » رقم (٢٤٤) ، وعنـه ابن السني رقم (٣٩١) والحـاكم ٣١١/٤ . فـالحـديث صحيح ، كما قال الألباني في «الأحاديث الصحيحة » رقم (٣٧١) .

(٢) قال الخطابي رحمه الله تعالى : معناه : أنه قد وقع الإثم وهلك كالبعير إذا تردى في بئـر فصار ينزع بذنبه ، ولا يقدر على خلاصه .

(٣) رواه أبو داود رقم (٥١١٧) في الأدب : باب في العصبية ، وابن حبان رقم (١١٩٨) ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١/ ٣٩٣ و٤٠١ و٤٤٩ ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٧١٤) .

أهل الحيرة ، حافظاً ، كاتباً فلو اتخذته كاتباً ؟ قال : قد اتخذت إذاً بطانة من دون المؤمنين . رواه ابن أبي شيبة[1] .

وعن الربيع : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً ﴾ قال : لا تستدخلوا المنافقين تتولونهم دون المؤمنين .

وفي « تفسير القرطبي » في الكلام على هذه الآية : نهى اللّه سبحانه وتعالى المؤمنين بهذه الآية أن يتخذوا من الكافرين واليهود وأهل الأهواء دخلاً وولجاً يفاوضونهم في الآراء ، ويسندون إليهم أمورهم . ويقال : كلّ من كان على خلاف دينك ومذهبك لا ينبغي أن تخادنه . قال :

عَنِ المَـرْءِ لَا تَسْـأَلْ عَنْ قَـرِينِـهِ ... فَكُـلُّ قَـرِينٍ بِـالمُقَـارَنِ يُـقْتَـدِي

وفي « سنن أبي داود » عن أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ قال : « المَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلِ »[2] .

وروي عن ابن مسعود رضي اللّه عنه أنه قال : « اعتبروا الناس بأخدانهم » . ثم بين المعنى الذي لأجله ورد النهي عن المواصلة . قال : ﴿ لا يؤلونكم خبالاً ﴾ يعني فساداً ، يعني لا يتركون فسادكم . قال : وقد مر أبو موسى الأشعري على عمر رضي اللّهُ عنه بحساب ، فدفعه إلى عمر فأعجبه ، فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس ؟ فقال : إنه لا يدخل المسجد . فقال: لما؟ أجنبٌ هو؟ قال: إنه نصراني ، قال: فانتهره، وقال: لا تدنيهم وقد أقصاهم اللّه، ولا تكرمهم وقد أهانهم اللّه، ولا تأمنهم وقد خونهم اللّه.

---

(١) قال ابن كثير : « قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو أيوب محمد بن الوزان حدثنا عيسى بن يونس ، عن أبي حيان التيمي ، عن أبي الزنباع ، عن ابن أبي دهقانة » فذكره . ثم قال ابن كثير : « ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة . . . » .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٨٣٣) في الأدب : باب من يؤمر أن يجالس ، والترمذي رقم (٢٣٧٩) في الزهد : باب رقم (٤٥) وأحمد ٢ / ٣٠٣ و٣٣٤ ، والحاكم ٤/ ١٧١ وإسناده حسن . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٩٢٧) .

ومن كتاب الإمام محمد بن وضاح قال : سئل ابن . . .[1] جاء في الأثر : « مَنْ جالَسَ صَاحِبَ بُدْعَةٍ فَقَدْ مَشَىٰ فِي هَدْمِ الإِسْلَامِ »[2] .

وقال الأوزاعي : كانت أسلافكم تشهد عليهم - أي على أهل البدع - ألسنتهم ، وتشمئز منهم قلوبهم ، ويحذرون الناس بدعتهم[3] .

وقال الحسن : لا تجالس صاحب بدعة ، فانه يمرض قلبك[4] .

وقال إبراهيم : « لا تجالسوا أهل البدع ولا تكلموهم ، فإني أخاف أن ترتد قلوبكم » . روى هذه الآثار ابن وضاح[5] .

قال شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه : اعلم رحمك اللّه أن كلام السلف في معاداة أهل البدع والضلالة انتهى ، فإذا كان هذا كلام السلف وتشديدهم في معاداة أهل الضلالات ، ونهيهم عن مجالسهم ، فما ظنك بمجالسة الكفار والمنافقين ، وجفاة الأعراب الذين لا يؤمنون بالله ورسوله ، والسعي في مصالحهم ، والذب عنهم ، وتحسين حالهم ، مع كونهم بين اثنتين ، إما كافر أو منافق ، ومن يهتم بمعرفة الاسلام منهم قليل ، فهذا من رؤوسهم وأصحابهم ، وهو معهم يحشر يوم القيامة : قال تعالى : ﴿ احْشُروا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُم ﴾ الآية [الصافات : ٢٢] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ [التكوير : ٧] وقد تقدَّم الحديث : «لَا يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً إلَّا حُشِرَ مَعَهُمْ »[6] .

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) رواه ابن وضاح في « مجمعه » رقم (١٣) عن أسد بن موسى طبعة دار البيان بدمشق .

(٣) رواه ابن وضاح في « مجمعه » رقم (٦) .

(٤) رواه ابن وضاح في « مجمعه » رقم (١٣٣) وفي سنده مجهول .

(٥) رواه ابن وضاح في « مجمعه » رقم (١٤١) .

(٦) ص ١٥٠ .

فصل

في التنبيه على حاصل ما تقدم

قد نهى اللّه سبحانه عن موالاة الكفار ، وشدد في ذلك ، وأخبر أن من تولاهم فهو منهم ، وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ ، وأخبر النبي ﷺ « أن من أحب قوماً حشر معهم » .

ويفهم مما ذكرنا من الكتاب والسنة والآثار عن السلف أمور ، من فعلها دخل في تلك الآيات ، وتعرض للوعيد بمسيس النار ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه .

أحدها : التولي العام . الثاني : المودة والمحبة الخاصة . الثالث : الركون القليل . قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِم شَيْئاً قَلِيلاً * إذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْفَ المَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾ [الاسراء : ٧٤ - ٧٥] فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلاة الله وسلامه عليه ، فكيف بغيره ؟

الرابع : مداهنتهم ، ومداراتهم . قال اللّه تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم : ٩] .

الخامس : طاعتهم فيما يقولون ، وفيما يشيرون ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ [الكهف : ٢٨]، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِع كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴾ الآيات [القلم : ١٠ - ١٦] .

السادس : تقريبهم في الجلوس ، والدخول على أمراء الاسلام .

السابع : مشاورتهم في الأمور .

الثامن : استعمالهم في أمر من أمور المسلمين ، أي أمر كان ، إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك .

التاسع : اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين .

العاشر : مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم .

الحادي عشر : البشاشة لهم والطلاقة .

الثاني عشر : الإكرام العام .

الثالث عشر : استئمانهم وقد خوَّنهم اللّه .

الرابع عشر : معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل ، كبري القلم ، وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم .

الخامس عشر : مناصحتهم .

السادس عشر : اتباع أهوائهم .

السابع عشر : مصاحبتهم ومعاشرتهم .

الثامن عشر : الرضى بأعمالهم ، والتشبه بهم ، والتزيي بزيهم .

التاسع عشر : ذكر ما فيه تعظيم لهم ، كتسميتهم سادات وحكماء ؛ كما يقال للطاغوت : السيد فلان ، أو يقال لمن يدعي علم الطب : الحكيم ، ونحو ذلك .

العشرون : السكنى معهم في ديارهم ، كما قال ﷺ : «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكِينَ وَسَكَنَ مَعَهُمْ ؛ فَإِنَّهُ مِثْلُهُمْ» . رواه أبو داود[1] .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٨٧) في الجهاد : باب في الاقامة بأرض الشرك من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ، واسناده ضعيف ، وله شاهد عند الترمذي رقم (١٦٠٥) في السير ، وأبي داود رقم (٢٦٤٥) في الجهاد ، من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا : يا رسول الله لـِمَ ؟ قال لا =

إذا تبين هذا ، فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم ، أو مع غيرهم ، كما في آية المجادلة ، وحينئذ فالذي يتسبب بالدفع عنهم حميَّة إما بطرح نكال ، أو دفن نقائص المسلمين ، أو يشير بكف المسلمين عنهم ؛ من أعظم الموالين المحبين للكفار من المرتدين والمنافقين وغيرهم ، خصوصاً المرتدين ينبغي أن تكون الغلظة عليهم أشد من الكافر الأصلي ، لأن هذا عادى اللَّه على بصيرة ، وعادى رسوله ﷺ بعدما عرف الحق ثم أنكره وعاداه ، والعياذ باللَّه .

فإذا كان من أعان ظالماً ، فقد شاركه في ظلمه ، فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم ؟ ! وإذا كان من أعان ظالماً مسلماً في خصومة ظلم تكون عند حاكم ، شريكاً لظالم ، فكيف بمن يعين الكفار ، ويذبُّ عنهم عند الأمراء ؟ !

وإذا كان الحراميَّة الذين يأخذون أموال الناس ، إذا بذلوا للأمير مالاً على أن يكف عنهم ، فهو رئيسهم ، فما ظنك بمن يسرّ إلى الكفار بالمودة ؟ ويُعلمهم أنه يحبهم ليواصلوه ويكرموه ، كما نص على ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية قدس اللَّه روحه وغيره ، لكن طرح النكال إن كان عن مسلم مظلوم ، فالشفاعة فيه والسعي في إسقاطه بالرأي ونحوه حسن . وإن كان عن مرتد ، فلا نعماً لعثرته ولا كرامة .

ويكفي في ذلك ما رواه أحمد والترمذي وحسّنه ، وابن أبي حاتم ، والطبراني ، والحاكم وصححه ، عن ابن مسعود ، قال : لما كان يوم بدر جيء

= تراءى ناراهما » ، وقال الترمذي : وأكثر أصحاب اسماعيل قالوا : عن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم ان رسول الله ﷺ . . . الحديث ، يعني أنه مرسل ، وقال : المرسل أصح ، وقد صحح البخاري ، وأبو حاتم ، وأبو داود ، والدارقطني ، إرساله إلى قيس بن أبي حازم فالحديث حسن . وقد تقدم ص (٦٦) .

بالأسرى وفيهم العباس ، فقال رسول اللّه ﷺ : «مَا تَأْمُرُونَ فِي هٰؤُلَاءِ الأَسْرَى ؟ » فقال أبو بكر : قومك يا رسول اللّه وأهلك ، فاستبقهم لعل اللّه يتوب عليهم . وفي حديث أنس ، عند أحمد : نرى أن تعفو عنهم ، وتقبل منهم الفداء رجع الحديث إلى ابن مسعود ، فقال عمر : يا رسول اللّه ! كذبوك ، وأخرجوك ، وقاتلوك ، قدمهم فاضرب أعناقهم . فدخل النبي ﷺ ولم يردَّ عليهم شيئاً ، فخرج رسول اللّه ﷺ ، وقال : «يَا أَبَا بَكْرٍ ! مَثَلُكَ مَثَلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [ابراهيم : ٣٦] . وَمَثَلُكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ : ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ [نوح : ٢٧] أَنْتُمْ عَالَةٌ ، فَلَا يَنْفَلِتَنَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَ عُنُقٍ » فأنزل اللّه : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ ﴾ [الأنفال : ٦٧] الآيتين مختصراً[١] .

وفي حديث أنس : فأنزل اللّه : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللّهِ سَبَقَ ﴾ الآية [الأنفال : ٦٨][٢] .

وفي حديث ابن عمر ، عند أبي نعيم . فلقي رسول اللّه ﷺ عمر فقال : «كَادَ أَنْ يُصِيبَنَا فِي خِلَافِكَ شَرٌّ » . وفي رواية عنه عند ابن المنذر وابن مردويه ، فقال رسول اللّه ﷺ : « إِنْ كَادَ لَيَمَسُّنَا فِي خِلَافِ ابنِ الخَطَّابِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، وَلَوْ نَزَلَ عَذَابٌ مَا أُفْلِتَ إِلَّا عُمَرُ »[٣] .

---

(١) الترمذي رقم (١٧١٤) في السير : باب ما جاء في المشورة ، ورقم (٣٠٨٥) في التفسير : باب ومن سورة الأنفال قال الهيثمي في « المجمع » ٦/ ٨٦ ـ ٨٧ : رواه أبو يعلى بنحوه ، ورواه الطبراني ، وفيه أبو عبيدة لم يسمع من أبيه ، ولكن رجاله ثقات . وقال الترمذي : وفي الباب عن عمر ، وأبي أيوب ، وأنس ، وأبي هريرة

(٢) قال الهيثمي في « المجمع » ١/ ٨٧ : رواه أحمد عن شيخه بن عاصم بن صهيب ، وهو كثير الغلط والخطأ ، لا يرجع إذا قيل له الصواب ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) الحاكم ٢ / ٣٢٩ وقال : صحيح الاسناد ووافقه الذهبي ، وقال على شرط مسلم . قلت : وهو كما قال لولا أن فيه ابراهيم بن مهاجر قال الحافظ صدوق لين الحفظ . ا . هـ . ١٥٧ «الارواء» ٥/٤٧ .

فاذا كان هذا في رأي للصديق رضي اللّه عنه الذي اجتهد فيه ، ونصح للّه ولرسُوله ﷺ ، فما ظنك بمن يفعل ذلك مع قريبه حميَّة دنيويَّة لا لغرض ديني ، ولا يقصد وجه اللّه بذلك ، بل لا يقصد إلا الدنيا ؟ فان قيل : فالنبي ﷺ لم يذم أبا بكر على التشبيه ، بل شبهه بإبراهيم وعيسى وميكائيل عليهم السلام ، وشبَّه عمر بجبريل ونوح وموسى عليهم السلام .

قيل : المراد في الموافقة في أهل اللين والرحمة ، لا في خصوص هذه المسألة ، فان الصواب فيها مع عمر قطعاً بكتاب اللّه ، ومع ذلك توعد اللّه في أخذ الفداء بالعذاب لولا ما سبق من كتاب اللّه أنه رأي للصديق رضي اللّه عنه الذي اجتهد فيه ، فكيف بمن ينصح لهم ، ويرفق بهم ، ويرى الكف عن القتال ، ويشير باسقاط النكال عنهم من غير مسوِّغ شرعي بل مجرد المحبة الدنيوية .

وأما من يشير بكف المسلمين عنهم ، فان كان مراده بذلك تأليفهم على الدخول في الاسلام ، أو دخلوا فيه ، أو واعدوه بالدخول فيه عن قريب ، وكان المصلحة في تركهم قليلة ونحوه ؛ يجوز ذلك . وإن كان المراد به أن لا يتعرض المسلمون لهم بشيء لا بقتال ولا نكال وإغلاظ ونحو ذلك ، فهو من أعظم أعوانهم ، وقد حصلت له موالاتهم مع بُعد الديار ، وتباعد الأقطار ، كما قيل :

سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سُلَمٍ مَنْ بِالعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدْتِ مَرْمَاكِ[1]

وأما من يشير بترك نقائص المسلمين لهم إن كانوا مرتدين ، فهذا عند الفقهاء مخطىء آثم ، لأنه يجب على المرتد ضمان ما أتلفه للمسلمين في حال الرِّدة ، خصوصاً من تكرر منه الردة مراراً ، فانه لا يقصد بذلك في هذا الزمان إلا

---

(١) البيت للشريف الرضي من إحدى حجازياته .

الإغارة والنهب لا غير ، فترك ذلك له من أعظم المعاونة على الإثم والعدوان ،ولهذا لما صار هذا أمراً سائغاً عند بعض الناس انفتحت للبدوان[1] أبواب الردة ، وأتوها مهطعين من كل وجـه ، ولو كـان هذا مصلحـة في بعض الأوقات رآهـا بعض الأمراءِ ، فلا يجب طرد ذلك لكل أحد في كل زمان ، فاعلم ذلك .

وأما قول السائل : هل يكون هذا موالاة نفاق ، أم يكون كفراً ؟

فالجواب : إن كانت الموالاة مع مساكنتهم في ديارهم ، والخروج معهم في قتالهم ، ونحو ذلك ، فانه يحكم على صاحبها بالكفر ، كما قـال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم ﴾ [المائدة : ٥١] . وقال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُم فِي الكِتَابِ أَنْ إذَا سَمِعْتُم آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ويُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُم حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إنَّكُم إذاً مِثْلُهُم ﴾ [النساء : ١٤٠] .

وقال النبي ﷺ : «مَنْ جَامَعَ المُشْرِكِينَ ، وَسَكَنَ مَعَهُمْ فَإِنَّهُ مِثْلُهُم »[2] .

وقال ﷺ : «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ مُسْلِمٍ بَيْنَ أَظْهُرِ المُشْرِكِينَ »[3] . رواهما أبـو داود .

وإن كانت الموالاة لهم في ديار الاسلام إذا قدموا إليهم ونحو ذلك ، فهذا عاصٍ ، آثم ، متعرض للوعيد وإن كانت موالاتهم لأجل دينهم ، يجب عليه من التعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثاله . وإن كانت الموالاة لأجل دينهم ،

---

(١) لعله يريد بذلك البدو .

(٢) تقدم تخريجه قبل قليل ص (١٥٥) .

(٣) رواه الترمذي رقم (١٦٠٥) في السير : باب كراحية المقام بين أظهر المشركين ، وأبو داود رقم (٢٦٤٥) في الجهاد : باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود . والنسائي ٨/ ٣٦ ، ، من حديث جرير رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح . انظر « ارواء الغليل » رقم (١٢٠٧) للألباني .

فهو مثلهم ، ومن أحب قوماً حشر معهم . ولكن ليتفكر السائل في قوله : حمية دنيويّة ، يمكن هذا لإبلاغ المحبة في قلوبهم ؛ وإلا فلو كان يبغضهم في اللّه وما يعاديهم ، لكان أقر شيء لعينه ما يسخطهم ؛ ولكن كما قال ابن القيِّم :

أَتُحِبُّ أَعْـدَاءَ الحَبِيبِ ، وَتَـدَّعِي حُبَّـاً لَـهُ ، مَـا ذَاكَ فِـي إمْكَـانِ

وأما قول السائل : فإن كان ما يقدر من نفسه أن يتلفظ بكفرهم وسبهم ، ما حكمه ؟ فالجواب : لا يخلو ذلك عن أن يكون شاكاً في كفرهم ، أو جاهلاً به ، أو يقر بأنهم كفرة هم وأشباههم ؛ ولكن لا يقدر على مواجهتهم وتكفيرهم ، أو يقول : أقول : غيرهم كفار ، لا أقول : إنهم كفار . فان كان شاكاً في كفرهم أو جاهلاً بكفرهم بينت له الأدلة من كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ على كفرهم ؛ فان شك بعد ذلك وتردد ، فانه كافر باجماع العلماء ، على أن من شك في كفر الكفار فهو كافر .

وإن كان يقر بكفرهم ، ولا يقدر على مواجهتهم بتكفيرهم فهو مداهن لهم ، ويدخل في قوله تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم : ٩] ، وله حكم أمثاله من أهل الذنوب .

وإن كان يقول : أقول غيرهم كفار ، ولا أقول هم كفار ، فهذا حكم منه باسلامهم ، إذ لا واسطة بين الكفر والاسلام ، فان لم يكونوا كفاراً فهم مسلمون ، وحينئذ فمن سمى الكفر إسلاماً أو سمى الكفار مسلمين فهو كافر ، فيكون هذا كافراً .

وأما قوله : إذا عرفت هذا من إنسان ، ماذا يجب عليك ؟ فالجواب : يجب عليك أن تنصحه وتدعوه إلى اللّه سبحانه ، وتعرّفه قبيح ما ارتكبه ، فان تاب فهذا هو المطلوب ، وإن أصر وعاند فله حكم ما ارتكبه ، إن كان كفراً فكافر ، وإن كان

معصية أو إثماً فعاص آثم ، يجب الإنكار عليه ، وتأديبه وهجره وإبعاده حتى يتوب ، وقد هجر النبيِّ ﷺ من تخلف عن غزوة واحدة ، ونهى عن كلامهم والسلام عليهم[1] ، فكيف بمن يوالي الكفار ، ويظهر لهم المودة ؟ !

هذا ما نقلناه من تأليف الشيخ سليمان بن عبد اللّه ابن الشيخ رحمه اللّه وعفا عنه .

* * *

(١) وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية الواقفي رضي الله عنهم ، الذين تاب الله عليهم إذ تخلفوا عن غزوة تبوك وقصتهم رواها البخاري في المغازي باب قصة غزوة تبوك وفي أماكن أخرى ، ومسلم رقم (٢٧٦٩) في التوبة : باب توبة كعب بن مالك ، والترمذي رقم (٣١٠١) وأبو داود رقم (٢٢٠٢) ، والنسائي ٦/ ١٥٢ ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٤٥٩ من حديث كعب بن مالك . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٦٦٢) و «رياض الصالحين» رقم (٢٢) طبعتنا .

معنى العبادة والإخلاص
للشيخ عبد اللّه بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين

هذا سؤال أورده الشيخ الإمام عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على طلبة العلم من أهل نجد وأهل الإحساء .

بسم الله الرحمن الرحيم

ما قولكم ـ دام فضلكم ـ في تعريف العبادة ، وتعريف توحيد العبادة ، وأنواعه ، وتعريف الاخلاص ؟ وما بين الثلاثة من العموم والخصوص ؟ وهل هو مطلق أو وجهي ؟ وما معنى الإلَه ؟ وما معنى الطاغوت الذي أمرنا باجتنابه والكفر به ؟

فأجاب الشيخ العالم عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين[1] بهذا الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه رب العالمين . أما العبادة في اللغة فهي من الذل . يقال : بعير

(١)قال العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله تعالى: هو الإمام الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين ـ تصغير بطن ـ العائذي عائذ الظفير . ولد رحمه اللّه في الروضة من بلدان سدير في نجد ، وتلقى العلم عن أكابر علماء عصره ، وارتحل الى شقرا من بلدان الوشم ، وقد تولى قضاء الطائف بأمر الإمام سعود بن عبد العزيز ، وفي أيام الإمام تركي بن عبد اللّه طلب أهل عنيزة من الإمام تركي أن يرسله إلى عنيزة ليكون قاضياً ومدرساً، فأجابهم الإمام وأمره بالارتحال وقد أقام في عنيزة نحواً من عشرين سنة ، وتوفي رحمه اللّه تعالىٰ سنة ١٢٨٢ هـ في شقرا وله عدة مؤلفات .

معبَّد : أي مذلل . وطريق معبد : إذا كان مذللاً ، قد وطئته الأقدام ، وكذلك الدين أيضاً من الذل . يقال : دنته فدان ؛ أي أذللته فذلَّ .

وأما تعريفها في الشرع ، فقد اختلفت عباراتهم في تعريفها والمعنى واحد .

فعرَّفها طائفة بقولهم : هي ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي . وعرَّفها طائفة بأنها : كمال الحب مع كمال الخضوع .

وقال أبو العباس رحمه اللّه تعالى : هي اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال الباطنة والظاهرة ؛ فالصلاة ، والزكاة ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبرّ الوالدين وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والاحسان إلى الجار ، واليتيم ، والمسكين ، والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء ، والذكر ، والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة . وكذلك حب اللّه ورسوله ، وخشية اللّه والإنابة اليه ، وإخلاص الدِّين له ، والصبر لحكمه . والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، وأمثال ذلك(١) ؛ فالدين كله دخل في العبادة . انتهى .

ومن عرَّفها بالحب مع الخضوع ؛ فلأن الحب التام مع الذل التام ، يتضمن طاعة المحبوب والانقياد له ، فالعبد هو الذي ذللهُ الحب والخضوع لمحبوبه ، فبحسب محبَّة العبد لربه وذله له تكون طاعته .

فمحبة العبد لربه ، وذله له ، يتضمن عبادته وحده لا شريك له ، والعبادة

---

(١) من رسالة « العبودية » لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ص (٤٥٤) وستأتي في هذه المجموعة .

المأمور بها تتضمن معنى الذل ، ومعنى الحب ؛ فهي تتضمن غاية الذل للّهِ بغاية المحبة له ؛ كما قال ابن القيم رحمه اللّه تعالى : ليس العبادة غير توحيد المحبة ، مع خضوع القلب والأركان :

وَالحُبُّ نَفْسُ وِفَاقِهِ فِيْمَا يُحب   وَبَعْضُ مَا لاَ يَرْتَضِي بِجَنَانِ
وَوِفَاقُهُ نَفْسُ اتِبَاعِكَ أَمْرَهُ   وَالقَصْدُ وَجْهُ اللّهِ ذِيْ الإِحْسَانِ

فعرَّف العبادة بتوحيد المحبة مع خضوع القلب والجوارح ؛ فمن أحب شيئاً وخضع له ، فقد تعبَّد قلبه له ؛ فلا تكون المحبة المنفردة عن الخضوع عبادة ، ولا الخضوع بلاَ محبة عبادة .

فالمحبة والخضوع ركنان للعبادة ، فلا يكون أحدهما عبادة بدون الآخر فمن خضع لإنسان مع بغضه له ، لم يكن عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له ، لم يكن عابداً له ، كما يحب ولده وصديقه . ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة اللّه تعالى ، بل يجب أن يكون اللّه أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة الكاملة ، والذل التام إلا للّه سبحانه .

إذا عرف ذلك فتوحيد العبادة هو إفراد اللّه سبحانه بأنواع العبادة المتقدم تعريفها، وهو نفس العبادة المطلوبة شرعاً ، ليس أحدهما دون الآخر ؛ ولهذا قال ابن عباس : كل ما ورد في القرآن من العبادة ، فمعناه التوحيد . وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل ، وأبى عن الإقرار به المشركون .

وأما العبادة من حيث هي ، فهي أعم من كونها توحيداً عموماً مطلقاً ، فكل موحِّد عابد للّه ، وليس كل من عبد اللّه يكون موحداً .

ولهذا يقال عن المشرك : إنه يعبد اللّه مع كونه مشركاً ، كما قال الخليل

ﷺ : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدوٌّ لي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ﴾ [الشعراء : ٧٥ ـ ٧٧] ، وقال عليه السلام ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف : ٢٦ ـ ٢٧] ، فاستثنى الخليل ربَّه من معبوديهم ، فدل على أنهم يعبدون اللّه سبحانه .

فان قيل : ما معنى النفي في قوله سبحانه : ﴿ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون : ٣ و٥] .

قيل : إنما نفي عنهم الاسم الدال على الوصف والثبوت ، ولم ينف وجود الفعل الدال على الحدوث والتجدد .

وقد نبَّه ابن القيم رحمه اللّه تعالى على هذا المعنى اللطيف في « بدائع الفوائد » فقال لما أنجز كلامه على سورة ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾[1] .

وأما المسألة الرابعة : وهو أنه لم يأت النفي في حقهم إلا باسم الفاعل ، وفي جهته جاء بالفعل المستقبل تارة ، وباسم الفاعل أخرى ، وذلك ـ واللّه أعلم ـ لحكمة بديعة ، وهي أن المقصود الأعظم براءته من معبوديهم بكل وجه وفي كل وقت ، فأتى أولاً بصيغة الفعل الدالة على الحدوث والتجدد ، ثم أتى في هذا النفي بعينه بصيغة اسم الفاعل الدالة على الوصف والثبوت ، فأفاد في النفي الأول أن هذا لا يقع مني ، وأفاد في الثاني أن هذا ليس وصفي ولا شأني ، فكأنه قال : عبادة غير اللّه لا تكون فعلاً لي ولا وصفاً ، فأتى بنفيين مقصودين بالنفي . وأما في حقهم فانما أتى بالاسم الدال على الوصف والثبوت دون الفعل ، أي الوصف الثابت اللازم للعابد للّه منتف عنكم ، فليس هذا الوصف ثابتاً لكم ، وإنما يثبت لمن خص اللّه وحده بالعبادة لم يشرك معه فيها أحداً ؛ وأنتم لما عبدتم غيره فلستم من عابديه . وإن عبدوه في بعض الأحيان ، فإن المشرك يعبد اللّه ويعبد

---

(١) « بدائع الفوائد » ١٨٣/٣ .

معه غيره ، كما قال أهل الكهف : ﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُم وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [الكهف : ١٦] ، أي اعتزلتم معبوديهم إلا اللّه فإنكم لم تعتزلوه .

وكذا قول المشركين عن معبوديهم : ﴿ إِنَّمَا نَعْبُدُهُم لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر : ٣] ، فهم كانوا يعبدون اللّه ، ويعبدون معه غيره ؛ لم ينف عنهم الفعل لوقوعه منهم ، ونفى الوصف ، لأن من عبد غير اللّه لم يكن ثابتاً على عبادة اللّه موصوفاً بها .

فتأمَّل هذه النكتة البديعة ، كيف تجد في طيِّها أنه لا يوصف بأنه عابد للّه وإن عبده ، ولا المستقيم على عبادته إلا من انقطع اليه بكليته ، وتبتَّل إليه تبتيلاً ، لم يلتفت إلى غيره ، ولم يشرك به أحداً في عبادته ، وأنه إن عبده وأشرك به غيره فليس عابداً للّه ولا عبداً له .

وهذا من أسرار هذه السورة العظيمة الجليلة التي هي أحد سورتي الإخلاص التي تعدل ربع القرآن ، كما جاء في بعض السنن ، وهذا لا يفهمه كل أحد ، ولا يدركه إلا من منحه اللّه فهماً من عنده ، فله الحمد والمنة . انتهى كلامه رحمه اللّه تعالى .

وأما الإخلاص : فحقيقته أن يخلص العبد للّه في أقواله وأفعاله وإرادته ونيته ، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم ﷺ التي أمر اللّه بها عباده كلهم ، ولا يقبل من أحد غيرها وهي حقيقة الاسلام ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، وهي ملة ابراهيم التي من رغب عنها فهو من أسفه السفهاء ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة : ١٣٠] .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الأمة على اشتراط الاخلاص

للأعمال والأقوال الدينية ، وأن اللّه لا يقبل منها إلا ما كـان خالصـاً وابتغي به وجهه .

ولهذا كان السلف الصالح يجتهدون غاية الاجتهاد في تصحيح نيَّاتهم ، ويرون الإخلاص أعز الأشياء وأشقها على النفس ، وذلك لمعرفتهم باللّه وما يجب له ، وبعلل الأعمال وآفاتها ، ولا يهمهم العمل لسهولته عليهم ، وإنما يهمهم سلامة العمل وخلوصه من الشوائب المبطلة لثوابه ، أو المنقصة له .

قال الامام أحمد رحمه اللّه : أمر النية شديد .

وقال سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي لأنها تتقلب عَليّ .

وقال يوسف بن أسباط : تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد .

وقال سهل بن عبد اللّه : ليس على النفس شيء أشق من الاخلاق لأنه ليس لها فيه نصيب .

وقال يوسف بن الحسين : أعز شيء في الدنيا الإخلاص ، وكم اجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي ، وكأنه ينبت فيه على لون آخر . فيجب على من نصح نفسه أن يكون اهتمامه بتصحيح نيته ، وتخليصها من الشوائب فوق اهتمامه بكل شيء ؛ لأن الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى .

وأما ما بين الثلاثة من العموم والخصوص ، وهل هو وجهي أو مطلق ؟ فقد قدَّمنا أن العبادة من حيث هي أعم من توحيد العبادة عموماً مطلقاً ، وأن العبادة المطلوبة شرعاً هي نفس توحيد العبادة . ودل كلام ابن القيم ـ رحمه اللّه ـ أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص حيث قال :

فَلِوَاحِـدٍ كُنْ وَاحِـداً في واحـدٍ   أعني سبيـلَ الـحقِ والايـمـانِ

هـذا وثـاني نـوعيَ الـتـوحيـدِ تـو ... حيـدُ العبـادةِ منـكَ لـلرحمـنِ
أن لا تكـونَ لغيـرِهِ عبـداً ولا ... تعبـدْ بغيـرِ شـريعـةِ الإيمـانِ
فتقـومُ بالإخـلاصِ والايمانِ والـ ... إحـسـانِ في سـرٍ وفـي إعـلانِ
والصدقُ والاخلاصُ ركنا ذلك التـ ... ـوحيـدِ كـالـركنينِ لـلبنيـانِ

إلى أن قال :

وحقيقة الاخلاص توحيد المرا ... د فـلا يـزاحمـه مـراد ثـاني
والصدق توحيد الإرادة وهو بذ ... ل الجهد لا كَسِلاً ولا متـواني
والسنـة المثلى لسـالكهـا فتـو ... حيد الطريق الأعـظم السلطان

فقـوله رحمـه اللّه : والصدق والإخـلاص ركنا ذلـك التـوحيـد ؛ جعـل الاخلاص أحد ركني توحيد العبادة ، والصدق ركنه الآخر ، وفسَّر الصدق بمـا ذكر . وقال في بعض كلامه : ومقام الصدق جامع للاخلاص . فعرَّفنا ـ رحمه اللّه ـ أن توحيد العبادة أعم من الاخلاص ، ولم يذكر إلا عموماً مطلقاً .

وأما العموم الوجهي ؛ فالظاهر أن المراد به إذا كان أحد الشيئين أعم من وجه وأخص من وجه ، والعموم الذي بين مطلق العبادة وبين توحيد العبـادة ، والاخلاص مطلقـاً لا وجهي . وأما الإلـه فهو الـذي تألهـه القلوب بالمحبـة ، والخضوع ، والخوف ، والرجاء ، وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة ، والتوكل ، والاستغاثة ، والدعاء ، والـذبح ، والنـذر ، والسجود ، وجـميع أنـواع العبادة الظاهرة والباطنة ، فهو إلّه بمعنى مألوه ؛ أي معبود ، وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الإلّه .

قال الجوهري : أله ـ بالفتح ـ إلاهَةً ، أي عبد عبادة . قال : ومنه قولنا : اللّه وأصله إلّه على فِعال ، بمعنى مفعول ، لأنه مألوه بمعنى معبود ؛ كقولنا :

إمام ، فعال بمعنى مفعول ، لأنه مؤتم به قال : والتأليه : التعبيد . والتأله : التنسك والتعبد . قال رؤبة . سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي[1] . انتهى .

وقال في « القاموس » : أَله إلاهة وأُلوهة ، عبد عبادة ومنه لفظ الجلالة . واختلف فيه على عشرين قولاً ، يعني في لفظ الجلالة قال : وأصله إلاه بمعنى مألوه وكل ما اتخذ معبوداً إله عند متخذه . قال : والتأله : التنسك والتعبد. انتهى .

وجميع العلماء من المفسرين وشرّاح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإلّه بأنه المعبود ، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين ، فظن أن الإلّه هو القادر على الاختراع ، وهذه زلّة عظيمة وغلط فاحش ، إذا تصوّره العامي العاقل تبيّن له بطلانه ، وكأنّ هذا القائل لم يستحضر ما حكاه اللّه عن المشركين في مواضع من كتابه ، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرّون بأن اللّه هو القادر على الاختراع وهم مع ذلك مشركون .

ومن أبعد الأشياء أن عاقلاً يمتنع من التلفظ بكلمة يقر بمعناها ويعترف به ليلاً ونهاراً ، سراً وجهاراً ، هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل .

قال أبو العباس رحمه اللّه تعالى : وليس المراد بالإلّه هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين ، حيث ظنّ أن الألوهية هي القدرة على الاختراع ، وأن من أقر بأن اللّه هو القادر على الاختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا اللّه ، فان المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد . كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم مَن خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّه ﴾ [لقمان : ٢٥] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنْ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُم تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الآيات [المؤمنون : ٨٤ ـ ٨٥] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ

---

(١) وقبله : « لله دَرُّ الغَانِيَاتِ المُدَّاهِ » .

بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

قال ابن عبَّاس : تسألهم من خلق السموات والأرض ، فيقـولون اللّه ، وهم مع هذا يعبدون غيره !

وهذا التوحيد من التوحيد الواجب، لكن لا يحصل به الواجب، ولا يخلص بمجرده عن الاشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره اللّه ، بل لا بد أن يخلص للّه الدِّين ، فلا يعبد إلا إياه، فيكون دينه للّه . والإلٰه هو المـألوه الـذي تألهـه القلوب ، فهو إله بمعنى مألوه لا بمعنى إله. انتهى .

وقد دلَّ صريح القرآن على معنى الإلٰه ، وإنه هـو المعبود كمـا في قولـه تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين * وَجَعَلَها كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [الزخرف : ٢٦ ـ ٢٨] .

قال المفسرون : هي كلمة التوحيد : لا إله إلا اللّه ، باقية في عقبه ؛ أي ذريته . انتهى .

قال قتادة : لا يزال في ذريته من يعبد اللّه ويوحِّده والمعنى : جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية إبراهيم ، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض ، وهي كلمة : لا إله إلا اللّه .

فتبين أنَّ موالاة اللّه بعبادته ، والبراءة من كل معبود سواه هو معنى لا إله إلا اللّه .

إذا تبين ذلك فمن صرف لغير اللّه شيئاً من أنواع العبادة المتقدم تعريفها ، كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك، فقد عبد ذلك الغير ، واتخذه إلهاً ، وأشركه مع اللّه في خالص حقه ، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك تألُّهاً وعبادة وشركاً .

ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها ، فلو سمي الزنا والربا والخمر بغير أسمائها ، لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها زنا وربا وخمراً ونحو ذلك .

ومن المعلوم أن الشرك إنما حرّم لقبحه في نفسه ، وكونه متضمناً مسبَّة الرب ، وتنقصه ، وتشبيهه بالمخلوقين ، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير اسمه ؛ كتسميته توسلاً وتشفعاً وتعظيماً للصالحين ، وتوقيراً لهم ونحو ذلك ، فالمشرك مشرك شاء أم أبى ، كما أن الزَّاني زان شاء أم أبى ، والمرابي مراب شاء أم أبى .

وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع ، ويستحلون الخمر باسم آخر غير اسمها ، وذمَّهم على ذلك ، فلو كان الحكم دائراً مع الاسم لا مع الحقيقة لم يستحق الذَّم ، وهذه من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديماً وحديثاً ، أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم ، وغيَّر اسمه بتسميته إياه توسلاً وتشفعاً ونحو ذلك ؛ والله الهادي إلى سواء السبيل .

وأما تعريف الطاغوت : فهو مشتق من طغا ، وتقديره طغوت ، ثم قلبت الواو ألفاً . قال النحويون : وزنه فعلوت ، والتاء زائدة . قال الواحدي : قال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، يكون واحداً وجمعاً ، ويذكر ويؤنث قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ﴾ [النساء : ٦٠] فهذا في الواحد .

وقال تعالى في الجمع : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٥٧] .

وقال في المؤنث : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾ [الزمر : ١٧] . قال : ومثله في أسماء الفلك ؛ يكون واحداً وجمعاً ، ومذكراً ومؤنثاً .

قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة : الطاغوت : كل ما عبد من دون اللّه .

وقال الجوهري : الطاغوت : الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال .

وقال مالك وغير واحد من السلف والخلف : كل ما عبد من دون اللّه فهو طاغوت .

وقال عمر بن الخطاب وابن عباس رضي اللّه عنهما وكثير من المفسرين : الطاغوت : الشيطان .

قال ابن كثير : وهو قول قوي جداً ، فانه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان ، والتحاكم اليها ، والاستنصار بها .

وقال الواحدي عند قول اللّه تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] : كل معبود من دون اللّه فهو جبت وطاغوت .

قال ابن عباس في رواية عطية : الجبت : الأصنام ، والطاغوت : تراجمة الأصنام الذين يكونون بين أيديهم ، يعبّرون عنها الكذب ليضلوا الناس . وقال في رواية الوالبي : الجبت : الكاهن ، والطاغوت : الساحر .

وقال بعض السلف في قوله سبحانه : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ [النساء : ٦٠] إنه كعب بن الأشرف وقال بعضهم : حيي بن أخطب ؛ وإنما استحقا هذا الاسم لكونهما من رؤ وس الضلال ، ولإفراطهما في الطغيان ، وإغوائهما الناس ، ولطاعة اليهود لهما في معصية اللّه ، فكل من كان بهذه الصفة فهو طاغوت .

قال ابن كثير رحمه اللّه تعالى : ﴿ يُرِيدونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ ﴾ : لما ذكر ما قيل : إنها نزلت في طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف . أو إلى حكام

الجاهلية وغير ذلك قال : والآية أعم من ذلك كله ، فانها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة ، وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ؛ وهو المراد بالطاغوت ها هنا .

فتحصل من مجموع كلامهم ـ رحمهم اللّه ـ أن اسم الطاغوت يشمل كل معبود من دون اللّه ، وكل رأس في الضلال يدعو إلى الباطل ويحسنه ، ويشمل أيضاً كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم اللّه ورسوله ، ويشمل أيضاً الكاهن والساحر ، وسدنة الأوثان إلى عبادة المقبورين وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضللة للجهال ، الموهمة أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من توجه إليه وقصده ، وأنه فعل كذا وكذا مما هو كذب ، أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضي حاجة من قصده ، فيوقعهم في الشرك الأكبر وتوابعه . وأصل هذه الأنواع كلها وأعظمها الشيطان ؛ فهو الطاغوت الأكبر ، واللّه سبحانه وتعالى أعلم .

هذا ما جمعه عبد اللّه بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين شكر اللّه سعيه .

* * *

هذه رسالة
أسباب نجاة السؤول من السيف المسلول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

ما قولكم علماء المسلمين في رجل يقول : نحن نقول : لا إله إلا اللّه ولا تكفُّون عنا ؛ والكفار الأولون إذا قالوها كف عنهم ؟ وأنتم تقولون : إنكم تقولونها وتشركون ، فما نقول حتى تكفوا عنا ؟ أفتونا مأجورين .

المسألة الثانية : هل يلزم للرجل أن يتمذهب بمذهب واحد من المذاهب الأربعة أو لا ؟ وما يجب عليه في ذلك ؟ بيِّنوا لنا الجواب رحمكم اللّه .

الحمد للّه الذي جبل عباده على طبائع شتى ، فمنهم شاكر ، ومنهم كفور ، وجعلهم فريقين : فريق منهم يتقربون إليه بالذبح لغير اللّه ، والنذر للطواغيت ، وبالدف والطبل والزمور ، وفريق منهم يتقربون إليه بتوحيده ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصوم ، وبالحج المبرور . وأشهد أن لا إلَه إلا اللّه وحده لا شريك له ؛ شهادة عبد مخلص في توحيده غير شاك ولا كفور ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أحيى به الملة الحنيفية حتى أضاء الحق ، وتمزق الديجور ، صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان ، صلاة دائمة إلى يوم البعث والنشور وسلم تسليماً .

أما بعد : فالجواب عن المسألة الأولى وهي قول السائل : ما تقولون في : لا إله إلا اللّه ؟ فيقول : لا إله إلا اللّه هي كلمة الإسلام ، وهي مفتاح دار

السلام، وهي كلمة التقوى ، وهي العروة الوثقى ، وهي التي قامت بها الأرض والسموات ، وفطر اللّه عليها جميع المخلوقات ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وهي محض حق اللّه على العباد ، وبها انفصلت دار الكفر من دار الايمان ، وتميزت دار النعيم من دار الشقاء والهوان ، وهي العمود الحامل للفرض والسنة ، ومن كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه دخل الجنة ، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال ، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النار، وهي المنشور الذي لا يدخل الجنة أحدٌ إلا به، والحبل الذي لا يصل إلى اللّه إلا من تعلق بسببه ، وبها انقسم الناس إلى شقيّ وسعيد ، ومقبول وطريد ، فهي وإن كانت كلمة قُيدت الثقال. . . . . .(١) .

فإذا كان إمام الحنفاء ، لم تحصل له قول : لا إله إلا اللّه ، ولم تتم له المحبة والموالاة وهو إمام المحبين إلا بالمعاداة ، كما قال تعالى مخبراً عنه : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُم تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُم عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٥ - ٧٧] فانه لا ولي إلا يبرأ . . . .(٢) ولا ولاء للّه إلَّا بالبراءة من كل معبود سواه ، وهذا معنى قول : لا إله إلا اللّه كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً في عَقِبِهِ ﴾ [الزخرف : ٢٦ - ٢٨] فأورثها إمام الحنفاء عليه السلام لأتباعه يتوارثونها ، الأنبياء بعضهم عن بعض .

فلما بعث بها محمد ﷺ ، ودعا إليها ، أمره اللّه أن يبين هذين الركنين ؛ كما ذكر اللّه ذلك في سورة ﴿الاخلاص﴾ أمره أن يقول : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَاتَعْبُدُونَ *وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ ﴾ [سورة الكافرون] .

---

(١) كذا في الأصل وفيه سقط .

(٢) كذا في الأصل .

وعرف المشركون ذلك حين دعاهم إلى قول: لا إله إلا اللّه، قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهاً وَاحِداً إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] .

وكذلك ما جرى له ﷺ ، مع عمه عند وفاته لما قال له : يا عم قل : لا إله إلا اللّه ، وعنده أبو جهل وعبد اللّه ابن أبي أُمية ، فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ عرفوا معناها أن فيها التولي والتبري[1] .

وكذلك ﷺ أمره اللّه أن يدعو أهل الكتاب إليها وهم يقولونها . قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالُوا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِن دُونِ اللّهِ ﴾ الآية [آل عمران : ٦٤] .

وفي « صحيح مسلم » عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ قَالَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[2] .

فتبين بذلك خطأ المغرورين ، وبطلان حجة المبطلين ، فإن لا إله إلا اللّه معناها كما تقدم النفي والاثبات ، وحقيقتها الموالاة والمعاداة ، ثم لا بدَّ مع ذلك من البغض والاعتزال للداعي والمدعو ، والعابد والمعبود مع الكفر بهم ، كما ذكر اللّه ذلك . قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] .

وكذلك ما جرى للنبي ﷺ وأصحابه مع قومهم من الاعتزال والعداوة العظيمة ، وما جرى لسعدٍ مع أمه[3] رضي اللّه عنه .

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٢٥) ، وسيأتي أيضاً تخريجه ولفظه ص (٢٢٧) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٣) في الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٤٧٢ من حديث طارق بن أشيم الأشجعي والد أبي مالك رضي الله عنهما ، وتقدم تخريجه ص (٥٠) .

(٣) رواه مسلم رقم (١٧٤٨) في الجهاد : باب الانفال ، من حديث سعد رضي الله عنه . وتقدم تخريجه ص (٤٢) .

وكما ذكر اللّه ذلك أيضاً عن الخليل عليه السلام مخبراً ، قال تعالى : ﴿ وَأَعْتَزِلُكُم وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية [مريم : ٤٨] .

وقال تعالى مخبراً عن أهل الكهف : ﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُم وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [الكهف : ١٦] . فذكر اللّه عنهم في هذه الآيات المحكمات أنهم بدأوا بالمشركين ، فاعتزلوهم قبل المعبودين .

فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان إذا كان علماؤ هم لا يعرفون معناها كما عرف جهَّال الكفار ؟ ولا يعملون بمقتضاها ولا حقيقتها ، بل عندهم لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له في ملكه ؛ وهي كلمة عليها أُسِّسَت الملة ، ونصبت القبلة ، ونبه اللّه على فضلها ، وعظم شأنها أنبياؤه ورسله .

قال تعالى في حق نبيه محمد ﷺ : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] . أنزلت عليه ﷺ هذه الآية الكريمة في السنة الثامنة من الهجرة بالمدينة ، وكذلك في الحديث المشهور عنه ﷺ : « أن موسى قال : يَا رَبِّ ! عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُرُكَ وَأَدْعُوكَ بِهِ قَالَ : يَا مُوسَىٰ ! قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ. قَالَ يَا رَبِّ ! كُلُّ عِبَادُكَ يَقُولُونَ هٰذَا . قَالَ : يَا مُوسَىٰ ! لَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي ، وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كَفَّةٍ ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كَفَّةٍ ، لَمَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ »(١) .

---

(١) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٨٣٤) و (١١٤١) ، وقال الحافظ في « الفتح » : أخرجه النسائي بسند صحيح ، وابن حبان (٢٣٢٤) « موارد » في الأذكار : باب فضل التسبيح والتهليل والتحميد ، والبغوي في « شرح السنة » ٥/٥٤ و ٥٥ من حديث دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ١/٥٢٨ ووافقه الذهبي ، قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/٨٢ : رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا وفيهم ضعف .

فليتأمَّل الناصح لنفسه عظم شأن هذه الكلمة ، وعظم أركانها في المبتدى ، وفضلها وعظم شأنها في المنتهى ؛ فإذا كان لا بد من هذه الشروط المتقدمة في البداية ، والتنبيه على فضلها ، وعظم شأنها في النهاية مع سيِّد المرسلين ، وموسى الكليم عليهما السلام ، فما الظن بغيرهما ؟ والآيات والأخبار في ذلك كثيرة معلومة ؛ وإنما ذكرنا إشارة على ما قيِّدت به من القيود .

وأما الكلام عليها فأكثر العلماء والشراح في ذلك ، ولكن ما تسعه هذه الأوراق ؛ ومعناها الجامع : لا إله ، أي لا معبود في الوجود بحق إلا اللّه ، ولأجل هذا المعنى قال تعالى : ﴿ الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [هود : ١ ـ ٢] . فأخبر الحكيم الخبير أنه أنزل كتاباً محكماً ، مفصَّلاً ، ألَّا يعبدوا إلَّا هو، وقوله : ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا ﴾ من: أداة من أجل ألَّا تعبدوا إلَّا اللّه ، فأخبر أن الحكيم الخبير أنزل كتابه من أجل ذلك ، وهذا أيضاً هو معنى لا إله إلَّا اللّه .

وأما الإله فأصله في اللغة من الوله يقال : وله الفصيل ، وأله الفصيل إذا اشتد حبه إلى أمه ، فقلبت الواو همزة فالإله من تألهه القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم ، والخوف والرجاء والدعاء ، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة والذبح والنذر والرغبة والرهبة والخشية والتوبة ؛ فجميع التعظيم هو مستحق له حتى لا يحلف إلَّا به .

وسر لا إله إلا اللّه إفراد اللّه بذلك كله وتوابعه ، والإله صفة تدور مع القصد ، فمن قصد بشيء من أنواع العبادة والتعظيم والتبرُّك فهو إله .

كما في حديث أبي واقد الليثي قال : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إلى حُنَينٍ ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكِفُونَ عِنْدَهَا ، وَينوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ ، يُقَالُ لَهَا : ذَاتَ أَنْوَاطٍ ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ أُخْرَى ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ

اللهِ ! اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ ؛ فَقَالَ ﷺ : « اللَّهُ أَكْبَرُ » - ثلاثاً - إِنَّهَا السُّنَنَ قُلْتُمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُم آلِهَةٌ ﴾ قال : « لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » . رواه الترمذي وصححه(1) .

ومن لوازم الإله ألَّا يلتجأ إلا إليه ، ولا يطاع إلا أمره ، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن المحقق هو المتيقن بقلبه ، القائم بها قولاً وفعلاً . قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِم قَائِمُونَ ﴾ [المعارج : ٣٣] فلم يكن قائماً بشهادته في ظاهره وباطنه ، وفي قلبه وقالبه ، إلا من كان شهادته على الأوصاف المذكورة ، فحياة الروح بهذه الكلمة ، كما أن حياة البدن بوجود الروح فيه .

فلا أنفع للعبد من إقباله على الله ، واشتغاله بذكره وتنعمه بتوحيده ، ومحبته وإيثاره لمرضاته ، ويتفاوت في ذلك الخلق تفاوتاً عظيماً ، حتى أن منهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب ، كما في حديث السبعين الألف ، ووصفهم ﷺ بأنهم « الَّذِينَ لَا يَسْتَرِقُونَ ، وَلَا يَكْتُوونَ ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ »(2) .

فأهل لا إله إلا الله ، المحققون لها في نعيم الدنيا ، وفي البرزخ ، وفي

---

(1) رواه الترمذي رقم (٢١٨١) في الفتن : باب ما جاء «لتركبن سنن من كان قبلكم» ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، ورواه أيضاً أحمد في «المسند» ٥/٢١٨ ، قال الترمذي : وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة . وقد سبق تخريجه ص (٧٤) و(١٠٧) .

(2) رواه البخاري ١٠/ ١٣٠ - ١٣١ في الطب : باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ، و١٠/١٧٩ في الطب : باب من لم يرق ، وفي الأنبياء : باب وفاة موسى عليه السلام ، وفي الرقاق : باب من يتوكل على الله فهو حسبه ، وباب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ومسلم رقم (٢٢٠) في الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ، والترمذي رقم (٢٤٤٨) في صفة القيامة : باب رقم (١٧) . وتقدم تخريجه ص (١٣٠) .

الآخرة في الجنة ، وحرمهم اللّه على النار . وبقدر ما ينقص العبد في معرفتها ، والعمل بها ، والثبات عليها ، وتحقيق العمل بمقتضاها يضعف يقينه وسيره وصبره ، فلا يثبت على الصراط في الدنيا إلا من حقق هذه الكلمة ، ومرورهم على الصراط في الآخرة بقدر سيرهم واستقامتهم ؛ فمعطى ومحروم ، والفضل بيد اللّه ، نسأل اللّه الثبات عليها ، وأن يجعل الخاتمة لنا وللمسلمين عند الوفاة عليها برحمته إنه أرحم الراحمين .

فصل

وهنا المقصود بالجواب عما سأل عنه السائل ؛ فجوابه من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن اللّه شرع الجهاد ، وأمر بالقتال ، وبيَّن لنا الحكمة في ذلك وموجبه ، وما يحصل به الكف . قال تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُم حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ قال المفسرون : أي شرك : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩]. والدين اسم عام؛ وهو ما بعث اللّه به محمداً ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٢ - ٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

وقال ﷺ في الحديث الصحيح: « بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْئاً » . . . الحديث(١) .

الوجه الثاني : أن اللَّه أمر بقتال المشركين كافة ، وبيَّن لنا ذلك . قال تعالى : ﴿ فَاقْتُلوا المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُم واحْصُرُوهُم واقْعُدُوا لَهُم

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٢/ ٥٠ و٩٢ و سنده حسن ، وجود اسناده الامام ابن تيمية في «الاقتضاء » ص ٩٤ ، وصححه الحافظ العراقي في «تخريج الأحياء» وحسنه الحافظ في «الفتح» ١٠/ ٢٣٠ وله شاهد مرسل باسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبه من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي ﷺ بتمامه . انظر «ارواء الغليل » للألباني رقم (١٢٦٩) .

كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا ﴾ أي عن الشرك ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم ﴾ [التوبة : ٥] ، فبيَّن سبحانه وتعالى أنه لا يكف عنهم حتى يقيموا أعلام الإسلام الظاهرة ؛ وهي هذه الثلاثة الأركان[١] كما ذكر اللّه في الآية المتقدمة في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة : ٥] .

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ قال : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ محمداً رَسُولُ اللَّهِ ، ويُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[٢] .

وهذه الثلاثة الأركان أيضاً أمر ﷺ معاذاً لما بعثه إلى اليمن أن يدعو إليها[٣] ، ونبَّهه على الأهم فالأهم ، كما في حديثه ، وأخذ بذلك الخلفاء رضي اللّه عنهم ، فأبو بكر قاتل ما نعي الزكاة وهم يقولون : لا إله إلَّا اللّه محمد رسول اللَّه ، وقاتلوا طوائف أهل الردَّة وهم يقولونها .

وهذا الذي ذكرنا هو الذي يجب به الكف عن قتال العامة إذا أقاموه كما تقدم .

---

(١) في الأصل : هذه الثلاثة أركان .

(٢) رواه البخاري ٣/ ٢١١ في الزكاة ، ومسلم رقم (٢١) والترمذي رقم (٢٦١٠) والنسائي ٥/ ١٤ في الزكاة وأبو داود رقم (٢٦٤٠) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه أيضاً البخاري١/ ٧٠ ـ ٧١ ومسلم (٢٢) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، والبخاري والترمذي وأبو داود والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه ، ومسلم والترمذي من حديث جابر رضي الله عنه ، ومسلم من حديث طارق الأشجعي رضي الله عنه ، والنسائي من حديث النعمان بن بشير وأوس بن حذيفة رضي الله عنهما . انظر « جامع الأصول » رقم (٣٥ ـ ٤٠) و (٢٦٥٦) و « الأحاديث الصحيحة » رقم (٤٠٧ ـ ٤١١) . وتقدم تخريجه ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٣) انظر الحديث في كتاب « التوحيد الذي هو حق الله على العبيد » ص ٢٠٢ ضمن هذه المجموعة .

الوجه الثالث : ما يجب به الكف عن الخاصة في مثل هذا الزمان وغيره ، فهي الكلمة التي تفيد الفعل والترك ، كما في حديث أبي معبد المقداد بن الأسود قال : قلت : يا رسول الله ! أرأيت إن لقيت رجلاً من المشركين ، فاقتتلنا . فضرب إحدى يديَّ بالسيف ، ثم لاذ بشجرة فقال : أسلمت لله ، أأقتله ؟ قال : « لَا ، فَإنَّكَ إنْ قَتَلْتَهُ كَانَ بِمَنْزِلَتِكَ ، وَكُنْتَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ ذْلِكَ » متفق عليه .[1]

والمعنى : أنه بمنزلتك معصوم الدم والمال ، وأنت بمنزلته ، أي مباح الدم بالقصاص لورثته ، لا بمنزلته في الدين ، والله أعلم .

فاذا عرف المسلم عظم شأن هذه الكلمة ، وما قيدت به من القيود ، ولا بدَّ مع ذلك أن يكون إعتقاداً بالجنان ، ونطقاً باللسان ، وعملاً بالأركان ، فإن اختل نوع من هذه الأنواع لم يكن الرجل مسلماً كما ذكر الله ذلك وبيَّنه في كتابه ، فاذا كان الرجل مسلماً وعاملاً بالأركان ، ثم حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض ذلك لم ينفعه ذلك ، كما قال الله تعالى للذين تكلموا بالكلام في غزوة تبوك : ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمَانِكُم ﴾ [التوبة : ٦٦] وقال تعالى في حق الآخرين : ﴿ وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إسْلَامِهِمْ ﴾ [التوبة : ٧٤] .

فأين هذا من الواقع من أهل هذا الزمان ؟ جعلوا التلفظ بها عادة وهذياناً ؛ والقعقعة بحروفها ، فهي عندهم الاسلام والإيمان ، مع ما هدموه من التوحيد الذي هو حق لله ، وأكبوا وأقبلوا على عبادة المشاهد والأوثان ، وضيَّعوا الفرائض وسائر الأركان ، وزيَّن لهم ما ارتكبوه من التبدع والتنطُّع والعصيان ، إلا أنهم يقولون : لا إله إلا الله ، فما أحسن ما قاله شيخ الاسلام رحمه الله تعالى : لا إله

---

(١) رواه البخاري ١٢/١٦٦ و١٦٧ في الديات في فاتحته ، وفي المغازي : باب شهود الملائكة بدراً ، ومسلم رقم (٩٥) في الإيمان : باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ، وأبو داود رقم (٢٦٤٤) في الجهاد : باب على ما يقاتل المشركون .

إلا اللَّه سماها اللَّه كلمة التقوى ، فجعلوها كلمة الفجور . وذكرنا عليها إشارة على طريق الايجاز والاختصار ، خشية الاطالة واللَّه المستعان .

وأما الذي يجب به الكف عن القتال ، فهو لا بد من إقامة أعلام الاسلام الظاهرة المتقدمة في الآيات المحكمات ، ذكرها اللَّه بعد الأمر بالقتال ، وكذلك في الأحاديث الصحيحة الصريحة ، فبدأ بالتوحيد ، وترك الشرك ، ثم ذكر بعده : ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ثم ذكر بعد ذلك : ﴿ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم ﴾ [التوبة : ٥] .

والنبي ﷺ قال بعد ذكره الثلاثة : «فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ » وفي بعض الآيات : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] وهذا الذي يجب به الكف ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، وفعل سلف الأمة ، وهذا الذي عليه الأئمة رضوان اللَّه عليهم أجمعين .

وأما الخاصة : فهو كما قدمنا يجب الكف إذا أظهر بقولٍ أو فعل ما يدلّ على تركه دينه ودخوله في الاسلام كما تقدم في الحديث . وليس المراد بالجواب الخاصة ، إنما يراد به العامة ، فاذا وجدت طائفة ممتنعة عن إحدى الثلاثة المذكورة ، قوتلوا . إما التوحيد الذي هو محض حق اللَّه على العبيد ، أو الصلاة التي هي الفارقة بين الكفر والاسلام ، أو الزكاة التي أجمع الصحابة رضي اللَّه عنهم على قتال مانعيها . وكذلك أجمع العلماء أيضاً على ذلك ، وتتبع ما ورد في ذلك يطول ، إذ كل مصنف ذكر ذلك ، وكذلك الشراح والفقهاء رحمهم اللَّه ، وهذا مصرح به في كتبهم ، ولو قالوا : لا إله إلا اللَّه لم يكف عنهم ، أو عملوا ببعض الشرائع وتركوا بعضاً ، ولكن : ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِل فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً ﴾ [الكهف : ١٧] .

فصل

وأما المسألة الثانية ؛ هل يلزم الرجل أن يتبع مذهباً من المذاهب الأربعة أم لا ؟

فالجواب : أن اللّٰه أوجب على عباده أن يتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم ، كما ذكر اللّٰه ذلك في آي القرآن ، وما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ كما أمر اللّٰه بذلك ، ودلت عليه السنَّة . وعلق اللّٰه النجاة والفلاح بإتباعه ﷺ ، وذكر اللّٰه ذلك في كم موضع . ولا يجب على الخلق أن يتبعوا رجلاً بعينه غيره ﷺ ، وانقسم في ذلك الناس أقساماً ، وتحزبوا أحزاباً ، وصار﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِم فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون : ٥٣] .

والإتباع والإقتداء أنواع : منه ما هو محرم ، كما ذكر اللّٰه عن الكفار : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُم لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف : ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ الآية [المائدة : ١٠٤] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُم فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطْعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وكُبَرآءَنا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾ [الأحزاب : ٦٦ - ٦٧] .

النوع الثاني : ما ذكره اللّٰه عن أهل الكتاب في تقليدهم ، واتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللّٰه ، وهذا أيضاً يحرم على كل مسلم مشابهتهم .

قال أبو بكر في «الجامع» : باب فساد التقليد ونفيه والفرق بينه وبين الاتّباع .

قال أبو عمر : قد ذم اللّه تبارك وتعالى التقليد في غير موضعٍ من كتابه فقال : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] .

وروي عن حذيفة رضي اللّه عنه وغيره قال : لم يعبدوهم من دون اللّه ، ولكنهم أحلُّوا وحرَّموا عليهم فاتَّبعوهم .

وقال عدي بن حاتم : أتيت رسول اللّه ﷺ وفي عنقي صليب . فقال : «يَا عَدِيَ ! أَلْقِ هٰذَا الوثَنَ مِنْ عُنُقِكَ » وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة ، حتى أتى على هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣١] . قال : فقلت : يا رسول اللّه ! إنا لم نتخذهم أرباباً . قال : «بَلَىٰ ، أَلَيْسَ يُحِلُّونَ لَكُم مَا حُرِّم عَلَيْكُمْ فَتُحِلُّونَهُ ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْكُمْ مَا أُحِلَّ لَكُم فَتُحَرِّمُونَهُ ؟ » فقلت : بلى . قال : «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ » . والحديث في «المسند» و«الترمذي» مطولاً(١) .

وقال أبو البختري في قوله عز وجل :﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير : باب تفسير سورة التوبة ، وابن جرير الطبري ١٤/٢١٠ رقم (١٦٦٣٢) و(١٦٦٣٣) من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، فقال : «بلى ، انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك بمعادتهم اياهم» ، وهو حديث حسن بشواهده ، ذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣/٢٣٠ ، وزاد نسبته لابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في «سننه» ، وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهم في تفسير : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ ، انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ، وانظر الطبري رقم (١٦٦٣٤) عن حذيفة رضي الله عنه . وقد تقدم تخريجه ص (٨) .

دُونِ اللَّهِ﴾ قال: أما إنهم لـو أمروهم أن يعبـدوهم من دون اللّه ما أطـاعوهم ، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال اللَّه حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعـوهم فكانت تلك الربوبية .

فمن عرف هذه المقدمة ، عـرف أن ليس بيننا وبين النـاس اختلاف في المذاهب الأربعة رضوان اللَّه عليهم ، بل وقع بيننا وبينهم النزاع عند معارضتهم للحق ودفعه بهذين النوعين ؛ كما كان هذا هو الواقع من أهل هذا الزمان ، وليس لهم حجَّة إلا ذلك ، وارتكابهم المحرمات واتِّباعهم الأهواء والشهوات ، ومع ذلك يزعمون[1] بأنهم ينتسبون إلى المذاهب ، وليسوا كذلك ، فإن من انتسب إلى شيء وليس عليه حقيقته ، لم ينفعه ذلك ، فإنَّ النصارى لم ينفعهم انتسابهم إلى عيسى ، وكذلك اليهود لم ينفعهم انتسابهم إلى موسى .

وقد قال اللَّه تعالى لنبيه : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ * هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [الجاثية : ١٨ ـ ٢١] . ثم ذكر بعد ذلك : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] ولأن اللَّه تعالى قال : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُم ﴾ [القصص : ٥٠] .

قـال الشيخ ابن القيِّم رحمـه اللَّه : جمع اللَّه الـطرق في طريقين : إمَّـا هدى ، وإما هوى ، وكذلك في الآية المتقدمة : إما متَّبع لشريعته ﷺ التي جعله

---

(١) في الأصل : ينتمون .

اللَّه عليها ورضيها لعباده ، وإما متخذ إلّهه هواه ؛ أعاذنا اللَّه من الآراء المحدثة ، والأهواء المضلة .

وأما الأئمة رضي اللَّه عنهم ، فهم أئمة الهدى ، إجماعهم حجة ، واختلافهم رحمة ، والدين وسط .

واختلف العلماء في تقليدهم ، فطائفة نفوا التقليد وأنكروه ، وقالوا : الناس أحد رجلين : إما عامي فيجب عليه أن يتعلم ما يقوم به دينه ، ولا فائدة له في لزوم مذهب معين ، فإنه كالأميِّ الذي يدعى أنه يقرأ وليس بقارىء ، أو يدَّعي أنه يكتب وليس بكاتب ، فيدعي أنه على مذهب وهو لا يعرفه ، ولا يعرف الصحيح منه والضعيف .

والرجل الثاني : فقيه ، فلا يصح له أن يقدم على شيء بغير حجة ولا دليل . والتقليد أمر ضروري يباح عند الضرورة ، وطائفة ـ وهم أكثر الفقهاء ـ توسطوا في ذلك لم يخرجوا عما قاله الأئمة رضي اللّه عنهم،وهم عندهم أكفاء في موارد النزاع،وهم عندهم معذورون فيما لم يبلغ أحدهم من السنة؛كما بيَّن ذلك شيخ الاسلام رحمه اللّه ابن تيمية في كتابه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» . وداروا مع أولئك النصوص حيث دارت ، وتمسكوا بالسنة حيث بانت لهم واستنارت ، وهم أتباع الأئمة ، وهم أهل النجاة من هذه الأمة ، فإنَّ الأئمة رضي اللَّه عنهم نهوا عن تقليدهم ـ وهو الواجب عليهم ـ إلا فيما وافق السنة ، وهذا التقليد والاتّباع هو النوع الثالث الممدوح ، لا كما تقدم . ولنذكر طرفاً من مقالة الأئمة .

قال ابن القاسم : عن مالك قال : ليس كل ما قال رجل قولاً ـ وإن كان له فضل ـ يتبع عليه ، لقول اللَّه عزَّ وجل : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [الزمر : ١٧ ـ ١٨] .

وقال بشر بن الوليد : قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة : لا يحل لأحدٍ أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا .

وقال أبو حنيفة رضي اللّٰه عنه : هذا رأي ، فمن جاءنا برأي خير منه قبلناه . وقال : أوَ لأحدٍ قول مع قول النبي ﷺ ؟

وقال مالك رضي اللّه عنه : كلٌ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر ﷺ.

وقد صرح مالك رضي اللّه عنه بأنَّ : من ترك قول عمر بن الخطاب لقول إبراهيم النخعي أنه يُستتاب ؛ فكيف من ترك قول رسول اللّه ﷺ لمن هو دون إبراهيم أو مثله .

وذكر البيهقي عن الشافعي رضي اللّه تعالى عنه : مثل الذي يطلب العلم بلا حجَّة ، كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري ، وقال رضي الله عنه : إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي ، إلى غير ذلك عنه .

وقال أبو داود : قلت لأحمد : الأوزاعي هو أهل أن يقلَّد أم مالك ؟ قال : لا تقلد في دينك أحداً من هؤلاء ، إلا ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذه . وفي لفظٍ : وخذ من حيث أخذوا . وقال رضي اللّه عنه : من قلة فقه الرجل أن يقلد في دينه الرجال . وتتبع ذلك يطول .

النوع الرابع من التقليد مذموم ، وهو الغلوّ فيه ، وتعلق به طائفة ، إذ التزموا مذهباً من المذاهب الأربعة ، قالوا : لا يجوز مخالفته ، ولا بد من اتِّباعه على كل حاله ، وجعلوا كل إمام في اتِّباعه بمنزلة النبي في أمته ، وهذا تبديل للدين .

قال أحمد رضي اللّه عنه : عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، واللّه يقول : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣] .

وقال ابن عباس رضي اللّه عنهما : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ؛ أقول : قال رسول اللّه ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

وقال سفيان بن عيينة : اضطجع ربيعة مقنِّعاً رأسه وبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : رياءٌ ظاهر ، وشهوة خفية ، والناس عند علمائهم كالصبيان عند أمهاتهم[١] ، ما نهوهم عنه انتهوا ، وما أمروهم به ائتمروا . .

قال عبد اللّه بن المعتمر : لا فرق بين بهيمةٍ تنقاد ، وإنسان يقلد .

وقال ابن مسعود : لا يقلدنّ أحدكم رجلاً ، إن آمن آمن ، وإن كفر كفر ، فانه لا أسوة في الشرّ .

وقال أيضاً رضي اللّه عنه : اغدُ عالماً ، أو متعلماً ، ولا تغد إمَّعة فيما بين ذلك .

وروي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك . والكلام على هاتين المسألتين يطول ، وإنما ذكرنا عليهما ما تيسَّر مع التقصير[٢]، لأنهما يسأل عنهما الأوَّلون والآخرون : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟

فالمسألة الأولى فيها تحقيق العبادة .

والمسألة الثانية فيها تحقيق المتابعة . آخره[٣] .

والحمد للّه رب العالمين ، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

* * *

---

(١) في الأصل : في إمائهم .

(٢) انظر تفصيل هذا البحث في الرسالة النافعة « هدية السلطان إلى مسلمي بلاد الجابان » للشيخ محمد سلطان المعصومي الجخندي البخاري رحمه الله والتي طبعت بعنوان « هل المسلم ملزم باتباع مذهب معين » وكذلك كتاب « بدعة التعصب المذهبي » .

(٣) أي آخر الجواب .

هذه رسالة

في مقادير فيء الزوال

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كان قبل النوروز[1] بيومين ، فظل الزوال ثلاثة أقدام وثلث ، وفي اثني عشر ظل الزوال أربعة أقدام ، وفي أربعة وعشرين ظل الزوال أربعة أقدام وربع . وفي ست وثلاثين ظل الزوال أربعة أقدام ونصف ، وفي ثمانية وأربعين ظل الزوال خمسة أقدام . وفي الستين ظل الزوال ستة أقدام ونصف . وفي ثلاث وسبعين ظل الزوال سبعة أقدام . وفي ست وثمانين ظل الزوال سبعة أقدام ونصف . وفي اثنين وتسعين ظل الزوال ثمانية أقدام إلا ربع . وفي مائة وأحد عشر ظل الزوال سبعة أقدام ونصف . وفي مائة وواحد وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام وثلث . وفي مائة وسبعة وعشرين ظل الزوال سبعة أقدام وربع . وفي مائة وثمانية وثلاثين ظل الزوال سبعة أقدام . وفي مائة وثمانية وأربعين ظل الزوال ستة أقدام ونصف . وفي مائة وثمانية وخمسين ظل الزوال ستة أقدام . وفي مائة وسبعة وستين ظل الزوال خمسة أقدام ونصف . وفي مائة وست وسبعين ظل الزوال خمسة أقدام . وفي مائة وأحد وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام ونصف . وفي مائة وستة وتسعين ظل الزوال أربعة أقدام . وفي مائتين وأحد عشر ظل الزوال ثلاثة أقدام . وفي مائتين وستة عشر ظل الزوال قدمان ونصف . وفي مائتين وسبعة وعشرين ظل الزوال قدمان . وفي مائتين

---

(١) النوروز : أول يوم من السنة الفارسية ، ويقال له : نيروز وهو « ٢٣ آذار » من السنة .

واثنين وأربعين ظل الزوال قدم وثلث . وفي مائتين وست وأربعين ظل الزوال قدم . وفي مائتين وسبعة وخمسين ظل الزوال نصف قدم . وفي مائتين وسبع وستين ظل الزوال ثلث قدم . وفي مائتين وسبع وسبعين يحتاط للزوال بثلث قدم . وفي مائتين وواحد وثمانين يعدم ظهور ظل الزوال . وفي ثلاثمائة وواحد يحتاط للزوال بثلث قدم . وفي ثلاثمائة وثمانية عشر ظل الزوال ثلث قدم . وفي ثلاثمائة وأربعة وعشرين ظل الزوال قدم . وفي ثلاثمائة وتسعة وأربعين ظل الزوال قدمان . وفي ثلاثمائة وأربعة وستين ظل الزوال ثلاثة أقدام وثلث .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَهْدِيكَ ، وَنُؤْمِنُ بِكَ ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْكَ ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الخَيْرَ كُلَّهُ ، نَشْكُرُكَ وَلاَ نَكْفُرُكَ .

اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ ، وَإِلَيْكَ نَسْعَىٰ وَنَحْفِدُ ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ ، وَنَخْشَىٰ عَذَابَكَ ، إِنَّ عَذَابَكَ الجِدَّ بِالكُفَّارِ مُلْحَقٌ .

***

كتاب التوحيد

الذي هو حق اللّه على العبيد

تأليف

شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

١ - باب

[حق الله على العباد وحق العباد على الله]

وقول اللّه تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أنِ اعْبُدوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ الآيـة [النحل : ٣٦] . وقـوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّـكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِـالوَالِـدَينِ إِحْسَاناً ﴾ الآية [الإسراء : ٢٣] . وقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ الآية [النساء : ٢٥] . وقوله : ﴿ قُلْ تَعَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُم أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ الآيات [الأنعام : ١٥١ - ١٥٣][(١)] .

قال ابن مسعود رضي اللّه عنه : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرْ إِلَىٰ وَصِيَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي

---

(١) قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في « تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد » ص ٣٠ : « فإن قلت هلا أتى المصنف رحمه الله بخطبة تنبىء عن مقصده كما صنع غيره ؟

قيل : كأنه ـ والله أعلم ـ اكتفى بدلالة الترجمة الأولى على مقصوده فإنه صدره بقوله « كتاب التوحيد » وبالآيات التي ذكرها وما يتبعها مما يدل على مقصوده » . ا هـ. وكذا فعل سيبويه في كتابه .

عليها خاتمه ، فليقرأ قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُم عَلَيْكُم ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً . . ﴾ الآية [الأنعام : ١٥١ - ١٥٣][١] .

وعن معاذ بن جبل رضي اللّه عنه قال : كنت رَدِيفَ النبي ﷺ على حمار فقال لي : « يَا مُعاذُ ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَىٰ العِبَادِ ، ومَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللّهِ ؟ » فقلت : اللّه ورسوله أعلم . قال : « فَإِنَّ حَقَّ اللّهِ عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللَّهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً » ، فقلت : يا رسول اللّه أفلا أبشِّر الناس ؟ قال : « لاَ تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا » أخرجاه في « الصحيحين »[٢] .

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والإنس .

الثانية : أن العبادة هي التوحيد ، لأن الخصومة فيه .

الثالثة : أن من لم يأت به لم يعبد اللّه ، ففيه معنى قوله : ﴿ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون : ٣ و٥] .

الرابعة : الحكمة في إرسال الرسل .

الخامسة : أن الرسالة عمت كل أمة .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٧٢) في التفسير : من سورة الأنعام وحسنه ، وهو كما قال .

(٢) رواه البخاري ١٣/ ٣٠٠ في التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، وفي الجهاد : باب اسم الفرس والحمار ، وفي اللباس : باب حمل صاحب الدابة غيره بين يديه ، وفي الاستئذان : باب من أجاب بلبيك وسعديك ، وفي الرقاق : باب من جاهد نفسه ، وفي العلم : باب من خص بالعلم قوماً دون قوم ، ومسلم رقم (٣٠) في الايمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، والترمذي رقم (٢٦٤٥) في الايمان : باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ، وأحمد في «المسند» ٣/ ٢٦٠ و ٢٦١ وابن ماجة رقم (٤٢٩٦) في الزهد : باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

السابعة : المسألة الكبيرة أن عبادة اللّه لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ؛ ففيه معنى قوله : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ . . . ﴾ الآية [البقرة : ٢٥٦] .

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون اللّه .

التاسعة : عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام [١٥١ - ١٥٣] عند السلف ، وفيها عشر مسائل ، أولها النهي عن الشرك .

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الإسراء ، وفيها ثماني عشرة مسألة ، بدأها اللّهُ بقوله : ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً ﴾ [الإسراء : ٢٢] ؛ وختمها بقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً ﴾ [الإسراء : ٣٩] ، ونبهنا اللّه سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ [الإسراء : ٣٩] .

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة ، بدأها اللّه تعالى بقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ [النساء : ٣٦] .

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول اللّه ﷺ عند موته .

الثالثة عشرة : معرفة حق اللّه تعالى علينا .

الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه .

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسرّه .

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة اللّه .

التاسعة عشرة : قول المسؤول عما لا يعلم : اللّه ورسوله أعلم .

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض .

الحادية والعشرون : تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الأرداف عليه .

الثانية والعشرون : جواز الارداف على الدابة .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل .

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

٢ ـ باب
فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول اللّه تعالى ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُوْنَ ﴾ الآية [الأنعام : ٨٢] .

عن عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ، وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ » . أخرجاه[1] .

ولهما في حديث عتبان : « فَإِنَّ اللّهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّه يَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللَّهِ »[2] .

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه ﷺ قال : « قَالَ مُوسَى : يَا رَبِّ ، عَلِّمْنِي شَيْئاً أَذْكُركَ وَأَدْعُوكَ بِهِ . قَالَ : قُلْ يَا مُوسَى : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّه . قَالَ : يَا رَبِّ

---

(١) البخاري ٣٤٢/٦ في الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ ، ومسلم رقم (٢٨) في الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً . والترمذي رقم (٢٦٤٠) في الايمان : باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأحمد في «المسند» ٣١٤/٥ .

(٢) البخاري ٢٠٦/١١ في الرقاق : باب العمل الذي يبتغي به وجه الله تعالى ، و٢٧١/١٢ في استتابة المرتدين : باب ما جاء في المتأولين ، ومسلم رقم (٣٣) في الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، واللفظ للبخاري .

كُلُّ عِبَادَكَ يَقُولُونَ هٰذَا ، قَالَ : يَا مُوسَىٰ ، لَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي ، وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰه فِي كِفَّةٍ ، مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ » رواه ابن حبان ، والحاكم وصححه(١) .

وللترمذي وحسنه عن أنس : سمعتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « قَالَ اللّٰهُ تَعَالَىٰ : يَا ابْنَ آدَمَ ؛ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً »(٢) .

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل اللّه .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند اللّه .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية « ٨٢ » التي في سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة .

السادسة : أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده ، تبين لك معنى قول : « لا إله إلا اللّه » وتبين لك خطأ المغرورين .

---

(١) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٨٣٤) و(١١٤١) ، وقال الحافظ في « الفتح » : أخرجه النسائي بسند صحيح ، وابن حبان رقم (٢٣٢٤) « موارد » في الأذكار : باب فضل التسبيح والتهليل والتحميد ، والبغوي في « شرح السنة » ٥/٥٤ و ٥٥ ، من حديث دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ٥٢٨/١ ووافقه الذهبي ، قال الهيثمي في « المجمع » ٨٢/١٠ : رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا ، وفيهم ضعف . وتقدم تخريجه ص (١٧٧) .

(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٤) في الدعوات : باب غفران الذنوب مهما عظمت من حديث أنس وحسنه، ورواه الدارمي رقم (٢٧٩١) ، وأحمد في « المسند » ٥/ ١٧٢ من حديث أبي ذر ، والطبراني من حديث ابن عباس ، وهو حديث حسن ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم ١٢٧ .

السابعة : التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان .

الثامنة : كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل لا إله إلا اللّه .

التاسعة : التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات ، مع أن كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه .

العاشرة : النص على أن الأرضين سبع كالسموات .

الحادية عشرة : أن لهن عماراً .

الثانية عشرة : إثبات الصفات ، خلافاً للأشعرية .

الثالثة عشرة : أنك إذا عرفت حديث أنس ، عرفت أن قوله في حديث عتبان : « فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ ، يَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللَّهِ » أنه ترك الشرك ، ليس قولها باللسان .

الرابعة عشرة : تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي اللّه ورسوليه .

الخامسة عشرة : معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة اللّه .

السادسة عشرة : معرفة كونه روحاً منه .

السابعة عشرة : معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار .

الثامنة عشرة : معرفة قوله : « على ما كان من العمل » .

التاسعة عشرة : معرفة أن الميزان له كفتان .

العشرون : معرفة ذكر الوجه .

٣ ـ باب
من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول اللّه تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ

الْمُشْـرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٠] ، وقـال : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ بِـرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُـونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٩] .

عن حُصَيْنِ بن عبد الرحمن قال : كنت عند سعيد بن جبير فقال : أيكم رأى الكـوكب الذي انقض البـارحة ؟ فقلت : أنـا ، ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة ، ولكني لُدِغْتُ ، قال : فما صنعت ؟ قلت : ارتقيت قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : لَا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَّةٍ . قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هٰذَا مُـوسَىٰ وَقَوْمُهُ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلى الْأُفُقِ ، فَنَظَرْتُ ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لي : انْظُرْ إِلى الْأُفُقِ الْآخَرِ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لي : هٰذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ » . ثم نهض فدخل منـزله . فخـاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول اللّه ﷺ . وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا باللّه شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول اللّه ﷺ فقال : « مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ » فأخبروه ، فقال : « هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ » فقام عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ . فقال : ادع اللّه أن يجعلني منهم . قال : « أَنْتَ مِنْهُمْ » ثم قام رجل آخر فقال : ادع اللّه أن يجعلني منهم . فقال « سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ »(١) .

---

(١) رواه البخاري ١٠ / ١٣٠ ـ ١٣١ في الطب : باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتو ، و ١٠ / ١٧٩ في الطب : باب من لم يرق ، وفي الأنبياء : باب وفاة موسى عليه السلام ، وفي الرقاق : باب من يتوكل على الله فهو حسبه ، وباب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ومسلم رقم (٢٢٠) في الإيمان : باب =

فيه مسائل :

الأولى : معرفة مراتب الناس في التوحيد .

الثانية : ما معنى تحقيقه .

الثالثة : ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين .

الرابعة : ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك .

الخامسة : كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد .

السادسة : كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة : عمق علم الصحابة لمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلَّا بعمل .

الثامنة : حرصهم على الخير .

التاسعة : فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية .

العاشرة : فضيلة أصحاب موسى .

الحادية عشرة : عرض الأمم عليه عليه الصلاة والسلام .

الثانية عشرة : أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها .

الثالثة عشرة : قلة من استجاب للأنبياء .

الرابعة عشرة : أن من لم يجبه أحد يأتي وحده .

الخامسة عشرة : ثمرة هذا العلم ، وهو عدم الاغترار بالكثرة ، وعدم الزهد في القلة .

السادسة عشرة : الرخصة في الرقية من العين والحمَّة .

السابعة عشرة : عمق علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ، ولكن كذا وكذا فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني .

= الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ، والترمذي رقم (٢٤٤٨) في صفة القيامة : باب رقم (١٧) . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٠) .

الثامنة عشرة : بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه .

التاسعة عشرة : قوله : « أَنْتَ مِنْهُمْ » علم من أعلام النبوة .

العشرون : فضيلة عكّاشة . .

الحادية والعشرون : استعمال المعاريض .

الثانية والعشرون : حسن خلقه ﷺ .

٤ ـ باب
الخوف من الشرك

وقول اللّه عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ ﴾ [النساء ـ ٤٨ ـ ١١٦]. وقال الخليل عليه السلام : ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥] .

وفي الحديث : « أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ » فسئل عنه ؟ فقال : « الرياء »(١) .

وعن ابن مسعود رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللّهِ نِدّاً دَخَلَ النَّارَ » رواه البخاري(٢) .

ولمسلم عن جابر رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « مَنْ لَقِيَ اللّهَ لَا

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤٢٨/٥ و ٤٢٩ من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه ، والبغوي في «شرح السنة » ، والطبراني في « الكبير » وهو حديث صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (٩٥١) .

(٢) رواه البخاري ١٣٢/٨ في تفسير سورة البقرة : باب قوله تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ﴾ ، و ٤٩٣/١١ في الأيمان والنذور : باب إذا قال : والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد أو هلل فهو على نية ، وأحمد في «المسند» ٤٦٢/١ و٤٦٤ .

يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : الخوف من الشرك .

الثانية : أن الرياء من الشرك .

الثالثة : أنه من الشرك الأصغر .

الرابعة : أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين .

الخامسة : قرب الجنة والنار .

السادسة : الجمع بين قربهما في حديث واحد .

السابعة : أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة . ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس .

الثامنة : المسألة العظيمة : سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام .

التاسعة : اعتباره بحال الأكثر ، لقوله : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ ﴾ [ابراهيم : ٣٦] .

العاشرة : فيه تفسير « لا إله إلا اللّه » ، كما ذكره البخاري .

الحادية عشرة : فضيلة من سلم من الشرك .

---

(١) رقم (٩٣) في الإيمان : باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، ومن مات مشركاً دخل النار وأحمد في «المسند» ٣/٣٤٥ .

٥ ـ باب
الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا اللّه

وقول اللّه تعالى : ﴿ قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَـاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . [يوسف : ١٠٨] .

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما ، أن رسول اللّه ﷺ ، لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : « إِنَّـكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ـ وفي روايـة : إِلَىٰ أَنْ يُوَحِّـدُوا اللّهَ ـ فَإِنْ هُمْ أَطَـاعُوكَ لِذٰلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّه افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذٰلِكَ ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فقَرَائِهِـمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذٰلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ[١] ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللّهِ حِجَابٌ »[٢] أخرجاه[٣] .

و «لهما» عن سهل بن سعد رضي اللّه عنه، أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللّه وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ ، يَفْتَحُ اللّهُ

---

(١) قوله : «وكرائم أموالهم» الكرائم جمع كريمة قال صاحب «المطالع» : هي جامعة الكمال الممكن في حقها ، من غزارة لبن وجمال صورة أو كثرة لحم أو صوف .

(٢) قوله : «فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» أي أنها مسموعة لا ترد .

(٣) رواه البخاري ٣/٢٥٥ في الزكاة : باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، و ٣/٢٨٢ ـ ٢٨٥ في الزكاة : باب تؤخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء ، وفي المظالم : باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم ، وفي المغازي : باب بعث أبي موسى ومعاذ الى اليمن قبل حجة الوداع ، وفي التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ،ومسلم رقم (١٩) في الايمان : باب الدعاء الى الشهادتين وشرائع الاسلام ، والترمذي رقم (٦٢٥) في الزكاة : باب ما جاء في كراهية أخذ المال في الصدقة ، وأبو داود رقم (١٥٨٤) في الزكاة : باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلي ، والنسائي ٥/٥٥ في الزكاة : باب إخراج الزكاة من بلد إلى بلد . وأحمد في «المسند» ١/٢٣٣ .

عَلَىٰ يَدَيْهِ» .فَبات الناس يدوكون ليلتهم أيُّهم يعطاها . فلما أصبحوا غدَوا على رسول اللّه ﷺ كلهم يرجو أن يعطاهـا . فقال : « أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أَبي طَـالِبٍ ؟ » فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه ، فأتي به . فبصق في عينيه ، ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية فقال : « انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلاَمِ ، وأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللّهِ تَعَالَىٰ فِيهِ ، فَوَاللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ[1] »[2] .

يدوكون : أي يخوضون .

فيه مسائل :

الأولى : أن الدعوة إلى اللّه طريق من اتبعه ﷺ .

الثانية : التنبيه على الإخلاص . لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه .

الثالثة : أن البصيرة من الفرائض .

الرابعة : من دلائل حسن التوحيد : كونه تنزيهاً للّه تعالى عن المسبَّة .

الخامسة : أن من قبح الشرك كونه مسبَّة للّه .

السادسة : ـ وهي من أهمها ـ إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك .

---

(١) قوله : «حمر النعم» هي الإبل الحمر ، وهي أنفس أموال العرب ، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء ، وإنه ليس هناك أعظم منه .

(٢) رواه البخاري ١٠١/٦ في الجهاد : باب فضل من أسلم على يديه ، وباب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ، و ٥٨/٧ في فضائل الصحابة : باب مناقب علي رضي الله عنه ، وفي المغازي : باب غزوة خيبر ، ومسلم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة : باب من فضائل علي رضي الله عنه ، وأحمد في «المسند» ٣٣٣/٥ .

السابعة : كون التوحيد أول واجب .

الثامنة : أن يبدأ به قبل كل شيء ، حتى الصلاة .

التاسعة : أن معنى : « أن يوحدوا اللّه » معنى شهادة : أن لا إله إلا اللّه .

العاشرة : أن الانسان قد يكون من أهل الكتاب ، وهو لا يعرفها ، أو يعرفها ولا يعمل بها .

الحادية عشرة : التنبيه على التعليم بالتدريج .

الثانية عشرة : البداءة بالأهم فالأهم .

الثالثة عشرة : مصرف الزكاة .

الرابعة عشرة : كشف العالم الشبهة عن المتعلم .

الخامسة عشرة : النهي عن كرائم الأموال .

السادسة عشرة : اتقاء دعوة المظلوم .

السابعة عشرة : الاخبار بأنها لا تحجب .

الثامنة عشرة : من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

التاسعة عشرة : قوله : « لأعطينَّ الراية » الخ . علم من أعلام النبوة .

العشرون : تفله في عينيه علم من أعلامها أيضاً .

الحادية والعشرون : فضيلة علي رضي اللّه عنه .

الثانية والعشرون : فضل الصحابة في دوكهم وشغلهم تلك الليلة عن بشارة الفتح .

الثالثة والعشرون : الايمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسعَ لها ومنعها عمن سعى .

الرابعة والعشرون : الأدب في قوله : « على رسلك » .

الخامسة والعشرون : الدعوة إلى الاسلام قبل القتال .

السادسة والعشرون : أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا .

السابعة والعشرون : الدعوة بالحكمة ، لقوله : « أخبرهم بما يجب عليهم » .

الثامنة والعشرون : المعرفة بحق اللّه تعالى في الاسلام .

التاسعة والعشرون : ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد .

الثلاثون : الحلف على الفتيا .

٦ - باب

تفسير التوحيد وشهادة ان لا إله إلا اللّه

وقول اللّه تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ ﴾ الآية [الاسراء : ٥٧] .

وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ الآية [الزخرف : ٢٦ ـ ٢٧] .

وقوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية [التوبة : ٣١] .

وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ الآية [البقرة : ١٦٥] .

وفي « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ قَالَ : لا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ »[1] ، وشرح هذه الترجمة ، ما بعدها من الأبواب .

فيه أكبر المسائل وأهمها : وهي تفسير التوحيد ، وتفسير الشهادة ، وبيَّنها بأمور واضحة .

منها آية الإسراء بيَّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر .

ومنها آية براءة ، بيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللّه ، وبيَّن أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً ، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه : طاعة العلماء والعباد في المعصية ، لا دعاؤهم إياهم .

ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : ﴿ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف : ٢٦ ـ ٢٧] ، فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة : هي تفسير شهادة أن لا إله إلا اللّه ، فقال : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٨] .

ومنها آية البقرة في الكفار الذين قال اللّه فيهم : ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة : ١٦٧] ، ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب اللّه ، فدل على أنهم

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣) في الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله محمد رسول الله ، وأحمد في «المسند» ٣/٤٧٢ من حديث طارق بن أشيم الأشجعي ، والد أبي مالك رضي الله عنهما ، وقد تقدم تخرجه ص (٥٠) .

يحبون اللّه حباً عظيماً ، ولم يدخلهم في الاسلام ، فكيف بمن أحب النِدَّ حباً أكبر من حب اللّه ؟ ! فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ، ولم يحب اللّه ؟!

ومنها قوله ﷺ : « مَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللّٰهِ » وهذا من أعظم ما يبين معنى « لا إله إلا اللّه » فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا اللّه وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك ، الكفر بما يعبد من دون اللّه ، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه . فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلّها ، ! ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع .

٧ - باب

من الشرك : لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول اللّه تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ؟ ﴾ الآية [الزمر : ٣٨] .

عن عمران بن حصين رضي اللّه عنه ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حَلَقَةٌ من صُفْرٍ ، فقال : « مَا هٰذَا ؟ » قال : من الواهنة(١) . فقال : « انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا

(١) قوله : «من الواهنة» ، قال في «النهاية» : الواهنة : عِرْقٌ يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها . وقيل : هو مرض يأخذ في العَضُد ، وربما علق عليها جنس من الخرز ، يقال لها : خرز الواهنة ، وهي تأخذ الرجال دون النساء . وإنما نهاه عنها لأنه إنما اتخذها على أنها تعصمه من الألم ، فكان عنده في معنى التمائم المنهي عنها .

تَزِيدَكَ إِلَّا وَهْناً ، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ ، مَا أَفْلَحْتَ أَبَداً » رواه أحمد بسند لا بأس به(١) .

وله عن عقبة بن عامر رضي اللّه عنه مرفوعاً : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَلاَ أَتَمَّ اللّهُ لَهُ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً فَلاَ وَدَعَ اللّهُ لَهُ » وفي رواية : « مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ »(٢) .

ولابن أبي حاتم عن حذيفة ، أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحُمَّى فقطعه ، وتلا قوله : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .

الثانية : أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح . فيه شاهد لكلام الصحابة : إن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر .

الثالثة : أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة : أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر ، لقوله : « لا تزيدك إلا وهناً » .

الخامسة : الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤/٤٤٥ ، وابن ماجة (٣٥٣١) في الطب : باب تعليق التمائم ، وصححه ابن حبان (١٤١٠) (١٤١١) «موارد» والحاكم ، وهو حديث صحيح .

(٢) الأولى رواها أحمد في «المسند» ٤/١٥٤ ، وابن حبان (١٤١٣) «موارد» والحاكم ٤/٤١٧ وصححه ووافقه الذهبي وله شاهد عند أحمد ٤/ ٣١٠ من حديث عبد الله بن عكيم ، الرواية الثانية رواها أحمد في « المسند » ٤/ ١٥٦ ، ورواه أيضاً الحاكم ٤/ ٤١٧ ، وهو حديث صحيح ،وقوله « تعلق » أي علق وتعلق بها قلبه وقد جاءت في ابن حبان « عَلّق » وكذا في « مجموعة التوحيد » طبعة المنار وقرة العيون . وما أثبتناه موافق « للمسند » و« فتح المجيد » . انظر «الأحاديث الصحيحة » رقم (٤٩٢) .

السادسة : التصريح بأن من تعلّق شيئاً وُكل إليه .

السابعة : التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الثامنة : أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة : تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة .

العاشرة : أن تعليق الودع عن العين من ذلك .

الحادية عشرة : الدعاء على من تعلق تميمة ، أن اللّه لا يتم له ، ومن تعلق ودعةً ، فلا ودع اللّه له ، أي لا ترك اللّه له .

٨ - بـاب
ما جاء في الرقى والتمائم

في « الصحيح »[١] عن أبي بشير الأنصاري رضي اللّه عنه ، أنه كان مع رسول اللّه ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً أن لا يبْقَينَّ في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قُطِعَتْ .

وعن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « إنَّ الرُّقَىٰ وَالتَمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكٌ »[٢] رواه أحمد وأبو داود[٣] .

---

(١) رواه البخاري ٦/٩٨ في الجهاد : باب ما قيل في الجرس ونحوه في أعناق الابل ، ومسلم رقم (٢١١٥) في اللباس والزينة : باب كراهية قلادة الوتر في رقبة البعير ، وأبو داود رقم (٢٥٥٢) في الجهاد : باب تقليد الخيل بالأوتار ، وأحمد في «المسند» ٥/٢١٦ ، ومالك في «الموطأ» ٢/٩٣٧ في صفة النبي ﷺ : باب ما جاء في نزع المعاليق والجرس من العنق .

(٢) قال الخطابي : التولة : ضرب من السحر ، قال الأصمعي : وهو الذي يحبب المرأة الى زوجها . وأما الرقى فالمنهي عنه هو ما كان منها بغير لسان العرب فلا يُدرى ما هو ؟ ولعله قد يدخله سحر أو كفر ، فأما إذا كان مفهوم المعنى ، وكان فيه ذكر الله تعالى ، فإنه مستحب متبرك به ، والله أعلم .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٨٨٣) في الطب : باب في تعليق التمائم ، وابن ماجة (٣٥٣٠) في الطب : باب تعليق=

وعن عبد اللّه بن عكيم مرفوعاً : « مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكلَ إِلَيْهِ » . رواه أحمد والترمذي(١) .

التمـائم : شيء يعلق على الأولاد من العين ، لكن إذا كـان المعلق من القـرآن ، فرخص فيـه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيـه ، ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي اللّه عنه .

الرقى : هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول اللّه ﷺ من العين والحمى .

والتِّوْلة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها ، والرجل إلى امرأته .

وروى أحمد عن رويفع قال : قال لي رسول اللّه ﷺ : « يَا رُويفع ! لَعَلَّ الحَيَاةَ تَطُولُ بِكَ ، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّ مَنْ عَقَـدَ لِحْيَتَهُ أَوْ تَقَلَّدَ وَتَـراً ، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَةٍ أَوْ عَظْمٍ ، فَإِنَّ مُحَمَّداً بَرِيءٌ مِنْهُ »(٢) .

وعن سعيد بن جبير رضي اللّه عنه ، قال : « من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع . وله عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمائم كلها ، من القرآن وغير القرآن .

= التمائم ، وأحمد في « المسند » ١/ ٣٨١ ، والحاكم ٤/ ٢١٧ وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (٣٣١) .

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤/٢١١ ، والترمذي رقم (٢٠٧٣) في الطب : باب ما جاء في التعاليق ، وهو حديث ضعيف ، كما قـال الألباني في « ضعيف الجـامع » رقم (٥٧١٤) ، ولكن لـه شواهـد وسيأتي لفظه ص (٢٤٤) رقم (٣) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٦) في الطهارة : باب ما ينهى عنه وما يستنجى به ، والنسائي ٨/١٣٥ في الزينة : باب عقـد اللحية ، وأحمـد في « المسنـد » ٤/١٠٨ ، ١٠٩ ، وهـو حـديث صحيـح ، كمـا قـال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٧٨٧) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الرقى والتمائم .

الثانية : تفسير التّولة .

الثالثة : أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء .

الرابعة : أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمى ، ليس من ذلك .

الخامسة : أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء : هل هي من ذلك أم لا ؟ .

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين ، من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلق وتراً .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمةً من إنسان .

التاسعة : أن كلام إبراهيم [النخعي] لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ، لأن مراده أصحاب عبد اللّه بن مسعود .

٩ ـ باب
من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول اللّه تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم اللَّاتَ وَالعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى * أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ الآيات [النجم : ١٩ ـ ٢٢] .

عن أبي واقد الليثي ، قال : خرجنا مع رسول اللّه ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها : ذات أنواط . فمررنا بسدرة ، فقلنا : يا رسول اللّه ! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول اللّه ﷺ : « اللّهُ أَكْبَرُ ! إِنَّهَا السُّنَنُ ،

قُلْتُمْ ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ـ كَمَا قَالَتْ بَنُوا إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُم آلِهَـةٌ قَالَ إِنَّكُم قَـوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٨] لَتَـرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » رواه الترمذي وصححه[1] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفة صورة الأمر الذي طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا .

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك ، لظنهم أنه يحبه .

الخامسة : أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة : أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم .

السابعة : أن النبي ﷺ لم يعذرهم ، بل رد عليهم بقوله : « اللّهُ أَكْبَرُ إِنَّهَا السُّنَنُ ، لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » فغلَّظ الأمر بهذه الثلاث .

الثامنة : الأمر الكبير ، وهو المقصود : أنـه أخبر أن طلْبتهم كـطَلِبَة بني إسرائيل لما قالوا لموسى : ﴿ اجْعَلَ لَنَا إِلٰهاً ﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

التاسعة : أن نَفْيَ هذا ، من معنى « لا إله إلا الله » مع دِقته وخفائه على أولئك .

العاشرة : أنه حلف على الفُتيا ، وهو لا يحلف إلا لمصلحة .

الحادية عشرة : أن الشرك فيه أكبر وأصغر ؛ لأنهم لم يرتدُّوا بهذا .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢١٨١) في الفتن : باب ما جاء «لتركبن سنن من كان قبلكم» ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ؛ ورواه أيضاً أحمد في «المسند» ٥/٢١٨ ، وقال الترمذي : وفي الباب عن أبي سعيد وأبي هريرة . وتقدم تخريجه ص (٧٤) .

الثانية عشرة : قولهم : ونحن حُدَثَاء عهد بكفر ، فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة : ذكر التكبير عند التعجب ، خلافاً لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية ، لقوله : « إنها السنن » .

الثامنة عشرة : أن هذا عَلَم من أعلام النبوَّة ، لكونه وقع كما أخبر .

التاسعة عشرة : أن كل ما ذمَّ اللّه به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا .

العشرون : أنه مقرَّرٌ عندهم أن العبادات مبناها على الأمر ، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر . أمَّا « مَن ربك ؟ » فواضح ، وأمَّا « مَن نبيك ؟ » فمن إخباره بأنباء الغيب ، وأمَّا « ما دينك ؟ » فمن قولهم : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً ﴾ . . . الخ .

الحادية والعشرون : أن سُنَّة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الثانية والعشرون : أن المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه بقية من تلك العادة لقولهم : ونحن حدثاء عهد بكفر .

١٠ ـ باب

ما جاء في الذبح لغير اللّه

وقول اللّه تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ ﴾ الآية [الأنعام : ١٦٣ ـ ١٦٤] ، وقوله : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر : ٢] .

عن علي رضي اللّه تعالى عنه قال : حدثني رسول اللّه ﷺ بأربع كلمات : « لَعَنَ اللّه مَنْ ذَبـحَ لِغَيْرِ اللّهِ ، لَـعَنَّ اللّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِـدَيْـهِ ، لَعَنَ اللّهُ مَنْ آوىٰ مُحْدِثاً ، لَعَنَ اللّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنارَ الأَرْضِ » رواه مسلم[١] .

وعن طارق بن شهاب ، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال : « دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ ، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ فِي ذُبَابٍ » . قالـوا : وكيف ذلك يـا رسول اللّه ؟! قال : « مَرَّ رَجُلاَنِ عَلَىٰ قَوْمٍ لَهُمْ صَنَمٌ لاَيَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئاً ، فَقَالُوا لِأَحَدِهِما : قَرِّبْ . قَالَ لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُقَرِّبُ ، قَالُوا لَهُ : قَرِّبْ وَلَوْ ذُباباً ، فَقَرَّبَ ذُباباً ، فَخَلَّوا سَبِيلَهُ ، فَدَخَلَ النَّارَ . وَقَالُوا لِلآخَرِ : قَرِّبْ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ لأُقَـرِّبَ لِأَحِدٍ شَيْئاً دُونَ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الجَنَّةَ » رواه أحمد[٢] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ .
الثانية : تفسير ﴿ فَصَلِّ لِـرَبِّكَ وَانْحَـرْ ﴾ .
الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير اللّه .
الـرابعة : لعن من لعن والـديه ، ومنـه أن تلعن والـدي الـرجـل فيلعن والديك .
الخامسة : لعن من آوى مُحدثاً ، وهو الرجل يُحدث شيئاً يجب فيه حق للّه فيلتجىء إلى من يجيره من ذلك .

---

(١) رواه مسلم رقم (١٩٧٨) (٤٣) و (٤٤) و (٤٥) في الأضاحي : باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله ، والنسائي ٧/٢٣٢ في الضحايا : باب من ذبح لغير الله .
(٢) رواه أحمد في كتاب «الزهد» صفحة (١٥) عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو موقوف صحيح ، وفي كتاب «الزهد» سليمان بدل سلمان وهو خطأ .

السادسة : لعن من غيَّر منار الأرض ، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك من الأرض وحق جارك ، فتغيرها بتقديم أو تأخير .

السابعة : الفرق بين لعن المعيَّن ، ولعن أهل المعصية على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده ، بل فعله تخلصاً من شرهم .

العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك على القتل ، ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر .

الحادية عشرة : أن الذي دخل النار مسلم ، لأنه لو كان كافراً لم يقل : « دخل النار في ذباب » .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح « الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذٰلِكَ »(١) .

الثالثة عشرة : معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان .

١١ ـ باب
لا يذبح للَّه بمكان يذبح فيه لغير اللَّه

وقول اللَّه تعالى : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ﴾ الآية [التوبة : ١٠٨] .

---

(١) رواه البخاري ١١/٢٧٥ في الرقاق : باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهو عند أحمد في «المسند» ١/٣٨٧ و٤١٣ و٤٤٢ .

عن ثابت بن الضحاك رضي اللّه عنه ، قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببُوَانَةَ[1] ، فسأل النبي ﷺ فقال : «هَلْ كَانَ فِيها وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الجَاهِلِيَةِ يُعْبَدُ ؟ » قالوا : لا . قال : «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ؟ » قالوا : لا . فقال رسول اللّه ﷺ : «أَوْفِ بِنَذْرِكَ ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللّهِ ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلُكُ ابنُ آدَمَ[2] » رواه أبو داود ، وإسناده على شرطهما[3] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً ﴾ [التوبة : ١٠٧] .

الثانية : أن المعصية قد تؤثر في الأرض ، وكذلك الطاعة .

الثالثة : رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال .

الرابعة : استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك .

الخامسة : أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع .

السادسة : المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله .

السابعة : المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله .

الثامنة : أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية .

التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده .

العاشرة : لا نذر في معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

---

(١) «بُوانة» هي هضبة من وراء ينبع قريبة من ساحل البحر ، وقيل : إنها بفتح الباء .

(٢) قال الخطابي : في الحديث دليل على أن من نذر طعاماً أو ذبحاً بمكة أو في غيره من البلدان لم يجز أن يجعله لفقراء غير أهل هذا المكان ، وهذا على مذهب الشافعي وأجازه غيره لغير أهل ذلك المكان .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٣١٣) في الأيمان والنذور : باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٥٤٨) .

وانظر كلام شيخ الاسلام بن تيمية حول هذا الموضوع في كتابه القيم الجليل : « اقتضاء الصراط المستقيم » وهو من مطبوعات « مكتبة دار البيان بدمشق » .

١٢ ـ باب

من الشرك النذرُ لغير اللّه

وقول اللّه تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ [الدهر : ٧] وقوله : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُم مِن نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِن نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ [البقرة : ٢٧٠] .

وفي «الصحيح»(١) عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول اللّه ﷺ قال : «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللّهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللّه فَلَا يَعْصِهِ» .

فيه مسائل :

الأولى : وجوب الوفاء بالنذر .

الثانية : إذا ثبت كونه عبادة للّه فصرفُه إلى غيره شرك .

الثالثة : أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

١٣ ـ باب

من الشرك الاستعاذة بغير اللّه

وقول اللّه تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقاً ﴾ [الجن : ٦] .

وعن خَولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول :

---

(١) رواه البخاري ١١/٥٠٤ في الأيمان والنذور : باب النذر في الطاعة ، و ١١ / ٥٨ في الأيمان والنذور : باب النذر فيما لا يملك ، وأحمد في «المسند» ٦/٣٦ ، وأبو داود رقم (٣٢٨٩) في الأيمان والنذور ، والترمذي رقم (١٥٢٦) في النذور : باب من نذر أن يطيع الله فليطعه ، والنسائي ٧/١٧ في الأيمان والنذور : باب النذر في المعصية ، وابن ماجه (٢١٢٦) في الكفارات : باب النذر في المعصية .

«مَن نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ[1] مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضِرْهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذٰلِكَ » . رواه مسلم[2] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث ، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات اللَّه غير مخلوقة ، قالوا : لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك .

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة : أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كَفِّ شر ، أوجلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك .

١٤ ـ باب

من الشرك أن يستغيث بغير اللَّه أو يدعو غيره

وقول اللَّه تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إذاً مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ الآية [يونس: ١٠٦ ـ ١٠٧] ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ واعْبُدُوهُ ﴾

---

(١) قوله : «بكلمات الله التامات» قيل : معناه الكاملات التي لا يدخل فيها نقص ولا عيب ، وقيل : النافعة الشافية ، وقيل : المراد بالكلمات هنا : القرآن .

(٢) مسلم رقم (٢٧٠٨) في الذكر والدعاء : باب في التعوذ من سوء القضاء ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٦/٣٧٧ و٤٠٩ ، والترمذي رقم (٣٤٣٣) في الدعوات : باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً ، وابن ماجة (٣٥٤٧) في الطب : باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه .

[العنكبوت : ١٧] . وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ الآيتان [الأحقاف : ٥ ـ ٦] . وقوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل : ٦٢] .

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين ، فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق . فقال النبي ﷺ : «إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي ، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

فيه مسائل :

الأولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

الثالثة : أن هذا هو الشرك الأكبر .

الرابعة : أن أصلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيره صار من الظالمين .

الخامسة : تفسير الآية التي بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً .

السابعة : تفسير الآية الثالثة .

الثامنة : أن طلب الرزق لا ينبغي إلا من الله ، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه .

التاسعة : تفسير الآية الرابعة .

العاشرة : أنه لا أضل ممن دعا غير الله .

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠ / ١٥٩ ، وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث . « أقول : وابن لهيعة خلط بعد احتراق كتبه» . وأخرجه أحمد في «المسند» ٥/ ٣١٧ ولفظه عنده ، فقال النبي ﷺ : « لا يقام لي ، إنما يقام لله تبارك وتعالى ، وفي سنده أيضاً ابن لهيعة وراوٍ لم يسم .

الحادية عشرة : أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه .

الثانية عشرة : أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو .

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس .

السادسة عشرة : تفسير الآية الخامسة [من سورة الأحقاف] .

السابعة عشرة : الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلا اللَّه ، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى ﷺ حمى التّوحيد والتأدب مع اللّه عز وجل .

١٥ ـ باب

[في التوحيد وغربة الدين]

قول اللَّه تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُم يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُم نَصْراً ﴾ الآية [الأعراف : ١٩١ ـ ١٩٢] . وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ الآية [فاطر : ١٣] .

وفي «الصحيح»[١] عن أنس قال : شُجَّ[٢] النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ

---

(١) رواه البخاري معلقاً ٧/٢٨١ في المغازي : غزوة أحد : باب قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ ، قال البخاري : قال حميد وثابت عن أنس : شج النبي ﷺ يوم أحد فقال : « كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، فنزله ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ . أما حديث حميد فوصله أحمد والترمذي والنسائي من طرق عن حميد ، وأما حديث ثابت فوصله مسلم (١٧٩١) في الجهاد والسير : باب غزوة أحد ، من رواية حمادبن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه .

(٢) قوله : « شجَّ » : أي حصل جرح في رأسه الشريف ، والجراحة إذا كانت في الوجه أو الرأس تسمى شجة .

رَبَاعِيَتُهُ ، فقـال : «كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ شَجُّـوا نَبِيَّهُمْ ؟ » فنزلت : ﴿ لَيْسَ لَـكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨ ـ ١٢٩] .

وفيه عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاناً وفُلاناً » بعدما يقول : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ » فأنزل اللَّه : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[1] وفي رواية : يـدعو على صفـوان بن أمية ، وسهيـل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾[1] .

و « فيه » عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قام رسول اللَّه ﷺ حين أُنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] قال : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ أو كلمة نحوها ـ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يا عَبَاسُ بنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً »[2] .

فيه مسائل :

الأولى تفسير الآيتين .

الثانية : قصة أحد .

---

(١) رواه البخاري ٧/ ٢٨١ في المغازي : باب قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ .

(٢) رواه البخاري ٨/ ٣٨٦ في تفسير سورة الشعراء : باب قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، وفي الوصايا : باب هل يدخل النساء والأولاد في الأقارب ، وفي الأنبياء : باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ، ومسلم رقم (٢٠٦) في الإيمان : باب قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، والترمذي رقم (٣١٨٤) في التفسير : باب ومن سورة الشعراء ، والنسائي ٦/ ٢٤٨ في الوصايا : باب إذا أوصى لعشيرته الأقربين .

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمِّنون في الصلاة .

الرابعة : أن المدعو عليهم كفار .

الخامسة : أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار . منها : شجهم نبيهم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة : أنزل اللّه عليه في ذلك ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

السابعة : قوله : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم أَوْ يُعَذِّبَهم فَإِنَّهُم ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] ، فتاب عليهم فآمنوا .

الثامنة : القنوت في النوازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة : لعنة المعيَّن في القنوت .

الحادية عشر : قصته ﷺ لما أنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] .

الثانية عشرة : جدِّه ﷺ في هذا الأمر ، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثالثة عشرة : قوله للأبعد والأقرب : « لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً» حتى قال : «يَا فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً » فإذا صرح ﷺ وهو سيد المرسلين أنه لا يغني عن سيدة نساء العالمين ، وأمن الانسان أنه لا يقول إلا الحق ، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن ، تبين له التوحيد وغربة الدين .

١٦ ـ باب
[في بيان الحجة على ابطال الشرك]

قول اللَّهِ تَعالَى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُم قَالُوا : الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾ [سبأ : ٢٣] .

وفي « الصحيح »[١] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « إِذَا قَضَىٰ اللَّه الأَمْرَ في السَّماءِ ضَربَتِ المَلائِكَةُ بِأَجْنِحَتِها خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَىٰ صَفْوَانٍ يَنفُذُهُمْ ذٰلِكَ ﴿ حتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُم قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾ . فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُو السَّمْعِ ـ وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ ، هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ ، وَصَفَهُ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرفَها وَبَدَّدَ أَصَابِعَهُ ـ فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيُلْقِيها إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَىٰ مَنْ تَحْتَهُ ، حَتَّىٰ يُلْقِيها عَلَىٰ لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الكَاهِنِ ، فَرُبَّما أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيهَا ، وَرُبَّما أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ، فَيَكْذِبُ معَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ . فَيُقَالُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنا يَوْمَ كَذا [وَكَذا] : كَذَا وَكَذا ؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ » .

وعن النَّوَّاسِ بن سمعان رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « إِذَا أَرادَ اللَّه تَعالَىٰ أَنْ يُوحِيَ بِالأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالوَحْيِ ، أَخَذَتِ السَّماواتُ مِنْهُ رَجْفَةٌ ـ أَوْ قَالَ رَعْدَةً ـ شَدِيدَةً ، خَوْفاً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجلَّ . فَإِذَا سَمِعَ ذٰلِكَ أَهْلُ السَّماواتِ صَعِقُوا وَخرَّوا للَّهِ سُجَّداً ، فَيَكُونُ أولَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ ، فَيُكَلِّمَهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِما أَرادَ ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَىٰ المَلائِكَةِ كُلَّما مَرَّ بِسَماءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُها : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يا جِبْرِيلُ ؟ فَيقُولُ جِبْرِيلُ : قَالَ ﴿ الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾ فَيقُولُونَ

---

(١) رواه البخاري ٤١٣/٨ و٤١٤ في تفسير سورة سبأ : باب ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ و٢٨٨/٨ في التفسير سورة الحجر : باب ﴿ إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين ﴾ .

كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ . فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَىٰ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ »(١) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما فيها من الحجة على إبطال الشرك ، خصوصاً من تعلق على الصالحين ، وهي الآية التي قيل : إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة : تفسير قوله : ﴿ قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾ .

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : أن جبريل هو الذي يجيبهم بعد ذلك بقوله : « قال كذا وكذا » .

السادسة : ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل .

السابعة : أنه يقوله لأهل السماوات كلهم ، لأنهم يسألونه .

الثامنة : أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السماوات لكلام اللّٰه .

العاشرة : أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره اللّٰه .

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضاً .

الثالثة عشرة : إرسال الشهب .

---

(١) رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال ابن كثير رحمه الله : وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفي عن ابن عباس وعن قتادة أنهما فسروا هذه الآية بابتداء إيحاء الله تعالى إلى محمد ﷺ ، بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه السلام ، ولا شك أن هذا أولى ما دخل في هذه الآية . وقد تقدم تخريجه ص ٥٩) .

الرابعة عشرة : أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وتارة يلقيها في أذن وليه من الأنس قبل أن يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق في بعض الأحيان .

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

السابعة عشرة : أنه لم يصدق كذبه إلَّا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل ، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة ؟!

التاسعة عشرة : كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : التصريح بأن تلك الرجفة والغشي خوفاً من اللَّه عز وجل .

الثانية والعشرون : أنهم يخرُّون للَّه سجداً .

١٧ - باب
الشفاعة

وقول اللَّه تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِم لَيْسَ لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٥١] .

وقوله : ﴿ قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً ﴾ [الزمر : ٤٤] .

وقوله ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وقوله : ﴿ وَكَمْ مِن مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُم شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم : ٢٦] .

وقوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ الآيتين [سبأ : ٢٢ - ٢٣] .

قال أبو العباس : نفى اللَّه عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً للَّه ، ولم يبق إلا الشفاعة ، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء : ٢٨] . فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون ، هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ « أَنَّهُ يَأْتِي فَيَسْجُدَ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ ، لَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوْلاً ، ثم يقال له : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعْ ، وَسَلْ تُعْطَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ »[1] .

وقال له أبو هريرة : مَن أسعد الناس بشفاعتك يا رسول اللَّه ؟ قال : « مَنْ قَالَ لَا إِلٰه إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ »[2] فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن اللَّه ، ولا تكون لمن أشرك باللَّه .

وحقيقته : أن اللَّه سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ، ليكرمه وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي

---

(١) هو جزء من حديث الشفاعة العظمى الطويل الذي رواه البخاري ٦/ ٢٦٤ و٢٦٥ في أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ و٨/ ٣٠٠ في تفسير سورة النحل : باب قوله تعالى : ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾، ومسلم (١٩٤) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه ص (٩٣) .

(٢) رواه البخاري ١/ ١٧٣ - ١٧٤ في العلم : باب الحرص على الحديث ، و ١١/ ٣٨٥ في الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٧٣ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٧) .

نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيات .

الثانية : صفة الشفاعة المنفيَّة .

الثالثة : صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة : ذكر الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود .

الخامسة : صفة ما يفعله ﷺ ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، بل يسجد ، فإذا أذن اللَّه له شفع .

السادسة : مَن أسعد الناس بها ؟ .

السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك باللَّه .

الثامنة : بيان حقيقتها .

١٨ ـ باب
[في أن الأعمال بالخواتيم ، ومضرة تعظيم الأسلاف والأكابر]

قول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية [القصص : ٥٦] .

وفي « الصحيح »[١] عن ابن المسيب عن أبيه قال : « لما حضرت أبا طالب

---

(١) رواه البخاري ٣/١٧٦ و١٧٧ في الإيمان : باب إذا قال المشرك عند الموت لا اله الا الله و٧/١٤٩ : باب قصة أبي طالب ، و٨/٢٥٨ في تفسير سورة التوبة ، و٨/٣٨٩ و٣٩٠ في تفسير سورة القصص ، ومسلم (٢٤) في الإيمان : باب الدليل على صحة اسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع . وأحمد في « المسند » ٥/ ٤٣٣ . تقدم تخريجه ص (١٢٦) .

الوفاة[1] جاءه رسول اللَّه ﷺ وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل ، فقال له : « يَا عَمِّ ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، كَلِمَةً أُحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ » ، فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟! فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادا ، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلَّا اللَّه . فقال النبي ﷺ : « لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ » فأنزل اللَّه عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية [التوبة : ١١٣] . وأنزل اللَّه في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [القصص : ٥٦] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾ .

الثانية : تفسير قوله : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ الآية .

الثالثة : ـ وهي المسألة الكبرى ـ تفسير قوله ﷺ « قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » بخلاف ما عليه من يدعي العلم .

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل : « قل لا إله إلا اللَّه » فقبح اللَّه مَنْ أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام .

الخامسة : جدّه ﷺ ومبالغته في إسلام عمه .

السادسة : الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه .

---

(١) قوله : « لما حضرت أبا طالب الوفاة » المراد قربت وفاته وحضرت دلائلها ، وذلك قبل المعاينة والنزع ، ولو كان في حال المعاينة والنزع لما نفعه الإيمان .

السابعة : كونه ﷺ استغفر له فلم يُغفر له ، بل نهي عن ذلك .

الثامنة : مضرَّة أصحاب السوء على الإنسان .

التاسعة : مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر .

العاشرة : الشبهة للمبطلين في ذلك ، لاستدلال أبي جهل بذلك .

الحادية عشرة : الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته .

الثانية عشرة : التأمل في كبر هـذه الشبهة في قلوب الضـالين ، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها ، مـع مبالغتـه ﷺ وتكريـره ، فلأجـل عظمتهـا ووضوحها عندهم ، اقتصروا عليها .

١٩ ـ باب
ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم
هو الغلو في الصالحين

وقــول اللّه عــز وجــل : ﴿ يَـا أَهْـلَ الكِتَـابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُم ﴾ [النساء : ١٧٠] .

وفي « الصحيح »[١] عن ابن عباس رضي اللّه عنهما في قول اللّه تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُـوَاعاً وَلَا يَغُـوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْـراً ﴾ [نوح : ٢٣] قال : « هٰذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ . فَلَمَّـا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمْ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيها أَنْصاباً وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا ، وَلَمْ تُعْبَدْ ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُوْلَئِكَ وَنُسِـخَ العِلْمُ ، عُبِدَتْ » .

---

(١) رواه البخاري ٨/٥١١ و٥١٢ في تفسير سورة نوح .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ؛ ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

وعن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ؛ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » أخرجاه[1] .

ولمسلم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الغُلُوُّ »[2] .

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول اللَّه ﷺ قال : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قالها ثلاثاً[3] .

فيه مسائل :

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده ، تبيَّن له غربة الإسلام ، ورأى من قدرة اللَّه وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين .

---

(١) رواه البخاري فقط ٦/٣٥٥ في أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت ﴾ و١٢/١٣١ في الحدود : بـاب رجم الحبلى في الزنا إذا أحصنت ، وليس عند مسلم ، وقد أخطأ في ذلك أيضاً صاحب المشكاة ، الخطيب التبريزي ، ورواه الدارمي رقم (٢٧٨٧) في الرقاق باب قول النبي ﷺ : « لا تطروني » ، وأحمد في « المسند » ١/٢٣ و٢٤ و٤٧ و٥٥ . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٤) .

(٢) ليس الحديث في صحيح مسلم ، وإنما رواه أحمد في « المسند » ١/٢١٥ و٣٤٧ ، والنسائي ٥/٢٦٨ في المناسك : باب التقاط الحصى ، وابن ماجه رقم (٣٠٢٩) في المناسك : باب في قدر حصى الرمي ، وصححه ابن حبان رقم (١٠١١) ، والحاكم ١/ ٤٦٦ ، ووافقه الذهبي ، وهو حديث صحيح . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٢٨٣) .

(٣) رواه مسلم رقم (٢٦٧٠) في العلم : باب هلك المتنطعون ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١/٣٨٦ ، وأبو داود رقم (٤٦٠٨) في السنة : باب في لزوم السنة .

قوله : « المتنطعون » : أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم .

الثالثة : أول شيء غُيِّر به دين الأنبياء ، وما سبب ذلك مع معرفة أن اللَّه أرسلهم .

الرابعة : قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردُّها .

الخامسة : أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل : فالأول محبة الصالحين ، والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً ، فظن مَن بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

السادسة : تفسير الآية التي في سورة نوح .

السابعة : جبلَّة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه ، والباطل يزيد .

الثامنة : أن فيه شاهداً لما نُقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر .

التاسعة : معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل .

العاشرة : معرفة القاعدة الكلية ، وهي النهي عن الغلوِّ ، ومعرفة ما يؤول إليه .

الحادية عشرة : مضرَّة العكوف على القبر لأجل عمل صالح .

الثانية عشرة : معرفة النهي عن التماثيل ، والحكمة في إزالتها .

الثالثة عشرة : معرفة عظم شأن هذه القصة ، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .

الرابعة عشرة ، وهي أعجب وأعجب : قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ، ومعرفتهم بمعنى الكلام ، وكون اللَّه حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى اللّه ورسوله عنه ، فهو الكفر المبيح للدم والمال .

الخامسة عشرة : التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة .

السادسة عشرة : ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك .

السابعة عشرة : البيان العظيم في قوله ﷺ : « لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابنَ مَرْيَمَ » فصلوات اللّه وسلامه على من بلّغ البلاغ المبين .

الثامنة عشرة : نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .

التاسعة عشرة : التصريح بأنها لم تُعبد حتى نُسخ العلم ، ففيها معرفة قدر وجوده ومضرّة فقده .

العشرون : أن سبب فقد العلم موت العلماء .

٢٠ - باب
ما جاء من التغليظ فيمن عبد اللّه عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟!

في «الصحيح»[(١)] عن عائشة رضي اللّه عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول اللّه ﷺ كنيسة رأتها بأرض بالحبشة وما فيها من الصور . فقال : «أُوْلَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ العَبْدُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِداً ، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ ، أُوْلَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين ، فتنة القبور ، وفتنة التماثيل .

---

(١) رواه البخاري ١/٤٣٨ في الصلاة : باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ، و١/٤٤٤ في الصلاة : باب الصلاة في البيعة ، و٣/١٦٧ في الجنائز : باب بناء المسجد على القبر و٧/١٤٥ في مناقب الأنصار باب هجرة الحبشة ، ومسلم رقم (٥٢٨) في المساجد ومواضع الصلاة : باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد ، والنسائي ٢/٤٢ في المساجد : باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، وأحمد في « المسند » ٦/٥١ .

و « لهما » عنها : قالت : « لَمَّا نُزِلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ ، فَقَالَ وَهُوَ كَذٰلِكَ : « لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصارَى ، اتَّخذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا ، لَوْلاَ ذٰلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً ، أخرجاه[1] .

ولمسلم[2] عن جُندب بن عبد اللَّه قال : سمعت النبي ﷺ قبل موته بخمس وهو يقول : « إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً ، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً ، لأَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوايَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذٰلِكَ » .

فقد نهى عنه في آخر حياته ، ثم إنه لعن ـ وهـو في السياق ـ من فعله ، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبنِ مسجد ، وهو معنى قولها : خشي أن يتخذ مسجداً ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً . وكل موضـع قصد الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ، بل كل موضع يصلي فيه يسمى مسجداً ، كما قال ﷺ : « جُعِلَتْ لي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً »[3] .

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه مرفوعاً : « إِنَّ مِنْ شِرَارِ

---

(١) رواه البخاري ١/ ٤٤٤ في الصلاة : باب الصلاة في البيعة ، و٦/ ٣٥٩ في أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، و٨/١٠٨ في الغزوات : باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، و١٠/٢٣٤ في الطب : باب المغفر ، ومسلم رقم (٥٣١) في المساجد ومواضع الصلاة : باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، من حديث عائشة وعبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهم ـ وتقدم تخريجه ص (١٣٤) .

(٢) رقم (٥٣٢) في المساجد ومواضع الصلاة : باب النهي عن بناء المساجد على القبور .

(٣) رواه البخاري ١/٣٦٩ و٣٧٠ في التيمم ، و٤٤٤ في الصلاة : باب قول النبي ﷺ : جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، ومسلم رقم (٥٢١) في المساجد ومواضع الصلاة ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُم أَحْيَاءٌ وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ » ورواه أبو حاتم ابن حبان في « صحيحه »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد اللّٰه فيه عند قبر رجل صالح . ولو صحت نية الفاعل .

الثانية : النهي عن التماثيل ، وغلظ الأمر في ذلك .

الثالثة : العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف بيَّن لهم هذا أولاً ، ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم .

الرابعة : نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة : أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم .

السادسة : لعنه إياهم على ذلك .

السابعة : أن مراده تحذيره إيانا عن قبره .

الثامنة : العلة في عدم إبراز قبره .

التاسعة : في معنى اتخاذها مسجداً .

العاشرة : أنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من تقوم عليهم الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته .

الحادية عشرة : ذكره في خطبته قبل موته بخمس : الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١ / ٤٣٥ واسناده جيد ، وصححه ابن حبان (٣٤٠) في الصلاة : باب ما جاء في الصلاة في الحمام والمقبرة .

وهم الرافضة ، والجهمية وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور ، وهم أول من بنى عليها المساجد .

الثانية عشرة : ما بلي به ﷺ من شدة النزع .

الثالثة عشرة : ما أكرم به من الخلَّة .

الرابعة عشرة : التصريح بأنها أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة : التصريح بأن الصدِّيق أفضل الصحابة .

السادسة عشرة : الإشارة إلى خلافته .

٢١ - باب
ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون اللّه

روى مالك في « الموطأ » : أن رسول اللّه ﷺ قال : « اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ »(١) .

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم اللاَّتَ وَالعُزَّىٰ ﴾ [النجم : ١٩] قال : كان يلت لهم السويق فمات فعكفوا على قبره . وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يلت السويق للحاج .

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » رقم (٨٥) في قصر الصلاة في السفر : باب جامع الصلاة مرسلاً ، وورواه أحمد في « المسند » ٢/٢٤٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسنداً بلفظ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ،وورواه أيضاً ابن سعد وأبو نعيم في « الحلية » ٣١٧/٧ ، وهو حديث صحيح . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٤) .

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : « لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ القُبُورِ ، وَالمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ ، وَالسُّرُجَ » رواه أهل السنن(١) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الأوثان .

الثانية : تفسير العبادة .

الثالثة : أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه .

الرابعة : قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد .

الخامسة : ذكر شدة الغضب من اللَّه .

السادسة ، وهي من أهمها : معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان .

السابعة : معرفة أنه قبر رجل صالح .

الثامنة : أنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية .

التاسعة : لعنة زوَّارات القبور .

العاشرة لعنة من أسرجها .

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٣٢٣٦) في الجنائز : باب في زيارة القبور ، والترمذي (٣٢٠) في الصلاة : باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً ، والنسائي ٤/٩٤ و٩٥ في الجنائز : باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور ، وابن ماجة (١٥٧٥) في الجنائز : باب ما جاء في النهي عن زيارة القبور ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١/٢٢٩ و٢٨٧ و٣٢٤ و٣٣٧ وفيه أبو صالح مولى أم هانىء ، وهو ضعيف ، ولكن الفقرة الأولى من الحديث «لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور» صحيحه ، فقد رواها من حديث أبي هريرة احمد في « المسند » ٢/٣٣٧ و٣٥٦ ، والترمذي (١٠٥٦) وابن ماجة (١٥٧٦) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواها من حديث حسان أحمد ٣/٤٤٢ و٤٤٣ ، وابن ماجه (١٥٧٤) ، والحاكم ١/ ٣٧٤ وهو حديث صحيح بشواهده ، انظر « ارواء الغليل » للألباني رقم (٧٦١) و (٧٧٤) . وعلى كل فإن إيقاد السرج على القبور وثنية لا يرضاها الاسلام .

٢٢ - باب
ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول اللّه تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُم قُبُوراً ، وَلاَ تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ » رواه أبو داود بإسناد حسن ، ورواته ثقات[١] .

وعن علي بن الحسين : أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه ، وقال : ألا أُحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول اللّه ﷺ قال : « لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً ، وَلاَ بُيُوتَكُمْ قُبُوراً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَ كُنْتُمْ » . رواه في « المختارة »[٢] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية براءة .

الثانية : إبعاده أمته عن هذا الحِمَى غاية البعد .

الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٠٤٢) في المناسك : باب في زيارة القبور ، ورواه أيضا أحمد في « المسند » ٣٦٧/٢ ، والحسن بن أحمد بن ابراهيم بن فيل البالسي أبو طاهر في جزئه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واسناده حسن ، ورواه أيضاً اسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢٠) و(٣٠) وغيره وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٤) .

(٢) وهو حديث صحيح انظر « فضل الصلاة على النبي ﷺ » لاسماعيل القاضي رقم (٢٠) و(٣٠) .

الرابعة : نهيه عن زيادة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الإكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة في البيت .

السابعة : أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة .

الثامنة : تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بُعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه .

٢٣ ـ باب
ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول اللّه تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِن ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [المائدة : ٦٠] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِم لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِداً ﴾ [الكهف : ٢١] .

عن أبي سعيد رضي اللّه عنه ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » . قالوا : يا

رسول اللَّه ، اليهود والنصارى ؟ قال : فَمَنْ ؟ » أخرجاه[1] .

ولمسلم[2] عن ثوبان رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الأَرْضَ ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا ، وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ : الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ . وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً » .

ورواه البرقاني في « صحيحه » وزاد : « وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الأَئِمَّةَ المُضِلِّينَ ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ ، وَحَتَّىٰ يَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٣٦٠ في أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، ومسلم رقم (٢٦٦٩) في العلم : باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٨٤ و٨٩ و٩٤ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وليس السياق لمسلم ، ولا اللفظ لأحدهما ، ورواه البخاري ١٣/ ٢٥٥ في الاعتصام : باب قول النبي ﷺ : لتتبعن سنن من كان قبلكم ، وابن ماجه في « سننه » رقم (٣٩٩٤) في الفتن : باب افتراق الأمم ، وأحمد في المسند » ٢/ ٣٢٧ و٤٥٠ و١١٥ و٥٢٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وجملة «حذو القذة بالقذة » ليست في «الصحيحين » وإنما هي عند أحمد في « المسند » ٤/ ١٢٥ من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه بلفظ « ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلكم أهل الكتاب ، حذو القذة بالقذة » ولفظه عند مسلم « لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا في حجر ضب لاتبعتموهم ، قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ! » .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٨٩) في الفتن وأشراط الساعة : باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض .

بَعْدِي . وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورَةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء .

الثانية : تفسير آية المائدة .

الثالثة : تفسير آية الكهف .

الرابعة : ـ وهي أهمها ـ : معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع ؟ : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟

الخامسة : قولهم : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين .

السادسة : ـ وهي المقصود بالترجمة ـ أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة ، كما تقرر في حديث أبي سعيد .

السابعة : التصريح بوقوعها ، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة .

الثامنة العجب العجاب : خروج من يدعي النبوة ، مثل المختار ، مع

---

(١) رواه أبو داود في « سننه » رقم (٤٢٥٢) في الفتن والملاحم : باب ذكر الفتن ودلائلها ، وابن ماجة رقم (٣٩٥٢) في الفتن : باب ما يكون من الفتن ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٢٧٨ و٢٨٤ من حديث ثوبان رضي الله عنه ، واسناده صحيح ، ورواه الترمذي مختصراً من حديث ثوبان رضي الله عنه ، رقم (٢٢٣٠) في الفتن : باب ما جاء في الأئمة المضلين ، ورواه أحمد في « المسند » ٤/١٢٣ من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه .

تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة ، وأن الرسول حق ، وأن القرآن حق وفيه أن محمداً خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح . وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة ، وتبعه فئام كثيرة .

التاسعة : البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة .

العاشرة : الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم .

الحادية عشرة : أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة .

الثانية عشرة : ما فيه من الآيات العظيمة . منها : إخباره بأن اللّه زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر ، بخلاف الجنوب والشمال . وإخباره بأنه أعطي الكنزين ، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين ، وإخباره بأنه منع الثالثة ، وإخباره بوقوع السيف ، وأنه لا يرفع إذا وقع ، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضاً ، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين ، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة ، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة وكل هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحد منها من أبعد ما يكون في العقول .

الثالثة عشرة : حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين .

الرابعة عشرة : التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

* * *

٢٤ - باب
ما جاء في السحر

وقول اللَّه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلَاقٍ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ، وقوله : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [النساء : ٥١] .

قال عمر : ﴿ الجبت ﴾ : السحر ، ﴿ والطاغوت ﴾ : الشيطان . وقال جابر : الطواغيت : كهان كان ينزل عليهم الشيطان ، في كل حي واحد .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، أن رسول اللَّه ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ » قالوا : يا رسول اللَّه وما هن ؟ قال : « الشِّرْكُ باللَّهِ ، والسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبا ، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيم ، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ »(١) .

وعن جندب مرفوعاً : « حَدُّ السَّاحِرُ ضَرْبُـهُ بِالسَّيْفِ » . رواه الترمذي ، وقال : الصحيح أنه موقوف(٢) .

وفي « صحيح البخاري » عن بَجَالَةَ بن عَبَدَةَ قَالَ : كتب عمر بن

---

(١) رواه البخاري ٥/٢٩٤ في الوصايا : باب قول الله تعالى : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً ﴾ و١٢/١٦٠ في المحاربين : باب رمي المحصنات ، ومسلم رقم (٨٩) في الإيمان : باب بيان الكبائر وأكبرها ، وابو داود رقم (٢٨٧٤) في الوصايا : باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم ، والنسائي ٦/٢٥٧ في الوصايا : باب اجتناب أكل اليتيم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٤٦٠) في الحدود : باب ما جاء في حد الساحر ، والحاكم في « المستدرك » ٤/٣٦٠ في الحدود : باب حد الساحر وضربه بالسيف ، وفي إسناده اسماعيل بن مسلم المكي ابو اسحاق ، وهو ضعيف الحديث .

الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر[1] .

وصح عن حفصة رضي اللَّه عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ، فقتلت[2] . وكذلك صحَّ عن جندب . قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية النساء .

الثالثة : تفسير الجبت والطاغوت ، والفرق بينهما .

الرابعة : أن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الإنس .

الخامسة : معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي .

السادسة : أن الساحر يكفر .

السابعة : أنه يقتل ولا يستتاب .

الثامنة : وجود هذا في المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده ؟!

***

---

(١) رواه البخاري مختصراً ، ولم يذكر قتل السحرة ٦/١٨٤ و١٨٥ في فرض الخمس : باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ، ولفظه : عن بجالة بن عبدة قال : كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل موته بسنة : فرقوا بين كل ذي محرم من المجوس ، ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر ، وبنحوه رواه الترمذي رقم (١٥٨٦) في أبواب السير : باب ما جاء في أخذ الجزية من المجوس ، ورواه باللفظ الذي ذكره المصنف أحمد في « المسند » ١/١٩٠ و١٩١ ، ورواه بنحوه أبو عبيد القاسم بن سلام في « الأموال » صفحة (٤٠) وأبو داود رقم (٣٠٤٣) في الخراج والإمارة والفيء : باب في أخذ الجزية من المجوس ، وإسناده حسن .

(٢) رواه مالك في « الموطأ» ٢/٨٧٢ بلاغاً ، واسناده منقطع .

٢٥ ـ بـاب
بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف عن حيان بن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبي ﷺ قال : « إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ والطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ »[1] .

قال عوف : العيافة : زَجر الطير ، والطرق : الخط يخط بالأرض . والجبت ، قال الحسن : رنة الشيطان . إسناده جيد ولأبي داود والنسائي وابن حبان في « صحيحه » المسند منه .

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ ، فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ ، زَادَ مَا زَادَ » رواه أبو داود ، وإسناده صحيح[2] .

وللنسائي من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه : « مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ »[3] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣/٤٧٧ و٥/٢٦٠ ، وأبو داود رقم (٣٩٠٧) في الطب : باب في الخط وزجر الطير ، وابن حبان (١٤٢٦) « موارد » في الطب : باب ما جاء في الطيرة ، وفي سنده حيان بن العلاء ، وقيل : عن عوف بن حبان لم ينسب ، وقيل : عن حيان أبي العلاء ، وقال ابن حبان : حيان بن مخارق أبو العلاء ، وهو مجهول ، لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، ومع ذلك فقد قال الامام النووي في « رياض الصالحين » رقم (١٦٨٤) ـ طبع مكتبة دار البيان بدمشق رواه أبو داود باسناد حسن .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ١/٢٧٧ و٣١١ ، وأبو داود رقم (٣٩٠٥) في الطب : باب في النجوم ، وابن ماجة (٣٧٢٦) : باب تعلم النجوم . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٧٩٣) .

(٣) رواه النسائي ٧/١١٢ في تحريم الدم : باب الحكم في السحرة ، وهو حديث ضعيف والفقرة الأخيرة « ومن تعلق شيئاً وكل إليه » لها شاهد من حديث عبد الله بن عكيم رضي الله عنه ، عند الترمذي رقم (٢١٧٣) في الطب : باب ما جاء في كراهية التعليق ، وعند أحمد ٤/٣١٠ و٣١١ ، والحاكم ٤/٢١٦ ، =

وعن ابن مسعود ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « أَلَا هَلْ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْةَ[1] ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ » رواه مسلم[2] .

و «لهما » عن ابن عمر رضي اللّه عنهما ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْراً »[3] .

فيه مسائل :

الأولى : أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت .

الثانية : تفسير العيافة والطرق .

الثالثة : أن علم النجوم نوع من السحر .

الرابعة : أن العقد مع النفث من ذلك .

الخامسة : أن النميمة من ذلك .

السادسة : أن من بعض الفصاحة منه .

= وفي سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وهو سيء الحفظ ولكن يصلح شاهداً لهذه الفقرة فتتقوى هذه الفقرة . وتقدم تخريجه ص (٢١٠) رقم (١) .

(١) قوله : « العضة » هذه اللفظة على وجهين : أحدهما العِضَة والثاني العَضْة ؛ والثاني هو الأشهر في كتب الحديث وغريبه ، والأول أشهر في كتب اللغة . وتقدير الحديث والله أعلم : ألا أنبئكم ما العضة الفاحش الغليظ التحريم .

(٢) رقم (٢٦٠٦) في البر والصلة والآداب : باب تحريم النميمة ، وأحمد في «المسند» ١/ ٤١٧ .

(٣) رواه البخاري ١٧٣/٩ في النكاح : باب الخطبة ، و٢٠٢/١٠ في الأدب : باب إن من البيان سحراً ، ومالك في « الموطأ » ٩٨٦/٢ في الكلام : باب ما يكره من الكلام ، وأبو داود رقم (٥٠٠٧) في الأدب : باب ما جاء في المتشدق في الكلام ، والترمذي رقم (٢٠٢٩) في البر والصلة : باب ما جاء في أن من البيان سحراً وأحمد في « المسند » ١٦/٢ و ٥٩ و٦٣ و ٩٤ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، رواه أيضاً مسلم رقم (٨٦٩) في الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، وأحمد في « المسند » ٣٦٣/٤ من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه ، وأبو داود رقم (٥٠١١) ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢٦٩ و ٣٠٣ و ٣٠٩ و ٣١٣ و ٣٢٧ و ٣٣٢ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وأحمد في « المسند » ٣/ ٤٧٠ من حديث معن بن يزيد السلمي رضي الله عنه ، وأبو داود رقم (٥٠١٢) من حديث بريدة رضي الله عنه .

٢٦ ـ باب
ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في « صحيحه » عن بعض أزواج النبي ﷺ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « مَنْ أَتَىٰ عَرَّافاً[١] فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، لَمْ تُقْبَلْ لَـهُ صَلاَةُ أَرْبَعِينَ يَوْماً »[٢] .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، عن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَتَىٰ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ » رواه أبو داود[٣] .

وللأربعة ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، عن [أبي هريرة رضي اللَّه عنه] : « مَنْ أَتَىٰ عَرَّافاً أَوْ كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ »[٤] .

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً[٥] .

---

(١) قوله : « عرافاً » العراف من جملة أنواع الكهان . قال ابن الأثير : العراف المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب ، وقد استأثر الله تعالى به . وقال الخطابي وغيره : العراف هو الذي يتعاطى معرفة مكـان المسروق ومكان الضالة ونحوها .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٢٣٠) في السلام : باب تحريم الكهانة ، عن بعض أزواج النبي ﷺ ولفظه « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » . وجملة « فصدقه بما يقول » ليست عند مسلم ، وإنما هي عند أحمد في « المسند » ٤/٦٨ و ٥/٣٨٠ عن بعض أزواج النبي ﷺ ، ولفظه عند أحمد « من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » .

(٣) رواه أحمـد في « المسند » ٢/٤٠٨ و ٤٢٩ و ٤٧٦ ، وأبـو داود رقم (٣٩٠٤) في الطب : بـاب في الكاهن ، والترمذي رقم (١٣٥) في الطهارة : باب مـا جاء في كـراهية إتيـان الحائض ، والدارمي (١١٤١) ، وابن ماجه رقم (٦٣٩) في الطهارة : باب النهي عن إتيان الحائض من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح انظر « الإرواء » رقم (٢٠٠٦) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٤٢٩ ، والحاكم ١/ ٨ والبيهقي ٧/ ١٩٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « آداب الزفاف » ص ٢٩ .

(٥) قال الهيثمي في « المجمع » ٥/ ١١٨ : رواه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط » والبزار ، ورجال « الكبير » والبزار ثقات .

وعن عمران بن حصين رضي اللّه عنه مرفوعاً : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطُيرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ ، وَمَنْ أَتَى كَاهِناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ » رواه البزار بإسناد جيد ، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : « وَمَنْ أَتَىٰ . . . » إلى آخره[1] .

قال البغوي : العرَّاف : الذي يدَّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقيل : هو الكاهن . والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير .

وقال أبو العباس ابن تيمية : العرَّاف : اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس ـ في قوم يكتبون أباجاد وينظرون في النجوم ـ : ما أرى من فعل ذلك له عند اللّه من خلاق[2] .

فيه مسائل :

الأولى : لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن .

الثانية : التصريح بأنه كفر .

---

(١) ذكره المنذري في « الترغيب والترهيب » ٤/٣٣ ، وقال : رواه البزار بإسناد جيد ، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما دون قوله : « ومن أتى . . . » الخ بإسناد حسن ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥/ ١١٧ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، وقال في آخره : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح خلا اسحاق بن الربيع وهو ثقة ، كما ذكره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ٥/ ١١٧ دون قوله : « ومن أتى » وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٣١١) .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٥/١١٧ ، وقال : رواه الطبراني ، وفيه خالد بن يزيد العمري ، وهو كذاب . وقال الألباني في « الأحاديث الضعيفة » رقم (٤١٧) : موضوع .
قوله : « أباجاد » هو علم الحرف .

الثالثة : ذكر من تكهن له .

الرابعة : ذكر من تطير له .

الخامسة : ذكر من سحر له .

السادسة : ذكر من تعلم أبا جاد .

السابعة : ذكر الفرق بين الكاهن والعرّاف .

٢٧ - باب
ما جاء في النشرة

عن جابر ، أن رسول اللّه ﷺ سئل عن النُّشْرَةِ[١] فقال : « هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ » رواه أحمد بسند جيد . وأبو داود ، وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله[٢] .

وفي « البخاري »[٣] عن قتادة : قلت لابن المسيب : رجل به طبٌّ أو يؤخذ عن امرأته ، أيحل عنه أن ينشر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه . ا هـ .

وروي عن الحسن أنه قال : لَا يَحُلُّ السِحْرَ إلَّا سَاحِرٌ[٤] .

---

(١) قوله : « النُّشرة » قال الخطابي : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن به مس الجن ، وقيل : سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ، أي يحل عنه ما خامره من الداء .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/٢٩٤ ، وأبو داود رقم (٣٨٦٨) في الطب : باب في النشرة ، وإسناده حسن .

(٣) رواه البخاري معلقاً ١٠/١٩٨ في الطب : باب هل يستخرج السحر ، قال الحافظ في « الفتح » وصله أبو بكر الأثرم في كتاب السنن من طريق إبان العطار عن قتادة ، ومثله عن طريق هشام الدستوائي عن قتادة بلفظ « يلتمس من يداويه ، فقال : انما نهى الله عما يضر ، ولم ينه عما ينفع » .

(٤) قال الحافظ في « الفتح » ١٠/١٩٨ : أخرجه الطبري في « التهذيب » من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن =

قال ابن القيم : النشرة : حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان :

أحدهما : حل بسحر مثله ، وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يجب ، فيبطل عمله عن المسحور .

والثاني : النشرة بالرقية والتعوُّذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن النشرة .

الثانية : الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال .

٢٨ ـ باب
ما جاء في التطير

وقول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُم عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُم لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١] . وقوله : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَعَكُم ﴾ الآية [يس : ١٩] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لَا عَدْوَى[(١)] ، وَلَا طِيَرَةَ ، وَلَا هَامَّةَ ، وَلَا صَفَرَ » أخرجاه . زاد مسلم : « وَلَا

= سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحر أن يمشي إلى من يطلق عنه ، فقال : هو صلاح ، قال الحافظ : قال قتادة : وكان الحسن يكره ذلك ، يقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر ، قال فقال سعيد بن المسيب : إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع .

(١) قوله : « لا عدوى » قال في « النهاية » العدوى اسم من الإعداء ، يقال أعداه الداء يعديه إعداء ، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء. =

نَـوْءَ ، وَلَا غولَ »(١) .

و « لهما » عن أنس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لَا عَـدْوَى وَلَا طِيَرَةَ ؛ وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ » قالوا : يا رسول اللّه وما الفأل ؟ قال : « الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ »(٢) .

ولأبي داود بسند صحيح عن عروة بن عامر قال : ذُكِرَتْ الطِّيرة عند رسول اللّه ﷺ فقال : « أَحْسَنُها الفَأْلُ ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمـاً ، فإذَا رَأَىٰ أَحَـدُكُمْ مَا يَكْـرَهُ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِكَ »(٣) .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : « الطيرة شرك ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ ، وَمَا مِنَّا إلَّا(٤) ،

= قوله : « لا طيرة » هي التشاؤم بالشيء .

قوله : « لا هامة » إن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت ـ وقيل روحه ـ تنقلب هامة تطير .

قوله : «لا صفر » إن الصفر دواب في البطن ، وهي دود ، وكانوا يعتقدون أن في البطن دابة تهيج عند الجوع ، وربما قتلت صاحبها ، وكانت العرب تراها أعدى من الجرب .

قوله : « ولا نوء » أي لا تقولوا : مطرنا بنوء كذا ، ولا تعتقدوه .

قوله : « ولا غول » قال جمهور العلماء : كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات ، وهي جنس من الشياطين فتتراءى للناس وتتغول تغولاً ، أي تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم ، فأبطل النبي ﷺ ذاك .

(١) رواه البخاري ١٠/١٨٢ في الطب : باب لا هامة ، ومسلم رقم (٢٢٢٠) (١٠٢) في السلام : باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

والرواية الثانية رواها مسلم رقم (٢٢٢٠) (١٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بزيادة « ولا نوء » ، ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، بزيادة « ولا غول » رقم (٢٢٢٢) (١٠٧) .

(٢) رواه البخاري ١٠/ ١٨١ في الطب : باب الفأل ، ومسلم رقم (٢٢٢٤) في السلام : باب الطيرة والفأل وأبو داود رقم (٣٩١٦) في الطب : باب في الطيرة ، والترمذي رقم (١٦١٥) في السير : باب ما جاء في الطيرة ، وأحمد في « المسند » ٣/ ١١٨ و١٣٠ و١٥٤ و١٧٣ و١٧٨ و٢٧٦ وابن ماجه رقم (٣٥٣٧) في الطب : باب من كان يعجبه الفأل . . الخ .

(٣) رواه أبو داود رقم (٣٩١٩) في الطب : باب في الطيرة ، واسناده ضعيف . وعروة بن عامر القرشي ، قال الحافظ : مختلف في صحبته .

(٤) قال الخطابي : قوله « وما منا إلاّ » معناه إلاّ من يعتريه التطير . وقال محمد بن إسماعيل البخاري : كان سليمان بن حرب ينكر هذا ويقول : هذا الحرف ليس من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه قول ابن مسعود رضي الله عنه .

وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ » رواه أبو داود ، والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود[1] .

ولأحمد من حديث ابن عمرو: «وَمَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ » . قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : « أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ »[2] .

وله من حديث الفضل بن العباس رضي اللّه عنهما : إِنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ[3] .

فيه مسائل :

الأولى : التنبيه على قوله : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُم عِنْدَ اللَّهِ ﴾ مع قوله : ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُم ﴾ .

الثانية : نفي العدوى .

الثالثة : نفي الطيرة .

الرابعة : نفي الهامة .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٩١٠) في الطب : باب في الطيرة ، والترمذي رقم (١٦١٤) في السير : باب ما جاء في الطيرة ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، ورواه ابن حبان (١٤٢٧) « موارد » وابن ماجه رقم (٣٥٣٨) ، قال الحافظ في « الفتح » ١٠/ ١٨١ : « وما منا إلا من كلام ابن مسعود رضي اللّه عنه أدرج في الخبر، وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه، قال الحافظ : وإنما جعل ذلك شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع خيراً فكأنهم أشركوا مع اللّه تعالى ، وقوله : « ولكن اللّه يذهب بالتوكل » إشارة إلى أن من وقع له ذلك ، فسلم للّه ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٤٣٠) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢ /٢٢٠ ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠٥/٥ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وقال : رواه أحمد والطبراني ، وفيه ابن لهيعة ، وحديثه حسن ، وفيه ضعف ، وباقي رجاله ثقات . قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٠٦٥) : قلت : الضعف في حديث ابن لهيعة ، إنما هو في غير رواية العبادلة عنه ، وإلا فحديثهم عنه صحيح . فالحديث صحيح .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ١ /٢١٣ وفي سنده ضعف وانقطاع .

الخامسة : نفي الصفر .

السادسة : أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب .

السابعة : تفسير الفأل .

الثامنة : أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر ، بل يذهبه اللَّه بالتوكل .

التاسعة : ذكر ما يقوله من وجده .

العاشرة : التصريح بأن الطيرة شرك .

الحادية عشرة : تفسير الطيرة المذمومة .

٢٩ - باب
ما جاء في التنجيم

قال البخاري في « صحيحه »[١] : قال قتادة : خلق اللَّه هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يُهْتَدَىٰ بها . فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ ، وأضاع نصيبه ، وتكلف ما لا علم له به . ا هـ .

وكره قتادة تعلم منازل القمر ، ولم يُرَخِّص ابن عيينة فيه . ذكره حرب عنهما ، ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق .

وعن أبي موسى قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « ثَلاثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ : مُدْمِنُ الخَمْرَ ، وَقَاطِعُ الرَّحْمَ ، وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ » رواه أحمد وابن حبان في « صحيحه »[٢] .

---

(١) ٢١١/٦ معلقاً ، قال الحافظ في « الفتح » وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣٩٩/٤ ، وابن حبان (١٣٨٠) و(١٣٨١) « موارد » في الأشربة : باب في حد =

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق النجوم .

الثانية : الرد على من زعم غير ذلك .

الثالثة : ذكر الخلاف في تعلم المنازل .

الرابعة : الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل .

٣٠ - باب
ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول اللّه تعالى : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُم أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢].

عن أبي مالك الأشعري رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ : الفَخْرُ بِالأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، والنِّيَاحَةُ » . وَقَالَ : « النَّائِحَةُ إِنْ لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبَ » . رواه مسلم[1] .

و « لهما » عن زيد بن خالد رضي اللّه عنه قال : صلى رسول اللّه ﷺ صلاة الصبح بالحُدَيْبِيَةِ على أَثْرِ سَمَاءٍ كانت من الليل ؛ فلما انصرف أقبل على الناس فقال : « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ » قالوا : اللّه ورسوله أعلم . قال : « قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِـيَ وَكَـافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللّهِ وَرَحْمَتِهِ ، فَذلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوَاكِبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ : مُطِرْنا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ

= من الخمر ، والحاكم في « المستدرك » ٤/١٤٦ في الأشربة ، باب ذكر ثلاثة لا يدخلون الجنة وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٦٧٨) : حديث حسن .

(١) رقم (٩٣٤) في الجنائز : باب التشديد في النياحة وأحمد في « المسند » ٥/ ٣٤٢ و٣٤٣ و٣٤٤ .

بِي ، مُؤْمِنٌ بِالكَوَاكِب »[1] .

و «لهما» من حديث ابن عباس معناه ،وفيه ، قال بعضهم : لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا . فأنزل اللّه هذه الآية : ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُم أَنَّكُم تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٥ ـ ٨٢][2] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الواقعة .

الثانية : ذكر الأربع من أمر الجاهلية .

الثالثة : ذكر الكفر في بعضها .

الرابعة : أن من الكفر ما لا يخرِج عن الملَّة .

الخامسة : قوله : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر » بسبب نزول النعمة .

السادسة : التفطن للايمان في هذا الموضع .

السابعة : التفطن للكفر في هذا الموضع .

الثامنة : التفطن لقوله : «لقد صدق نوء كذا وكذا» .

التاسعة : إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها ، لقوله : « أتدرون ماذا قال ربكم ؟ » .

---

(١) رواه البخاري ٢/٢٧٧ في كتاب الأذان : باب يستقبل الامام الناس إذا سلم ، و٢/٤٣٣ و٤٣٤ في الاستسقاء : باب قول الله تعالى : ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ و٧/٣٣٨ في المغازي : باب غزوة الحديبية ، ومسلم رقم (٧١) في الإيمان : باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء وأبو داود رقم (٣٩٠٦) في الطب : باب في النجوم ، والنسائي ٣/ ١٦٥ في الاستسقاء : باب كراهية الاستمطار بالكوكب ، وأحمد في « المسند » ٤/١١٧ .

(٢) ليس عند البخاري ، وإنما هو عند مسلم فقط رقم (٧٣) في الايمان : باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

٣١ - بـاب

[من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر]

قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ الله ﴾ الآية [البقرة : ١٦٥] .

وقوله : ﴿ قُلْ إنْ كَانَ آبَاؤُكُم وَأَبْنَاؤُكُم وَإِخْـوَانُكُم وَأَزْوَاجُكُم وَعَشِيرَتُكُم وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَاأَحَبَّ إلَيْكُم مِنَ الله وَرَسُولِهِ وَجِهَـادٍ فِيْ سَبِيْلِهِ فَتَرَبَّصُـوا حَتَّى يَأْتِيَ اللّه بِـأَمْرِهِ واللّهِ لَا يَهْـدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

عن أنس ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « لَا يُؤْمِنُ(١) أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ(٢) » أخرجاه(٣) .

و«لهما» عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيه وَجَد بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمانِ(٤) : أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُه أَحَبَّ إِلَيْه مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ

---

(١) قوله : « لا يؤمن » قال العلماء رحمهم الله : معناه لا يؤمن الإيمان التام ، وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة .

(٢) قال ابن بطال والقاضي عياض وغيرهما : المحبة ثلاثة أقسام : محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد ، ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس ، فجمع ﷺ أصناف المحبة في محبته .

(٣) رواه البخاري ١/٥٥ في الإيمان : باب حب الرسول ﷺ من الايمان ، ومسلم رقم (٤٤) في الإيمان : باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، والنسائي ٨/١١٤ ، ١١٥ في الإيمان : باب علامة الإيمان ، وابن ماجه رقم (٦٧) في المقدمة : باب في الإيمان ، والدارمي رقم (٢٧٤٤) في الرقاق : باب رقم ٢٩ .

(٤) قوله : « وجد بهن حلاوة الإيمان » قال العلماء معنى حلاوة الإيمان : استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضى الله عز وجل ورسوله ﷺ وإيثار ذلك على عرض الدنيا ، ومحبة العبد ربه سبحانه وتعالى ، بفعل طاعته وترك مخالفته ، وكذلك محبة رسول الله ﷺ .

إلاَّ لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ » . وفي رواية : «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ حَتَّىٰ . . . » إلى آخره[1] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مَنْ أَحَبَّ فِي الله ، وَأَبْغَضَ فِي الله ، وَوَالَىٰ فِي الله ، وَعَادَىٰ فِي الله ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةُ الله بِذَلِكَ ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الإِيْمَانِ وَإِنْ كَثُرتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ كَذَلِكَ . وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاس عَلَىٰ أَمْرِ الدُّنْيَا . وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْـلِهِ شَيْئاً . رواه ابن جرير[2] .

وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ [البقرة : ١٦٦] ، قال : المودة[3] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : وجوب محبته ﷺ وتقديمها على النفس والأهل والمال .

---

(١) رواه البخاري ١/ ٥٦ ـ ٥٨ في الإيمان : باب حلاوة الإيمان و١/ ٦٨ في الإيمان : باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار و١٢/ ٢٨١ في الإكراه : باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، ومسلم رقم (٤٣) في الإيمان : باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان والترمذي رقم (٢٩٢٦) في الإيمان : باب رقم (١٠) ، والنسائي ٨/ ٩٦ في الإيمان : باب حلاوة الإيمان ، وابن ماجه رقم (٤٠٣٣) في الفتن : باب الصبر على البلاء ، وأحمد في « المسند » ٣/ ١٠٣ و١٧٢ و١٧٤ و٢٠٧ و٢٣٠ و٢٤٨ و٢٧٥ و٢٧٨ و٢٨٨ .

(٢) ورواه أحمد في «المسند» ٣/ ٤٣٠ من حديث عمرو بن الجموح رضي الله عنه بلفظ « لا يحق للعبد حق صريح الايمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله تعالى ، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاء من الله . . . » وإسناده ضعيف ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١/ ٨٩ من حديث عمرو بن الحمق رضي الله عنه بلفظ « لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله ، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية . . . » وقال : رواه الطبراني في « الكبير » ، وفيه رشدين بن سعد ، وهو ضعيف .

(٣) هذا الأثر رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

الرابعة : أن نفي الايمان لا يدل على الخروج من الاسلام .

الخامسة : أن للايمان حلاوة قد يجدها الانسان وقد لا يجدها .

السادسة : أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ، ولا يجد أحد طعم الايمان إلا بها .

السابعة : فهم الصحابي للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا .

الثامنة : تفسير : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ .

التاسعة : أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً .

العاشرة : الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه .

الحادية عشرة : أن من اتخذ نداً تساوي محبته محبة الله ، فهو الشرك الأكبر .

٣٢ ـ باب

[اليقين يضعف ويقوىٰ]

قول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُم وَخَافُون إن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

وقوله : ﴿ إنَّما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَن آمَنَ بِالله واليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَىٰ الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إلَّا الله ﴾ الآية [التوبة : ١٨] .

وقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِالله فَإِذَا أُوذِيَ فِي الله جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ الله ﴾ الآية [العنكبوت : ١٠] .

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : « إنَّ مِنْ ضَعْفِ اليَقِينِ ، أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ الله ، وَأَنْ تَحْمِدَهُمْ عَلَىٰ رِزْقِ الله ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَىٰ مَا لَمْ يُؤْتِكَ

اللّه ، إنَّ رِزْقَ اللّهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ»[1] .

وعن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : «مَنْ التَمَسَ رِضَىٰ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ ، رَضِيَ الله عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَىٰ النَّاسِ بِسَخَطِ الله ، سَخِطَ الله عليه وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» رواه ابن حبان في «صحيحه»[2] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : تفسير آية العنكبوت .

الرابعة : أن اليقين يضعف ويقوى .

الخامسة : علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث .

السادسة : أن إخلاص الخوف لله من الفرائض .

السابعة : ذكر ثواب من فعله .

الثامنة : ذكر عقاب من تركه .

٣٣ ـ باب
[التوكل من شروط الإيمان]

قول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة : ٢٣] .

---

(١) وهو حديث ضعيف . انظر «فيض القدير» ٢/ ٥٣٩ للمناوي و « الأحاديث الضعيفة » للألباني رقم (٤٨٢) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤١٦) في الزهد هذا باب رقم ٦٤ وأبو نعيم في « الحلية » عن عائشة ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٨٨٦) و (٥٩٧٣) .

وقـوله : ﴿ إِنَّمَـا الْمُؤْمِنُونَ الَّـذِينَ إِذَا ذُكِـرَ الله وجِلَتْ قُلُوبُهُم ﴾ الآيـة [الأنفال: ٢] .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الله فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٣] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قـال :﴿ حَسْبُنَا اللَّه وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ قالها إبراهيم ﷺ حين أُلْقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوْهُم فَزَادَهُم إيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣] رواه البخاري والنسائي[١] .

فيه مسائل :

الأولى : أن التوكل من الفرائض .

الثانية : أنه من شروط الايمان .

الثالثة : تفسير آية الأنفال .

الرابعة : تفسير الآية في آخرها .

الخامسة : تفسير آية الطلاق .

السادسة : عظم شأن هذه الكلمة[٢] ، وأنها قول إبراهيم ومحمد ﷺ في الشدائد .

---

(١) رواه البخـاري ١٧٢/٨ في التفسير : بـاب تفسير سـورة آل عمران ولم أجـده عند النسـائي ولعله في « الكبرى » . وقد تقدم تخريجه ص (١١٢) .

(٢) وهي كلمة : ﴿ حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ ﴾ .

٣٤ ـ باب

[في الوعيد من أمن مكر الله]

قول الله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ الله فَلَا يَأْمَنُ مَكَرَ الله إلَّا القَوْمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٨] .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَحْمَةِ رَبِّهِ إلَّا الضَّالُونَ ﴾ [الحجر: ٥٦] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر ، فقال : « الشِّرْكُ بالله ، وَاليَأْس مِنْ رَوْحِ الله ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله»[1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « أَكْبَرُ الكَبَائِرِ : الإِشْرَاكُ بالله ، والأَمْنُ مِنْ مَكْرِ الله ، وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ الله ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ الله » رواه عبد الرزاق[2] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الأعراف .

الثانية : تفسير آية الحجر .

الثالثة : شدة الوعيد فيمن أمن مكر اللّه .

الرابعة : شدة الوعيد في القنوط .

* * *

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠٤/١ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقال في آخره : رواه البزار والطبراني ورجاله موثقون . أقول : ويشهد له الحديث عبد الله بن مسعود الآتي بعده ، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠٤/١، من رواية الطبراني في «الكبير»، وقال : اسناده صحيح .

(٢) قال الهيثمي « مجمع الزوائد » ١/ ١٠٤ . اسناده صحيح .

٣٥ - باب
من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن : ١١].

قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله ، فيرضى ويسلم .

وفي « صحيح مسلم »(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ » .

و « لهما » عن ابن مسعود مرفوعاً : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ ، أَوْ شَقَّ الجُيُوبَ ، أَوْ دَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ(٢) »(٣) .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ »(٤) .

---

(١) رقم (٦٧) في الإيمان : باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٧٧ و٤٣١ و٤٤١ و٤٩٦ .

(٢) قوله : « أودعا بدعوى الجاهلية » قال القاضي : هي النياحة وندبة الميت والدعاء بالويل وشبهه . والمراد بالجاهلية ما كان في الفترة قبل الإسلام .

(٣) رواه البخاري ٣/١٣١ و١٣٢ في الجنائز : باب ليس منا من شق الجيوب ، ومسلم رقم (١٠٣) في الإيمان : باب تحريم ضرب الخدود ، والترمذي رقم (٩٩٩) في الجنائز : باب ما جاء في النهي عن ضرب الخدود، والنسائي ٤/ ٢٠ في الجنائز ، وأحمد ١/ ٣٨٦ و٤٣٢ و٤٤٢ و٤٥٦ .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢٣٩٨) في الزهد : باب ما جاء في الصبر على البلاء ، والحاكم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، واسناده حسن ، وله شاهد من حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه ، عند الطبراني في « الكبير » ، والحاكم والبيهقي في « شعب الايمان » ، ومن حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه ، عند الطبراني في الكبير ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عند ابن عدي ، فهو حديث صحيح بشواهده . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٢٢٠) .

وقال النبي ﷺ : « إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ » حسَّنه الترمذي[1] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية التغابن .

الثانية : أن هذا من الإيمان بالله .

الثالثة : الطعن في النسب .

الرابعة : شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .

الخامسة : علامة إرادة الله بعبده الخير .

السادسة : إرادة الله به الشر .

السابعة : علامة حب الله للعبد .

الثامنة : تحريم السخط .

التاسعة : ثواب الرضى بالبلاء .

٣٦ - باب
ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ

---

(١) رقم (٢٣٩٨) في الزهد : باب ما جاء في الصبر على البلاء ورواه أيضاً وابن ماجه رقم (٤٠٣١) في الفتن : باب الصبر على البلاء ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، واسناده حسن ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٤٦) .

وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف : ١١٠] .

وعن أبي هريرة مرفوعاً : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » . رواه مسلم[1] .

وعن أبي سعيد مرفوعاً : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّالِ ؟ » قالوا : بلى يا رسول اللَّه ! قال : « الشِّرْكُ الخَفِي ، يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ » . رواه أحمد[2] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية الكهف .

الثانية : الأمر العظيم في ردِّ العمل الصالح إذا دخله شيء لغير اللَّه .

الثالثة : ذكر السبب الموجب لذلك ، وهو كمال الغنى .

الرابعة : أن من الأسباب ، أنه تعالى خير الشركاء .

الخامسة : خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء .

السادسة : أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء للَّه ، لكن يزينّها لما يرى من نظر رجل إليه .

---

(١) حديث قدسي ، رواه مسلم رقم (٢٩٨٥) في الزهد والرقائق : باب من أشرك في عمله غير الله ، وابن ماجه رقم (٤٢٠٢) في الزهد : باب الرياء والسمعة .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ٣٠ ، وابن ماجه رقم (٤٢٠٤) في الزهد : باب الرياء والسمعة ، وهو حديث حسن ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٦٠٤) .

٣٧ ـ باب
من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول اللَّه تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِم أَعْمَالَهُم فِيهَا ﴾ الآيتين[هود : ١٥ و ١٦] .

في « الصحيح »[١] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ القَطِيفَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ . طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ . إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ . إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ » .

فيه مسائل :

الأولى : إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة .

الثانية : تفسير آية هود .

الثالثة : تسمية الإنسان المسلم : عبد الدينار والدرهم والخميصة .

الرابعة : تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط .

الخامسة : قوله : « تَعِسَ وَانْتَكَسَ » .

السادسة : قوله : « وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ » .

السابعة : الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

---

(١) رواه البخاري ٦/٦١ في الجهاد : باب الحراسة في الغزو وفي سبيل الله مطولاً ، ومختصراً ١١/٢١٦ في الرقاق : باب ما يتقى من فتنة المال ، ورواه أيضاً ابن ماجه مختصراً رقم (٤١٣٥) و(٤١٣٦) .

٣٨ - باب
من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل اللَّه أو تحليل ما حرَّم اللَّه فقد اتخذهم أرباباً من دون اللَّه

وقال ابن عباس : يُوشِكُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ؛ أَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتَقُولُونَ : قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ؟! .

وقال الإمام أحمد : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، يذهبون إلى رأي سفيان ، واللَّه تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣] . أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك .

عن عدي بن حاتم : أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية [التوبة: ٣١] فقلت له : إنا لسنا نعبدهم قال : « أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ، فَتُحِلُّونَهُ ؟ » فقلت : بلى . قال : « فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ » رواه أحمد ، والترمذي وحسَّنه(١) .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير : باب تفسير سورة التوبة ، وابن جرير الطبري ١٤/٢١٠ رقم (١٦٦٣٢) و(١٦٦٣٣) من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ قال : فقلته : إنهم لم يعبدوهم ، فقال : « بلى ، انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم اياهم » . وهو حديث حسن بشواهده ، ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٣/٢٣٠ ، وزاد نسبته لابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في « سننه » ، وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم في تفسير : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون =

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النور .

الثانية : تفسير آية براءة .

الثالثة : التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي .

الرابعة : تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر ، وتمثيل أحمد بسفيان .

الخامسة : تغيّر الأحوال إلى هذه الغاية ، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ، وتسمى الولاية ، وعبادة الأحبار ، هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من دون اللَّه من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

٣٩ ـ باب

[الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ]

قول اللَّه تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ [النساء : ٦٠] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١].

= الله﴾ ، انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ، وانظر الطبري رقم (١٦٦٣٤) عن حذيفة رضي الله عنه . وقد تقدم تخريجه ص(٨)

وقوله : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ الآية [الأعراف : ٥٦].

وقوله : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ الآية [المائدة : ٥٠].

عن عبد اللّه بن عمرو رضي اللّه عنهما ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ »[1] . قال النووي : حديث صحيح ، رويناه في كتاب « الحجة » بإسناد صحيح .

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ؛ فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد ـ لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ـ وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود ؛ لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه ، فنزلت : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ . . . ﴾ الآية [النساء : ٦٠] .

وقيل : نزلت في رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف ، ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة . فقال للذي لم يرض برسول اللّه ﷺ : أكذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت .

الثانية : تفسير آية البقرة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ .

---

(١) في سند هذا الحديث نعيم بن حماد ، قال الحافظ في « التقريب » : وهو صدوق يخطىء كثيراً ، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه « جامع العلوم والحكم » ص ٣٣٨ : تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه وتعقبه بعضهم ، أقول : ومعنى الحديث صحيح ، وإن كان اسناده ضعيفاً ، وشاهده في القرآن قوله تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾ ، وغيرها من الآيات .

الثالثة : تفسير آية الأعراف ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ .

الرابعة : تفسير : ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ .

الخامسة : ما قاله الشعبي في نزول الآية الأولى .

السادسة : تفسير الإيمان الصادق والكاذب .

السابعة : قصة عمر مع المنافق .

الثامنة : كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ .

٤٠ ـ باب
من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ الآية [الرعد: ٣٠].

وفي « صحيح البخاري »[١] قال علي : « حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ » .

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس : أنه رأى رجلاً انتفض ـ لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات ، استنكاراً لذلك ـ فقال : مَا فَرَقُ هَؤُلَاءِ ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ ، وَيَهْلَكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ »[٢] انتهى .

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر : (الرَّحْمَٰن) أنكروا ذلك . فأنزل الله فيهم : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ ﴾ .

---

(١) ١/ ١٩٩ في العلم : باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

(٢) اسناده صحيح .

فيه مسائل :

الأولى : عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات .

الثانية : تفسير آية الرعد .

الثالثة : ترك التحديث بما لا يفهم السامع .

الرابعة : ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب اللّه ورسوله ، ولو لم يتعمَّد المنكر .

الخامسة : كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك ، وأنه هلكة .

٤١ - باب
[معرفة النعمة وإنكارها]

قول اللّه تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣].

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن آبائي .

وقال عون بن عبد اللّه : يقولون : لولا فلان لم يكن كذا .

وقال ابن قتيبة : يقولون : هذا بشفاعة آلهتنا .

وقال أبو العباس - بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : « إن اللّه تعالى قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . . . » الحديث ، وقد تقدم[1] - وهذا

---

(١) رواه البخاري ٢/٢٧٧ في كتاب الأذان: باب يستقبل الامام الناس إذا سلم، و٢/٤٣٣ - ٤٣٤ في الاستسقاء : باب قول الله تعالى : ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ ، و٧/٣٣٨ في المغازي : باب غزوة الحديبية ، ومسلم رقم (٧١) في الإيمان : باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ، تقدم تخريجه ص (٢٥٤) .

كثير في الكتاب والسنة ، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ، ويشرك به .

قال بعض السلف : هو كقولهم : كانت الريح طيبة ، والملّاح حاذقاً ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثيراً .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير معرفة النعمة وإنكارها .

الثانية : معرفة أن هذا جارٍ على ألسنة كثير .

الثالثة : تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة .

الرابعة : اجتماع الضدين في القلب .

٤٢ ـ باب
[الحلف بغير الله شرك]

قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لله أَنْدَاداً وَأَنْتُم تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢] .

قال ابن عباس في الآية : الأنداد : هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ؛ وهو أن تقول : والله ، وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص . ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلاناً . هذا كله به شرك » رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ ـ كَفَرَ أَوْ ـ أَشْرَكَ » رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الحاكم[١] .

---

(١) رواه الترمذي رقم (١٥٣٥) في النذور والأيمان : باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، وابو داود رقم =

وقال ابن مسعود : لأَنْ أَحْلِفُ بِـالله كَاذِبـاً أَحَبُّ إلِيَّ مِنْ أَنْ أَحِلُفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا[1] .

وعن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «لا تَقُولُوا : مَاشَآءَ الله وَشَـآءَ فُلاَنُ ، وَلَكِنْ قُـولُوا ؟ مَـا شَاءَ الله ثُمَّ شَـآءَ فُـلاَنُ » رواه أبـو داود بسنـد صحيح[2] .

وجاء عن إبراهيم النخعي ، أنه يكره أن يقول : أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك . قال : ويقول : لولا الله ثم فلان . ولا تقولوا : لولا الله وفلان .

فيه مسائل

الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد .

الثانيـة : أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً ، فهو أكبر من اليمين الغموس .

الخامسة : الفرق بين الواو وثم في اللفظ .

* * *

= (٣٢٥١) و أحمد في « المسند » ٢/ ٦٩ و ٨٧ و ١٢٥ ، والحاكم ٤/ ٢٩٧ ، وابن حبان رقم (١١٧٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « الارواء » رقم (٢٥٦١) ـ تقدم تخريجه ص (١٣٣) .

(١) قال الهيثمي في « المجمع » ٤/ ١٧٧ : رواه الطبراني في « الكبير » ورجال رجال الصحيح . وهوحديث صحيح ، كما قال الألباني في « الإرواء » رقم (٢٥٦٢) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٩٨٠) في الأدب : باب لا يقـال خبثت نفسي ، وأحمد في « المسنـد » ٥/ ٣٨٤ والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٩٨٥) ، وابن السني رقم (٦٦٦) طبعة دار البيان بدمشق ، وهو حديث صحيح انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٣٧) . تقدم تخريجه ص (١٣٢) .

٤٣ - باب
ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ حُلِفَ لَهُ بالله فَلْيُصَدِّق ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِالله فَلْيَرْضَ . وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنَ الله » رواه ابن ماجه بسند حسن(١) .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الحلف بالآباء .

الثانية : الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى .

الثالثة : وعيد من لم يرض .

٤٤ - باب
قول ما شاء الله وشئت

عن قتيلة ، أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تشركون ، تقولون : ما شاء الله وشئت ، وتقولون : والكعبة ، فَأَمَرَهُم النَّبِيُّ ﷺ إذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا : « وَرَبِّ الكَعْبَةِ ، وَأَنْ يَقُولُوا : مَا شَآءَ الله ثُمَّ شِئْتَ » رواه النسائي وصححه(٢) .

وله أيضاً عن ابن عباس : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت ،

---

(١) رقم (٢١٠١) في الكفارات : باب من حلف له بالله فليرض ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه النسائي ٦/٧ في الأيمان والنذور : باب الحلف بالكعبة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٣٧١/٦ و٣٧٢ من حديث قتيلة بنت صيفي الأنصارية أو الجهنية رضي الله عنها ، وهو حديث صحيح .

فقال : «أَجَعَلْتَنِي للهِ نِداً ، بَلْ مَا شَآءَ اللهُ وَحْدَهُ»[1] .

ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قالت : رأيت كأني أتيتُ على نفر من اليهود ، قلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : عزيرٌ ابن الله . قالوا : وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء اللّه وشاء محمد، ثم مررتُ بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله . قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء اللّه وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته . قال : «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَداً ؟» قلت : نعم . قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ طُفَيْلاً رَأَى رُؤْيَا ، أَخْبَرَ بِهَا مِنَ أَخْبَرَ مِنْكُمْ ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا . فَلاَ تَقُولُوا : مَا شَآءَ اللهُ وَشَآءَ مُحَمَّدٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَآءَ اللهُ وَحْدَهُ»[2] .

فيه مسائل :

الأولى : معرفة اليهود بالشرك الأصغر .

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٨٧) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٨٨) ، وعنه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» طبعتنا ، بلفظ : «أجعلتني لله عدلاً» ورواه أيضاً أحمد في «المسند» بهذا اللفظ ١/ ٢١٤ و٢٨٣ و٣٤٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه ابن ماجة رقم (٢١١٧) في الكفارات : باب النهي أن يقال : شاء الله وشئت ، بلفظ : «إذا حلف أحدكم فلا يقل : ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت» ، وهو حديث حسن وروايته بلفظ «اجعلتني لله نداً» من رواية ابن مردويه ، والمعنى واحد . انظر «الاحاديث الصحيحة» رقم (١٣٩) تقدم تخريجه ص (١٣٣) .

(٢) رواه ابن ماجة رقم (٢١١٨) في الكفارات : باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت ، من حديث الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها ، ومن حديث ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رجلاً من المسلمين رأى في النوم أنه لقي رجلاً من أهل الكتاب فقال : نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون ، تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، وذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : «أما والله إن كنت لأعرفها لكم ، قولوا : ما شاء الله ثم شاء محمد» ورواه أيضاً أحمد في «المسند» ٥/ ٧٢ من حديث الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها . . . ، وأحمد ٥/ ٣٩٣ من حديث حذيفة رضي الله عنه . والدارمي رقم (٢٧٠٢) من حديث الطفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في «الأحاديث الصحيحة» رقم (١٣٧) و(١٣٨) .

الثانية : فهم الانسان إذا كان له هوى .

الثالثة : قوله ﷺ «أجعلتني للّه نداً ؟ » فكيف بمن قال :

يـا أكـرَمَ الخلقِ مـالي من ألـوذ بــه   سـواك عِنْـدَ حُلُوْلِ الحـادِثِ العَمِمِ

والبيتين بعده ؟

الرابعة : أن هذا ليس من الشرك الأكبر ، لقوله : «يمنعني كـذا وكذا» .

الخامسة : أن الرؤ يا الصالحة من أقسام الوحي .

السادسة : أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام .

٤٥ ـ باب
من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إلاَّ الدَّهْرُ ﴾ الآية [الجاثية : ٢٤] .

في «الصحيح» عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : «قَـالَ الله تَعَالَىٰ : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ » .

وفي رواية : «لَا تَسِبُّوا الدَّهْرَ ، فَإنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ »[1] .

---

(١) رواه البخاري ٨/٤٤١ في التفسير : تفسير سورة الجـاثية و١٣/٣٨٩ في التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ ، ومسلم رقم (٢٢٤٦) (٢) في الألفاظ من الأدب ، باب النهي عن سب الدهر .

والرواية الثـانية رواهـا مسلم رقم (٢٢٤٦) (٥) في الألفاظ : بـاب النهي عن سب الدهـر ، وأحمد في « المسند » ٢/٣٩٥ و٤٩١ و٤٩٦ و٤٩٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الدهر .
الثانية : تسميته أذى لله .
الثالثة : التأمل في قوله : «فإن الله هو الدهر» .
الرابعة : أنه قد يكون ساباً ولو لم يقصده بقلبه .

٤٦ - باب
التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في «الصحيح»[١] عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللّه : رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللّه » . قال سفيان : مثل « شاهٍ شاه » .

وفي رواية : أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه» .

قوله «أخنع» يعني أوضع .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن التسمي بملك الأملاك .
الثانية : أن ما في معناه مثله ، كما قال سفيان .
الثالثة : التفطن للتغليظ في هذا ونحوه ، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه .

---

(١) رواه البخاري ١٠/٤٨٦ في الأدب : باب أبغض الأسماء إلى الله تعالى ومسلم رقم (٢١٤٣) في الآداب : باب التحريم التسمي بملك الأملاك وبملك الملوك ، ورواه أبو داود رقم (٤٩٦١) في الأدب : باب في تغيير الاسم ، والترمذي رقم (٢٨٣٩) في الأدب : باب ما يكره من الأسماء ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٤٤ .

الرابعة : التفطن أن هذا لإجلال لله سبحانه .

٤٧ ـ باب
احترام أسماء الله تعالى ، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح : أنه كان يكْنى أبا الحكَم ؛ فقال له النبي ﷺ : «إنَّ اللهَ هُوَ الحَكَمُ ، وَإلَيْهِ الحُكْمُ » فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني ، فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين فقال : «مَا أَحْسَنَ هٰذَا ! فَمَالَكَ مِنَ الوُلْدِ ؟ » قلت : شُرَيْحٌ ، ومُسْلِمٌ ، وعَبْدُ الله . قال : «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ ؟ » قلت : شُرَيْحٌ . قال : «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ » . رواه أبو داود وغيره(١) .

فيه مسائل :

الأولى : احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه .

الثانية : تغيير الاسم لأجل ذلك .

الثالثة : اختيار أكبر الأبناء للكنية .

٤٨ ـ باب
من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر

وقول اللّه تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّه وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ ﴾ [التوبة : ٦٥] .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٩٥٥) في الأدب : باب في تغيير الاسم القبيح ، وروواه أيضاً النسائي ٨/٢٢٦ في آداب القضاء : باب إذا حكموا رجلاً فقضى بينهم ، واسناده جيد .

عن ابن عمر ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ : أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قُرَّائِنا هؤلاء ، أرغبَ بطوناً ، ولا أكذب أَلْسُناً ، ولا أجبن عند اللقاء ـ يعني رسولَ الله ﷺ وأصحابه القرّاء ـ فقال له عَوْفُ بن مالك : كذبتَ ، ولكنكَ منافق ، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ . فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه . فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال : يا رسول الله ! إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب ، نقطع به عنا الطريق . فقال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقاً بنِسْعَةِ ناقَةِ رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة تَنْكَبُ رجليه ـ وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ـ فيقول له رسول اللّه ﷺ : ﴿ أَبِاللّه وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ ؟ ﴾ ما يلتفت اليه وما يزيده عليه .

فيه مسائل :

الأولى ، وهي العظيمة : أن من هزل بهذا فهو كافر .

الثانية : أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان .

الثالثة : الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله .

الرابعة : الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة : أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل .

٤٩ ـ باب
[التحدث بنعمة الله تعالى وذم جحدها]

ما جاء في قول الله تعالى : ﴿ وَلَئِن أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هٰذَا لِي ﴾ الآية [فصلت: ٥٠] .

قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندي .

وقوله : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُه عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص : ٧٨] . قال قتادة : على علم مني بوجوده المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل . وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف .

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول : « إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَص ، وَأَقْرَع ، وَأَعْمَىٰ . فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِم مَلَكاً ، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ ، فقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْك ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ : فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ ، وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً وَجِلْداً حَسَناً . قَالَ : فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْك ؟ قَالَ : الإِبِلُ ـ أَوْ البَقَرُ ـ شَكَّ إِسْحَاقُ إِلَّا أَنَّ الأَبْرَصَ أَو الأَقْرَع قَالَ أَحَدُهُمَا : الإِبِلُ وَقَالَ الآخَرُ : البَقَرُ قَالَ : فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءُ ، وَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا .

قَالَ : فَأَتَىٰ الأَقْرَع ، فقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْك ؟ قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ : فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ ، وَأُعْطِيَ شَعَراً حَسناً . فقَالَ : أَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْك ؟ قَالَ : البَقَرُ ، أَوْ الإِبلُ ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . قال : .

فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ ، فقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي ؛ فَأُبصِرَ بِهِ النَّاسَ ، قَال : فَمَسَحَهُ ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ، قَالَ : فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الغَنَمُ ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً ؛ فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا .

قَال : فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَمِ .

قال : ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ في صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ ، وَالجِلْدَ الحَسَنَ ، وَالمَالَ ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يُقَذِّرُكَ النَّاسُ ، فَقِيراً ، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ المَالَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هٰذَا المَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ .

قَالَ : وَأَتَى الأَقْرَعَ في صُورَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهٰذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَىٰ هٰذَا ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ .

وَأَتَى الأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ ، وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ . أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ . فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ ، وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ » أخرجاه(١) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآية .

الثانية : ما معنى : ﴿ لَيَقُولَنَّ هٰذَا لِي ﴾ [فصلت : ٥٠] .

الثالثة : ما معنى قوله ﴿ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ [القصص : ٧٨] .

الرابعة : ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة .

---

(١) رواه البخاري ٣٦٤/٦ و٣٦٥ في أحاديث الأنبياء : باب حديث أبرص وأقرع وأعمى ، ومسلم رقم (٢٩٦٤) في الزهد والرقائق . وفي الحديث الحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم ما يطلبون مما يمكن ، والحذر من كسر قلوبهم واحتقارهم ، وفيه التحدث بنعمة الله تعالى وذم جحدها .

٥٠ ـ باب
[تحريم كل اسم معبَّدٍ لغير الله]

قول اللَّه تعالى : ﴿ فَلَمَا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ الآية [الأعراف : ١٩٠] .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبَّد لغير اللَّه ، كعبد عمر ، وعبد الكعبة ، وما أشبه ذلك ، حاشا عبد المطلب .

وعن ابن عباس في الآية قال : لما تغشَّاها آدم حملت : فأتاهما إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة ، لتطيعاني أو لأجعلنَّ له قرني أيّل ، فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ولأفعلن ـ يخوفهما ـ سمياه عبد الحارث ، فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً . ثم حملت ، فأتاهما ، فقال مثل قوله ، وأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً . ثم حملت ، فأتاهما ، فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله تعالى : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ رواه ابن أبي حاتم[١] .

وله بسند صحيح عن قتادة قال: شركاء في طاعته،ولم يكن في عبادته .
وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله : ﴿ لِئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحَاً ﴾ [الأعراف: ١٨٩] قال : أشفقا أن لا يكون إنساناً . وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

فيه مسائل :

الأولى : تحريم كل اسم معبَّد لغير اللَّه .

---

(١) ورواه الترمذي رقم (٣٠٧٧) وأحمد في « المسند » ٥/١١ ، والحاكم في « المستدرك » ٢/ ٥٤٥ ، وغيرهم من حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب مرفوعاً وهو حديث ضعيف انتهى مختصراً عن « الأحاديث الضعيفة » للألباني رقم (٣٤٢) وانظر كذلك تفسير ابن كثير ٢/ ٢٧٤ . و « جامع الأصول » ٢/١٤٢ .

الثانية : تفسير الآية .

الثالثة : أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها .

الرابعة : أن هبة اللَّه للرجل البنت السوية ، من النعم .

الخامسة : ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة ، والشرك في العبادة .

٥١ ـ باب

[دعاء الله بأسمائه الحسنى وترك من عارض من الجاهلين الملحدين]

قول اللَّه تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس : ﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ : يشركون . وعنه : سموا اللات من الإلٰه ، والعزّى من العزيز ، وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها .

فيه مسائل :

الأولى : إثبات الأسماء .

الثانية : كونها حسنى .

الثالثة : الأمر بدعائه بها .

الرابعة : ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

الخامسة : تفسير الإلحاد فيها .

السادسة : وعيد من ألحد .

٥٢ ـ باب
لا يقال : السلام على اللّه

في « الصحيح »[1] عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا : السلام على اللّه من عباده ، السلام على فلان ، فقال النبي ﷺ : « لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَىٰ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ » .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير السلام .

الثانية : أنه تحية .

الثالثة : أنها لا تصلح للّه .

الرابعة : العلة في ذلك .

الخامسة : تعليمهم التحية التي تصلح للّه .

٥٣ ـ باب
قول : اللهم إغفر لي إن شئت

في « الصحيح » عن أبي هريرة ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « لَا يَقُلْ

---

(١) رواه البخاري ٢٦٦/٢ في كتاب الأذان : باب ما يتخير من الدعاء بعد التشهد وليس بواجب، ومسلم رقم (٤٠٢) (٥٨) في الصلاة: باب التشهد في الصلاة، وأبو داود رقم (٩٦٨) في الصلاة: باب التشهد، وابن ماجة رقم (٨٩٩) في إقامة الصلاة: باب ما جاء في التشهد، ولفظه عن البخاري : قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : كنا إذا كنا مع النبي ﷺ قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان ، فقال النبي ﷺ : « لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء ـ أو بين السماء والأرض ـ ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو » .

أَحَدُكُمْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ » .

ولمسلم : « وَلْيُعَظِمِ الرَّغْبَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن الاستثناء في الدعاء .

الثانية : بيان العلة في ذلك .

الثالثة : قوله : « ليعزم المسألة » .

الرابعة : إعظام الرغبة .

الخامسة : التعليل لهذا الأمر .

٥٤ ـ باب
لا يقول : عبدي وأمتي

في « الصحيح » عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، أن رسول اللّه ﷺ قال : « لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ : أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّىءْ رَبَّكَ ، وَلْيَقُلْ : سَيِّدِي وَمَوْلاَيَ وَلاَ يَقُلْ : عَبْدِي وَأَمَتِي ، وَلْيَقُلْ : فَتَايَ وَفَتَاتِي ، وَغُلاَمِي »[2] .

---

(١) رواه البخاري ١١/١١٨ في الدعوات : باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وورواه مسلم رقم (٢٦٧٩) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار بلفظ « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم في الدعاء ، فإن الله صانع ما شاء لا مكره له » وأبو داود رقم (١٤٨٣) في الصلاة : باب الدعاء ، والترمذي رقم (٢٦٧٩) في الذكر والدعاء : باب العزم بالدعاء ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٤٣ و٣١٨ و٤٦٣ و٤٦٤ . تقدم تخريجه ص (١٢٣) .

(٢) رواه البخاري ٥/١٢٩ ـ ١٣١ في العتق : باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله : عبدي أو أمتي ، ومسلم رقم (٢٢٤٩) في الألفاظ من الأدب ، وأحمد في « المسند » ٢/٣١٦ .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن قول : عبدي وأمتي .

الثانية : لا يقول العبد : ربي ، ولا يقال له : أطعم ربك .

الثالثة : تعليم الأول قول : فتاي وفتاتي وغلامي .

الرابعة : تعليم الثاني قول : سيدي ومولاي .

الخامسة : التنبيه للمراد ، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ .

٥٥ ـ باب
لا يرد من سأل باللَّه

عن ابن عمر قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » . رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح[1] .

فيه مسائل :

الأولى : إعاذة من استعاذ باللَّه .

الثانية : إعطاء من سأل باللَّه .

الثالثة : إجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنيعة .

(١) رواه أبو داود رقم (١٦٧٢) في الزكاة : باب عطية من سأل بالله ، والنسائي ٥/ ٨٢ في الزكاة ، باب من سأل بالله عز وجل والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (٢١٦) وأحمد في « المسند » ٢/ ٦٨ و٩٩ وصححه ابن حبان (٢٠٧١) « موارد » والحاكم ١/ ٤١٢ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٢٥٤) .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه .

السادسة : قوله : « حتى تروا أنكم قد كافأتموه » .

٥٦ ـ باب
لا يسأل بوجه اللَّه إلا الجنة

عن جابر قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الجَنَّةَ » . رواه أبو داود[١] .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن أن يسأل بوجه اللَّه إلا غاية المطالب .

الثانية : إثبات صفة الوجه .

٥٧ ـ باب
ما جاء في اللوِّ

وقول اللَّه تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وقوله : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِم وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٨].

في «الصحيح» عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ[٢] ، وَاسْتَعِنْ بِالله ، وَلَا تَعْجِزَنَّ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي

---

(١) رقم (١٦٧١) في الزكاة : باب كراهية المسألة بوجه الله عز وجل ، واسناده ضعيف . انظر « تخريج المشكاة » للألباني رقم (١٩٤٤) .

(٢) قوله : « احرص على ما ينفعك » معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده ، واطلب الإعانة من الله على ذلك ولا تعجز ولا تكسل من طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة .

فَعلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا ؛ وَلَكِنْ قُلْ : قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَآءَ فَعلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ »[1] .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير الآيتين في آل عمران .

الثانية : النهي الصريح عن قول : لو ، إذا أصابك شيء .

الثالثة : تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

الرابعة : الإرشاد الى الكلام الحسن .

الخامسة : الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله .

السادسة : النهي عن ضد ذلك وهو العجز .

٥٨ ـ باب
النهي عن سب الريح

عن أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «لَا تَسُبُّوا الرِّيح ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذِهِ الرِّيحُ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هٰذِهِ الرِّيْحُ ، وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ » صححه الترمذي[2] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٦٤) في القدر : باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله عز وجل ، وأحمد في« المسند » ٢/ ٣٦٦ و٣٧٠ ، وابن ماجه رقم (٧٩) و(٤٦١٨) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٢٥٣) في الفتن : باب ما جاء في النهي عن سب الريح والبخاري في « الأدب المفرد » (٧١٩) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، فإن له شاهداً من حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي داود وابن ماجة .

فيه مسائل :

الأولى : النهي عن سب الريح .

الثانية : الارشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الانسان ما يكره .

الثالثة : الارشاد إلى أنها مأمورة .

الرابعة : أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشرّ .

٥٩ ـ باب

[لايظن باللَّه ظن السوء إلاّ المنافقون والمشركون ، ولا يسلم من ذلك إلاّ من عرف الله وأسمائه وصفاته]

قول الله تعالى : ﴿ يَظُنُّونَ بِالله غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لله﴾ الآية [آل عمران : ١٥٤] .

وقوله : ﴿ الظَّانين بِالله ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ الآية [الفتح : ٦] .

قال ابن القيم في الآية الأولى : فسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل ، وفسر أن ما أصابهم لم يكن بقدَر الله وحكمته ، ففسر بانكار الحكمة ، وإنكار القدَر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله ، وأن يظهره على الدين كله . وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة ﴿الفتح﴾ ، وإنما كان هذا ظن السوء ، لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق ، فمن ظن أنه يُـدِيل البـاطل على الحق إدالـة مستقرة يضمحـل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدَره ، أو أنكر أن يكون قدَره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظن الذين

كفروا ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [ص: ٢٧] . وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته ، وموجب حكمته وحمده .

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدرة وملامة له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فَمُسْتَقِل ومُستكثر ، وفتش نفسك : هل أنت سالم ؟

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِياً

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية آل عمران .

الثانية : تفسير آية الفتح .

الثالثة : الأخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر .

الرابعة : أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه .

٦٠ - باب
ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر : والذي نفس ابن عمر بيده ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِم مِثْلَ أُحُد ذَهَباً ، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ الله مَا قَبِلَهُ الله مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالقَدَرِ . ثم استدل بقول النبي ﷺ : «الإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بالله ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاليَوْمِ

الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّهِ » . رواه مسلم[1] .

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ إنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الإيمَانِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أنَّ مَا أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله القَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَقَالَ : رَبِّ ، وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ » يَا بُنَيَّ ! سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ مَاتَ عَلَىٰ غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»[2] .

وفي رواية لأحمد : «إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله تَعَالَى القَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ »[3] .

وفي رواية لابن وهب قال : قال رسول الله ﷺ : «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ الله بِالنَّارِ» .

وفي «المسند» و«السنن» عن ابن الديلمي قال : أَتَيْتُ أُبَيَّ بنَ كَعْبٍ ، فَقُلْتُ : فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ القَدَرِ ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ الله يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي ، فَقَالَ : لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا قَبِلَهُ الله مِنْكَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَلَوْ مُتَّ عَلَىٰ غَيْرِ هٰذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ قَالَ : فَأَتَيْتُ عَبْدَ الله بنَ مَسْعُودٍ ، وَحُذَيْفَةَ بنَ اليمانِ ، وَزَيْدَ

---

(١) رقم (٨) في الايمان : باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ، وأبو داود رقم (٤٦٩٥) في السنة : باب في القدر ، والترمذي رقم (٢٦١٣) في الايمان : باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الاسلام والايمان والنسائي ٩٧/٨ في الايمان : باب نعت الاسلام ، وابن ماجة رقم (٦٣) : باب في الإيمان تقدم تخريجه ص (٥٦) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٧٠٠) في السنة : باب في القدر ، وهو حديث صحيح .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٥/ ٣١٧ ، والترمذي رقم (٣٣١٦) في تفسير سورة ﴿ ن والقلم ﴾ ، ورقم (٢١٥٦) في القدر ، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، تقدم تخريجه ص (٥٦) .

ابنَ ثَابِتٍ ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذٰلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . حديث صحيح رواه الحاكم في « صحيحه[1] »[2] .

فيه مسائل :

الأولى : بيان فرض الايمان بالقدر .

الثانية : بيان كيفية الإيمان به .

الثالثة : إحباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة : الإخبار بأن أحداً لا يجد طعم الايمان حتى يؤمن به .

الخامسة : ذكر أول ما خلق الله .

السادسة : أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة .

السابعة : براءته ﷺ ممن لم يؤمن به .

الثامنة : عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل عنه الشبهة ، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط .

٦١ ـ باب
ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ

---

(١) الحذاق من المحدثين لا يطلقون لفظ الصحيح على « المستدرك » لكثرة الأحاديث الضعيفة والمنكرة الواقعة فيه ، وإنما يقولون : أخرجه الحاكم في « مستدركه » .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٥/١٨٢ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه وأبو داود رقم (٤٦٩٩) في السنة : باب في القدر ، وابن ماجه رقم (٧٧) في المقدمة : باب في القدر ، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً » . أخرجاه[1] .

و «لهما» عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِؤُونَ بِخَلْقِ الله »[2] .

و « لهما » عن ابن عباس : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ »[3] .

و « لهما » عنه مرفوعاً : « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ »[4] .

ولمسلم عن أبي الهيَّاج قال : «قَالَ لي عَلِيٌّ : أَلاَ أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ؟ أَلَّا تَدَعَ صُورَةً إلَّا طَمَسْتَها ، وَلاَ قَبْراً مُشْرِفاً إلَّا سَوَّيْتَهُ»[5] .

فيه مسائل :

الأولى : التغليظ الشديد في المصورين .

---

(١) رواه البخاري ١٠/٣٢٤ في اللباس : باب نقض الصور ، ومسلم رقم (٢١١١) في اللباس والزينة : باب تحريم تصوير صورة الحيوان وتحريم اتخاذ ما فيه صورة غير ممتهنة ،وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٣٢ و٢٥٩ و٣٩١ و٤٥١ و٥٢٧.

(٢) رواه البخاري ١٠/٣٢٥ في اللباس : باب ما وطىء من التصاوير ، ومسلم رقم (٢١٠٦) (٩٢) في اللباس والزينة : باب تحريم الحيوان .

(٣) رواه البخاري ٤/٣٤٥ في البيوع : باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح ، ومسلم رقم (٢١١٠) في اللباس والزينة : باب تحريم تصوير الحيوان ، وأحمد في « المسند » ١/ ٣٠٨ ، والنسائي ٨/ ٢١٥ في الزينة : باب ذكر ما يكلف أصحاب الصور يوم القيامة .

(٤) رواه البخاري ١٠/ ٣٣٠ في اللباس : باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ، ومسلم رقم (٢١١٠) (١٠٠) في اللباس والزينة : باب تحريم تصوير الحيوان ، والترمذي رقم (١٧٥١) في اللباس : باب ما جاء في المصورون ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢١٦ و٢٤١ و٢٤٦ .

(٥) رواه مسلم رقم (٩٦٩) في الجنائز : باب الأمر بتسوية القبر ، وأبو داود رقم (٣٢١٨) في الجنائز : باب في تسوية القبر ، والترمذي رقم (١٠٤٩) في الجنائز : باب ما جاء في تسوية القبور ، والنسائي ٤/٨٨ و٨٩ في الجنائز : باب تسوية القبور اذا رفعت ، وأحمد في « المسند » ١/ ٩٦ و١٢٩ و١٤٥ ، من حديث علي رضي الله عنه .

الثانية : التنبيه على العلة ، وهو ترك الأدب مع الله لقوله : «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي» .

الثالثة : التنبيه على قدرته وعجزهم ، لقوله : «فليخلقوا ذرَّة أو شعيرة» .

الرابعة : التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً .

الخامسة : أن الله يخلق بعدد كل صورة صورها نفساً يعذب بها في جهنم» .

السادسة : أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح .

السابعة : الأمر بطمسها إذا وجدت .

٦٢ - باب -
ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى : ﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾ [المائدة: ٨٩] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»(١) أخرجاه(٢) .

وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ

---

(١) قوله : « منفقة للسلعة » : أي سبب لنفاق المتاع ورواجها في ظن الحالف .
قوله : « ممحقة للربح » أي سبب لمحق البركة وذهابها ، إما بتلف يلحقه في ماله ، أو بانفاقه في غير ما يعود نفعه إليه في العاجل ، أو ثوابه في الآجل .

(٢) رواه البخاري ٢٦٦/٤ في البيوع : باب ﴿ يمحق الله الربا ويربي الصدقات ﴾ ، ومسلم رقم (١٦٠٦) في المساقاة : باب النهي عن الحلف في البيع ، وأبو داود رقم (٣٣٣٥) في البيوع والاجارات : باب كراهية اليمين في البيع ، والنسائي ٢٤٦/٧ في البيوع : باب المنفق سلعته بالحلف الكاذب. قوله: « للكسب » في البخاري : «للبركة» وفي مسلم: «للربح» .

يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : أُشَيمِطٌ زَانٍ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ ، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِه ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ» رواه الطبراني بسند صحيح[1] .

وفي «الصحيح»[2] عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ - قال عمران : فلا أدري أَذْكَر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ؟ - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْماً يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمِنُونَ ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ ،وَيَظْهَرُ فِيهِم السِّمْنُ » .

وفيه عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ »[3] .

قال إبراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .

---

(١) رواه الطبراني في « الكبير » والبيهقي في « شعب الايمان » من حديث سلمان رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٤/٧٨ ، وقال : رواه الطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه البخاري ٥/١٩٠ في الشهادات : باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ، و١١/٢١٢ في الرقاق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، و١١/٥٠٤ في الأيمان والنذور : باب إثم من لا يفي بالنذر ، و٧/٤ في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومسلم رقم (٢٥٣٥) في فضائل لصحابة ،وأبو داود رقم (٤٦٥٧) في السنة : باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ ، والترمذي رقم (٢٢٢٢) و(٢٢٢٣) في الفتن : باب ما جاء في القرن الثالث ، وأحمد في « المسند » ٤/٤٢٦ و٤٤٧ و٤٧٩ والنسائي ٧/١٧ و١٨ في الأيمان والنذور : باب الوفاء بالنذر .

وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ، وعمر بن الخطاب والنعمان بن بشير ، وبريدة الأسلمي رضي الله عنهم .

(٣) رواه البخاري ٥/١٩١ في الشهادات : باب لا يشهد على شهادة جور اذا شهد ، و٧/٦ في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، و١١/ ٢١٢ في الرقاق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، ومسلم رقم (٢٥٣٣) في فضائل الصحابة : باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ، والترمذي رقم (٣٨٥٨) في المناقب : باب ما جاء في فضل من رأى النبي ﷺ .

فيه مسائل :

الأولى : الوصية بحفظ الأيمان .

الثانية : الاخبار بأن الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للبركة .

الثالثة : الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه .

الرابعة : التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي .

الخامسة : ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون .

السادسة : ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة ، أو الأربعة ، وذكر ما يحدث بعدهم .

السابعة : ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة : كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد .

٦٣ - باب
ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ﷺ

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية [النحل : ٩١] .

عن بريدة أن رسول الله ﷺ كان إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ، فقال : «اغْزُوا بِاسْمِ الله ، في سَبِيلِ الله ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بالله ، اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا ، وَلاَ تُمَثِّلُوا ، وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيداً ، وإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلاَلٍ - فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ الإِسْلاَمِ ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَىٰ التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَىٰ دَارِ المُهَاجِرِينَ ،

وأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذٰلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ ، وَعَلَيْهِم مَا عَلَىٰ المُهَاجِرِينَ ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا أَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ المُسْلِمِينَ ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله تَعَالَىٰ الَّذِي يَجْرِي عَلَىٰ المُؤْمِنِين ، وَلاَ يَكُونَ لَهُمْ فِي الغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ ، فإِنْ هُمْ أَبَوا فَسَلْهُمُ الجِزْيَةَ ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ، فَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بالله وَقَاتِلْهُمْ . وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وذِمَّة نَبِيِّه ، فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمّةَ الله وذِمَّة نَبِيِّه ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ الله وذِمَّةَ رسُولِهِ ، وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ الله ، فَلاَ تُنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِ الله ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَىٰ حُكْمِكَ . فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي ، أَتُصِيبُ حُكْمَ الله فِيهِمْ أَمْ لاَ ؟ » رواه مسلم[1] .

فيه مسائل :

الأولى : الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين .

الثانية : الارشاد إلى أقل الأمرين خطراً .

الثالثة : قوله : «اغزوا بسم الله في سبيل الله » .

الرابعة : قوله : «قاتلوا من كفر بالله» .

الخامسة : قوله : « استعن بالله » وحكم العلماء .

السابعة : كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا .

---

(١) رقم (١٧٣١) في الجهاد والسير ، وأبو داود رقم (٢٦١٢) و(١٦١٣) في الجهاد : باب في دعاء المشركين ، والترمذي رقم (١٦١٧) في السير : باب ما جاء في وصيته ﷺ في القتال ، ورقم (١٤٠٨) في الديات : باب ما جاء في النهي عن المثلة ، والدارمي رقم (٢٤٤٧) في السير : باب في الدعوة إلى الإسلام قبل القتال ، وابن ماجة رقم (٤٨٥٨) في الجهاد : باب وصية الإمام ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٣٥٢ و٣٥٨ .

٦٤ ـ باب
ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : «قَالَ رَجُلٌ وَالله لَا يَغْفِرُ اللَّه لِفُلَانٍ ، فَقَالَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ : « مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ؟ إنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » رواه مسلم[١] .

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أَوْ بَقَتْ دنياه وآخرته[٢] .

فيه مسائل :

الأولى : التحذير من التألي على الله .

الثانية : كون النار أقرب إلى أحدنا من شِراك نعله .

الثالثة : أن الجنة مثل ذلك .

الرابعة : فيه شاهد لقوله «إن الرجل ليتكلم بالكلمة» . . الخ .

الخامسة : أن الرجل قد يغفر له بسببٍ هو من أكره الأمور إليه .

٦٥ ـ باب
لا يستشفع بالله على خلقه

عن جُبير بن مُطعِم قال : جاء أَعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! نُهِكَت الأنفس ، وجاع العيال ، وهَلكتِ الأموال ، فاستسق لنا ربك ، فإنا

---

(١) رقم (٢٦٢١) في البر والصلة والآداب : باب النهي عن تقنيط الانسان من رحمة الله تعالى .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢ / ٣٢٣ و٣٦٣ ، وأبو داود رقم (٤٩٠١) في الأدب : باب في النهي عن البغي ، وهو حديث صحيح بطرقه .

نستشفِعُ بالله عليك وبك على الله . فقال النبي ﷺ : «سُبْحَانَ الله سُبْحَانَ الله !» فما زال يُسَبّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه ؛ ثم قال النبي ﷺ : «وَيْحَكَ ، أَتَدِري مَا الله ؟ إنَّ شَأْنَ الله أَعْظَمَ مِنْ ذٰلِكَ ، إنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بالله عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ » وذكر الحديث . رواه أبو داود[1] .

فيه مسائل :

الأولى : إنكاره على من قال : نستشفع بالله عليك .

الثانية : تغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة .

الثالثة : أنه لم ينكر عليه قوله : «نستشفع بك على الله» .

الرابعة : التنبيه على تفسير «سبحان الله» .

الخامسة : أن المسلمين يسألونه الاستسقاء .

٦٦ - باب
ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشِّخِّير ، قال : انطلقت في وَفْد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : «السَّيِّدُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ » . قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طولاً ؛ فقال : «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ ، أَوْ بَعْضَ قَوْلِكُمْ ، وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ » . رواه أبو داود بسند جيد[2] .

---

(١) رقم (٤٧٢٦) في السنة : باب في الجهمية ، واسناده ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٦١٥٠) .

(٢) رقم (٤٨٠٦) في الأدب : باب في كراهية التمادح واسناده صحيح ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٤/ ٢٥ ، وابن السني رقم (٣٨٧) : باب كراهية ذلك على التكبر .

وعن أنس رضي الله عنه ، أن ناساً قالوا : يا رسول الله ! يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ ، أَوْ بَعْضَ قَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُم الشَّيْطَانُ ، أَنَا مُحَمَّدٌ ، عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلتي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ» رواه النسائي بسند جيد[١] .

فيه مسائل :

الأولى : تحذير الناس من الغلوِّ .

الثانية : ما ينبغي أن يقول من قيل له : أنت سيدنا .

الثالثة : قوله : «وَلَا يَسْتَجرِينَّكُمُ الشَّيْطَانُ » مع أنهم لم يقولوا إلا الحق .

الرابعة : قوله : «مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي » .

٦٧ ـ باب
ما جاء في قول الله تعالى

﴿ وَمَا قَدرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ الآية [الزمر : ٦٧] .

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَاواتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالأَرْضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، والشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالمَاءَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ . وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، ثم يَقُولُ : أَنَا المَلِكُ ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ، تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الحَبْرِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ

---

(١) النسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٢٤٨) و (٢٤٩) وأحمد في « المسند » ٣/١٥٣ و ٢٤١ وهو حديث صحيح .

والأرض جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾ الآية .

وفي رواية لمسلم : «وَالجِبَالَ والشَّجَرَ عَلَىٰ إصْبَعٍ ، ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ، فَيَقُولُ : أَنَا المَلِكُ ، أَنَا اللهُ » .

وفي رواية للبخاري : «يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَىٰ إصْبَعٍ ، وَالمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إصْبَعٍ ؛ وَسَائِرَ الخَلْقِ عَلَىٰ إصْبَعٍ » أخرجاه[١] .

ولمسلم[٢] عن ابن عمر مرفوعاً : «يَطْوِي اللهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَىٰ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا المَلِكُ ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضِينَ السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنا المَلِكُ ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ ؟ » .

وروي عن ابن عباس ، قال : مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمٰنِ إلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ .

وقال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : حدثني أبي ، قال : قال رسول الله ﷺ : «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ »[٣] .

---

(١) رواه البخاري ٨/٤٢٣ في تفسير سورة الزمر : باب قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ و١٣/٣٩٧ في التوحيد : باب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، وباب قوله تعالى : ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٨٦) في صفات المنافقين : كتاب صفة القيامة والجنة والنار من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ١/٤٥٧ والترمذي رقم (٣٢٣٩) في تفسير سورة الزمر .

(٢) رقم (٢٧٨٨) في صفات المنافقين .

(٣) لقد ثبت في المرفوع عن أبي ذر الغفاري عند ابن جرير ، وابن أبي شيبة ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » بلفظ « ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » .

قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «مَا الكُرْسِيُّ في العَرْشِ إلاَّ كَحلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ » .

وعن ابن مسعود قال : بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُمَائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالكُرْسِيِّ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ ، وَبَيْنَ الكُرسِيِّ وَالمَاءِ خَمْسُمَائَةِ عَامٍ ، وَالعَرْشُ فَوْقَ المَاءِ ، وَالله فَـوْقَ العَرْشِ ، لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ . أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة ، عن عاصم ، عن زِرّ ، عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ؛ قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ : «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم قال : «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسُمَائَةِ سَنَةٍ ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسُمَائَةِ سَنَةٍ ، وَكَثْفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُمَائَةِ سَنَةٍ ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالعَـرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْـلاَهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَـاءِ وَالأَرْضِ ، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ ذٰلِكَ ، وَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ » . أخرجه أبو داود وغيره(١) .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير قوله : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُه يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ .

الثانية : أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهـود الذين في زمنـه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٧٢٣) و(٤٧٢٤) و(٤٧٢٥) في السنة : باب في الجهمية ، والترمذي رقم (٣٣١٧) في تفسير سورة الحاقة ، وابن ماجه رقم (١٩٣) في المقدمة : بـاب فيما أنكـرت الجهمية ، وأحمـد في « المسند » ١/٢٠٦ و٢٠٧ من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وفي سنده عبد الله بن عميرة ، قال الذهبي في « الميزان » فيه جهالة .

الثالثة : أن الحبر لما ذكرها للنبي ﷺ ، صدَّقه ، ونزل القرآن بتقرير ذلك .

الرابعة : وقوع الضحك من رسول الله ﷺ عند ذكر الحبر هذا العلم العظيم .

الخامسة : التصريح بذكر اليدين : وأن السماوات في اليد اليمنى ، والأرضين في اليد الأخرى .

السادسة : التصريح بتسميتها الشمال .

السابعة : ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك .

الثامنة : قوله : «كخردلة في كف أحدكم » .

التاسعة : عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات .

العاشرة : عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي .

الحادية عشرة : أن العرش غير الكرسي والماء .

الثانية عشرة : كم بين كل سماء إلى سماء .

الثالثة عشرة : كم بين السماء السابعة والكرسي .

الرابعة عشرة : كم بين الكرسي والماء .

الخامسة عشرة : أن العرش فوق الماء .

السادسة عشرة : أن الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

التاسعة عشرة : أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً .

* * *

حكم موالاة أهل الإشراك

للشيخ الإمام سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك اللَّه أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم ، خوفاً منهم ، ومداراة لهم ، ومداهنة لدفع شرهم ، فإنه كافر مثلهم وإن كان يكره دينهم ويبغضهم ، ويحبّ الإسلام والمسلمين . هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك ، فكيف إذا كان في دار منعة ، واستدعي بهم ، ودخل في طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل ، وأعانهم عليه بالنصرة والمال ، ووالاهم وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، وصار من جنود القباب والشرك وأهلها بعد ما كان من جنود الاخلاص والتوحيد وأهله ؟! فإن هذا لا يشك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة للَّه تعالى ورسوله ﷺ ، ولا يستثنى من ذلك إلا المكره ، وهو الذي يستولي عليه المشركون فيقولون له : اكفر ، او أفعل كذا ، وإلا فعلنا بك وقتلناك ، أو يأخذونه فيعذبونه حتى يوافقهم ، فيجوز له الموافقة باللسان مع طمأنينة القلب بالإيمان . وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلاً ، أنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفاً وطمعاً في الدنيا ؟! وأنا أذكر بعض الأدلة على ذلك بعون اللَّه وتأييده .

الدليل الأول : قوله تعالى ﴿ وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] ، فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى ، وكذلك المشركون ، لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم ، ويشهد أنهم على حق .

ثم قال تعالى : ﴿ قُلْ إنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَآءَكَ مِنَ العِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّه مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠ ، وفي الآية الأخرى : ﴿ إنَّكَ إذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٤٥] فاذا كان النبي ﷺ ، لو يوافقهم على دينهم ظاهراً من غير عقيدة القلب ، لكن خوفاً من شرهم ومداهنة ، كان من الظالمين ، فكيف بمن أظهر لعبَّاد القبور والقباب أنهم على حقّ وهدى مستقيم ؟ ! فانهم لا يرضون إلا بذلك .

الدليل الثاني : قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُم حَتَّىٰ يَرُودُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٧] فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا ، ولم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة ، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرَّهم أنه مرتد ، فإن مات على ردته بعد أن قاتله المشركون فإنه من أهل النار الخالدين فيها ، فكيف بمن وافقهم من غير قتال ؟! فإذا كان مَنْ وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له ، عرفت أن الذين يأتون إليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال ، أنهم أولى بعدم العذر ، وأنهم كفار مرتدون .

الدليل الثالث : قوله تبارك وتعالى : ﴿ لاَ يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إلَّا أَنْ تَتَقُّوا مِنْهُم تُقَاةً ﴾ [آل عمران: ٢٨]، فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين وإن كانوا خائفين منهم ؛ وأخبر أن من فعل ذلك فليس من اللّه في شيء ، أي لا يكون من أولياء اللّه الموعودين بالنجاة في الآخرة ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ، وهو أن يكون الإنسان مقهوراً معهم لا يقدر عَلَى عداوتهم ،

فيظهر لهم المعاشرة والقلبُ مطمئنّ بالبغضاء والعداوة ، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر ، استحبابَ الحياة الدنيا على الآخرة ، والخوف من المشركين ، وعدم الخوف من اللّٰه ، فما جعل اللّٰه الخوف منهم عذراً ، بل قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

الدليل الرابع : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]. فأخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام ، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر ، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة ، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم ؛ وهذا هو الواقع ، فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بشهادة أنهم على حق ، وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين ، وقطع اليد منهم . ثم قال : ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٠]، فأخبر تعالى أن اللّٰه مولى المؤمنين وناصرهم ، وهو خير الناصرين ففي ولايته وطاعته غُنية وكفاية عن طاعة الكفار ، فياحسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد، ونشأوا فيه ، ودانوا به زماناً ، كيف خرجوا عن ولاية ربِّ العالمين ، وخير الناصرين ، إلى ولاية القباب وأهلها ، ورضوا بها بدلاً عن ولاية من بيده ملكوت كل شيء ؟! بئس للظالمين بدلاً .

الدليل الخامس : قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران: ١٦٢]، فأخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان اللّٰه ، ومن اتبع ما يسخطه ، ومأواه جهنم يوم القيامة . ولا ريب أن عبادة الرحمن وحدها ونصرها ، وكون الإنسان من أهلها ، من رضوان اللّٰه ، وأن عبادة القباب والأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط اللّٰه ؛ فلا

يستوي عند اللّٰه من نصر توحيده ودعوته بالاخلاص وكان مع المؤمنين ؛ ومن نصر الشرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين . فإن قالوا : خفنا . قيل لهم : كذبتم . وأيضاً فما جعل اللّٰه الخوف عذراً في اتباع ما يسخطه ، واجتناب ما يرضيه . وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفاً من زوال دنياهم. وإلا فيعرفون الحق ويعتقدونه، ولم يكونوا بذلك مسلمين .

الدليل السادس : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُم جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴾ [النساء: ٩٧]، أي في أي فريق كنتم ؟ أفي فريق المسلمين ، أم في فريق المشركين ؟ فاعتذروا عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بالاستضعاف ، فلم تعذرهم الملائكة ، وقالوا لهم : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴾ .

ولا يشك عاقل أن البلدان الذين خرجوا عن المسلمين صاروا مع المشركين ، وفي فريقهم وجماعتهم . هذا مع أن الآية نزلت في أناسٍ من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة ، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج معهم ، فخرجوا خائفين ، فقتلهم المسلمون يوم بدر ، فلما علموا بقتلهم تأسفوا وقالوا : قتلنا إخواننا ، فأنزل اللّٰه فيهم هذه الآية . فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسلام فخلعوا ربقته من أعناقهم ، وأظهروا لأهل الشرك الموافقة على دينهم ، ودخلوا في طاعتهم ، وآووهم ونصروهم ، وخذلوا أهل التوحيد ، واتبعوا غير سبيلهم ، وخطؤوهم ، وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم ، والاستهزاء بهم ، وتسفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد ، والصبر عليه ، وعلى الجهاد فيه ، وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً ، واختياراً لا

اضطراراً ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شحّاً بالوطن ، وخوفاً من الكفار، وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين . فإن قال قائل : هلَّا كان الإكراه على الخروج عذراً للذين قتلوا يوم بدر؟ قيل: لا يكون عذراً، لأنهم في أول الأمر لم يكونوا معذورين إذا قاموا مع الكفار، فلا يعذرون بعد ذلك بالإكراه، لأنهم السبب في ذلك حيث قاموا معهم وتركوا الهجرة.

الدليل السابع : قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُم فِي الكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُم آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُم حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُم إِذاً مِثْلُهُم ﴾ [النساء: ١٤٠]. فذكر اللَّه تعالى أنه نزَّل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات اللَّه يكفر بها، ويستهزأ بها ، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره . وأن من جلس مع الكافرين بآيات اللَّه ، المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم ، فهو مثلهم . ولم يفرق بين الخائف وغيره ، إلَّا المكره ، هذا وهم في بلد واحد في أول الإسلام ، فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزة بلاده ، فدعا الكافرين بآيات اللَّه المستهزئين بها إلى بلاده ، واتخذهم أولياء وأصحاباً وجلساء ، وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرَّهم ، وطرد أهل التوحيد وأبعدهم ؟ .

الدليل الثامن : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَنْ يَتَولَّهُمْ مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]. فنهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم . وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعبَّاد الأوثان فهو منهم، فإن جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع اللَّه ليس بشرك ، وأن أهلها ليسوا بمشركين ، بان أمره واتضح عناده وكفره . ولم يفرق تبارك وتعالى بين الخائف وغيره ، بل أخبر تعالى

أن الذين في قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائر . وهكذا حال هؤلاء المرتدين ، خافوا من الدوائر ، لما في قلوبهم من عدم الإيمان بوعد اللّه الصادق بالنصر لأهل التوحيد ، فبادروا وسارعوا إلى أهل الشرك ، خوفاً أن تصيبهم دائرة . قال اللّه تعالى : ﴿ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِن عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٢].

الدليل التاسع: قوله تعالى : ﴿ تَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُم يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠]، فذكر اللّه تعالى أن موالاة الكفار موجبة لسخط اللّه، والخلود في العذاب بمجردها ، وإن كان الإنسان خائفاً ، إلَّا من أُكره بشرطه ، فكيف إذا اجتمع ذلك مع الكفر الصريح ، وهو معاداة التوحيد وأهله ، والمعاونة على زوال دعوة اللّه بالاخلاص ، وعلى تثبيت دعوة غيره ؟!

الدليل العاشر : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُم أَوْلِيَآءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُم فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨١] . فذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للايمان بالله والنبي ﷺ وما أنزل إليه . ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين ، ولم يفرِّق بين من خاف الدائرة وبين من لم يخف ؛ وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون ، فجرَّهم ذلك إلى موالاة الكفار ، والردَّة عن الاسلام ، نعوذ بالله من ذلك .

الدليل الحادي عشر : قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِم لِيُجَادِلُوكُم وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١] ، وهذه الآية نزلت لما قال المشركون : تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله ، فأنزل الله هذه الآية .

فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركاً من غير فرق بين الخائف وغيره إلا المكره ، فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم ، والكون معهم

ونصرهم ، والشهادة أنهم على حق ، واستحلال دماءِ المسلمين وأموالهم ، والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين ؟ فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال .

الدليل الثاني عشر : قوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وهذه الآية نزلت في عالمٍ عابد في زمان بني إسرائيل ؛ يقال له : بلعام ، وكان يعلم الاسم الأعظم .

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : لما نزل بهم موسى عليه السلام ـ يعني بالجبارين ـ أتاه بنو عمه وقومه فقالوا : إن موسى رجلٌ حديد ، ومعه جنود كثيرة ، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا ، فادع الله أن يردَّ عنا موسى ومن معه . قال : إني إن دعوت ذهبت دنياي وآخرتي ، فلم يزالوا به حتى دعا عليهم ، فسلخه الله مما كان عليه . فذلك قوله تعالى : ﴿ فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾ .

وقال ابن زيد : كان هواه مع القوم ، يعني الذين حاربوا موسى وقومه ، فذكر تعالى أمر هذا المنسلخ من آيات الله ، بعد أن أعطاه الله إياها ، وعرفَها وصار من أهلها ثم انسلخ منها ، أي ترك العمل بها ، وذكر في انسلاخه منها ما معناه أنه مظاهرةُ المشركين ومعاونتهم برأيه ، والدعاء على موسى عليه السلام ومن معه ، أن يردهم الله عن قومه ، خوفاً على قومه وشفقة عليهم ، مع كونه يعرف الحقَّ ، ويشهد به ، ويتعبَّد ، ولكن صدَّه عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه وإخلاده إلى الأرض ، فكان هذا انسلاخاً من آيات الله تعالى ، وهذا هو الواقع من هؤلاء المرتدين وأعظم ، فإن الله أعطاهم آياته التي فيها الأمر بالتوحيد ، ودعوته وحده لا شريك له ، والنهي عن الشرك به ودعوة غيره ، والأمر بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم ، والاعتصام بحبل الله جميعاً ، والكون مع المؤمنين ، والأمر بمعاداة

المشركين ، وبغضهم وجهادهم وفراقهم والأمر بهدم الأوثان ، وإزالة القحاب واللواط والمنكرات ، وعرفوها وأقرُّوا بها ، ثم انسلخوا من ذلك كله ، فهم أولى بالانسلاخ من آيات اللّه والكفر والردَّة من بلعام أو هم مثله .

الدليل الثالث عشر : قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُم مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة من الكفار والظالمين موجب لمسيس النار ، ولم يفرِّق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره ، فكيف بمن اتخذ الركون اليهم ديناً ورأياً حسناً ، وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأي ، وأحبَّ زوال التوحيد وأهله ، واستيلاء أهل الشرك عليهم ؟ ! فان هذا أعظم الكفر والركون .

الدليل الرابع عشر: قوله تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَن أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِم غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ آسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّه لَا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾ [النحل: ١٠٦ و١٠٧] فحكم تعالى حكماً لا يبدَّل أن من رجع عن دينه إلى الكفر ، فهو كافر ، سواء كان له عذر خوفاً على نفس أو مال أو أهل ، أم لا ، وسواء كفر بباطنه أم بظاهره دون باطنه ، وسواء كفر بفعاله ومقاله ، أو بأحدهما دون الآخر ، وسواء كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا ، فهو كافر على كل حال إلا المكره ، وهو في لغتنا : المغضوب ، فاذا أكره الانسان على الكفر وقيل له : اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك ، أو أخذه المشركون فضربوه ، ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم ، جاز له موافقتهم في الظاهر، بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان ، أي ثابتاً عليه ، معتقداً له . فأمَّا إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرهاً .

وظاهر كلام أحمد رحمه الله أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرهاً حتى

يعذِّبه المشركون ، فانه لما دخل عليه يحيى بن معين وهو مريض ، فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ، فما زال يعتذر ويقول حديث عمَّار . وقال الله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ [النحل : ١٠٦] ، فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر ؛ فقال يحيى : لا يقبل عذراً .

فلما خرج يحيى قال أحمد يحتج بحديث عمار ، وحديث عمار : مررت بهم وهم يسبُّونك فنهيتهم فضربوني وأنتم قيل لكم : نريد أن نضربكم ؛ فقال يحيى : والله ما رأيتُ تحت أديم السماء أفقه في دين الله تعالى منك .

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر ، وإن كانوا يقطعون على الحق ويقولون : ما فعلنا هذا إلا خوفاً ؛ فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذابٌ عظيم .

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك ، أو الجهل بالتوحيد ، أو البغض للدين ، أو محبة الكفر ، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا ، فآثره على الدين وعلى رضى رب العالمين . فقال : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [النحل : ١٠٧] ، فكفَّرهم تعالى ، وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبَّة الدنيا ، ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة ، هم الذين طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، وأنهم هم الغافلون .

ثم أخبر خبراً مؤكداً محققاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون .

الدليل الخامس عشر : قوله تعالى عن أهل الكهف ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً ﴾ [الكهف : ٢٠] ، فذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم

فهم بين أمرين : إما أن يرجموكم ، أي يقتلوكم شرَّ قتلة بالرجم ؛ وإما أن يعيدوكم في ملتهم ودينهم﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً ﴾أي وإن وافقتموهم على دينهم بعد أن غلبوكم وقهروكم ، فلن تفلحوا إذاً أبداً ، فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه ، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد ، وأجابهم إلى ما طلبوا من غير غلبة ولا إكراه ، ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون ؟

الدليل السادس عشر : قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ ﴾ [الحج: ١١] فأخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرفٍ ، أي على طرفٍ ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ﴾ ـ أي نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية، ونحو ذلك ـ ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ ـ أي ثبت وقال : هذا دين حسن ما رأينا فيه إلا خيراً ـ ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ ـ أي خوف ومرض وفقر ونحو ذلك ـ ﴿ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ﴾ أي ارتدَّ عن دينه ورجع إلى أهل الشرك .

فهذه الآية مطابقة لحال المنقلبين عن دينهم في هذه الفتنة ، يعبدون الله على حرف ، أي على طرف ، ليسوا ممن يعبد اللَّه على يقين وثبات ، فلما أصابتهم هذه الفتنة انقلبوا عن دينهم ، وأظهروا موافقة المشركين ، وأعطوهم الطاعة ، وخرجوا عن جماعة المسلمين الى جماعة المشركين ، فهم معهم في الآخرة ، كما هم معهم في الدنيا ، فخسروا الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين . هذا مع أن كثيراً منهم في عافية ، ما آتاهم من عدو ، وإنما ساء ظنهم بالله ، فظنوا أنه يديل الباطل وأهله على الحق وأهله ، فأرادهم سوء ظنهم بالله ، كما قال تعالى فيمن ظن به ظن السوء : ﴿ وَذٰلِكُم ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُم بِرَبِّكُم أَرْدَاكُم فَأَصْبَحْتُم مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٣] .

وأنت يا من منَّ الله عليه بالثبات على الاسلام ، احذر أن يدخل في قلبك شيء من الريب ، أو تحسين أمر هؤلاء المرتدِّين ، أو أن موافقتهم للمشركين وإظهار طاعتهم رأي حسن ، حذراً على الأنفس والأموال والمحارم ، فإنَّ هذه الشبهة هي التي أوقعت كثيراً من الأولين والآخرين في الشرك بالله ، ولم يعذرهم الله بذلك ، وإلا فكثير منهم يعرفون الحق ، ويعتقدونه بقلوبهم ، وإنما يدينون بالشرك للأعذار الثمانية التي ذكرها الله في كتابه ، فلم يعذر بها أحداً ولا بعضها ، فقال : ﴿ قُلْ إن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُم وَإخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٤] .

الدليل السابع عشر : قوله تعالى : ﴿ إنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُم الهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ * ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُم فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إذَا تَوَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُم * ذٰلِكَ بِأَنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥ ـ ٢٨] فذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدّوا على علم ، ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة ، وغرَّهم الشيطان بتسويله ، وتزيين ما ارتكبوه من الردَّة ؛ وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة ، غرَّهم الشيطان ، وأوهمهم أنَّ الخوف عذر لهم في الردَّة ، وأنهم بمعرفة الحق ومحبَّته والشهادة به لا يضرُّهم ما فعلوه ، ونسوا أنَّ كثيراً من المشركين يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به ؛ ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا ، وخوفاً على الأنفس والأموال ، والمآكل والرئاسات .

ثم قال تعالى : ﴿ ذٰلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُم فِي

بَعْضِ الأَمْرِ ﴾ فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردَّة ، وتسويل الشيطان ، وإملائه لهم ، هو قولهم للذين كرهوا ما نزَّل اللَّه : سنطيعكم في بعض الأمر ؛ فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل اللَّه بطاعتهم في بعض الأمر كافراً ، وإن لم يفعل ما وعدهم به ؛ فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل اللَّه من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت والأموات ، وأظهر أنهم على هدى ، وأن أهل التوحيد مخطئون في قتالهم ، وأن الصواب في مسالمتهم ، والدخول في دينهم الباطل ؟! فهؤلاء أولى بالردَّة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر ، ثم أخبر عن حالهم الفظيع عند الموت ، ثم قال : ﴿ ذٰلِكَ ﴾ الأمر الفظيع عند الوفاة ﴿ بِأَنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٨].

ولا يستريب مسلم أن اتِّباع المشركين ، والدخول في جملتهم ، والشهادة أنهم على حق ، ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله ، ونصره القباب والقحاب واللواط ، من اتِّباع ما يسخطه اللَّه ، وكراهة رضوانه ، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف ، فإن اللَّه ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين ، بل نهى عن خوفهم فأين هذا ممن يقول : ما جرى منَّا شيء ونحن على ديننا .

الدليل الثامن عشر : قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِم الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتَابِ لَئِنْ أُخرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلاَ نُطِيعُ فِيكُم أَحَدَاً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُم لَنَنْصُرَنَّكُم وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ ﴾ [الحشر: ١١] فعقد تعالى الأخوّة بين المنافقين والكفار ، وأخبر أنهم يقولون لهم في السر : ﴿ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ﴾ ، أي لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم ﴿ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُم وَلاَ نُطِيعُ فِيكُم أَحَدَاً أَبَدَاً ﴾ ؛ أي لا نسمع من أحد فيكم قولاً ، ولا نعطي فيكم طاعة . ﴿ وَإِن قُوتِلْتُم لَنَنْصُرَنَّكُمْ ﴾ ؛ أي إن قاتلكم محمد

ﷺ لننصرنكم ونكون معكم ، ثم شهد تعالى أنهم كاذبون في هذا القول ، فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم ، والخروج معهم إن أجلوا ، نفاقاً وكفراً وإن كان كذباً ؛ فكيف بمن أظهر ذلك صادقاً ، وقدم عليهم ، ودخل في طاعتهم ، ودعا إليها ، ونصرهم وانقاد لهم ، وصار من جملتهم ، وأعانهم بالمال والرأي ؛ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً من الدوائر ، كما قال تعالى : ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥٢].

فكذا حال كثير من المرتدين في هذه الفتنة ، فإنَّ عذر كثير منهم هو هذا العذر الذي ذكره اللَّه عن الذين في قلوبهم مرض ولم يعذرهم به . قال اللَّه تعالى : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٢ ـ ٥٣] ثم قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

فأخبر تعالى أنه لا بد عند وجود المرتدين من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين ، ووصفهم بالذلَّة والتواضع للمؤمنين ، والعزَّة والغلظة والشدة على الكافرين ، بضد من كان تواضعه وذلُّه ولينه لعبَّاد القباب ، وأهل القحاب واللواط ، وعزَّته وغلظته على أهل التوحيد والاخلاص ؛ فكفى بهذا دليلاً على كفر من وافقهم وإن ادعى أنه خائف ، فقد قال تعالى : ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤]. وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفاً من المشركين، ثم قال تعالى : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المائدة: ٥٤] أي في توحيده، صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم لتكون كلمة اللَّه هي العليا ، ولا يخافون لومة لائم ؛

أي لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم ، بل يمضون على دينهم ، يجاهدون فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه ولا لرضاه ؛ إنما همتهم وغاية مطلوبهم رضى سيدهم ومعبودهم ، والهرب من سخطه .

وهذا بخلاف من كانت همته وغاية مطلوبه رضى عبّاد القباب ، وأهل القحاب واللواط ورجائهم ، والهرب مما يسخطهم ، فإن هذا غاية الضلال والخذلان .

ثم قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤]، فأخبر تعالى أن هذا الخير العظيم ، والصفات الحميدة لأهل الإيمان الثابتين على دينهم عند وقوع الفتن ، ليس بحولهم ولا بقوتهم ، وإنما هو فضل اللَّه يؤتيه من يشاء واللَّه ذو الفضل العظيم ، ثم قال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥]، فأخبر تعالى خبراً بمعنى الأمر بولاية اللَّه ورسوله والمؤمنين - وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء اللَّه ورسوله والمؤمنين . ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى اللَّه ورسوله - وإقام الصلاة وإيتاءِ الزكاة . فالمتولي لضدهم ، واضع للولاية في غير محلها ، مستبدل بولاية اللَّه ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب. ثم أخبر تعالى أن الغلبة لحزبه ولمن تولاهم : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦].

الدليل التاسع عشر : قوله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]. فأخبر تعالى أنك لا تجد من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر يوادُّ من حادَّ اللَّه ورسوله ولو كان أقرب قريب ، وأن هذا منافٍ

للإيمان ، مضادٌ له ، لا يجتمع هو والإيمان إلَّا كما يجتمع الماء والنار .

وقد قال تعالى في موضع آخر : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَىٰ الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣]. ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباءوالأبناءوالأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يعتذر به كثير من الناس ، إذا كان لم يرخص لأحد في موادَّتهم ، واتخاذهم أولياء بأنفسهم خوفاً منهم ، وإيثاراً لمرضاتهم ، فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحاباً ، وأظهر لهم الموافقة على دينهم خوفاً على بعض هذه الأمور ومحبة لها ؟! ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له ؛ فجمعوا مع الردَّة استحلال الحرام .

الدليل العشرون : قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُم خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُم وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُم فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١]، فأخبر تعالى أن من تولى أعداء اللَّه وإن كانوا أقرباء ، فقد ضل سواء السبيل ؛ أي أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عنه إلى الضلالة .

فأين هذا ممن يدَّعي أنه على الصراط المستقيم ، لم يخرج عنه ؟ فإن هذا تكذيب للَّه ، ومن كذَّب اللَّه فهو كافر ، واستحلال لما حرَّم اللَّه من ولاية الكفار ، ومن استحلَّ محرَّماً فهو كافر .

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ

أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الممتحنة: ٣]، فلم يعذر تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد والخوف عليها ومشقة مفارقتها ، بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ، ولا تغني من عذاب اللّٰه شيئاً ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾[المؤمنون: ١٠١].

الدليل الحادي والعشرون : من السنة ما رواه أبو داود وغيره ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي ﷺ أنه قال : « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ ، فَإِنَّهُ مِثْلُهُ »[1] . فجعل ﷺ في هذا الحديث من جامع المشركين ، أي اجتمع معهم وخالطهم وسكن معهم مثلهم ، فكيف بمن أظهر لهم الموافقة على دينهم وآواهم وأعانهم ؟ ! فإن قالوا : خفنا ؛ قيل لهم : كذبتم .

وأيضاً فليس الخوف بعذرٍ ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠] فلم يعذر تبارك وتعالى من يرجع عن دينه عند الأذى والخوف ، فكيف بمن لم يصبه أذى ولا خوف ؟! وإنما جاؤوا إلى الباطل محبة له وخوفاً من الدوائر .

والأدلة على هذا كثيرة وفي هذا كفاية لمن أراد اللّٰه هدايته .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٨٧) في الجهاد : باب في الاقامة بأرض الشرك من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ، واسناده ضعيف ، وله شاهد عند الترمذي رقم (١٦٠٥) في السير ، وأبي داود رقم (٢٦٤٥) في الجهاد ، من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا : يا رسول الله لم ؟ قال لا تراءى ناراهما» ، وقال الترمذي : وأكثر أصحاب اسماعيل قالوا : عن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم أن رسول الله ﷺ . . . الحديث ، يعني أنه مرسل ، وقال : المرسل أصح ، وقد صحح البخاري ، وأبو حاتم ، وأبو داود، والدارقطني ، ارساله إلى قيس بن أبي حازم . فالحديث حسن وتقدم تخريجه ص (٦٦) .

وأما من أراد الله فتنته وضلالته، فكما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِم كَلِمَـةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُـونَ * وَلَـوْ جَـاءَتْهُمْ كُـلُّ آيَـةٍ حَتَّىٰ يَـرَوُا العَـذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٧].

ونسأل اللّٰه الكريم المنَّان أن يحيينا مسلمين ، وأن يتوفانا مسلمين ، وأن يلحقنا بالصالحين ، غير خزايا ولا مفتـونين ، برحمتـه وهو أرحم الـراحمين ، وصلى اللّٰه على محمد وآله وصحبه وسلم آمين .

* * *

هذا كتاب

سبيل النجاة والفكاك
من موالاة المرتدين وأهل الاشراك

للشيخ حمد بن علي بن عتيق النجدي رحمه اللّٰه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّٰه الذي أنزل على عبده الكتاب قيّماً بلا اعوجاج ، وجعله عصمة لمن تمسك به واعتمد عليه في الاحتجاج ، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بإيضاح الشرعة والمنهاج ، والصلاة والسلام على محمد الذي مزَّق اللّٰه ظلام الشرك بما معه من السراج ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الكفر وباينوهم من غير امتزاج .

أما بعد ؛ فإني قد كنت تكلمت وشددت في النهي عن موالاة المشركين ، ودعوت من حولي من المسلمين إلى عداوة الكافرين . ثم كتبت في ذلك بعض الآيات الدالة عليه ، مع كلمات قليلة من كلام بعض المحققين من أهل العلم والدين ، وكنت أظن أن من قرأ القرآن ، وآمن أنه كلام اللّٰه ، وأن اللّٰه تعبَّدنا بالعمل به ، والقيام ، إذا سمع ذلك أذعن له وانقاد ، وبادر إلى السمع والطاعة لحكمه ، لقول اللّٰه تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣] وقال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيماً ﴾ [النساء: ٦٥]. وقال تعالى : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ❋ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ❋ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ❋ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٣ ـ ١٢٦] . فحصل من بعض الجاهلين والمعاندين إنكار لذلك ، وجحدوا لما أوجب الله الإقرار به والقيام ، فصار المنتسبون إلى العلم المدَّعون أنهم من طلبته في ذلك على أقسام :

طائفة منهم استحسنت المعارضة الجاهلة الضالَّة ورضيتها ، وإن لم تصرح بذلك ، فإنه ظاهر على وجوهها .

وطائفة كرهت المعارضة ، واستجهلت صاحبها ، لكنها لم تفعل ما أوجب اللّه عليها من رد ذلك ، والإنكار على سالكه ، ولولا ما وقع لهؤلاءِ ، لما كان المعارض مساوياً لمن يجاوبه .

فلأجل ذلك كتب شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن رسالة مفيدة في الرد على هذا المعارض ، نقض فيها أقواله نقضاً بديعاً ، وهي كافية في الرد عليه ، فصار شيخنا هو إمام الطائفة ، الرادُّ لأقوال أهل الباطل المنكرة لها ، والله ناصر دينه ، ومظهره على الدين كله ولو كره الكافرون . ثم إني كتبت ـ إن شاء الله ـ كلمات فيها بيان لأشياء وقع الغلط فيها ممن ينتسب إلى العلم ، لقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩]. وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] . منها وجوب معاداة الكفار والمشركين ومقاطعتهم . ومنها مما يصير به الرجل مرتداً . ومنها ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين ، ويظهر الطاعة لهم . ومنها مسألة إظهار الدين . ومنها

مسألة الاستضعاف . ومنها وجوب الهجرة ، وأنها باقية .

وسميت هذا الكتاب «سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك » وأسأل الله تعالى أن يجعله مبنياً على الاخلاص ، وأن ينفع به من قرأه طلباً للنجاة والخلاص .

فصل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى ، بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، فبين للناس ما نزِّل إليهم ، فما من خير إلا دلهم عليه ؛ وعرَّفهم الطرق الموصلة إليه ، وما من شر إلا حذرهم منه ، وسدَّ عليهم أبوابه المفضية إليه ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم « أن الاسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ »[1] .

وأخبرهم بظهور الفتن التي « كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ، ويمسي كافراً ، ويمسي كافراً ويصبح مؤمناً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا[2] ، فكان وقوع هذا لما وقع ، هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله .

ومما أخبر به أن أمته تقاتل الترك ، [و] وصفهم بأنهم صغار العيون ، ذلف الأنوف ، فكأن وجوههم المجان المطرقة[3] ومعنى ذلف الأنوف أنها قصار مبطحة . والمجان : جمع مجن ، وهو الترس . أراد وجوههم مستديره ناتئة

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٤٠) .

(٢) الحديث رواه مسلم رقم (١١٨) في الإيمان : باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ، والترمذي رقم (٢١٩٦) في الفتن : باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأوله: «بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم ...» .

(٣) الحديث رواه البخاري ٦/ ٧٦ في الجهاد : باب قتال الذين ينتعلون الشعر ، وباب قتال الترك ومسلم رقم (٢٩١٢) في الفتن : باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ... الخ ، وأبو داود رقم (٤٣٠٣) ، والترمذي رقم (٢٢١٦) ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٥٣٠ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ولفظه : « تقاتلون بين يدي الساعة قوماً نعالهم الشَّعَرُ ، كأن وجوههم المَجَانُّ المطرقة ، حمر الوجوه ، صغار الأعين » .

وجنتها . هذا معنى كلام البغوي في « شرح السنة » . فكان من حكمة الله وعدله أن سلطهم[على المسلمين][1]. ظهرت فيهم الملة الحنيفية ، ودعوا إلى الطريقة المحمدية ، ولكن حصل من بعضهم ذنوب بها تسلطت هذه الدولة الكفرية . فجرى ما هو ثابت في الأقدار الأزلية ، وإن كانت لا تجيزه الأحكام الشرعية . والله تعالى : ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُم يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

وامتحن أهل الاسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في حادثة ظهور التتار في زمنه ، وهم بادية الترك ، فناسب أن نذكر بعض كلامه .

قال رحمه الله تعالى : فإن هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الاسلام ، وقد جرى فيها شبه بما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه ، وابتلى بها نبيه والمؤمنين ، مما هو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً إلى يوم القيامة . فإن نصوص الكتاب والسنة اللّذين هما دعوة محمد ﷺ ، تتناول عموم الخلق بالعموم اللفظي ، وبالعموم المعنوي وعهود الله في كتابه وسنته ، تتناول آخر هذه الأمة كما تناولت أولها .

وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم ، لتكون عبرة لنا ، فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها فيكون للمؤمن من المستأخرين شبه بما كان للمؤمن من المستقدمين ، ويكون للكافر والمنافق من المستأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المستقدمين .

كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصَّلة ، وأجمل ذكر قصص الأنبياء : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِم عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف : ١١١]. وقال لما ذكر قصة فرعون : ﴿ فَأَخَذَهُ الله نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ ﴾

---

(١) في الأصل : بياض .

[النازعات : ٢٥ و ٢٦] . وقال في محاصرة بني النضير : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ مَا ظَنَنْتُم أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَانِعَتُهُم حُصُونُهُم مِنَ اللهِ فَأَتَاهُم اللهُ مِن حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيوتَهُم بِأَيْدِيهِم وَأَيْدِي المُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولي الأَبْصَارِ ﴾ [الحشر: ٢] .

فأمر أن نعتبر بأحوال المستقدمين علينا من هذه الأمة وممن قبلنا ، وذكر في غير موضع ؛ أن سنته في ذلك مطردة وعادة مستمرة ، فقال تعالى : ﴿ لَئِن لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِم ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً * سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٦٠ ـ ٦٢] وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً * سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الفتح: ٢٢ ـ ٢٣] . وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين ، كدأب الكافرين من المستقدمين .

فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة اللّه وأيامه في عباده ودأب الأمم وعاداتهم ، لا سيَّما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها ، واستطار في جميع الديار شررها ، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه ، وكشَّر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه ، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجتث ويخترم ، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطلم ، وعقير دار المؤمنين أن يحل بها البوار ، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار ، وظن : المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ، وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبداً ، وزين ذلك في قلوبهم ، وظنوا ظن السَّوْء وكانوا قوماً بوراً .

ونزلت فتنة تركت الحليم حيراناً ، وأنزلت الرجل الصَّادق منزلة السكران .

وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوساوس ليس بالنائم ولا اليقظان ، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان ، حتى إن الرجل بنفسه شغل عن أن يغيث اللهفان ، وميَّز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان . ورفع بها أقواماً إلى الدرجات العالية ، كما خفض بها أقواماً الى المنزلة الهاوية ، وكفَّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة ، وحدث من أنواع البلوى وما جعلها مختصرة من القيامة الكبرى .

فإن الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد ، كما يتفرقوا كذلك في اليوم الموعود ، ولم ينفع المنفعة الخالصة من البلوى إلا الايمان والعمل الصالح ، والبر والتقوى ، وبليت فيها السرائر ؛ وظهرت الحنايا التي تكنها الضمائر ، وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المآل ، وذم سادته وكبراءه من أطاعهم فأضلُّوه السبيلا . كما حمد ربه من صدق في إيمانه واتخذ مع الرسول سبيلا . وبأن صدق ما جاءت به الأخبار النبوية من الأخبار بما يكون ، وواطأتها قلوب الذين هم في هذه الأمة محدَّثون ، أي ملهمون كما تواطأت عليها المبشِّرات التي رآها المؤمنون ، وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة ، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة ، حيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب . حزب مجتهد في نصرة الدين، وآخر خاذل له، وآخر خارج عن شريعة الاسلام . وانقسم الناس بين مأجور ومغرور ، وآخر قد غرَّه بالله الغرور . وكان هذا الامتحان تميزاً من الله وتقسيماً ﴿ لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِم وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ إن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم إنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [الأحزاب: ٢٤] .

قلت : وما ذكره من الافتتان قد رأينا ما هو نظيره ، أو أعظم منه في هذه الأزمان ، وكذلك انقسم الناس أقساماً .

أحدها : ناصر لدين الاسلام ، وساعٍ في ذلك بكل جهده ، وهم القليلون

عدداً ، الأعظمون عند الله أجراً .

القسم الثاني : خاذل لأهل الاسلام ، تارك لمعونتهم .

القسم الثالث : خارج عن شريعة الاسلام بمظاهرة حزب المشركين ومناصحتهم . وقد روى الطبراني عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : «مَن أَعَانَ صَاحِبَ بَاطِلٍ لِيُدْحِضَ بِبَاطِلِهِ حَقّاً فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ نَبِيِّه »[1] .

فصل

وهذا أوان الشروع في المقصود ، فأما معاداة الكفار والمشركين ، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك ، وأكد إيجابه ، وحرَّم موالاتهم وشدد فيها ، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبْين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١] .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى : فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه ، وتضييعهم فرائضه ، وشكهم في دينه الذي لا يقبل من أحد التصديق إلا به والايقان بحقيقته ، وتكذيبهم المؤمنين بدعواهم ، غير ما هم عليه مقيمون من الشك والتكذيب ، ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله ، إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

قال ابن كثير : وهذا الذي قاله حسن ، فإن من الفساد في الأرض ، اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء . كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

---

(١) وهو حديث حسن ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٠٢٠) ، ولفظه : « من أعان ظالماً بباطل ليدحض بباطله حقاً . . . » الحديث .

إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣] . فقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [النساء : ١٤٤] .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ أي نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ، ونصلح مع هؤلاء وهؤلاء يقول الله : ﴿ أَلاَ إِنَّهُم هُمُ المُفْسِدُونَ ﴾ [البقرة: ١٢] . يقول : ألا إن هذا الذي يعتمدون ويزعمون أنه إصلاح ، هو عين الفساد ، ولكن من جهلهم لا يشعرون أنه فساد[1] اهـ . وهذا الذي ذكره ، قد والله سمعناه ورأينا أهله إذا قيل لهم : ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد ؟ قالوا : نريد أن نصلح أحوالنا ونستخرج دنيانا منهم ، ويكون لنا يد عندهم . وبعضهم إذا ظن بالله ظن السوءِ من إيذاء أهل الباطل ، ورأى من له اتصال بهم ، وتوصل إليهم ، اتخذه صديقاً ، ورضي به ، قائلاً بلسان حاله : ﴿نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ [المائدة: ٥٢] . ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢] . وقال تعالى : ﴿ بَشِّرِ المُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُم عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعاً ﴾ [النساء : ١٣٨ - ١٣٩] . ظإلى ظقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا للّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ [النساء : ١٤٤] .

قال ابن كثير : ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين . يعني معهم في الحقيقة ، يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة ، ويقولون لهم إذا خلوا بهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُم إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ ﴾ [البقرة: ١٤] أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة . قال الله تعالى منكراً عليهم فيما سلكوه من

موالاة الكافرين : ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزَّةَ ﴾ [النساء : ١٣٩] .

ثم أخبر أنّ العزة كلها له وحده لا شريك له ، ولمن جعلها له . كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلهِ العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ فاطر : ١٠] وقال تعالى : ﴿ ولِلّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية [المنافقون : ٨] .

والمقصود من هذا : التهييج على طلب العزة من جناب الله تعالى ، والالتجاء إلى عبوديته ، والانتظام في جملة عبادة المؤمنين الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

قلت : فإذا كانت موالاة الكافرين من أفعال المنافقين . فهذا كافٍ في تحريمها والنهي عنها،وقال تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ المُؤْمِنُونَ الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ المُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ [آل عمران: ٢٨] . فنهى سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين ، ثم قال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ أي ومن يوال الكافرين ، فليس من الله في شيء ، أي فقد برىء من الله ، وبرىء الله منه . وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد ، حفظاً للاسلام والتوحيد . وقال تعالى : ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُم يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُم أَنْفُسُهُم أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِم وَفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُون * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُم أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُم فَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠ ـ ٨١] .

قال شيخ الاسلام : فبيّن سبحانه أن الإيمان بالله والنبيِّ وما أُنزل إليه ، ملتزم بعدم ولايتهم ، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الايمان ، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم .

قلت : رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه ، والخلود في العذاب ، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن ، وأما أهل الايمان

بالله وكتابه ورسوله ، فإنهم لا يوالونهم ، بل يعادونهم ، كما أخبر الله عن إبراهيم والذين معه من المرسلين ، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى الله أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِن عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِم نَادِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١ - ٥٢] . فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى .

وذكر أن من تولاَّهم فهو منهم . أي من تولَّى اليهود فهو يهودي ، ومن تولَّى النصارى فهو نصراني .

وقد روى ابن أبي حاتم ، عن محمد بن سيرين . قال : قال عبد اللَّه بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر . قال : فظنناه يريد هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَإِنَّهُ مِنْهُم ﴾ الآية [المائدة : ٥١] .

وكذلك من تولىٰ المشرك ، فهو مشرك ومن تولى الأعاجم فهو أعجمي ، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفار .

ثم أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض ، أي شك في الدين وشبهة ، يسارعون في الكفر قائلين : ﴿ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ [المائدة : ٥٢] ، أي إذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين . قالوا : نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل ، فيتسلطون علينا ، فيأخذون أموالنا ، ويشردوننا من بلداننا .

وهذا هو ظن السوء بالله الذي قال فيه : ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُم جَهَنَّم وَسَاءَتْ

مَصِيراً ﴾ [الفتح : ٦] ولهذا قال تعالى في هذه الآية : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِن عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِم نَادِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥٢] وعسى من اللَّهِ واجب ، والحمد للَّه الذي أتى بالفتح ، فأصبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا في أنفسهم نادمين، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخذُوا دِينَكُم هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِكُم وَالكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٧] . فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة أهل الكتابين وغيرهم من الكفار وبيَّن أن موالاتهم تنافي الإيمان . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُم وَإِخْوَانَكُم أَوْلِيَاءَ إِن اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُم وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُم وَأَزْوَاجُكُم وَعَشِيرَتُكُم وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِه وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ واللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣ ـ ٢٤] فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه ـ اللذين هما أقرب الناس إليه ـ إذا كان دينهما غير الايمان ، وبيَّن أن الذي يتولى أباه وأخاه إذا كانا كافرين فهو ظالم ، فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداءٌ له ولآبائه ولدينه ؟ ! أفلا يكون هذا ظالم ؟ بلى واللَّه إنه لمن أظلم الظالمين .

ثم بيَّن تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذراً في موالاة الكافرين ، فليس لأحد أن يواليهم خوفاً على أبيه ، أو أخيه ، أو بلاده ، أو ماله ، أو مشحته بعشيرته ، أو مخافته على زوجاته ، فان الله قد سدَّ على الخلق باب الأعذار بأن هذا ليس بعذر .

فان قيل : قد قال كثير من المفسرين : إن هذه الآية نزلت في شأن الجهاد فالجواب من وجهين :

أحدهما أن تقول : إذا كانت هذه الثمانية ، ليس بيانها عذراً في ترك الجهاد الذي هو فرض على الكفاية، فكونها لا تكون عـذراً في ترك عـداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى .

الوجه الثاني أنَّ الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا . كما دلت على الجهاد ، فانه قال : ﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ في سَبِيلِهِ ﴾ [التـوبة: ٢٤] ، فمحبة الله ورسوله توجب إيثار عداوة المشركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية ، وتقديمها عليها . كما أن محبة الجهاد توجب إيثاره عليها ، وبالله التوفيق .

وهذا إذا سمعه المنصف يكون عنده ظـاهراً . إلا مَنْ أعمى الله بصيـرته بسبب تعصبه ، كما قال تعالى : ﴿ إنَّ الَّذِينَ حَقتْ عَلَيْهِم كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوا العَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٩٦ ـ ٩٧] . وقال تعالى : ﴿ وَالَّـذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَـاجِرُوا مَـا لَكُم مِن وَلاَيَتِهِم مِن شَيءٍ حَتَّى يُهَـاجِـرُوا ﴾ [الأنفال: ٧٢] . ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ [الأنفال : ٧٣] . فأخبر أن الكافرين إذا لم يوال بعضهم بعضاً بأن ينحازوا عن المسلمين ، ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم ، وإلا وقعت الفتنة والفساد الكبير .

فتبين أن موالاة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدين ، بترك واجباته ، وارتكاب محـرَّماتـه، والخروج عن شرائعه ، وسبب الافتتان في الأديان والأبدان والأموال . فأين هذا من أقوال المفسدين : إن موالاة المشركين صلاح وعـافية وسلامة . وقال تعالى : ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُم أَوْلِيَـاءَ حَتَّى يُهـاجِـرُوا فِي سَبيلِ اللّهِ فَـإن تَوَلَّـوا فَخُذُوهُم وَاقْتُلُوهُم حَيْثُ وَجَدْتُّمُوهُم وَلاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُم وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً ﴾ [النساء: ٨٩] . فأخبر تعالى عن الكفار ، أنهم يودّون كفر المسلمين كما كفروا .

ثم نهى أهل الايمان عن موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الاسلام .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِنَ الحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُم إِنْ كُنْتُم خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُم وَمَا أَعْلَنْتُم وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُم فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَثْقَفُوكُم يَكُونُوا لَكُم أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُم أَيْدِيَهُم وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * قَدْ كَانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُم وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴾ [الممتحنة : ١ ـ ٤] . إلى قوله : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِن دِيَارِكُم وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُم وَمَن يَتَوَلَّهُم فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم قَد يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِن أَصْحَابِ القُبُورِ ﴾ [الممتحنة : ١٣] .

وقد ثبت في « الصحاح »[1] أَنَّ هذه السورة نزلت في رجل من الصحابة لما

---

(١) رواه البخاري ٧/٤٠٠ في المغازي : باب فتح مكة ، وباب فضل من شهد بدراً ، وفي الجهاد : باب الجاسوس ، وباب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن ، وفي تفسير سورة الممتحنة في فاتحتها ، وفي الاستئذان : باب من نظر في كتاب من يحذر من المسلمين ليستبين أمره ، وفي استتابة المرتدين : باب ما جاء في المتأولين ، ومسلم رقم (٢٤٩٤) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة ، وأبو داود رقم (٢٦٥٠) و(٢٦٥١) في الجهاد : باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً ، والترمذي رقم (٣٣٠٢) في تفسير القرآن : باب ومن سورة الممتحنة . وتقدم تخريجه ص (١٤٧) .

كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهم عام الفتح ، فأنزل الله هذه الآيات يخبر عن هذا الكتاب .

وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في إثر المرأة التي ذهبت بالكتاب ، فوجده في عقيصة رأسها ، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ يعتذر ويحلف أنه ما شك ، ولكنه ليس له من يحمي من وراءه من أهله بمكة ، وأنه أراد بهذا يداً عند قريش ، واستأذن بعض الصحابة في قتله . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ، فَقَالَ : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . فلولا أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقتل لهذا الكتاب .

ففي هذه السورة مع سبب نزولها ، من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاطعتهم أدلة كثيرة ، فنهى تعالى أهل الايمان عن اتخاذ عدوه وعدوهم . وهذا تهييج على عداوتهم ، فإن عداوة المعادي لربك باعثة وداعية إلى عداوتك ، ولنضرب لذلك مثلاً ، ولله المثل الأعلى ، فقدر نفسك مملوكاً لإنسان هو سيِّدك ، والسبب في حصول مصالحك ومنع مضارك ، وسيِّدِكَ له عدو من الناس ، فهل يصح عندك ويجوز في عقلك أن تتخذ عدو سيِّدك وليّاً ، ولو لم ينهك عن ذلك ؟ ! فكيف إذا نهاك عن ذلك أشد النهي ، ورتب على موالاتك له أن يعذبك ، وأن يسخط عليك ، وأن يوصل إليك ما تكره ، ويمنع عنك ما تحب ؟ ! فكيف إذا كان هذا العدو ، لسيِّدك ، وعدو لك ؟ ! فاذا واليته مع ذلك كله ، إنك إذاً لمن الظالمين الجاهلين .

ثم قال : ﴿ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ وهذا كافٍ في إبطال شبهة المشبهين فانه إذا أنكر عليهم موالاة المشركين وموادتهم . قالوا : لم يصدر منا ذلك ، وهم مع ذلك يعينون أهل الباطل بأموالهم ، ويذبُّون عنهم بألسنتهم ، ويكاتبونهم بعورات المسلمين .

فأين هذا من الكتاب الذي نزلت فيه هذه السورة ؟ وقد سماه الله إلقاءً بالمودة ، وهذا ظاهر جداً .

ثم قال : ﴿ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِنَ الحَقِ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُم أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُم ﴾ فذكر ما يدعو إلى عداوتهم وهو كفرهم بالحق الذي جاء من عند الله ، وإخراجهم النبيَّ ﷺ وأهل الاسلام لأجل الايمان بالله .

ثم حذر تعالى من موالاتهم بأنه يعلم السر والعلانية ، وهذا تهديد شديد .

ثم قال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ أي من يتولَّى أعداء الله ويلقي إليهم بالمودة ، ويسرُّ إليهم ، فقد أخطأ الصراط المستقيم ، وخرج عن طريق الصواب .

ثم قال : ﴿ إن يَثْقَفُوكُم يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ﴾ الآية : فبيَّن أنهم إن قدروا على المسلم واستولوا عليه ، ساموه سوء العذاب ، ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُم أَيْدِيَهُم وَأَلْسِنَتَهُم ﴾ بالضرب والقتل ، وبالكلام الغليظ ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بعده عنهم ؛ فإنهم لا يرضون عنه ولا يسلمونه من شرهم ، حتى يكون دينه دينهم ولهذا قال : ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ . كما قال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

ثم قال : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُم وَلاَ أَوْلاَدُكُم يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ الآية . فبيَّن أن كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين ، لا يبيح له موالاتهم ،كما اعتذر هذا الرجل بأن له في مكة أرحاماً وأولاداً ، فلم يعذره الله تعالى . فانه يجب على الانسان أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، ولا يحصل الايمان حتى يكون الرسول أحب إلى الانسان من ولده ووالده والناس أجمعين . فقوله : ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُم وَلاَ أَوْلاَدُكُم يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾ أي : لن ينجُّوكم من عذاب الله ،

فكيف تقدِّمونهم على مراد الله ؟ ولأجلهم تولّون أعداء الله ! والله تعـالى مطلع عليكم بصير بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم .

ثم بيَّن أن هذا الذي دلهم عليه من موالاة المؤمنين ، ونهاهم عنه من موالاة الكافرين ، ليس هو أمراً لهم وحدهم ، بل هو الصراط المستقيم الذي عليه جميع المرسلين . فقال : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُم أُسْـوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ من المرسلين ﴿ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُم وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ فقوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ [النحل: ١٢٣] .

فأمرنا سبحانه أن نتأسَّى بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين في قولهم لقومهم : ﴿ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ إلى آخره . وإذا كان هذا واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم ، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين عند المخالفين له في جميع الأمور أبين وأبين .

وها هنا نكتة بديعة في قوله : ﴿ إِنَّا بُرَآؤُا مِنْكُم وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ وهي أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله ، على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله ، لأن الأول أهم من الثاني ، فانه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها ، فلا يكون آتياً بالواجب عليه . وأما إذا تبرأ من المشركين ، فان هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم . وهذا كقولـه تعالى : ﴿ وَأَعْتَـزِلُكُم وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِياً ﴾ [مريم: ٤٨] . فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم ، وكذا قوله : ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُم وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [مريم: ٤٩] . وقوله : ﴿ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُم وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [الكهف : ١٦] . فعليك بهذه النكت ، فإنها تفتح لك باباً إلى عداوة أعداءِ

الله . فكم من إنسان لا يقع منه الشرك . ولكنه لا يعادي أهله ، فلا يكون مسلماً بذلك إذا ترك دين جميع المرسلين .

ثم قال : ﴿ كَفَرْنَا بِكُم وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تَؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤] .فقوله :﴿وبدا﴾،أي ظهر وبان ، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء ، لأن الأولى أهم من الثانية ، فان الانسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم ، فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ولا بد أيضاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين .

واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فانها لا تنفع حتى تظهر آثارها ، وتتبين علامتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة ، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين . وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة ، فإن ذلك يدل على عدم البغضاءِ ، فعليك بتأمل هذا الموضع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة .

ثم قال : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُم اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِن دِيَارِكُم وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُم وَمَن يَتَوَلَّهُم فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الممتحنة : ٩] . فذكر سبحانه وتعالى أفعالاً تدعو إلى مقاطعتهم ، وترك موالاتهم وهي أنهم يقاتلون في الدين ، أي من أجله ، يعني أن الدين حملهم على قتالكم لما أنتم عليه من الدين لعداوتهم ، وأيضاً يخرجون المؤمنين من ديارهم ، ويعاونون على إخراجهم ، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين .

وفي هذه الآية أعظم الدليل وأوضح البرهان على أن موالاتهم محرَّمة منافية للايمان . وذلك انه قال : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ ﴾ فجمع بين لفظة «إنما» المفيدة للحصر ، وبين النهي الصريح ، وذكر الخصال الثلاث وضمير الحصر وهو لفظة هم .

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِن أَصْحَابِ القُبُورِ ﴾ [الممتحنة : ١٣] . فنهى سبحانه أهل الايمان عن موالاة الذين غضب اللّه عليهم ، فلا يحسن من المؤمن ولا يجوز منه أن يوالي من فعل ما يغضب اللّه تعالى من الكفر ، فان موالاته لـه تنافي الايمان باللّه تعالى .

فصل

وها هنا أمور يجب التنبيه عليها ، وتعيين الاعتناء بها ليتم لفاعلها مجانبة دين المشركين .

الأمر الأول : ترك اتباع أهوائهم ، وقد نهى الله تعالى عن اتّباعها . قال تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ اليَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٢٠] .

قال شيخ الاسلام : فانظر كيف قال في الخبر ملَّتهم ، وقال في النهي : أهواءهم . لأن القوم لا يرضون إلا باتّباع الملّة مطلقاً ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير، وقال تعالى لموسى وهارون: ﴿ فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٩] ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ المُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٢] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ المُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [النساء: ١١٥] وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ

اللّهُوَلَا تتبع أَهْوَاءَهُم عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨] إلى قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُم وَاحْذَرْهُم أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَني إِسْرَائِيلَ الكِتَابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ وَرزَقْنَاهُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُم عَلَى العَالَمِينَ * وآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِنَ الأمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُم العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُم إنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللّهِ شَيْئاً وَإنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللّهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٦ ـ ١٩] .

وقال شيخ الاسلام: فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم لبعض. ثم جعل محمداً ﷺ على شريعة شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهـواء الذين لا يعلمون. وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته. وأهوائهم ما يهوونه.

قلت: فاذا كان اتّباع أهواء جميـع الكفار وسلوك مـا يحبُّونـه منهياً عنـه وممنوعاً منه، فهذا هو المطلوب. وما ذاك إلا خوفاً من إتّباعهم في أصل دينهم الباطل.

وقال تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِن اتَّبَعْتَ أَهْوآءَهُم بَعْـدَ مَا جَآءَكَ مِنَ العِلْمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾ [الرعد: ٣٧] .

فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنزل كتابه حكماً عربياً، ثم [ذكر] توعده على اتّباع أهواء الكفار بهذا الوعيد الشديد.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِـعْ أَهْوَآءَ الَّـذِين كَذَّبُـوا بِآيَـاتِنَا وَالَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُون

بِالآخِرَةِ ، وَهُمْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٠] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين ، وتحريم اتّباعهم وأنه من أعظم الفوادح في الدين .

الأمر الثاني معصيتهم فيما أمروا به ، فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين ، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ردوهم عن الايمان إلى الكفر والخسارة ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إيمَانِكَمْ كافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٠٠] . وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾[الكهف : ٢٨] وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُم إِنَّكُم لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢١] . وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِن هُم إِلاَّ يَخْرُصُوْنَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] . وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرِيَةٍ نَذِيراً * فَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥١ ـ ٥٢] . وقال تعالى : ﴿ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِم ﴾ [التوبة : ٧٣] . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالمُنَافِقِينَ إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [الأحزاب : ١] وقال تعالى إخباراً عمن أطاع رؤساء الكفر : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ ﴾ [الأحزاب : ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ وَالمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَ إلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

وفسر النبي ﷺ اتخاذهم أرباباً أنها طاعتهم في تحريم الحلال وتحليل الحرام . فاذا كان من أطاع الأحبار وهم العلماء والرهبان ، وهم العباد في ذلك ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ، فمن أطاع الجهال والفسّاق في تحريم ما أحل

الله ، أو تحليل ما حرَّم الله ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ؛ بل ذلك أولى وأحرى .

الأمر الثالث : ترك الركون إلى الكفرة والظالمين .

وقد نهى الله عن ذلك . فقال : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴾ [هود : ١١٣] ، فنهى سبحانه وتعالى عن الركون إلى الظلمة ، وتوعَّد على ذلك بمسيس النار ، وعدم النَّصر ، والشرك وهو أعظم أنواع الظلم . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، فمن ركن إلى أهل الشرك ، أي مال إليهم ورضي بشيء من أعمالهم ، فانه مستحق لأن يعذبه الله بالنار ، وأن يخذله في الدنيا والآخرة .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً * إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴾ [الإسراء : ٧٤ ـ ٧٥] ، فأخبر سبحانه وتعالى أنه لولا تثبيته لرسوله ﷺ ، لركن إلى المشركين شيئاً قليلاً ، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً ، ولكن الله ثبَّته فلم يركن إليهم ، بل عاداهم وقطع اليد منهم ، ولكن إذا كان الخطاب للنبي ﷺ مع عصمته ، فغيره أولى بلحوق هذا الوعيد به .

الأمر الرابع : ترك موادَّة أعداء الله . قال الله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُم أَوْ أَبْنَاءَهُم أَوْ إِخْوَانَهُم أَوْ عَشِيرَتَهُم ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

قال شيخ الاسلام : فأخبر سبحانه وتعالى أنه لا يوجد مؤمن يوادُّ من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، ولا يوجد مؤمن يوادُّ كافراً ، فمن وادَّ كافراً فليس بمؤمن .

قلت : فاذا كان الله قد نفى الايمان عمن وادَّ أباه وأخاه وعشيرته إذا كانوا محادِّين الله ورسوله ، فمن وادَّ الكفار الأبعدين عنه ، فهو أولى بأن لا يكون مؤمناً .

الأمر الخامس : ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة ، لأنها تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة ، حتى إن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة ، كان بينهما من المودَّة والائتلاف أمر عظيم . وإن كانا في مصرهما ، لم يكونا متعارفين ، أو كانا متهاجرين ، وذلك لأن الاشتراك نوع وصف ، به اختصاص عن بلد الغربة . بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب ، فكانت بينهما مشابهة في العمامة ، أو الثياب ، أو الشعر ، أو المركب ، ونحو ذلك ، لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما ، وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية يألف بعضهم بعضاً ما لا يألفون غيرهم ، حتى إن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة ، أَمَّا على الدين ، تجد الملوك من الرؤساءِ وإن تباعدت ديارهم وممالكهم ، بينهم مناسبة تورث مشابهة وحماية من بعضهم لبعض ، وهذا كله موجب الطباع ومقتضاها ، إلا أن يمنع من ذلك دين أو غرض حاضر ، فاذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة لهم ، فكيف بالمشابهة في أمور دينية ؟ ! فإفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد[1] . هذا كلام شيخ الاسلام ابن تيمية .

قلت : فاذا كانت مشابهة الكفار في الأفعال الظاهرة إنما نهي عنها لأنها وسيلة وسبب يفضي إلى موالاتهم ومحبتهم بالنهي عن هذه الغاية ، والمحذور أشد ، والمنع منه وتحريمه أوكد ، وهذا هو المطلوب .

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص (٢٤٤) من طبعة دار البيان بدمشق .

ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار والمشركين

روى أبو داود في « سننه » عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »[1] . قال شيخ الاسلام . وإسناده جيد . وأقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم ﴾ [المائدة : ٥١]. وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال : « مَنْ بَنَى بِأَرْضِ المُشْرِكِينَ ، وَصَنَعَ نِيرُوزَهُمْ ، ومَهْرَجَانَهُمْ ، وَتَشَبَّهَ بِهْمْ حَتَّىٰ يَمُوتَ ، حُشِرَ مَعَهُمْ يَومَ القِيَامَةِ »[2] .

وقد ثبت عن عائشة أنها كرهت الاختصار في الصلاة ، وقالت : لا تشبهوا باليهود[3] .

وروى البيهقي باسناد صحيح عن عمرو بن دينار ، قال : قال عمر بن الخطاب : « لَا تَعلَّمُوا رَطَانَةَ الأَعَاجِمِ ، ولَا تَدْخُلوا عَلَىٰ المُشْرِكِينَ فِي كَنَائِسِهِمْ يَوْمَ عِيدِهِمْ ، فَإِنَّ السَّخَطَ يَنْزِلُ عَلَيْهِم »[4] .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٠٣١) في اللباس : باب في لبس الشهرة ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٥٠ و٩٢ من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وسنده حسن ، وجود اسناده ابن تيمية في « الاقتضاء » ص ٩٤ من طبعتنا ، وصححه الحافظ العراقي في « تخريج الاحياء » وحسنه الحافظ في « الفتح ١٠/ ٢٣٠ ، وله شا هد مرسل باسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي ﷺ بتمامه .

ولفظه بتمامه : « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شرك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم » . وقد تقدم تخريجه ص (١٨٠) .

(٢) البيهقي في « السنن الكبرى » ٩/ ٢٣٤ .

(٣) لم أجده من حديث عائشة رضي الله عنه، ويغني عنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه أن النبي ﷺ نهى أن يصلي الرجل مختصراً ، متفق عليه ، انظر « الإرواء » رقم (٣٧٤) .

(٤) البيهقي في « السنن الكبرى » ٩/ ٢٣٤ وعبد الرزاق في « المصنف » رقم (١٦٠٩) .

وورد باسناد صحيح عن أبي أسامة ، قال : حدثنا عوف عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : « مَنْ بَنَى بِبِلَادِ الأَعَاجِمِ فَصَنَعَ نَيروزَهُمْ وَمَهْرَجَانَهُمْ ، وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّىٰ يَمُوتَ وَهُوَ كَذٰلِكَ ، حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

فهذا عمر نهى عن تَعلُّم لسانهم ، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم ؛ فكيف بمن يفعل بعض أفعالهم ، أو فعل ما هو من مقتضيات دينهم ؟! أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة ؟ أو ليس عمل بعض أعمالهم ، أي أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم ؟! وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم ، فمن يشركهم في العمل أو بعضه ، أليس قد تعرض إلى العقوبة ؟

وأما عبد الله بن عمرو ، فصرح : أنه من بنى ببلادهم ، وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت ، حشر معهم . وهذا يقتضي أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور ، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار ، وإن كان الأول ظاهر لفظه ، فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية ، لأنه لو لم يكن مؤثراً في استحقاق العقوبة لم يجز جعله جزءاً من المقتضى ، إذ المباح لا يعاقب عليه ، وليس الذم على بعض ذلك مشروطاً ببعض ، إلا أن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم منفرداً .

وعن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : قال عمر رضي الله عنه : كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ، ويقولون : أشرق ثبير كيما نغير،فخالفهمالنبي ﷺ ، وأفاض قبل طلوع الشمس . وقد روي في هذا الحديث فيما أظنه أنه قال : « خَالَفَ هَدْيُنَا هَدْيَ المُشْرِكِينَ »[1] . وكذلك كانوا يفيضون

---

(١) لم أجده فيما رجعت إليه من كتب السنة ولكن انظر ما قاله الحافظ ابن كثير في تفسيره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ . . . ﴾ الآية [البقرة : ١٩٩] وما ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ١/٢٦٦ ، ٢٦٧ ، و « السنن الكبرى » للبيهقي ١٢٥/٥ باب الدفع من المزدلفة .

من عرفات قبل غروب الشمس ، فخالفهم النبي ﷺ ، بالإفاضة بعد الغروب .

وعن عبد الله بن عمرو ، قال : رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين معصفرين ، قال : « إِنَّ هٰذِهِ مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلاَ تَلْبَسْهَا » . رواه مسلم[1] ، نهى عن لبسها بأنها من ثياب الكفار .

وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عتبة بن فرقد : وَإِيَّاكَ وَزَيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ ، وهو في « الصحيحين »[2] .

وروى الخلال عن محمد بن سيرين : أن حذيفة أتى بيتاً ، فرأى فيه شيئاً من زيِّ العجم ، فخرج وقال : مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ .

وقال علي بن أبي صالح السواق : كنا في وليمة ، فجاء أحمد بن حنبل ، فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة ، فخرج ، فلحقه صاحب الدار ، فنفض يده في وجهه وقال : زَيُّ المجوس ، زَيُّ المَجُوسِ ؟! .

وعن قيس بن أبي حازم ، قال : دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأةٍ من أَحْمُسٍ يقال لها : زينب ، فرآها لا تتكلم ؛ فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجت مصمتة ، فقال لها : تكلمي ، فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت ؟ قال : امرؤٌ من المهاجرين . قالت : أي

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٠٧٧) في اللباس : باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ، وأبو داود رقم (٤٠٦٦) و(٤٠٦٧) و(٤٠٦٨) في اللباس : باب في الحمرة ، والنسائي ٨/٢٠٣ و٢٠٤ في الزينة : باب ذكر النهي عن لبس المعصفر .

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري ١٠/٢٣٩ ـ ٢٤١ في اللباس : باب لبس الحرير للرجال وقدر ما يجوز منه ، ومسلم رقم (٢٠٦٩) في اللباس : باب تحريم إناء الذهب والفضة للرجال والنساء ، وأبو داود رقم (٤٠٤٢) والترمذي رقم (١٧٢١) والنسائي ٨/٢٠٢ وأحمد ١/ ١٦ و٤٣ ، انظر روايات الحديث في « جامع الاصول » رقم (٨٣٤٣) .

المهاجرين ؟ قال : من قريش ، قالت : من أي قريش ؟ قال : إنكِ لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتكم . قالت : ما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومكم رؤساء وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت : بلى ، قال : فهم أولئك على الناس . رواه البخاري في « صحيحه »[(١)] .

فأخبر أبو بكر رضي الله عنه : أن الصمت المطلق لا يحل ، وعقب ذلك بقوله : هذا من عمل الجاهلية ، قاصداً بذلك عيب هذا العمل وذمّه وتعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة ، فدل على أن كونه من عمل الجاهلية ، وصف يوجب النهي عنه ، والمنع منه .

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى المسلمين المقيمين ببلاد فارس : إِيَّاكُمْ وَزَيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ .

وهذا النهي منه للمسلمين من كل ما كان من زيّ المشركين ، وفي كتابه إلى عتبة بن فرقد : « إِيَّاكُمْ وَالتَنَعُّمِ ، وَزَيَّ أَهْلِ الشِّرْكِ ، وَلَبُوسِ الحَرِيرِ»[(٢)] .

وروى أحمد في « المسند »[(٣)] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس ، قال حماد بن سلمة : فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال : سمعت عمر رضي الله عنه يقول لكعب : أين تُرى أن أصلي ؟ قال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، وكانت القدس كلها بين يديك ،

---

(١) ٧/ ١١٢ و١١٣ في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : باب أيام الجاهلية .

(٢) تقدم قبل قليل ص (٣٤٣) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ١/ ٣٨ . قال الهيثمي في « المجمع » ٤/ ٦ : رواه أحمد وفيه عيسى بن سنان القَسْمَلي وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه أحمد وغيره ،وبقية رجاله ثقات. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية » ٧/ ٥٨ : وهذا إسناده جيد ، اختاره الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه المستخرج ، وقد تكلمنا على رجاله في كتابنا الذي افردناه في مسند عمر .

فقال عمر رضي الله عنه : ضاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه ، فكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناسُ . فعاب رضي الله عنه على كعب مضاهاة اليهود ، أي مشابهتها في مجرد استقبالَ الصخرة ، لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية ، وإن كان المسلم لا يقصد أن يصلي إليها .

وقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات المحكمة ، ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية ، فإنه رضي الله عنه هو الذي استحالت ذنوب الاسلام في يده غرباً ، فلم يفر عبقري فريه حتى صدر الناس بعطن ، فأعزَّ الاسلام ، وأذل الكفر وأهله ، وأقام شعار الدين الحنيفي ، ومنع من كل أمر فيه تذرع إلى نقض عرى الاسلام ، مطيعاً في ذلك لله ولرسوله ، وقَّافاً عند كتاب الله ، ممتثلاً لسنة رسول الله ﷺ ، محتذياً حذو صاحبه ، مشاوراً في أموره السابقين الأولين ، حتى إن العمدة في الشروط على أهل الكتاب على شروطه، وحتى منع من استعمال كافر، وائتمانه على الأمة، وإعزازه بعد إذلاله، أي بعد أن أذله الله .

وحتى روي أنه حرق الكتب العجمية ، وهو الذي أمر بأهل البدع أن ينفوا ، وألزمهم ثوب الصغار .

وروى الخلال عن عكرمة عن ابن عباس أنه سأل رجل : أأحتقن . قال : لا تبد العورة ولا تستنَّ بسنة المشركين .

فقوله : لا تستنَّ بسنة المشركين عام .

وروى أبو داود[1] عن أنس ، أنه دخل عليه غلام وله قرنان ، أو قَصتان

---

(١) رقم (٤١٩٧) في الترجل : باب ما جاء في الرخصة .

فقال : « احلقوا هذين أو قصُّوهما ، فان هذا زيّ اليهود » . علل النهي عنهما بأن ذلك زيّ اليهود ، وتعليل النهي بعلة يوجب أن تكون العلة مكروهة ، مطلوباً عدمها . نقل ذلك شيخ الاسلام ، وقال أيضاً عند قوله ﷺ : « هَلْ بِها عِيدُ مِنْ أَعْيَادِ الجَاهِلِيَّةِ ؟ » [1] .

وهذا نهي شديد عن أن يُفعل شيء من أعياد الجاهلية على أي وجه كان . وأعياد الكفار من الكتابيين والأميين في دين الاسلام من جنس واحد ، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم ، وإن كان بعضه أشد تحريماً ؛ وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان خشية تدنس المسلم بشيء من أمر الكفار الذين يئس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة العرب ، فالخشية من تدنسه بأوضاع الكتابيين الباقين أشد ، والنهي عنه أوكد ، إلى أن قال : وقد بالغ ﷺ في أمر أمته بمخالفتهم في كثير من المباحثات وصفات الطاعات ، لئلا يكون ذريعة إلى موافقتهم في غير ذلك من أمورهم ، ولتكون المخالفة في ذلك حاجزاً ومانعاً عن سائر أمورهم ، كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل الجحيم ، كان أبعد عن أعمال أهل الجحيم .

فليس بعد حرصه ﷺ على أمته ، ونصحه لهم غاية ، وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قلت : فاذا كانت مبالغته ﷺ في أمر أمته بمخالفة الكفار ، إنما هي خوفاً من أن تكون مشابهتهم في الهدي الظاهر مؤدِّية وجارَّة إلى الموافقة والموالاة ، فما بال كثير ممن يدعي الاسلام قد وقع في المحذور بعينه ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ؟! .

---

(١) قطعة من حديث رواه أبو داود رقم (٣٣١٣) في الأيمان والنذور : باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ، واسناده صحيح .

وروى أبو داود في « سننه »[1] وغيره من حديث هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن أبي عمير بن أنس ، عن عمومة له من الأنصار ، قال : اهتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها ؟! فذكروا له شبُّور اليهود ، فلم يعجبه ذلك وقال : « هُوَ مِنْ أَمْرِ اليَهُودِ » قال : فذكروا له الناقوس ، فقال : « هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَىٰ » . الحديث . قال في « القاموس » : شبُّور كتنور : البوق الذي ينفخ فيه ويزمر . انتهى .

والغرض أنه صلى الله عليه وآله وسلم ، لما ذكر بوق اليهود المنفوخ بالفم ، وناقوس النصارى المضروب باليد ، علل هذا بأنه من أمر اليهود ، وعلل هذا بأنه من أمر النصارى ، لأن ذكر الوصف عقب الحكم يدل على أنه علة له .

وهذا يقتضي نهيه عما هو من أمر اليهود والنصارى ، ويقتضي كراهة هذا النوع من الأصوات مطلقاً في غير الصلاة أيضاً ، لأنه من أمر اليهود والنصارى . فالنصارى يضربون بالنواقيس في أوقات متعددة ، غير أوقات عباداتهم ، وإنما شعار الدين الحنيف الأذان المتضمن للإعلان بذكر الله سبحانه وتعالى ، الذي به تفتح أبواب السماء ، وتهرب الشياطين ، وبه تنزل الرحمة . وقد ابتلي كثير من هذه الأمة من الملوك وغيرهم بهذا الشعار اليهودي والنصراني ، وهذه المشابهة لليهود والنصارى والأعاجم من أهل الشرك والفرس ، لما غلب على ملوك المشرق ، هي وأمثالها مما خالفوا به هدي المسلمين ، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله ، سلط عليهم أهل الشرك الموعود بقتالهم ، حتى فعلوا في العباد والبلاد ما لم يجر في دولة الإسلام مثله . وذلك تصديق له ﷺ : « لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ » . انتهى من « الاقتضاء »[2] . وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدي

---

(١) رقم (٤٩٨) في الصلاة : باب بدء الأذان ، وإسناده صحيح .

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص (١٣٣ ـ ١٣٥) طبعة مكتبة دار البيان بدمشق .

المسلمين بتسليط أهل الشرك على ما ذكره شيخ الاسلام ، وقع نظيره في هذه الأزمان . فان المنتسبين إلى الإسلام لما سلكوا كثيراً من هدي اليهود والنصارى ، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم ، أعداء الله ، وتشبَّهوا بهم في كثير من الأمور ، سلِّط عليهم أهل الشرك ، الخارجون عن شرائع الاسلام ، فجرى على الاسلام محنَ عظيمة وأمور كبيرة ، حتى إنهم يذلُّون الرئيس ، ويمتهنون الشيخ الكبير ، ولا يرحمون العاجز ، ولا الضعيف ، فأفسدوا الأديان، وخربوا البلدان ، وأهانوا الأبدان ، وذلك بحكمة الديان ، عقوبة على الظلم والعصيان ، والله المستعان ، وعليه التكلان . ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول ، ويأبى الله إلا إظهار دين الرسول : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِم وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٢ - ٣٣] .

فـإذا محَّص الله أهل الايمـان ، وانتهى ما عـاقبهم بـه على العصيـان ، وشمخت أنوف أهل الفساد والكفران ، وظنوا أن الدولة لهم في غابر الأزمان ؛ أظهر الله عليهم شمس الايمان والاسلام ، فمزَّقهم بها في أقرب أوان ، وشرَّدهم إلى أقصى البلدان .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

وَاللَّهُ نَاصِرُ دِينَـهِ وَكِتَابَـهِ ... وَرَسُولَهِ فِي سَائِرِ الأَزْمَانِ
لَكِنْ بِمِحْنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حِزْبِهِ ... ذَا حُكْمُهُ مُذْ كَانَتِ الفِئَتَانِ

وقال أيضاً :

وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمْتَحَنٌ فَلَا ... تَعْجَبْ فَهٰذِي سُنَّةُ الرَّحْمٰنِ
وَبِذَاكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حِزْبِهِ ... وَلِأَجْلِ ذَاكَ النَّاسُ طَائِفَتَانِ

وقال شيخ الاسلام في الكلام على شروط أهل الذمة : وذلك يقتضي إجماع المسلمين عن التميز عن الكفار ظاهراً ، وترك التشبه بهم . ولقد كان أمراء الهدي مثل العمرين وغيرهما يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود .

وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني أن عمر رضي الله عنه كتب أن : لا تكاتبوا أهل الذمة فتجري بينكم وبينهم المودة ، ولا تكنوهم ، وأذلُّوهم ، ولا تظلموهم . ثم قال : ومن جملة الشروط ما يعود باخفاء منكرات دينهم ، وترك إظهارها ، ومنها ما يعود باخفاء شعار دينهم . فاتفق عمر رضي الله عنه ، والمسلمون معه ، وسائر العلماء ، وبعدهم من وفقه الله عز وجل من ولاة الأمر ، على منعهم من أن يظهروا في الاسلام شيئاً مما يختصمون به مبالغة في أن لا يظهر في دار الاسلام خصائص المشركين ؟ فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها ؟!

ومنها ما يعود بترك إكرامهم وإلزامهم الصغار الذي شرعه الله تعالى . ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة ، فيها نوع من نوع إكرامهم ، فانهم يفرحون بذلك ويسرُّون به ، كما يغتمُّون باهمال أمر دينهم الباطل .

قال الشيخ أيضاً وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُم فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] ، وذلك يقتضي تبرِّيه منهم في جميع الأشياءِ ، ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر لأن قول القائل : أنا من هذا وهذا مني . أي أنا من نوعه وهو من نوعي . لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع ، كما في قوله : ﴿ بَعْضُهُم مِنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] ، وقوله عليه السلام لعلي : « أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ »[1] . وقول القائل : لست من هذا في

---

(١) رواه البخاري ٧/ ٣٨٥ و٣٩١ في المغازي باب عمرة القضاء وفي أبواب عدة . ومسلم رقم (١٧٨٣) في الجهاد باب صلح الحديبية في الحديبية من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٦١٣٣) .

شيء ، أنا متبرِّيء من جميع أموره ، وإذا كان الله ورسوله قد بريء من جميع أمورهم ، فمن كان متابعاً لرسوله ﷺ حقيقة كان متبرئاً لتبريه . ومن كان موافقهم كان مخالفاً للرسول ﷺ بقدر موافقته، فإن الشخصين المختلفين من كل وجه ، كلما شابهه أحدهما خالفه الآخر .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ الآية [المائدة : ٥١] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَا هُمْ مِنْكُم وَلَا مِنْهُم ﴾ [المجادلة : ١٤] . يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود ، إلى قوله : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، إلى آخر السورة .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [الأنفال : ٧٢] ، إلى آخر السورة ، فعقد سبحانه وتعالى الموالاة بين المهاجرين والأنصار، وبين من آمن منهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة . والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والجهاد باق إلى يوم القيامة . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُم اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآيتين [المائدة : ٥٥ ـ ٥٦] . ونظائر هذا في غير موضع من القرآن . يأمركم سبحانه بموالاة المؤمنين حقاً ، الذين هم حزبه وجنده ، ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكفار ولا يوادونهم . والموالاة والمودة وإن كانت متعلقة بالقلب ، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين . ومباينتهم ومشاركتهم في الظاهر ، إن لم تكن ذريعة أو سبباً قريباً أو بعيداً إلى نوعٍ ما من الموالاة والمودة ، فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة ، مع أنها تدعو إلى نوعٍ ما من المواصلة كما تحب الطبيعة ، وتدل عليه العادة . ولهذا كان السلف رضي الله عنهم ، يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات .

فروى الإمام أحمد باسناد صحيح ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قلت لعمر رضي الله عنه : إن لي كاتباً نصرانياً . قال لي : ما لك ؟! قاتلك الله ، أما سمعت الله يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة : ٥١] . ألا اتخذت حنيفاً ؟! قال : قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته ، وله دينه . قال : لا أكرمهم إذا أهانهم اللّه ، ولا أعزهم إذ أذلّهم اللّه ، ولا أدنيهم إذ أقصاهم اللّه[1] .

وكما دلَّ عليه معنى الكتاب ، جاءت سنة رسول الله ﷺ ، وسنة خلفائه الراشدين التي أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم ، وترك التشبه بهم ، ففي « الصحيحين »[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لَا يُصْبِغُونَ فَخَالِفُوهُمْ » . أمر بمخالفتهم ، وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع ، لأنه إن كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود ، وإن كان الأمر بالمخالفة في الشعر فقط ، فهو لأجل ما فيه من المخالفة ، فالمخالفة إما علة مفردة ، أو علة أخرى ، أو بعض علة ، وعلى التقديرات تكون مأموراً بها، مطلوبة من الشارع . فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ [الفرقان : ٧٢] . قال الضحاك : الزور : عيد المشركين . رواه أبو الشيخ باسناده . وباسناده عنه ، الزور : كلام الشرك . وباسناده عن مرَّة ، لا يمالؤ ون أهل الشرك على شركهم ، ولا يخالطونهم ، وباسناده عن عطاء بن يسار ، قال : قال عمر : إيَّاكم ورطانة الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين

---

(١) لم أجده في « المسند » . انظر «السنن الكبرى » ٩/٢٠٤ .

(٢) رواه البخاري ١٠/٢٩٩ في اللباس : باب الخضاب ، وفي الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، ومسلم رقم (٢١٠٣) في اللباس : باب في مخالفة اليهود في الصبغ ، وأبو داود رقم (٤٢٠٣) في الترجل : باب في الخضاب ، والنسائي ٨/١٣٧ في الزينة : باب الأذن بالخضاب ، والترمذي رقم (١٨٥٢) في اللباس : باب ما جاء في الخضاب ، وابن ماجة رقم (٣٦٢١) في اللباس : باب الخضاب بالحناء ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٤٠ و٢٦٠ و٣٠٩ و٤٠١ .

يوم عيدهم في كنائسهم . وقول هؤلاء التابعين . إنه أعياد الكفار ، ليس مخالفاً لقول بعضهم . إنه شرك أو صنم كان في الجاهلية ، ولقول بعضهم : إنه مجالس الخنا ، وقول بعضهم : إنه الغناء ، لأن عادة السلف في تفسيرهم ، هكذا يذكر الرجل نوعاً من أنواع المسمى للحاجة المستمع [إليها] ، أو للتنبيه على الجنس .

ووجه تفسير التابعين تارة بما يظهر حسنه لشبهة ، أو لشهوة ، فالشرك ونحوه يظهر حسنه لشبهة ، والغنى ونحوه يظهر حسنه لشهوة ، وأما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة ، وهي باطلة ، إذ لا منفعة فيها في الدين ، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألم ، فصارت زوراً ، وشهودها محظوراً . وإذا كان الله قد مدح ترك شهودها الذي هو مجرد الحضور برؤية أو سماع ، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور لا مجرد شهوده ؟!

واعلم أنا لو لم نعلم من موافقتهم إلاّ ما قد أفضت إلى هذه القبائح ، ووافقت الطباع عليه . استدل بأن أصول الشريعة توجب النهي عن هذه الذريعة . فكيف وقد رأيناه من المنكرات التي أفضت إليها المشابهة ما قد يوجب الخروج عن الإسلام بالكلية ؟ ! وسرُّ هذا أن المشابهة تفضي إلى كفر أو معصية غالباً ، أو تفضي إليهما في الجملة ، وما أفضى إلى ذلك كان محرَّماً .

فهذا بعض ما جاء من الأدلة في النهي عن مشابهة المشركين والكفار ، ولكن رحم الله من تنبه لسرٍّ الذي سبق الكلام لأجله ، وهو أن المشابهة في الظاهر إنما نهي عنها لأنها لا تورث نوع مودة وموالاة في الباطن ، وتفضي أيضاً إلى كفر أو معصية ، وهذا هو السبب في تحريمها والنهي عنها . فاذا علمت ذلك ، وتبين لك ما وقع فيه كثير من الناس أو أكثرهم من موالاة الكفار والمشركين ، التي إنما نهي عن هذه الأمور خوفاً من الوقوع فيها ، تبين لك أنهم وقعوا في نفس المحذور ، وتوسطوا مفازة المهلكة ، والله الهادي إلى سواءِ الصراط .

فصل

في ذكر جوابات عن إيرادات أوردها بعض المسلمين على أولاد شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب، فأجابوا عنها رحمهم الله وعفا عنهم، فمن ذلك، ما قولكم في رجل دخل هذا الدين وأحبه، لكن لا يعادي المشركين، أو عاداهم ولم يكفِّرهم، أو قال: أنا مسلم ولكن [لا أستطيع أن] أكفر أهل لا إله إلا الله ولو لم يعرفوا معناها؟ ورجل دخل هذا الدين وأحبه، ولكن يقول: لا أتعرض للقباب، وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن لا أتعرضها؟

فالجواب: أنّ الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد، ودان به، وعمل بموجبه، وصدَّق الرسول ﷺ فيما أخبر به، وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به، وآمن به وبما جاء به. فمن قال: لا أعادي المشركين، أو عاداهم ولم يكفِّرهم. أو قال: لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ولو فعلوا الكفر والشرك، وعادوا دين الله. أو قال: لا أتعرض القباب، فهذا لا يكون مسلماً، بل هو ممن قال الله: ﴿ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ [المائدة: ١٥٠ - ١٥١]. والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين، ومنابذتهم وتكفيرهم. فقال: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَن حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُم أَوْ أَبْنَاءَهُم أَوْ إِخْوَانَهُم أَوْ عَشِيرَتَهُم ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]. وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُم أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ ﴾ الآيات [الممتحنة: ١]. والله أعلم.

نقل من جواب الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخيه

عبد الله ، وفي أجوبة أخرى ، ما قولكم في الموالاة والمعاداة هل هي من معنى لا إله إلا الله ، أو من لوازمها ؟

الجواب أن يقال والله أعلم : حسب المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين وعدم موالاتهم ، فأوجب عليهم محبة المؤمنين وموالاتهم .

أخبر أن ذلك من شروط الايمان ، ونفى الإيمان عمن يوادّ من حادَّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله ، أو من لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه ، وأوجب العمل به ، فهذا الغرض والحتم الذي لا شك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها ، فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرف فلم يكلف بمعرفته ؛ لا سيما إذا كان الجدال في ذلك والمنازعة فيه مما يفضي إلى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين ، الذين قاموا بواجبات الايمان ، وجاهدوا في الله ، وعادوا المشركين ، ووالوا المسلمين ، والسكوت عن ذلك متعين . وهذا ما ظهر لي على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى ، والله أعلم .

فهذه بعض الأدلة الدالة على وجوب مقاطعة الكفار والمشركين ، وهي المسألة الأولى .

فصل

وأما المسألة الثانية وهي : الأشياء التي يصير بها المسلم مرتداً :

فأحدهما : الشرك بالله تعالى ، وهو أن يجعل لله نداً من مخلوقاته ، يُدعى كما يدعى الله ، ويخاف كما يخاف الله ؛ أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله ، أو يصرف له شيئاً من

عبادات . فاذا فعل ذلك كفر وخرج من الاسلام ، وإن صام النهار وقام الليل . والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِن أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر: ٨] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ١١٧] .

وغير ذلك من الآيات الدالة على أن من أشرك مع الله تعالى في عبادته مخلوقاً من المخلوقين ، فقد كفر وخرج من الاسلام ، وحبطت أعماله . كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]

الثاني : إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم والدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُم وَأَمْلَى لَهُم * ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُم فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُم * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُم وَأَدْبَارَهُم * ذَلِكَ بِأَنَّهُم اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُم ﴾ [محمد: ٢٥ ـ ٢٨] .

وذكر الفقيه سليمان بن الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسألة عشرين آية من كتاب الله ، وحديثاً عن رسول الله ﷺ ، استدل بها أن المسلم إذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير إكراه ، أنه يكون بذلك مرتداً خارجاً من الاسلام . وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله ، وبفعل الأركان الخمسة أن ذلك لا ينفعه[1] .

---

(١) انظر رسالة « أوثق عرى الإيمان » صفحة ١٤٣ وما بعدها .

وقال شيخ الاسلام المذكور إمام هذه الدعوة الحنيفية في كلامه على آخر سورة ﴿ الزمر ﴾ : الثانية : أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الايمان ، فانهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته . ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الاسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفاً منهم ، ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهاً له . . إلى أن قال : الثالثة : أن الذي يكفر به المسلم ، ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فان هؤلاءِ الذين ذكرهم الله ، لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة كما تقدم ، بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله ، مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم ، فهذا كافر ، لا من أُكره . . إلى أن قال : ولكن رحم الله من تنبَّه لسر الكلام وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات ، من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر ، مع كون القلب بخلاف ذلك ، فان هذا هو الذي أرادوه من النبي ﷺ ، فافهمه فهماً حسناً ، لعلك تعرف شيئاً من دين إبراهيم عليه السلام ، بادأ أباه وقومه بالعداوة عنده ، وقال في سورة ﴿ الكهف ﴾ .

التاسعة(٢) : المسألة المشكلة على أكثر الناس،أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمناً حقاً كارهاً لموافقتهم ، فقد كذب في قول : لا إله إلا الله ، واتخذ إلَٰهين اثنين ، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها !

العاشرة : أنه لو يصدر منهم ، أعني موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراهتهم لذلك ، فهو قوله شطط ، والشطط : الكفر .

واعلم أن إظهار الموافقة والطاعة للمشركين له أحوال ستأتي في المسألة الثالثة إن شاء الله تعالى .

---

(١) كذا في الأصل .

الأمر الثالث مما يصير به المسلم مرتداً ، موالاة المشركين والدليل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة : ٥١] . وقوله تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ [آل عمران : ٢٨] . فذكر في الآية الأولى : أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ، وظاهره أن من تولاهم فهو كافر مثلهم . ذكر معناه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وقد تقدم قول عبد الله بن عتبة عند قوله : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ : ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر. وقال ابن جرير في قوله : ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ يعني فقد برىء من الله وبرىء الله منه لارتداده عن دينه . وأما قوله : ﴿ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] . فهي كقوله : ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ [النحل : ١٠٦] . وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى .

الأمر الرابع : الجلوس عند المشركين في مجالس شركهم من غير إنكار والدليل قوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء : ١٤٠] .

وفي أجوبة آل الشيخ رحمهم الله تعالى ، لما سئلوا عن هذه الآية ، وعن قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ أَوْ سَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ »[1] قالوا :

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٧٨٧) في الجهاد : باب في الاقامة بأرض الشرك من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ، واسناده ضعيف ، وله شاهد عند الترمذي رقم (١٦٠٥) في السير ، وأبي داود رقم (٢٦٤٥) في الجهاد ، من حديث اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، قالوا : يا رسول الله لمَ ؟ قال لا تراءى =

الجواب أن الآية على ظاهرها ، إن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين بآيات الله من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، فهو كافر مثلهم ، وإن لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر ، والرضى بالكفر كفر .

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذنب كفاعله ، فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه ، لأن الحكم بالظاهر ، وهو قد أظهر الكفر ، فيكون كافراً .

ولهذا لما وقعت الردَّة وادعى أُناس منهم [أنهم] كرهوا ذلك ، لم يقبل منهم الصحابة ، بل جعلوهم كلهم مرتدين ، إلا من أنكر بلسانه . وكذلك قوله في الحديث : « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ ، فَهُوَ مِثْلَهُ » على ظاهره ؛ وهو أن الذي يدَّعي الاسلام ، ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل ، بحيث يعده المشركون منهم ؛ فهو كافر مثلهم وإن ادَّعى الاسلام ، إلا أن يكون يظهر دينه ، ولا يتولى المشركين . انتهى .

قلت : ويأتي مخاطبة خالد لمجاعة ، وفيه : يا مجاعة ! تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب ، وسكوتك عنه إقراراً له إلى آخره .

وتقدم قول عبد الله بن عمرو : « مَنْ بَنَىٰ بِبِلَادِ الْمُشْرِكِينِ ، فَصَنَعَ نِيرُوزَهُمْ وَمَهْرَجَانَهُمْ ، وَتَشَبَّهَ بِهِمْ حَتَّىٰ يَمُوتُ ، حُشِرَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وقال تعالى :

= نارهما » . وقال الترمذي : وأكثر أصحاب اسماعيل قالوا : عن اسماعيل عن قيس بن أبي حازم أن رسول الله ﷺ . . . الحديث ، يعني أنه مرسل ، وقال : المرسل أصح ، وقد صحح البخاري ، وأبو حاتم ، وأبو داود ، والدارقطني ، إرساله إلى قيس بن أبي حازم فالحديث حسن ، وتقدم تخريجه ص (٦٦) .

﴿ وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذٰلِكَ بِأَنّهُم اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ ﴾ [النحل: ١٠٦ ـ ١٠٧] .

الأمر الخامس : الاستهزاء باللّهِ أو بكتابه أو برسوله . والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَباللّهِ وآياتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيْمَانِكُم إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُم نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة : ٦٥ ـ ٦٦] .

واعلم أن الاستهزاء على نوعين :

أحدهما : الاستهزاء الصريح كالذي نزلت الآية فيه ، وهو قولهم : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ؛ ولا أجبن عند اللقاء ، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين ، كقول بعضهم : دينكم هذا دين خامس ، وقول الآخر : دينكم أخرق . وقول الآخر ، إذا رأى الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر : جاءكم أهل الديك بالكاف بدل النون ، وقول الآخر إذا رأى طلبة العلم : هؤلاءِ الطلْبة بسكون اللام ، وما أشبه ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة ، مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية .

النوع الثاني غير الصريح : وهو البحر الذي لا ساحل له ، مثل الرمز بالعين ، وإخراج اللسان ، ومدّ الشفة ، والغمزة باليد عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الأمر السادس : ظهور الكراهة والغضب عند الدعوة إلى الله ، وتلاوة كتابه ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . والدليل على ذلك قول الله

تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحج: ٧٢]، فذكر الله ذكر هذا الصنف في أول هذه الآية وآخرها .

الأمر السابع : كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ، والدليل قول الله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٩] .

الأمر الثامن : عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن والأحاديث ، والمجادلة في ذلك . والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ [غافر: ٤].

الأمر التاسع : جحد الناس شيئاً من كتاب الله ولو آية أو بعضها أو شيئاً مما جاء عن النبي ﷺ ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: ١٥١ ـ ١٥٢]. وهذا أخص من الذي قبله .

الأمر العاشر : الإعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣].

الأمر الحادي عشر : كراهة إقامة الدين والاجتماع عليه ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾

[الشورى : ١٣] ، فذكر أنه لا يكره إقامة الدين إلا مشرك ، وقد تبين أن من أشرك باللّهِ فهو كافر .

الأمر الثاني عشر : السحر تعلّمه وتعليمه والعمل بموجبه ، والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِن أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُـرْ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الأمر الثالث عشر : إنكار البعث ، والدليل قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُم أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِم وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الرعد: ٥].

الأمر الرابع عشر : التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

قـال ابن كثير : كمـا كان أهـل الجـاهليـة يحكمـون بـه من الجهـالات والضلالات ، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيزخان الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام اقتبسها من شرائع شتى ، فصار في بيته يقدّمونه على الحكم بالكتاب والسنة . ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يُحَكِّم سواه في قليل ولا كثير .

قال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَـوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠].

قلت : ومثل هؤلاء ما وقع فيه عامة البـوادي ومن شابههم ، من تحكيم عادات آبائهم [وما] وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التي يسمُّونها شرع الرفاقة ، يقدِّمونها على كتاب الله وسنة رسوله . ومن فعل ذلك فإنه كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر . فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتّباع لما أنزل الله فهو كافر ، فإنه ما من أمَّة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المنتسبين إلى الاسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله ، كسواليف البادية وكأن أوامر المطاعين ، ويرون أنَّ هذا هو الذي ينبغي الحكم به ، دون الكتاب والسنة ، وهذا هو الكفر ، فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون .

فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك ، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار . انتهى من « منهاج السنة النبوية » ذكره عند قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] فرحمه الله وعفا عنه ، فهذه بعض المواضع التي دل القرآن عليها ، وإن كان قد يقال : إن بعضها يغني عن بعض ، أو يندرج فيه ، فذكرها على هذا الوجه أوضح .

وأمَّا كلام العلماء رحمهم الله تعالى ، فكثير جداً . وقد ذكر صاحب « الاقناع » أشياء كثيرة في باب حكم المرتد ، وهو الذي يكفر بعد إسلامه ، وقد لخصت منه مواضع يسيرة .

فمن ذلك قوله : قال الشيخ : أوكان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به، كفر اتفاقاً .

ومنها قوله : أو جعل له بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويسألهم ، كفر إجماعاً . ومنه قوله : أو وجد منه امتهان للقرآن ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : أو سخر بوعد الله أو وعيده ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : أولم يكفِّر من دان بغير الاسلام ، أو شك في كفرهم ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : قال الشيخ : ومن استحل الحشيشة كفر بلا نزاع .

قلت : ومن استحل موالاة المشركين ومظاهرتهم وإعانتهم على المسلمين ، فكفره أعظم من كفر هذا ، لأن تحريم ذلك آكد وأشد من تحريم الحشيشة .

ومنها قوله : ومن سبَّ الصحابة أو أحداً منهم ، واقترن سبُّه بدعوى أن عليَّاً إله أو نبي ، أو أن جبريل غلط ، فلا شك في كفر هذا ، ولا شك في كفر من توقف في تكفيره .

ومنها قوله : أو زعم أن للقرآن تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ،ونحو ذلك ، فلا خوف في كفر هؤلاء .

ومنها قوله : أو زعم أن الصحابة ارتدّوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر ، أو أنهم فسقوا ، فلا ريب أيضاً في كفر قائل ذلك ، بل من شك في كفره فهو كافر انتهى ملخصاً وعزاه لـ « الصارم المسلول » .

ومنها قوله : ومن أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ، فقد كفر ، لقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ ﴾ [التوبة : ٤٠].

قلت : فإذا كان من جحد مدلول آية كفر ، ولم تنفعه الشهادتان ولا الانتساب إلى الاسلام ، فما الظن بمن جحد مدلول ثلاثين آية أو أربعين ؟ ! أفلا يكون كافراً لا تنفعه الشهادتان ولا ادّعاء الاسلام ؟ بلى والله ، بلى والله ، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب وهوى النفوس اللّذين يصدان عن معرفة الحق واتّباعِه .

ومنها قوله : أو جحد حل الخبز أو اللحم والماء ، أي فيكفر بذلك .

ومنها قوله : أو أحل الزنا ونحوه ، أي فيكفر بذلك ، ومن أحل الركون إلى الكافرين وموادة المشركين ، فهو أعظم كفراً ممن أحل الزنا بأضعاف مضاعفة .

وكلام العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الباب لا يمكن حصره ، حتى إن بعضهم ذكر أشياء أسهل من هذه الأمور ، وحكموا على مرتكبها بـالارتداد عن الاسلام ، وأنه يستتاب منها . فإن تاب وإلا قتل مرتداً ، ولم يغسل ولم يصـلَّ عليه ، ولم يدفن مع المسلمين . وهو مع ذلك يقول : لا إله إلا الله ، ويفعل الأركان الخمسة . ومن له أدنى نظر واطلاع على كلام أهل العلم ، فلا بد أن يكون قد بلغه بعض ذلك .

وأما هذه الأمور التي تقع في هذه الأزمان من المنتسبين إلى الاسلام ، بل من كثير ممن ينتسب إلى العلم ، فهي من قواصم الظهور ، وأكثرها أعظم وأفحش مما ذكره العلماء من المكفِّرات ولولا ظهور الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء ، لما كان أكثرها محتاجاً لمن ينبه عليه .

فصل

وأما المسألة الثالثة وهي ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين ، وإظهار الطاعة لهم ، فاعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات :

الحال الأولى : أن يوافقهم في الظاهر والباطن فينقاد لهم بظاهره ، ويميل إليهم ويوادّهم بباطنه ، فهذا كافر خارج من الاسلام ، سواء كان مكرهاً على ذلك أو لم يكن . وهو ممن قال الله فيه : ﴿ وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النحل : ١٠٦] .

الحالة الثانية : أن يوافقهم ويميل إليهم في الباطن مع مخـالفته لهم في

الظاهر ، فهذا كافر أيضاً ، ولكن إذا عمل بالاسلام ظاهراً عصم ماله ودمه ، وهو المنافق .

الحالة الثالثة : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن ، وهو على وجهين : أحدهما : أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم وتقييدهم له ، ويهددونه بالقتل ، فيقولون له : إما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا ، وإلا قتلناك ، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئناً بالايمان ، كما جرى لعمّار حين أنزل الله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ [النحل: ١٠٦]، وكما قال تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ [آل عمران : ٢٨] . فالآيتان دلتا على الحكم كما نبه عن ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران .

الوجه الثاني : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن ، وهو ليس في سلطانهم ، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رياسة أو مال أو مشحة بوطن أو عيال ، أو خوف مما يحدث في المآل ، فانه في هذه الحال يكون مرتداً ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن ، وهو ممن قال الله فيهم : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [النحل: ١٠٧]. فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بغضه ، ولا محبة الباطل ، وإنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين .

هذا معنى كلام شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وأما ما يعتقده كثير من الناس عذراً ، فانه من تزيين الشيطان وتسويله، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له ، ظن أنه يجوز له بذلك إظهار الموافقة للمشركين ، والانقياد لهم ، وآخر منهم إذا زين له الشيطان طمعاً دنيوياً ،

تخيل أنه يجوز له موافقته للمشركين لأجل ذلك ، وشبه على الجهال بأنه مكره ، وقد ذكر العلماء صفة الاكراه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : تأملت المذاهب فوجدت الاكراه يختلف باختلاف المكره ، فليس المعتبر في كلمات الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها ، فان أحمد قد نص في غير موضع على أن الاكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قيد ، ولا يكون الكلام إكراهاً . وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنه ، فلها أن ترجع على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها ، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراهاً ولفظه في موضع آخر : لأنه أكرهها ، ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر ، فان الأسير إن خشي الكفار أن لا يزوجوه ، وأن يحولوا بينه وبين امرأته ، لم يبح له التكلم بكلمة الكفر. ا هـ .

والمقصود منه أن الاكراه على كلمة الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قتل ، وأن الكلام لا يكون إكراهاً ، وكذلك الخوف من أن يحول الكفار بينه وبين زوجته لا يكون إكراهاً . فاذا علمت ذلك ، وعرفت ما وقع من كثير من الناس ، تبين لك قول النبي ﷺ : « بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً ، وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ »(١) وقد عاد غريباً ، وأغرب منه من يعرفه على الحقيقة ، وبالله التوفيق .

فصل

وأما المسألة الرابعة : وهي مسألة إظهار الدين ، فان كثيراً من الناس قد ظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين ، وأن يصلي الصلوات الخمس ، ولا يرد عن

---

(١) تقدم تخريجه ص (١٤٠) .

المسجد ، فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين ، أو في أماكن المرتدين ، وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط .

فاعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفّرات ، وقد تقدم بعض ذلك ، وكل طائفة من طوائف الكفران ، اشتهر عندها نوع منه ، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها ، ويصرح لها بعداوته والبراءة منه ، فمن كان كفره بالشرك ، فإظهار الدين عنده التصريح بالتوحيد ، ،والنهي عن الشرك والتحذير منه . ومن كان كفره بجحد الرسالة ، فإظهار الدين عنده التصريح بأن محمداً رسول الله ﷺ والدعوة إلى اتّباعه ، ومن كان كفره بترك الصلاة ، فإظهار الدين عنده فعل الصلاة والأمر بها . ومن كان كفره بموالاة المشركين والدخول في طاعتهم ، فاظهار الدين عنده التصريح بعداوته والبراءة منه ومن المشركين .

وبالجملة فلا يكون مظهراً لدينه إلا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه ، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافراً ، وبراءته منه . ولهذا قال المشركون للنبي ﷺ : عاب ديننا وسفَّه أحلامنا ، وشتم آلهتنا .

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٤ ـ ١٠٦]. فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ . . . ﴾ إلى آخِرِه ، أي إذا شككتم في الدين الذي أنا عليه ، فدينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه ، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم ، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [سورة الكافرون] ، فأمر الله رسوله ﷺ أن يقول للكفار : دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه ، وديني الذي أنا عليه أنتم براء منه . والمراد التصريح لهم بأنهم على الكفر ، وأنه بريء منهم ومن دينهم .

فمن كان متَّبعاً للنبي ﷺ [فعليه] أن يقول ذلك ، ولا يكون مظهراً لدينه إلا بذلك . ولهذا لما عمل الصحابة بذلك ، وآذاهم المشركون ، أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة ، ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين لما أمرهم [بالهجرة] إلى بلد الغربة .

وفي السيرة أن خالد بن الوليد لما وصل إلى العرض في مسيره إلى أهل اليمامة لما ارتدّوا ، قدَّم مائتي فارس وقال : من أصبتم من الناس فخذوه فأخذوا مجاعة في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه ، فلما وصل إلى خالد قال له : يا خالد ! لقد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ في حياته فبايعته على الاسلام ، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس ، فان يك كذَّاباً قد خرج فينا ، فان الله يقول : ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام : ١٦٤]، فقال : يا مجاعة ! تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذّاب وسكوتك عنه وأنت أعز أهل اليمامة ـ وقد بلغك مسيري ـ ؛ إقراراً له ورضاءً بما جاء به ، فهلّا [أبديت] عذراً وتكلمت فيمن تكلم ؟ ! فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر ، وتكلم اليشكري .

فإن قلت : أخاف قومي ، فهلّا عمدت إليّ أو بعثت إليّ رسولاً ؟ ! فقال : إن رأيت يا ابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله ؟ فقال : قد عفوت عن دمك ، ولكن في نفسي حرج من تركك . انتهى .

وسيأتي في ذكر الهجرة قول أولاد الشيخ : إنَّ الرَّجل إذا كان في بلد كفر ، وكان يقدر على إظهار دينه حتى يتبرأ من أهل الكفر الذي هو بين أظهرهم ، ويصرح لهم بأنهم كفار ، وأنه عدوّ لهم ، فإن لم يحصل ذلك ؛ لم يكن إظهار الدين حاصلاً .

فصل

وأما المسألة الخامسة : وهي مسألة الاستضعاف ، فان كثيراً من الناس ، بل أكثر ممن ينتسب إلى العلم في هذه الأزمان غلطوا في معنى الاستضعاف ، وما هو المراد به .

وقد بيَّن الله ذلك في كتابه بياناً شافياً ، فقال تعالى : ﴿ وَمَالَكُم لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِن هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنْكَ نَصِيراً ﴾ [النساء : ٧٥] .

فبيَّن تعالى مقالتهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين للمقام ، وذلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم ، فدل على حرصهم على الخروج ، وأنه متعذّر عليهم .

ويدل على ذلك وصفهم أهل القرية بالظلم ، وسؤالهم ربهم أن يجعل لهم وليّاً يتولاهم ويتولونه ، وأن يجعل لهم ناصراً ينصرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم . وقال تعالى : ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ٩٨] ، فذكر في هذه الآية حالتهم التي هم عليها ، وهي أنهم لا يستطيعون حيلة .

قال ابن كثير : لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ، ولو قدروا ما

عرفوا يسلكون الطريق، ولهذا قال: ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ قال عكرمة : يعني نهوضاً إلى المدينة : ﴿ وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ قال مجاهد وعكرمة : يعني طريقاً . انتهى .

والحاصل أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين ، وهم مع ذلك : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً ﴾ [النساء: ٧٥] وهم مع ذلك لا [يعرفون] الطريق ، فمن كانت هذا حاله ومقاله : ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً ﴾ [النساء: ٩٩] .

وأما إذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين ، ولم يمنعه من ذلك إلا المشحَّة بوطنه أو عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فإن الله تعالى لم يعذر من اعتذر بذلك ، وسماه ظالماً لنفسه . فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [النساء: ٩٧] .

وفي تفسير الجلالين قوله : ﴿ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ بالمقام بين المشركين .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو مرتكب حراماً بالاجماع وبنص الآية حيث يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ أي بترك الهجرة ، ﴿ قَالُوا : فِيمَ كُنْتُمْ ﴾ أي لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة ؟ لو ﴿قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾ .

وروى أبو داود عن سمرة بن جندب مرفوعاً : « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ

مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلَهُ »[1] .

وقال السدي : لما أسر العباس وعقيل ونوفل ، قال رسول الله ﷺ للعباس : « افْدِ نَفْسَكَ وَابْنَ أَخِيكَ » قال : يا رسول الله ألم نصلي [إلى] قبلتك ونشهد شهادتك ؟ قال : «يا عَبَّاسُ إنكُمْ خاصَمْتُم فَخُصِمْتُمْ » . ثم تلا هذه الآية ﴿ أَلَمْ تَكُن أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ الآية رواه ابن أبي حاتم . انتهى .

والمقصود منه : بيان مسألة الاستضعاف ، وأن المستضعف هو الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً ، وهو مع ذلك يقول : ﴿ رَبَّنا أَخْرِجْنا مِن هٰذِهِ القَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِن لَدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنا مِن لَدُنكَ نَصِيراً ﴾ [النساء : ٧٥] وبيان أن الذي يعتذر بوطنه أو عشيرته أو ماله ، ويدعي أنه يكون بذلك مستضعفاً كاذب في دعواه ، وعذره غير مقبول عند الله تعالى ، ولا عند رسوله ، ولا عند أهل العلم بشريعة الله .

فصل

وأما المسألة السادسة : وهي وجوب الهجرة وأنها باقية . فالدليل عليه قول النبي ﷺ : « لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ ، وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها» . رواه أحمد وأبو داود[2] .

وروى أبو يعلى عن أزهر بن راشد قال : حدَّث أنس عن النبي ﷺ أنه قال :

---

(١) تقدم تخريجه قبل قليل ص (٣٥٧) .

(٢) أبو داود رقم (٢٤٧٩) في الجهاد : باب في الهجرة هل انقطعت وفي سنده أبو هند البجلي ، وهو مجهول ، ولكن رواه أحمد في « المسند » ١ /١٩٢ من طريق آخر عن عبد الله بن السعدي ، بأطول منه وإسناده صحيح . فالحديث صحيح . أنظر « الإرواء » رقم (١٢٠٨) .

«لَا تَسْتَضِيئُوا بِنَارِ الْمُشْرِكِينَ»[1] .

قال ابن كثير : معناه لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونوا معهم في بلادهم ، بل تباعدوا منهم ، وهاجروا من بلادهم .

ولهذا روى أبو داود : «لا تَتَرَاءَى نَارَاهُمَا»[2]. وفي الحديث الآخر: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ ، وَسَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ»[3] فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم قَالُوا فِيمَ كُنْتُم قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُن أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً ﴾ [النساء : ٩٧] .

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالاسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم فأصيب بعضهم ، فقال المسلمون : كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم ، فنزلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم ﴾ الآية .

وقال الضحاك : نزلت في أُناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بمكة ، وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا فيمن أصيب . ذكره ابن كثير ثم

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ٩٩ والنسائي ٨/ ١٧٧ في الزينة : باب قول النبي ﷺ : لا تنقشوا على خواتيمكم عربياً . وهو حديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٦٢٤٠) .

(٢) قطعة من حديث رواه الترمذي رقم (١٦٠٤) في السير : باب في كراهة المقام بين أظهر المشركين ، وأبو داود رقم (٢٦٤٥) في الجهاد: باب على ما يقاتل المشركون ، والنسائي ٨/٣٦ في القسامة : باب القود بغير حديدة ، ورجال إسناده ثقات ، ولكن صحح البخاري وأبو حاتم وأبو داود والترمذي والدارقطني إرساله إلى قيس بن أبي حازم ، قال الترمذي : وهذا أصح يعني المرسل ، وقال : سمعت محمداً (يعني البخاري) يقول : الصحيح حديث قيس عن النبي ﷺ مرسل ، فالحديث حسن . انظر « الإرواء » رقم (١٢٠٧) .

(٣) تقدم تخريجه ص (٣٥٧) .

قال : فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالاجماع ؛ وبنص هذه الآية حيث يقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسَهُمْ . . . ﴾ .

وفي أجوبة آل الشيخ لما سئلوا هل يجوز للانسان أن يسافر إلى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب : إن كان يقدر على إظهار دينه [و] لا يوالي المشركين ، جاز له ذلك ، فقد سافر بعض الصحابة كأبي بكر رضي الله عنه وغيره ، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ ، كما رواه أحمد في «مسنده» وغيره ، وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ولا على عدم موالاتهم ، لم يجز له السفر إلى ديارهم ، كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الانسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين ، فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك ، لم يجز ، وأيضاً فقد يجرَّه ذلك إلى موافقتهم ورضاهم كما هو الواقع لكثير ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين .

المسألة الثانية : هل يجوز للانسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر المشركين ظاهرة لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب عن هذه المسألة ، والجواب عن التي قبلها سواء ، ولا فرق في ذلك بين دار الحرب ودار الصلح ، فكل بلدة لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها لا يجوز السفر إليها .

المسألة الثالثة : هل يفرّق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، وبين المدة البعيدة ؟

الجواب : لافرق بين المدة القريبة والمدة البعيدة ، فكل بلد لا يقدر على إظهار دينه فيها ، ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً ، إذا كان يقدر على الخروج منها . انتهى .

وفي أجوبة أخرى : ما قولكم في رجل دخل هذا الدين ، وأحبه ويحب من دخل فيه ، ويبغض الشرك وأهله ، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة الاسلام ويقاتلون أهله ، ويعتذر بأن ترك الوطن يشق عليه ، ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار ، فهل يكون مسلماً هذا أم كافراً ؟

الجواب : أما الرجل الذي عرف التوحيد وآمن به ، وأحبَّه وأحبَّ أهله ، وعرف الشرك وأبغضه وأبغض أهله ، ولكن أهل بلده على الكفر والشرك ولم يهاجر ، فهذا فيه تفصيل ، فان كان يقدر على إظهار دينه عندهم ويتبرأ منهم ومما هم عليه من الدين ، ويظهر لهم كفرهم وعداوته لهم ، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فهذا لا يحكم بكفره ، ولكنه إذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ، ومات بين أظهر المشركين ، فنخاف أن يكون قد دخل في أهل هذه الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِم ﴾ الآيتان [النساء: ٩٧ - ٩٨] ، فلم يعذر الله إلا من لم يستطع حيلة ولم يهتد سبيلاً ، ولكن قلَّ أن يوجد اليوم من هو كذلك ، بل الغالب أن المشركين لا يدعونه بين أظهرهم ، بل إما قتلوه وإما أخرجوه. وأما من ليس له عذر في ترك الهجرة ، وجلس بين أظهرهم ، وأظهر لهم أنه منهم ، وأن دينهم حق ، ودين الاسلام حق(١) ، فهذا كافر مرتد ولو عرف الدين بقلبه ، لأنه يمنعه عن الهجرة محبة الدنيا على الآخرة ، وتكلم بكلام الكفر من غير إكراه ، فدخل في قوله : ﴿ وَلَكِن مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْرَاً ﴾ الآيات [النحل: ١٠٦ - ١٠٧] .

---

(١) في نسخة « باطل » .

هذا من جواب الشيخ حسين ، والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى وعفا عنهم. وكما سئلوا عن أهل بلد بلغتهم هذه الدعوة .

وبعضهم يقول : هذا الأمر حق ، ولا أغير منكراً ولا آمر بمعروف ، وينكر على الموحدين إذا قالوا : تبرأنا من دين الآباء والأجداد .

والذي يقول هذا الأمر زين ، لا يمكنه أن يقوله جهاراً ، أجابوا بأن أهل هذه القرية المذكورة . إذا كانوا قد قامت عليهم الحجة التي يكفر من خالفها ، حكمها حكم الكفار . والمسلم الذي بين أظهرهم ، ولا يمكنه إظهار دينه ، تجب عليه الهجرة إذا لم يكن ممن عذره الله ، فان لم يهاجر ، فحكمه حكمهم في القتل وأخذ المال . انتهى .

وفي هذه الأجوبة مسائل : منها بيان المستضعف ، وأنه الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً وقد تقدم ذلك . ومنها أن المسلم الذي لم يقدر على إظهار دينه واجبة عليه الهجرة ، وقد تقدم أيضاً . ومنها صفة إظهار الدين ، وهو أن يصرح للكفار بكفرهم وعداوته لهم ، ولما هم عليه من الدين ، وقد تقدم أيضاً . ومنها بيان أنه إذا فعل ذلك أعني مصرح بكفرهم ، وعداوته لهم ، فانهم لا يتركونه بين أظهرهم ، بل إما قتلوه أو أخرجوه .

قلت : وقد أخبر الله بذلك جميع الكفار . فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِم لَنُخْرِجَنَّكُم مِن أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ في مِلَّتِنا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِم رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمْ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِم ذٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [ابراهيم : ١٣ ـ ١٤] .

وقال تعالى إخباراً عن قوم شعيب : ﴿ قَالَ المَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ

لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوْا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ [الأعراف : ٨٨] .

وقال تعالى إخباراً عن أصحاب الكهف : ﴿ إنَّهم إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُم ﴾ الآية [الكهف : ٢٠] ، وقوله : ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ أي يقتلوكم بالرجم .

وهذا الذي أخبر الله به ، وأشار إليه أئمة الاسلام ، وهو الواقـع في هذه الأزمان .

فان المرتدين بسبب مولاة المشركين والدخول في طاعتهم ، لا يرضون إلا بمن وافقهم على ذلك ، وإذا أنكره عليهم منكر آذوه أشد الأذى ، وأخرجوه من بين أظهرهم ؛ بل سعوا في قتله إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

والله المستعان

* * *

بيان المحجة في الرد على اللجة[1]

تأليف

الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام
محمد بن عبد الوهاب رحمهم اللّٰه تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال شيخنا الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ، أجزل الله لهم الثواب ، وأدخلهم الجنة بغير حساب :

اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شرك له ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً * وَاتَّخَذُوا مِن دُونِه آلِهَةً لَا يَخْلِقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِم ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً ﴾ [الفرقان : ٢ ـ ٣] .

وأشهد أن محمداً عبد ورسوله الذي قال الله خطاباً له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا

---

(١) قال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله تعالى : المقصود بقوله « اللجة » : الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد . واللجة هو التمادي في الخصومة أو اللغط . انظر « لسان العرب » .

أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ـ ٤٦] .

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وأصحابه ، ومن أذهب الله عنهم الرجس ، وطهَّرهم تطهيراً .

أما بعد : فإني وقفت على جواب للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ، وقد سئل عن أبيات من «البردة» ، ومافيها من الغلوّ والشرك العظيم المضاهي لشرك النصارى ونحوهم ممن صرف خصائص الربوبية والإلّهية لغير الله ، كما هو صريح الأبيات المذكورة في «البردة» :

ولا يخفى على من عرف دين الاسلام أنه الشرك الأكبر الذي لا يغفره لمن لم يتب عنه ، وأن الجنة عليه حرام ، وذكر الشيخ في جوابه أن الأبيات المذكورة تضمنت الشرك ، وصرف خصائص الربوبية والإلّهية لغير الله .

فاعترض عليه جاهلٌ ضالّ فقال مبرئاً لصاحب الأبيات من ذلك الشرك بقوله : حماه الله من ذلك ، ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَصَارَىٰ في نَبِيِّهِم ... وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيْهِ وَاحْتَكِمِ

البيت المطابق لقول النبي ﷺ : «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى [عِيْسَى]ابنَ مَرْيَمَ »(١) .

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٣٥٥ في أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت ﴾ ، و١٢/١٣١ في المحاربين : باب رجم الحبلى في الزنا إذا احصنت ، والدارمي رقم (٢٧٨٧) في الرقاق باب قول النبي ﷺ : « لا تطروني » ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢٣ و ٢٤ و ٤٧ و ٥٥ . تقدم تخريجه ص (١٣٤) .

الجواب : أن هذه التبرئة إنما نشأت عن الجهل وفساد التصور ، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلهما حق الله على عباده ، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته ، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله ، لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد ، كما قال تعالى في حق من هذا وصفه : ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأنعام : ١١٩] .

فالجهل بما بعث الله به رسله قد عم كثيراً من هذه الأمة ، فظهر فيها ما أخبر به النبي ﷺ بقوله : «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ القُذَّةِ بِالقُذَّةِ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جِحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى . . . قال : «فَمَنْ»(١) ونحو هذا من الأحاديث .

وقوله : ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة :

دَعْ مَـا ادَّعَتْـهُ النَّصَـارَىٰ فِي نَبِيِّهِمْ ....

الجواب : أن هذا يزيده شناعة ومقتاً ، لأن هذا تناقض بين ، وبرهان على أنه لا يعلم ما يقول . فلقد وقع فيما وقعت فيه النصارى ، من الغلوِّ العظيم الذي نهى الله عنه ورسوله ؛ ولعن النبي ﷺ من فعله أو فعل ما يوصل إليه بقوله : «لَعْنَةُ

---

(١) رواه البخاري ٦/٣٦٠ في أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، ومسلم رقم (٢٦٦٩) في العلم : باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، وأحمد في « المسند » ٣/٨٤ و٨٩ و٩٤ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وليس السياق لمسلم ، ولا اللفظ لأحدهما ، ورواه البخاري ١٣/٢٥٥ في الاعتصام : باب قول النبي ﷺ : « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ، وابن ماجة رقم (٣٩٩٤) في « سننه » في الفتن : باب افتراق الأمم ، وأحمد في « المسند » ٢/٣٢٧ و٤٥٠ و٤١٥ و٥٢٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وجملة « حذو القذة بالقدة » ليست في « الصحيحين » وإنما هي عند أحمد في « المسند » ٤/١٢٥ من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه بلفظ « ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في حجر ضب لاتبعتموهم ، قلنا يا رسول الله ! اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ ! » . تقدم تخريجه ص (٢٣٩) .

اللَّهِ عَلَىٰ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[(١)] . وقال : « لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى [عِيسَى] بْن مَرْيَمَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ »[(٢)] . وقوله لما قال له رجل : ما شآء اللَّه وشئت ، قال : « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدّاً ، بَلْ مَا شَآءَ اللَّهُ وَحْدَهُ »[(٣)] . وقال : « إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي ، وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[(٤)] .

فلقد حذر أمته وأنذرهم عن الشرك ووسائله وما دقَّ منه وجل ، ودعا الناس إلى التوحيد، ونهاهم عن الشرك، وجاهدهم على ذلك حتى أزال الله به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك . وقد بعث السرايا في هدم الأوثان وإزالتها كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسير ، كما في حديث أبي الهياج الأسدي الذي في «الصحيح» قال : قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله

---

(١) رواه البخاري ١/٤٤٤ في الصلاة : باب الصلاة في البيعة ، و٦/٣٥٩ في أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، و٨/١٠٨ في الغزوات : باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، و١٠/٢٣٤ في الطب : باب المغفر ، ومسلم رقم (٥٣١) في المساجد : ومواضع الصلاة : باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي من اتخاذ القبور مساجد من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم . تقدم تخريجه ص (١٣٤) .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٧٨٧) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٩٨٨) وعنه ابن السني رقم (٦٦٧) ، بلفظ : «أجعلتني لله عدلاً» رواه أيضاً أحمد في «المسند» بهذا اللفظ ١/٢١٤ و ٢٨٣ و ٣٤٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه ابن ماجة رقم (٢١١٧) في الكفارات : باب النهي أن يقال : شاء الله وشئت ، بلفظ : « إذا حلف أحدكم فلا يقل : ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت » ، وهو حديث حسن وروايته بلفظ « اجعلتني لله نداً » من رواية ابن مردويه ، والمعنى واحد . تقدم تخريجه ص (١٣٣) .

(٤) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/١٥٩ ، وقال الطبراني : ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث ، أقول : « وابن لهيعة خلط بعد احتراق كتبه » ، وأخرجه أحمد في « المسند » ٥/٣١٧ ولفظه عنده ، فقال النبي ﷺ : « لا يقام لي ، إنما يقام لله تبارك وتعالىٰ » ، وفي سنده ابن لهيعة وراوٍ لم يسمّ . تقدم تخريجه ص (٢١٩) .

ﷺ : ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سوَّيته ، ولا تمثالاً إلا طمسته[1] . وقد بعثه النبي ﷺ يوم الفتح لهدم مناة[2] .

وبعث خالد بن الوليد يومئذ لهدم العُزَّى ، وقطع السمرات[3] التي كانت تعبدها قريش وهذيل[4] .

وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات فهدمها .

وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون الله . والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الأمر ، واعتنوا بازالته أعظم الاعتناء بعد وفاة رسول الله ﷺ .

وقد أخبر النبي ﷺ بما يقع في أمته من الاختلاف ، كما في حديث العرباض بن سارية قال : «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرى اخْتِلَافاً كَثِيراً . . . » الحديث[5] ، فوقع ما أخبر به ﷺ ، وعظم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضلة ، كما هو معلوم عند العلماء . ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرجنا عن المقصود من الاختصار .

---

(١) رواه مسلم رقم (٩٦٩) في الجنائز : باب الأمر بتسوية القبر وأبو داود رقم (٣٢١٨) في الجنائز : باب في تسوية القبر ، والترمذي رقم (١٠٤٩) في الجنائز : باب ما جاء في تسوية القبور ، والنسائي ٤/٨٨ و٨٩ في الجنائز : باب تسوية القبور اذا رفعت من حديث علي رضي الله عنه . تقدم تخريجه ص (٢٩١) .

(٢) انظر « السيرة » لابن هشام ١/٨٦ ، وتفسير ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ في سورة النجم .

(٣) أي الشجرات ، واحدتها سمرة .

(٤) انظر « السيرة » لابن هشام ٢/٢٣٦ ، و« شرح المواهب » للزرقاني ٢/٣٤٨ .

(٥) رواه أبو داود رقم (٤٦٠٧) في السنة : باب لزوم السنة ، والترمذي رقم (٢٦٧٨) في العلم : باب في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، وأحمد في « المسند » ٢/١٢٦ و١٢٧ ، وابن ماجة رقم (٤٢) في المقدمة : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين ، والدارمي رقم (٩٦) في المقدمة : باب اتباع السنة ، واسناده صحيح . انظر مفصلاً شرح الحديث في « جامع العلوم والحكم » ص ٢٢٥ ـ ٢٣٦ للحافظ ابن رجب الحنبلي .

فانظر إلى ما وقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها ، فلقد عمّت هذه البلية في كثير من البلاد ، ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد في أناس ينسبون إلى العلم .

قال سليمان التميمي : لو أخذت بزلة كل عالم لاجتمع فيك الشر كله ، فإنا للّه وإنا إليه راجعون . وقوله المطابق لقول النبي ﷺ : « لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى [عِيْسَىٰ] بنَ مَرْيَمَ » .

أقول : لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولا بد ، لكنها في المنهي عنه لا في النهي ، فالذي نهى عنه النبي ﷺ من الإطراء طابقته الأبيات من قوله :

يَا أَكْرَمَ الخَلْق مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُوْلِ الحَادِثِ العَمِمِ

فقد تضمنت غاية الإطراء والغلوِّ الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم ، فإنه قصر خصائص الإلٰهية والربوبية التي قصرها اللّه على نفسه ، وقصرها عليه رسول اللّه ﷺ ، فصرفها لغير اللّه ، فإن الدعاء مخ العبادة ؛ واللّياذ من أنواع العبادة . وقد جمع في أبياته الاستعانة والاستغاثة بغير اللّه ، والالتجاء والرغبة إلى غير اللّه ، فإن غاية ما يقع من المستغيث والمستعين والراغب إنما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان ، وهذه هي أنواع العبادة [التي] ذكرها اللّه تعالى في مواضع كثيرة من كتابه ، وشكرها لمن قصرها على اللّه ، ووعده على ذلك الإجابة والإثابة ، كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥]، وقوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقوله : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً * قُلْ إِنَّما أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ [الجن: ١٩ ـ ٢٢].

فهذا هو الدين الذي بعث اللّه به نَبيه محمداً ﷺ ، وأمره أن يقول لهم : ﴿ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً ﴾ فقصر الدعاء على ربه الذي هو توحيد الآلهية . وقال : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُم ضَرّاً وَلَا رَشَداً ﴾ إلى آخر الآيات .

وهذا هو توحيد الربوبية ، فوحّد اللّه في إلٰهيته وربوبيته ، وبين للأمة ذلك ، كما أمره اللّه تعالى . وقال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى . وقال : ﴿ إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ونهى عن الاستعاذة بغيره بقوله تعالى عن مؤمني الجن : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقاً ﴾ [الجن: ٦].

واحتج الإمام أحمد رحمه اللّه وغيره على القائلين بخلق القرآن بحديث خولة بنت حكيم مرفوعاً : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ . . . » الحديث[1] ، على أن القرآن غير مخلوق ، إذ لو كان مخلوقاً لما جاز أن يستعاذ بمخلوق ، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير ، يظهر بالتدبر .

وأما قول المعترض : إن النصارى يقولون : إن المسيح ابن اللّه . نعم قاله طائفة ، وطائفة قالوا : هو اللّه ، والطائفة الثالثة قالوا : هو ثالث ثلاثة ، وبهذه الطرق الثلاث عبدوا المسيح عليه السلام ، فأنكر اللّه عليهم تلك الأقوال في المسيح ، وأنكر عليهم ما فعلوه من الشرك ، كما قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللّهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهاً وَاحِداً لَا

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٠٨) في الذكر والدعاء : باب في التعوذ من سوء القضاء ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٦/٣٧٧ و٤٠٩ والترمذي رقم (٣٤٣٣) في الدعوات : باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً ، وابن ماجة رقم (٣٥٤٧) في الطب : باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه . وقد تقدم تخريجه ص (٢١٨) .

إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأحبار والرهبان . أما المسيح فعبادتهم له بالتألّه ، وصرف خصائص الإلّهية له من دون اللَّه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة: ١١٦] فأخبر أن الإلّهية وهي العبادة حق اللَّه لا يشركه فيها أولوا العزم ولا غيرهم ، يبيِّن ذلك قوله : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُم إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم ﴾ [المائدة: ١١٧]. وأما عبادتهم للأحبار والرهبان فإنهم أطاعوهم فيما حللوه لهم من الحرام ، وتحريم ما حرَّموه عليهم من الحلال .

وأما قدوم عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه عند النبي ﷺ بعد فراره إلى الشام ، وكان قبل مقدمه على النبي ﷺ نصرانياً ، فلما قدم على النبي ﷺ مسلماً ، تلا هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] قال : يا رسول اللَّه ! لسنا نعبدهم فقال النبي ﷺ : « أَلَيْسُوا يُحِلُّونَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ ، ويُحَرِّمُونَ عَلَيْكُمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ ؟ » قال : بلى . قال : « فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ »(١) .

ففيه بيان أن من أشرك مع اللَّه غيره في عبادته ، وأطاع غير اللَّه في معصيته

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير : باب تفسير سورة التوبة ، وابن جرير الطبري ١٤/٢١٠ رقم (١٦٦٣٢) و(١٦٦٣٣) من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، فقال: « بلى ، انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم اياهم » ، وهو حديث حسن بشواهده ، ذكره السيوطي في « الدر المنثور » ٣/٢٣٠ ، وزاد نسبته لابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والطبراني وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في « سننه » ، وهكذا . قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم في تفسير : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ ، انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا ، وانظر الطبري رقم (١٦٦٣٤) عن حذيفة رضي الله عنه . انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٦٣ . وقد تقدم تخريجه ص (٨) .

فقد اتخذه رباً ومعبوداً ، وهذا بيّن والحمد للّه . فلو تأمل هذا الجاهل المعترض قول اللّه تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِن إِلَهٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] لعلم أن اللّه تعالى قد أنكر على النصارى قولهم وفعلهم ، وعلى كل من عبد مع غيره بأي نوع من أنواع العبادة ؛ لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد ، وألفوا الشرك ، وأحبوه ، وأحبوا أهله ، فترى مآب هذا الداء العضال إلى ما ترى من التخليط والضلال ، والاستغناء بالجهل ، ووساوس الشيطان . فمن وجد خيراً فليحمد اللّه ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه ، ولا شفاء لهذا الداء العظيم إلاّ بالتجرد عن الهوى والعصبية ، والإقبال على تدبر الآيات المحكمات في بيان التوحيد الذي بعث اللّه به المرسلين ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٥٧] . ومثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٦٤] أمره تعالى أن يدعو أهل الكتاب إلى أن يخلصوا العبادة للّه وحده ، ولا يشركوا فيها أحداً من خلقه ، فإنهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح ابن مريم ، ويعبدون أحبارهم ورهبانهم .

وتأمل قوله : ﴿ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم ﴾ وهذا هو التوحيد الذي بعث اللّه به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل إليه ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾ [الرعد : ٣٦]، وقوله : ﴿ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ﴾ يعم كل شرك دقّ أو جلّ ، كثر أو قلّ .

قال العماد بن كثير في «تفسيره» : هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن جرى مجراهم . وقوله : ﴿ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً ﴾ لا وثناً ولا صنماً ولا صليباً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً ، بل

نفرد العبادة للَّه وحده لا شريك له .

قلت : وهـذا هو معنى : لا إلـه إلا اللَّه ، ثم قال : وهـذه دعوة جميـع الرسل .

قال اللَّه تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. انتهى المقصود .

وقال رحمة اللَّه في تفسير قولـه : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الآية [آل عمران: ٧٩].

قال محمد بن إسحاق ، حدَّثنا محمد بن أبي محمد ، عن عكرمة أو سعيد ابن جبير، عن ابن عبَّاس رضي اللّه عنهما قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسـول اللَّه ﷺ ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس: أو ذاك [تريد] منَّا يا محمد ؟ وإليه تدعونا ؟ أو كما قال ، فقال رسول اللَّه ﷺ « مَعَاذَ اللَّه أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ ، أَوْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ ، وَمَا بِذٰلِكَ بَعَثَنِي وَلاَ بِذٰلِكَ أَمَرَنِي » أو كما قال ﷺ . فأنزل اللَّه عز وجل في ذلك : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ والنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ الى قوله: ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٧٩ - ٨٠] قوله : ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي ما ينبغي لبشر آتاه اللَّه الكتاب والحكم والنبوَّة أن يقول للناس : اعبدوني من دون اللَّه ؛ أي مع اللَّه ، وإذا كان هذا لا يصح لنبي ولا لمرسل ، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى .

ولهذا قال الحسن البصري : لا ينبغي هذا للمؤمن أن يأمر الناس بعبادته ، وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضاً ، يعني أهل الكتاب .

وقوله : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُم ﴾ أي بعبادة أحد غير اللّه ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل : ﴿ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ أي لا يفعل ذلك لأن من دعا إلى عبادة غير اللّه فقد دعا إلى الكفر ، والأنبياء إنما يأمرونكم بالإيمان وعبادة اللّه وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال في حق الملائكة: ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُم إِنِّي إِلَهٌ مِن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيَهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩] انتهى[(١)] وهو في غاية الوضوح .

وبيان التوحيد، وخصائص الربوبية والإلّهية ، ونظائر هذه الآيات كثيرة في القرآن ، وفي السنة من الأحاديث كذلك .

فإذا كان من المستحيل عقلاً وشرعاً على رسول اللّه ﷺ هو وجميع الأنبياء والمرسلين أن يأمروا أحداً بعبادتهم ، فكيف جاز في عقول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب « البردة » :

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم ؟ !

وقد أخلص الدعاء الذي هو مخ العبادة ، واللِّياذ الذي هو من أنواع العبادة وتضمن إخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والالتجاء إلى غير اللّه ، وهذه هي معظم العبادة كما أشير إلى ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ

---

(١) تفسير ابن كثير : ٢/ ٦٣ ، ٦٤ .

يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾الآية [الرعد : ١٤] ، وقوله : ﴿ قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الهُدَىٰ ائْتِنَا ﴾ الى قوله : ﴿ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ٧١ ـ ٧٣] .

وعن أنس مرفوعاً : « الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ » رواه الترمذي[١] . وقوله :

إنْ لَمْ تَكُنْ فِيْ مَعَادِيْ آخِذاً بِيَدِي فَضْلاً وإلاَّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

المنافي لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٩]، وقوله : ﴿ قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ رَشَداً ﴾ [الجن : ٢١] ، وقوله : ﴿ قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً ﴾ الآية [الأعراف : ١٨٨] .

وفي الحديث الصحيح قال لابنته ـ فاطمة ـ وأحبّ الناس إليه : « يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ! سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتِ ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً »[٢] فتأمل ما بين هذا ، وبين قول الناظم من التضاد والتباين ، ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى ، وذكره رسوله ﷺ كقوله : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِم أَوْ يُعَذِّبَهُم فَإِنَّهُم ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٤٦٨) في الدعوات : باب ما جاء في فضل الدعاء ، واسناده ضعيف ، ويؤيده بالمعنىٰ حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه بلفظ « الدعاء هو العبادة » ، رواه أحمد في « المسند » ، والبخاري في « الأدب المفرد » ، والترمذي ، وابن ماجة ، وأبو داود ، وابن حبان ، والحاكم ، ورواه أيضاً أبو يعلى عن البراء بن عازب رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري ٨/٣٨٦ في تفسير سورة الشعراء : باب قوله تعالىٰ : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ، وفي الوصايا : باب هل يدخل النساء والأولاد في الأقارب ، ومسلم رقم (٢٠٦) في الإيمان : باب قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وقد تقدم تخريجه ص (٢٢١) .

وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية . وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغيّر ، ومن ادَّعى ذلك فقد افترى على اللَّه كذباً وأضل الناس بغير علم ، كقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣] وبهذا يعلم أن الناظم قد زلَّت قدمه ، اللهم إلا أن يكون قد تاب وأناب قبل الوفاة ، واللَّه أعلم .

وأما قوله :

فـإن من جـودك الـدنيـا وضـرتهـا ومن علومـك علم اللوح والـقلم

فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلا بما يملكه. فمقتضى ذلـك أن الدنيا والآخرة ليست للَّه بل لغيره ، وأن أهل الجنة من الأولين والآخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذي خلقهم وخلقها لهم ، بل ادخلهموها غيره ، سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون .

وفي الحديث الصحيح : « لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ » قالوا : ولا أنت يا رسول اللَّه ؟ قال : « وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ بِرَحْمَتِهِ »(1) وقد قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ ﴾ [النساء: ١٣٤]، وقوله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُـلِّ شَيْءٍ قَدِيـرٌ ﴾ [الملك: ١]،

(١) رواه البخاري ١/١٠٩ و١١٠ في الايمان : باب أحب الدين إلى الله أدومه ، و١٤/٧٨ و٧٩ في الرقاق : باب القصد والمداومة على العمل ، ومسلم رقم (٧٨٢) في الصلاة : باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل ، و« الموطأ » ١/١١٨ بلاغاً في صلاة الليل : باب ما جاء في صلاة الليل ، وأبو داود رقم (١٣٦٨) في صلاة الليل : باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة ، والنسائي ٣/٢١٨ في صلاة الليل : باب الاختلاف على عائشة في احياء الليل وأحمد في « المسند » ٦/٤٠ و٦١ و١٢٥ و١٦٥ و١٧٦ من حديث عائشة رضي الله عنها .

ورواه البخاري في المرضى ١٠/١٠٩ باب تمني المريض الموت ، و١١/٢٥٢ و٢٥٤ في الرقاق : باب القصد والمداومة على العمل ، ومسلم رقم (٢٨١٦) في صفات المنافقين : باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، والنسائي ٨/١٢١ و١٢٢ في الايمان : باب الدين يسر ، من حديث أبو هريرة رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ١٢] وقوله : ﴿ وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ ﴾ [الليل : ١٣] فلا شريك للّه في ملكه ، كما لا شريك له في إلٓهيته وربوبيته. والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً .

وقوله : ومن علومك علم اللوح والقلم .

وهذا أيضاً كالذي قبله ، لا يجوز أن يقال إلا في حق اللّه تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء ، كما قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ٧٣]. وقال : ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَبِّكَ مِن مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذٰلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١]. وقوله : ﴿ قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُم عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ ﴾ [الأنعام : ٥٠]. وقال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩]. وقال تعالى : ﴿ قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [النمل : ٦٥]. والآيات في هذا المعنى كثيرة تفوت الحصر .

وكل هذه الأمور من خصائص الربوبية والإلٓهية التي بعث اللّه رسله ، وأنزل كتبه لبيانها واختصاصها للّه سبحانه دون كل من سواه . وقال تعالى : ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَسُولٍ ﴾ [الجن : ٢٦ ـ ٢٧]. كقوله في آية الكرسي : ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] فقد أطلع من شاء من أنبيائه ورسله على ما شاء من الغيب بوحيه إليهم ، فمن ذلك ما جرى من الأمم السالفة وما جرى عليهم . كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هٰذَا ﴾ [هود : ٤٩] .

وكذلك ما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك ، أطلع اللَّه عليه رسوله ، والمؤمنون عرفوه من كتاب اللَّه وسنة رسوله ، وآمنوا به .

وأما إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها ، وما كان منها وما لم يكن ، فذاك إلى اللَّه وحده ، لا يضاف إلى غيره من خلقه . فمن ادعى ذلك لغير اللَّه فقد أعظم الفرية على اللَّه وعلى رسوله ﷺ . فما أجرأ هذا القائل على اللَّه في سلب حقه ، وما أعداه لرسول اللَّه ﷺ ولمن تولاه من المؤمنين والموحدين ؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه وذكر قول عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة [عروة] إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ، ووقع فيه وأقرَّه ودعا إليه وصوّبه وحسَّنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره ، أو شرّ منه أو دونه ، فتنتقض بذلك عرى الإسلام ، ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة ، والسنة بدعة ، ويكفّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ، ويبدّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ، ومفارقة الأهواء والبدع . ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً ، واللَّه المستعان ا هـ .

قلت : وقد رأينا ذلك واللَّه عياناً من هؤلاءِ الجهلة الذين ابتلينا بهم في هذه الأزمنة ، أشربت قلوبهم الشرك والبدع ، واستحسنوا ذلك ، وأنكروا التوحيد والسنة ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فضلّوا وأضلّوا .

وأما قول الناظم :

فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي مُحَمَّداً وَهُوَ أَوْفَى الخَلْقِ بِالذِّمَمِ

فهذا من جهله ؛ إذ من المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل ، أن الاتفاق في الاسم لا ينفع إلَّا بالموافقة في الدين واتباع السنة ، [فولاية] الرسول ﷺ اتِّباعه

على دينه ، والعمل بسنته ، كما دل عليه الكتاب والسنة . كما قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧].

وتأمَّل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ وقد كان يحوطه ويحميه وينصره ، ويجمع القبائل على نصرته ﷺ ، وحمايته من أعدائه ، وقد قال في حق النبي ﷺ :

لقد علموا أن ابننا لا مكذَّب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
حدَبْت بنفسي دونه وحميتُه ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

ولما لم يتبرَّأ مِن دين أبيه عبد المطلب، ومات على ذلك، وقال النبي ﷺ : « لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ » فأنزل اللَّه سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣](١).

---

(١) رواه البخاري ٧/١٤٩ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب قصة أبي طالب ، وفي الجنائز : باب اذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ، وفي تفسير سورة براءة : باب قوله تعالى : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ ، وفي تفسيرة سورة القصص ، وفي الأيمان والنذور : باب إذا قال : والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو حمد أو هلل فهو على نيته ، ومسلم رقم (٢٤) في الايمان : باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ما لم يشرع في النزع ، والنسائي ٤/ ٩٠ و٩١ في الجنائز : باب النهي عن الاستغفار للمشركين ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٤٣٣ .وتقدم تخريجه ص (١٢٥) .

فلا وسيلة للعبد إلى نيل شفاعة النبي ﷺ إلَّا بالإيمان به، وبما جاء به من توحيد اللَّه وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له ، ومحبته واتِّباعه ، وتعظيم أمره ونهيه ، والدعوة إلى ما بعث به من دين اللَّه ، والنهي عما نهى عنه من الشرك باللَّه والبدع، وما لا فلا، فعكس الملحدون الأمر، فطلبوا الشفاعة التي بعث اللَّه رسوله ﷺ بالنهي عنها وإنكارها وقتال أهلها(١) ، وإحلال دمائهم وأموالهم ، وأضافوا إلى ذلك إنكار التوحيد ، وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي ﷺ ، كما تقدم في كلام شيخ الإسلام رحمه اللَّه من قوله : ويكفِّر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد . . . إلى آخر كلامه .

وأما قول الناظم :

وَلَنْ يَضِيْقَ رَسُوْلُ اللَّه جَاهُكَ بِيْ إِذَا الكَرِيمُ تحلَّىٰ باسم مُنْتَقِمِ

فهذا هو الذي ذكر اللَّه عن المشركين من اتخاذ الشفعاءِ ليشفعوا لهم ويقرِّبوهم إلى اللَّه زلفى .

قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٢ ـ ٣]. فهذا هو دين اللَّه الذي لا يقبل اللَّه من أحد ديناً سواه ، ثم ذكر بعد ذلك دين المشركين فقال : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَىٰ اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُم فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ [الزمر: ٣]، فتأمل كون اللَّه تعالى كفَّرهم بقولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهم إلَّا لِيُقَرِبُونَا إلى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ . وقال في آخر هذه السورة : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً ﴾ [الزمر: ٤٣ ـ ٤٤].

---

(١) في الأصل : فطلبوا الشفاعة الذي بعث اللَّه رسوله ﷺ بالنهي عنه وانكاره وقتال أهله .

قلت : وقد وقع من هؤلاء من اتخاذهم شفعاء بدعائهم وطلبهم ورغبتهم والالتجاء إليهم وهم أموات غافلون عنهم ، لا يقدرون ولا يسمعون لما طلبوا منهم وأرادوه .

وقد أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره ، وهو الذي له ملك السماوات والأرض ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُم عَن دُعَائِهِم غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُم أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِم كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥ ـ ٦] فعاملهم اللَّه بنقيض قصدهم من جميع الوجوه، وسجل عليهم الضلال .

ولهذه الآية أيضاً نظائر كثيرة ، كقوله : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُم لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُم وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣ ـ ١٤].

فبيَّن أن دعوتهم غير اللَّه شرك باللَّه ، وأن المدعو غيره لا يملك شيئاً ، وأنه لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب ، وأن المدعو ينكر ذلك الشرك ، ويتبرَّأ منه ومن صاحبه يوم القيامة . فمن تأمل هذه الآيات انزاحت عنه بتوفيق اللَّه وفتحه جميع الشبهات .

ومما يشبه هذه الآية في حرمان من أنزل حوائجه بغير اللَّه ، واتخذه شفيعاً من دون اللَّه بتوجيه قلبه وقالبه إليه ، واعتماده في حصول الشفاعة عليه ـ كما قد تضمنه بيت الناظم ـ قول اللَّه تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّؤُنَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس : ١٨].

فانظر كيف حرمهم الشفاعة لما طلبوها من غير اللَّه ، وأخبر أن حصولها

مستحيل في حقهم بطلبها في دار العمل من غيره ، وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤] وقال: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِم لَيْسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٥١]. فهذه الشفاعة المنفية هي التي فيها شرك ، وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن ، فإنما ثبتت بقيدين عظيمين : إذن الرب تعالى للشفيع ، ورضاه عن المشفوع له ، وهو لا يرضى من الأديان الستة المذكورة في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ الآية [الحج : ١٧]، إلا الإيمان الذي أصله وأساسه التوحيد والاخلاص ، كما قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقال : ﴿ وَكَمْ مِن مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم : ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُم اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَىٰ الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ ﴾ [يونس : ٣] .

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ لما ذكر شفاعته قال : « وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَآءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً »[1] .

وقال أبو هريرة رضي اللَّه عنه : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟

---

(١) قطعة من حديث الشفاعة ، رواه البخاري ١١/ ٨١ في الدعوات : باب لكل نبي دعوة ، وفي التوحيد : باب المشيئة والإرادة ﴿وما تشاؤ ون إلا أن يشاء الله﴾ ، ومسلم رقم(١٩٩) في الإيمان : باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، والترمذي رقم (٣٧٩٧) في الدعوات : باب رقم ١٤١ ، وابن ماجه رقم (٤٣٠٧) في الزهد : باب ذكر الشفاعة ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٤٢٦ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال : « مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ »(١) .

قال شيخ الاسلام في هذا الحديث : فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله . وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض الملبس ولجاجه وافتراءه على الله ورسوله ؛ فإن دعوة غير الله ضلال وشرك ينافي التوحيد . وإن اتخاذ الشفعاء إنما هو بدعائهم ، والالتجاء إليهم ، وسؤالهم أن يشفعوا للداعي ، وقد نهى الله عن ذلك ، وبيَّن أن الشفاعة له ، فإذا كانت له وحده ، فلا تطلب إلا ممن هي ملكه فيقول : اللهم شفِّع نبيك فيَّ ، لأنه تعالى هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه ، فهو الإخلاص كما تقدم بيانه .

وأما قول المعترض : إن المعتزلة احتجُّوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة على أنها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين ، فأقول : لا ريب أن قولهم هذا بدعة وضلالة .

وأنت أيها المجادل في آيات سلطان مع المعتزلة في طرفي نقيض ، تقول : إن الشفاعة ثبتت لمن طلبها وسألها من الشفيع ، فجعلت طلبها موجباً لحصولها . والقرآن قد نفى ذلك وأبطله في مواضع كثيرة بحمد الله ، والحق أنها لا تقع إلا لمن طلبها من الله وحده ، ورغب إليه فيها ، وأخلص له العبادة بجميع أنواعها ، فهذا هو الذي تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعده إن دخلها بذنوبه ؛ فهذا هو الذي يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بما معه من الاخلاص ، كما صرحت بذلك الأحاديث ، والله أعلم .

---

(١) رواه البخاري ١/١٧٣ ـ ١٧٣ في العلم : باب الحرص على الحديث و١١/٣٨٥ في الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٣٧٣ ، وتقدم تخريجه ص (١٣٧) .

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنة أن ما في القرآن من ذكر الشفاعة نفياً وإثباتاً ؛ فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق ؛ فالشفاعة المنفية إنما هي في حق المشرك الذي اتخذ له شفيعاً يطلب الشفاعة منه ، فيرغب إليه في حصولها ، كما في البيت المتقدم ، وهو كفر كما صرح به القرآن .

وأما الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنة ؛ فقد ثبتت للمذنبين الموحدين المخلصين ؛ وهذا هو الذي تظاهرت عليه النصوص ، واعتقده أهل السنة والجماعة ودانوا به .

والحديث الذي أشار إليه المعترض من قوله: «أَنَا لَهَا أَنَا لَهَا » لا ينافي ما تقرر ، وذلك أن الناس في موقف القيامة إذا فزعوا إلى الرسل ليشفعوا لهم إلى الله في إراحتهم من كرب ذلك المقام بالحساب ، وكل نبي ذكر عذره . قال النبي ﷺ في الحديث : « فَيَأْتُونِي ، فَأَخُرَّ بَيْنَ يَدَي الله سَاجِدَاً » أو كما قال : « فَأَحْمَدَهُ بِمَحَامِدَ يَفْتَحَهَا عَلَيَّ ، ثُمَّ يُقَالُ : ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، وَأَسْأَلْ تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ » ، قَال : « فَيُحَدَّ لِي حَدّاً فَأُدْخِلَهُمُ الجَنَّةَ »(١) .

فتأمل كون هذه الشفاعة لم تقع إلا بعد السجود لله ، ودعائه وحمده ، والثناء عليه بما هو أهله . وقوله : « فَيُحَدُّ لِي حَدّاً » فيه بيان أن الله هو الذي يحدّ له ، وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مع الرسل ، هو من باب سؤال الحي الحاضر ، والتوسل إلى الله بدعائه ، كما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون

---

(١) هو جزء من حديث الشفاعة العظمى الطويل الذي رواه البخاري ٦/٢٦٤ و٢٦٥ في أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالىٰ : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ و٨/ ٣٠٠ في تفسير سورة النحل : باب قوله تعالىٰ : ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً﴾ ، ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وقد تقدم تخريجه ض (١١١) .

رسول الله ﷺ في حياته أن يدعو لهم إذا نابهم شيء ، كما في حديث الاستسقاء[1] وغيره .

ولما توفي رسول الله ﷺ لم يكونوا يفعلون عند قبره شيئاً من ذلك البتة ؛ ففـرَّق أصحـاب رسـول الله ﷺ وهم أعلم الأمـة وأفضلهـا بين حـالتي الحيـاة والممات ، وكانوا يصلّون على النبي ﷺ عند دخول المسجد والخروج منه ، وفي الصلاة والخطب ، وعند ذكره امتثالاً لقوله ﷺ : « لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً ، وَلَا بُيُوتِكُمْ قُبُوراً ، وَصَلُّوا عليَّ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ »[2] .

ولما أراد عمر رضي الله عنه أن يستسقي بالناس أخرج معه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال : « اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجْدَبْنَا تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ بِنَبِينا فَتَسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيكَ بِعَمِّ نِبينا فَاسْقِنَا » ، فيدعو[3] .

فلو جاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات النبي ﷺ بعد وفاته لما صلح منهم أن يعدلوا عن النبي ﷺ إلى العباس ، فلما عـدلوا عنـه إلى العباس ، علم أن التوسل بالنبي ﷺ بعد وفاته لا يجوز في دينهم ، وصار هذا إجماعاً منهم[4] .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله : وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك . فقال أبو

---

(١) انظر « جامع الأصول » ٦ : ١٩١ - ٢١٤ .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٠٤٢) في المناسك : باب في زيـارة القبور ، ورواه أيضـاً أحمد في « المسنـد » ٣٦٧/٢ ، والحسن بن أحمد بن ابراهيم بن فيل البالسي أبو طاهر في جزئه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واسناده حسن ، ورواه أيضاً اسماعيل القاضي في « فضل الصلاة على النبي ﷺ رقم (٢٠) و(٣٠) وغيره وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٤) .

(٣) رواه البخاري ٤١٣/٤ في الاستسقاء : باب سؤال الناس الامام الاستسقاء إذا قحـطوا ، وفي فضائـل أصحاب النبي ﷺ : باب ذكر العباس بن عبد المطلب .

(٤) لشيخ الاسلام ابن تيمية كلام نفيس في هذا الباب انظره في كتابه « قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة » وهو من مطبوعاتنا « مكتبة دار البيان بدمشق » بتحقيق شيخنا الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله تعالى .

الحسين القدوري في شرح« كتاب الكرخي » : قال بشر بن الوليد : سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة : لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، وأكره أن يقول : بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، وبحق البيت الحرام .

قال أبو الحسين : أما المسألة بغير الله فتكره في قولهم ، لأنه لا حق لغير الله عليه ، وإنما الحق لله على خلقه .

وقال في « شرح المختار » ويكره أن يدعو الله إلا به ، فلا يقول : أسألك بفلان أو بملائكتك وأنبيائك ونحو ذلك ، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق .

وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه : أكره كذا ، هو عند محمد[1] حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف هو إلى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب ، فإذا قرر الشيطان عنده أن الاقسام على الله به ، والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه ، وأنجع بقضاء حاجته ، نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله ، ثم ينقله بعد درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً يعكف عليه ، ويوقد عليه القنديل ، ويعلّق عليه الستور ، ويبني عليه المسجد ، ويعبده بالسجود له ، والطواف وتقبيله ، واستلامه ، والحج إليه ، والذبح عنده ، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس لعبادته ، واتخاذه عيداً ومنسكاً ، وأن ذلك نفع لهم في دنياهم وآخرتهم .

قال شيخنا قدس الله روحه : وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب : أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ، ويستغيث به فيها ، كما يفعله كثير من الناس . قال : وهؤلاء من جنس عبّاد الأصنام ، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب ، يدعو أحدهم من يعظمه ، ويتمثل لهم الشيطان أحياناً ، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة .

---

(١) هو محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة ، رحمهما الله تعالى .

ثم ذكر المرتبة الثانية وهي : أن يسأل الله به ؛ وقال : وهو بدعة باتفاق المسلمين .

والثالثة : أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب ، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد ، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين ، وهي محرمة ، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين ، وإن كان كثيراً من الناس يفعل ذلك . انتهى .

ففرض على كل أحد أن يعلم ما أمر الله به ورسوله من إخلاص العبادة لله وحده ، فإنه الدين الذي بعثه به ، وأن يترك ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ من الشرك فما دونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [يونس : ١٠٦]، وأن لا يدين الله تعالى إلا بما دلّه الدليل على أنه من دين الله ، ولا يكون إمَّعة يطير مع كل ريح ، فإن الناس من أمة محمد ﷺ والأمم قبلها قد تنازعوا في ربهم وأسمائه وصفاته ، وما يجب له على عباده . وقد قال تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء : ٥٩].

فيا سعادة من تجرد عن العصبية والهوى ، والتجأ إلى حصن الكتاب والسنة ، فان العلم معرفة الهدى بدليله ، وما ليس كذلك فجهل وضلال .

وأما قول المعترض : فانظر إلى « الشفا »[١] تجده حكى كفر من قال مثل هذه الكلمة ، أي الكلمة التي ذكرها المجيب في معنى قوله : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُم ضَرّاً وَلَا رَشَداً ﴾ الآيات [الجن : ٢١] . ذكر عبارات النسفي في معناها ، وهي قوله : هو إظهار للعبودية ، وبراءة مما يختص بالربوبية من علم الغيب . أي

---

(١) لعله يقصد به : كتاب « الشفا في حقوق المصطفى » للقاضي عياض .

أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ، ولا دفع ضر . . . إلى آخر كلامه .
إذ من عـادة هذا المعتـرض الجاهـل رد الحق ، والمكابـرة في دفعـه ، والغلوّ المتناهي ، وإلا فمن المعلوم عند من له معرفة بدين الاسلام أن المجيب إنما أتى في جوابه بتحقيق التوحيد ، ونفي الشرك بالله ، وذلك تعظيم لجانب الرسالة .
وكان النبي ﷺ ينهى أمته عن كل ما يؤ ول بهم إلى الغلوِّ . ولما قيل له ﷺ : أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا ، قال : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ، أَنَا عَبْـدُ اللهِ وَرَسُولُـهُ ، مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ تَعَالَى »[١] .

والنبي ﷺ هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه . وفي الحديث : « فَإِنَّكَ إِنْ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي تَكِلْنِي إِلَى ضَيْعَةٍ[٢] وَعَوْرَةٍ وَذَنْبٍ وَخَـطِيئَةٍ ، وَإِنِّي لا أَثِقُ إِلَّا بِرَحْمَتِكَ . . . » الحديث[٣] .

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ، يخبر بذلك عن نفسه ، ويعترف بذلك لربه ، وهو الصادق المصدوق ، فاذا قال المسلم مثل هذا في حقه ﷺ وأخبر بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصاً له ، بل هذا من تصديقه والايمان به .

قال شيخ الاسلام رحمه الله : إذا كان الكلام في سياق توحيد الرب ونفي خصائصه عما سواه ، لم يجز أن يقال : هذا سوء عبارة في حق مَن دون الله من الأنبياء والملائكة ، فإن المقام أجلُّ من ذلك ، وكل ما سوى الله يتـلاشى عن تجريد توحيده ، والنبي ﷺ كان أعظم الناس تقريراً لما يقال على هذا الوجه .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ١٥٣ و٢٤١ من حديث أنس رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .
(٢) في نسخة « ضعف » .
(٣) لم أجده بهذا اللفظ .

وإن كان نفسه المسلوب ، كما في « الصحيحين »[1] في حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة من السماء ، وأخبرها النبي ﷺ بذلك ، قالت لها أُمها : قومي إلى رسول الله ﷺ ، قالت : « والله لَا أَقُومُ إِلَيْهِ وَلَا أَحْمَدَهُ ، وَلَا إِيَّاكُمَا ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا الله الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي » . فأقرّها النبي ﷺ وأبوها على هذا الكلام الذي نفت فيه أن تحمد رسول الله ﷺ ، وفي رواية : « بِحَمْدِ الله لَا بِحَمْدِكَ » ، ولم يقل أحد : هذا سوء أدب منها عليه ﷺ .

وأخرج البيهقي بسنده إلى محمد بن مسلم ، قال سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول : قلت لعبد الله بن المبارك قول عائشة للنبي ﷺ : « بِحَمْدِ الله لَا بِحَمْدِكَ » ، إنِّي لأَسْتَعْظِم هَذا ، فقال عبد الله ، ولَّت الحمد أهله .

وكذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد بسنده عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أُتي بأسير فقال : اللهم أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد فقال النبي ﷺ : « عَرَّفَ الحَقَّ لِأَهْلِهِ »[2] .

وهذا المعترض وأمثاله ادَّعوا تعظيم أمر رسول الله ﷺ بما قد نهى عنه من الغلوِّ والإطراء ، وهضموا ربوبية الله ، وتنقصوا إلَهيته ، وأتوا بزخارف شيطانية ، وحاولوا أن يكون حق الله من العبادة التي خلق لها عباده نهبى بين الأحياء والأموات ؛ هذا يصرفه لنبي ، وهذا لملك ، وهذا لصالح ، أو غير هؤلاء ممن اتخذوهم أنداداً لله ، وعبدوا الشياطين بما أمروهم به من ذلك الشرك بالله ، فإن عبادتهم للملائكة والأنبياء والصالحين إنما تقع في الحقيقة على من زيَّنها لهم من

---

(١) رواه البخاري ٥/١٩٨ ـ ٢٠١ في الشهادات : باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ، وفي أبواب عدة ، ومسلم رقم (٢٧٧٠) في التوبة : باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف ، والترمذي رقم (٣١٧٩) في التفسير : باب ومن سورة النور ، والنسائي ١/١٦٣ ـ ١٦٤ في الطهارة : باب بدء التيمم .

(٢) قال في « كشف الخفا » : رقم (١٧٢٧) : رواه أحمد والطبراني وسنده ضعيف .

الشياطين وأمرهم بها ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُم كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ ـ ٤١] ونحو هذه الآية كثير في القرآن .

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله ما وقع في زمانه من الشرك بالله قال : وهذا هضم للربوبية ، وتنقص للإلٓهيّة ، وسوء ظن برب العالمين ، وذكر أنهم ساووهم بالله في العبادة ، كما قال تعالى عنهم وهم في النار : ﴿ تَاللهِ إن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧ ـ ٩٨] .

وأما ما ذكره عن خالد الأزهري ، فخالد وما خالد ؟ ! أغرك منه كونه شرح « التوضيح » و« الأجرّومية » في النحو ؟ ! وهذا لا يمنع كونه جاهلاً بالتوحيد الذي بعث الله رسوله ﷺ ، كما جهله من هو أعلم وأقدم منه ممن لهم تصانيف في المعقول ، كالفخر الرازي ، وأبي معشر البلخي ونحوهما ممن غلط في التوحيد ، وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوي وغيره ، فما أنكر ذلك في شيء من كتبه ، ولا نقل عنه أحد إنكاره .

فلو صح ما ذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسراً تذاد عنه النصوص من الآيات المحكمات القواطع ، والأحاديث الواضحات البيّنات ، كقوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ﴾ [النساء: ٣٦]. وقوله : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾ [المؤمنون : ١١٧] . وقول النبي ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو للهِ نِدّاً دَخَلَ النَّارَ »(١) .

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٨٩ في الجنائز : في فاتحته ، ومسلم رقم (٩٢) في الإيمان : باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وقد استدرج الله أهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات عقوبة لهم ، وكثير منها أحوال شيطانية أعانوا بها أولياءهم من الإنس ، كما قد يقع كثيراً لعبَّاد الأصنام ، وما أحسن ما قال بعضهم شعراً :

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا — وكلهم يدّعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره — إمَّا عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف أبيات « البردة » عما هو صريح فيها النص فيما دلت عليه من الشرك في الربوبية والإلّهية ، ومشاركة الله في عمله وملكه ، وهي لا تحتمل أن تصرف عما هي فيه من ذلك الشرك والغلوِّ ، فما ظفر هذا المعترض من ذلك بطائل ، غير أنه وسم نفسه بالجهل والضلال ، والزور والمحال ، ولو سكت لسلم من الانتصار لهذا الشرك العظيم الذي وقع فيه .

* وأما قول المعترض : ورد في الحديث «لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري » .

فهذا من الموضوعات ، لا أصل له ،ومن ادَّعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث ، وأنى له ذلك ؟! بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين .

وقد بيَّن اللَّه تعالى حكمته في خلق السماوات والأرض في كثير من سور القرآن ، كما في الآية التي تأتي بعد ، وهي قول الله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمَاً﴾ [الطلاق : ١٢] .

ولها نظائر تبين حكمة الرب في خلق السماوات والأرض . وقوله : وكيف ينكر تصرُّفه في اعطاء أحد بإذن الله من الدنيا في حياته أو في الآخرة بعد وفاته .

أقول : هذا كلام من اجترأ وافترى وأساء الأدب مع الله ، وكذب على رسوله ، ولم يعرف حقيقة الشفاعة ؛ ولا عرف تفرُّد الله بالملك يوم القيامة . وهل قال رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه أو من بعدهم من أئمة الإسلام أن أحداً يتصرف يوم القيامة في ملكه ؟ ! ولو أطلقت هذه العبارة في حق رسول الله ﷺ لا ادَّعاها كلٌ لمعبوده من نبي أو ملك أو صالح أنه يشفع له إذا دعاه : ﴿ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دونِكَ مِن أَوْلِيَآءَ ﴾ [الفرقان : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلَّا بِإذْنِهِ ﴾ [هود ١٠٥] ، وقال : ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إلَّا مَن أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً ﴾ [النبأ : ٣٨] .

وهذا القول الذي قاله الجاهل قد شافهنا به جاهل مثله بمصر يقول : الذي يتصرف في الكون سبعة : البدوي ، والامام الشافعي ، والشيخ الدسوقي . . . حتى أكمل السبعة من الأموات . هذا يقول : هذا وليٌّ له شفاعة ، وهذا صالح كذلك ، وقد قال تعالى : ﴿ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْهُم شَيْءٌ لِمَن الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر: ١٥ ـ ١٦] . إلى قوله : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِن حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر: ١٨] . وأي ظلم أعظم من الشرك بالله ، ودعوى الشريك له في الملك والتصرف ؛ وهذا غاية الظلم .

قال شيخ الاسلام رحمه الله في معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُم فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ : ٢٢ ـ ٢٣] . نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة التي يظنها المشركون منتفية كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده ، لا يبدأ بالشفاعة أولاً ثم يقال له : «ارْفَعْ رَأْسَكَ ، وَقُلْ تُسْمَعْ ، وَاسْأَلْ

تُعْطَهْ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ »[1] . وقال له أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : «مَنْ قَالَ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ »[2] فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله .

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص ، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه ، وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة باذنه في مواضع ، وقد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والاخلاص . انتهى كلامه .

وقال العلامة ابن القيم في «مدارج السالكين» : وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعاً ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[سبأ : ٢٢ ـ ٢٣] .

فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع ؛ والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالك لما يريده عابده منه فإن لم يكن مالكاً له كان شريكاً ، فان لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً ، فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً ، كان شفيعاً عنده ؛ فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى الأدنى ، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه .

---

(١) حديث الشفاعة تقدم قبل قليل ص (٣٩٧) .
(٢) رواه البخاري ١/١٧٣ و١٧٤ في العلم : باب عظة النساء ، و١١/٣٨٥ في الرقاق : باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، وأحمد في « المسند » ٢/٣٧٣ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . تقدم تخريجه قبل قليل ص (٣٩٦) .

فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها ، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له ، ويظنه في نوع ؛ وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ، فهذا هو الذي يحول بين القلب وفهم القرآن .

ولَعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك . . إلى أن قال : ومن أنواعه - أي الشرك - طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم ، فإن الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ، فضلاً لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته ، أو سأله أن يشفع له إلى الله ، وهذا جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فانه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا باذنه ، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الأذن ، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها .

وهذه حالة كل مشرك ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود ، وتغيير دينه ، ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى تنقص بالأموات ؛ وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك ، وأولياء التوحيد له بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص ، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا ، وأنهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان ، وما أكثر المستجيبين لهم . قال : وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرَّب بمقتهم إلى الله ، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله ، وخوفه لله ، ورجاءه لله ، وذله لله ، وتوكله على الله ، واستعانته بالله ، والتجاءه الى الله ، وأخلص قصده لله ، متبعاً لأمره ، متطلباً لمرضاته ، إذا سأل سأل الله ، وإذا استعان استعان بالله ، وإذا عمل عمل لله وبالله ومع الله . انتهى .

فرحم الله هذا الامام وشيخه[1] ، فلقد بيَّنا للناس حقيقة الشرك وطرقه وما يبطله .

وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له : «إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله»[2] ولم يقل : فاسألني واستعن بي ، فقصر السؤال والاستعانة على الله الذي لا يستحقه سواه ، كما في قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] . فمن صرف ذلك لغير الله ، فقد عصى الله ورسوله ، وأشرك باللّه .

وللمعترض كلام ركيك لا حاجة لنا إلى ذكر ما فيه ، وإنما نتبع من كلامه ما يحتاج إلى رده وإبطاله كجنس ما تقدم .

واعلم أنه قال لما ذكر قول المجيب : إنه لا يجتمع الايمان بالآيات المحكمات وتلك الأبيات ، لما بينهما من التنافي والتضاد .

وقال المعترض : أقول : يجتمعان بأن يفرد الله بالعبادة ، ولا يقدح فيه تشفعه بأحباب حبه إليه ، وكيف يحكم بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هو أهل لها ، كما في الحديث : «أنا لها ، أنا لها » ومعلوم أن الضلال ضد الحق .

فالجواب : لا يخفى ما في كلامه من التخليط والتلبيس والعصبية المشوبة

---

(١) أي العلامة ابن القيم ، وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمهما الله تعالى .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٥١٨) في صفة القيامة : باب رقم (٦٠) وأحمد في « المسند » ٢٩٣/١ و٣٠٣ و٣٠٧ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح ، وعمرو بن دينار ، وعبيد الله بن عبد الله ، وعمر مولىٰ عفرة ، وابن أبي مليكة ، وغيرهم . وقد جمع الحافظ ابن رجب الحنبلي طرق هذا الحديث وشرحه شرحاً وافياً في رسالة سماها « نور الاقتباس في وصية ابن عباس » فلتراجع فانها رسالة قيمة . وقد تقدم تخريجه ص(١٣٣) .

بالجهل المركب حيث أنه لا يدري ولا يدري أنه لا يدري ، وقد بينًا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضلال ، وأن اتخاذ الشفعاء الذين أنكر الله تعالى إنما هو بدعائهم والالتجاء إليهم ، والرغبة إليهم فيما أراده الراغب منهم من الشفاعة التي لا يقدر عليها إلا الله ، وذلك ينافي الاسلام والايمان بلا ريب ، فإن طلبها من الأموات والغائبين طلب لما لا يقدر عليه إلا الله ، وهو خلاف لما أمر الله تعالى به ، وارتكاب لما نهى عنه ، كما تقدم بيانه في معنى قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية [يونس : ١٨] . وقوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴾ الآية [الاسراء ٥٦] . وقوله : ﴿ مَا نَعْبُدُهُم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلَىٰ اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر : ٣] فطلب الشفاعة من النبي ﷺ أو غيره بعد وفاته ، وبعده عن الداعي ، لا يحبه الله تعالى ولا يرضاه ، ولا رسوله ﷺ ؛ وهو التوسل الذي ذكره العلامة ابن القيم وشيخه ، وصرحا بأنه شرك ، وللعلامة ابن القيم أبيات في هذا المعنى ، وهي قوله :

وَالشِّرْكُ فَهْوَ تَوَسُّلٌ مَقْصُودُهُ الزُّلْفَىٰ مِنَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
بِعِبَادَةِ الْمَخْلُوقِ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ بَشَرٍ وَمِنْ قَبْرٍ وَمِنْ أَوْثَانِ
وَالنَّاسُ فِي هٰذَا ثَلَاثُ طَوَائِفٍ مَا رَابِعٌ أَبَداً بِذِي إِمْكَانِ
أَحَدُ الطَّوَائِفِ مُشْرِكٌ بِإِلَٰهِهِ فَإِذَا دَعَاهُ دَعَا إِلَٰهاً ثَانِ
هٰذَا وَثَانِي هَذِهِ الأَقْسَامِ ذَلِكَ جَاحِدٌ يَدْعُو سِوَى الرَّحْمَانِ
هُوَ جَاحِدٌ لِلرَّبِّ يَدْعُو غَيْرَهُ شِرْكاً وَتَعْطِيلاً لَهُ قَدَمَانِ
هٰذَا وَثَالِثُ هَذِهِ الأَقْسَامِ خَيْرُ الْخَلْقِ ذَاكَ خُلَاصَةُ الإِنْسَانِ
يَدْعُو إِلَٰهَ الْحَقِّ لَا يَدْعُو أَحَداً سِوَاهُ قَطُّ فِي الأَكْوَانِ
يَدْعُوهُ فِي الرَّغَبَاتِ وَالرَّهَبَاتِ وَالْحَالَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

وقد أنكر الله ذلك الدعاء على من زعم في الرسل والملائكة ، وذلك كما قال تعالى : ﴿ قُلْ ادْعُو الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِ اللَّهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُم وَلاَ تَحْوِيلاً ﴾ [الاسراء : ٥٦] .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وأمه وعزيراً والملائكة ، فأنكر الله ذلك وقال : هؤلاء عبيدي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ، وهؤلاء الذين نزلت هذه الآية في إنكار دعوتهم من أوليائه وأحبابه . وقد تقدم أن الدعاء وجميع أنواع العبادة حق الله المحض كما تقدم في الآيات .

والحاصل أن اللّه تعالى لم يأذن لأحد أن يتخذ شفيعاً من دونه يسأله ، ويرغب إليه ، ويلتجأ إليه ، وهذه هي العبادة. ومن صرف من ذلك شيئاً لغير اللّه فقد أشرك مع اللّه غيره ، كما دلت عليه الآيات المحكمات ؛ وهذا ضد إفراد اللّه بالعبادة. وكيف يتصور إفراد اللّه بالعبادة وقد جعل العبدُ ملاذاً ومفزعاً سواه؟ فإن هذا ينافي الإفراد ، فأين ذهب عقل هذا وفهمه ؟!

قال شيخ الإسلام رحمه اللّه : العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللّه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .[(١)] انتهى .

وقد تبيّن أن الدعاء مخ العبادة ، وهو مما يحبه ويأمر به عباده ، وأن يخلصوه له . وقد تقدم من الآيات ما يدل على ضلال من فعل ذلك وكفره وبهذا يحصل الجواب عن قول المعترض : إن الشفاعة المنفية إنما هي في حق الكفار ؛ فنقول : فمن اتخذ معبوداً سوى اللّه يرجوه أو يخافه فقد كفر .

وتأمّل قول اللّه تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ

---

(١) انظر رسالة العبودية لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ضمن هذه المجموعة ص (٤٥٣) .

يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [النحل: ٢٠ ـ ٢٢] فبيَّن تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون اللَّه،وأن من دعاه فقد أشرك مع اللَّه غيره في الإلٰهية ، والقرآن من أوله إلى آخره يدل على ذلك . وكذلك سنة رسول اللَّه ﷺ ، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن ، كما حجبوا عن الإيمان بجهلهم وضلالهم وإعراضهم ، كما أنزل في كتابه من بيان دينه الذي رضيه لنفسه ورضيه لعباده .

قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه اللَّه تعالى : وحقيقة التوحيد أن يعبد اللَّه وحده ، لا يُدعىٰ إلا هو ، ولا يخشى ولا يتقى إلا [هو] ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يكون الدين إلا له ، وأن لا يُتخذ الملائكة والنبيون أرباباً ، فكيف بالأئمة والشيوخ ، فإذا جعل الإمام والشيخ كأنه إلٰه يدعى مع غيبته وموته ، ويستغاث به ، ويطلب منه الحوائج كأنه مشبَّه باللَّه ، فيخرجون عن حقيقة التوحيد أصله شهادة أن لا إلٰه إلَّا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه . اهـ .

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ »[1] . فلو جاز أن يسأل رسول اللَّه ﷺ لما قصر سؤاله واستعانته على اللَّه وحده .

وابن عباس أحق الناس بأن يعلمه رسول اللَّه ﷺ ما فيه له منفعة ، فلو جاز صرف ذلك لغير اللَّه لقال : واسألني ، واستعن بي ، بل أتى ﷺ بمقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد إخلاص السؤال والاستعانة على اللَّه تعالى . فأين ذهبت عقول هؤلاءِ الضُّلَّال عن هذه النصوص ؟! واللَّه المستعان .

وقال الشيخ رحمه اللَّه : واعلم أن لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول

---

(١) تقدم تخريجه ص (٤٠٨) .

معنيين : دعاء العبادة ، ودعاء المسألة . وكل عابد سائل ، وكل سائل عابد ، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، وإذا جمع بينهما فإنه يراد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة ، ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب . ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر ، وإن لم يكن هناك صيغة سؤال . ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو دعاءَ مسألة من الرغب والرهبة والخوف والطمع . اهـ .

فتبين أن أبيات « البردة » التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

وقول المعترض : لا سيما والناظم على جانب عظيم من الزهد والورع والصلاح ، بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه[1] ، وهذا كله صار هباءً منثوراً حيث لم يرضوا عنه .

أقول : هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب ، والظاهر أنه لا حقيقة لذلك ، فإنه لا يعرف إلاَّ بهذه « المنظومة » ، فلو قدِّر أن لذلك أصلاً ، فلا ينفعه ذلك مع تلك الأبيات ، لأن الشرك يحبط الأعمال ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨]. وقد صار العمل مع الشرك هباءً منثوراً .

قال سفيان بن عيينة : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون ، فإن كان للرجل عبادة ، فقد فتن بأبياته كثير من الجهال ؛ وعبادته إن كانت ، فلا تمنع كونه ضالاً كما يرشد إلى ذلك آخر الفاتحة .

قال سفيان بن عيينة : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد

---

(١) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري . شرف الدين أبو عبد الله ، شاعر ، نسبته إلى بوصير ، أصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون ، ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية سنة ٦٠٨ هـ ووفاته بالاسكندرية سنة ٦٩٦ هـ له « ديوان شعر » مطبوع وأشهر شعره البردة والهمزية . ا هـ . « الأعلام » ٦ : ١٣٩ .

من عبّادنا ففيه شبه من النصارى . فالواجب علينا أن نبيّن ما في كلامه مما يسخط اللّه ورسوله من الشرك والغلوّ .

وأما الشخص وأمثاله ممن قد مات ، فيسعنا السكوت عنه ، لأنا لا ندري ما آل أمره إليه ، وما مات عليه . وقد عرف أن كلام خالد الأزهري لا حجة فيه ، وأهل الغلو والشرك ليس عندهم إلّا المنامات والأحوال الشيطانية التي يحكيها بعضهم عن بعض ، كما قال لي بعض علماء مصر : إن شيخنا مشى بأصحابه على البحر . فقال : لا تذكروا غيري ، وفيهم رجل ذكر اللّه فسقط في البحر ، فأخذ بيده الشيخ فقال : ألم أقل لكم : لا تذكروا غيري[١]؟ فقلت : هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما : أحدهما : أن تكون مكذوبة مثل أكاذيب سدنة الأوثان ، أو أنها حال شيطانية ، وأسألك أيها الحاكي لذلك : أيكون فيها حجة على جواز دعوة غير اللّه ؟ فأقرَّ وقال : لا حجة فيها على ذلك .

والمقصود بيان أنه ليس عند الغلاة من الحجة ما زخرفوه أو حرَّفوه أو كذَّبوه وما قال اللّه وقال رسوله ، فهذا بحمد اللّه كله عليهم لا لهم ، وما حرَّفوه من ذلك ردَّ إلى صحيح معناه الذي دل عليه لفظه مطابقة وتضمناً والتزاماً . قال تعالى : ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُم إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُروراً وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُم وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٢].

وذكر المعترض حكاية ، يقول عن غير واحد من العلماءِ العظام : أنه رأى النبي ﷺ و « المنظومة » تنشد بين يديه ، إلى قوله :

لكن الخصم مانع ذلك كله بقوله : إنهم كفار .

---

(١) وكم سود الشعراني « طبقاته » بمثل هذه الترهات والأباطيل وسماها كرامات .

فالجواب أن يقال : ليس هذا وجه المنع وإنما وجهه أنها حكاية مجهولة عن مجهول . وهذا من جنس إسناد الكذابين . فلو قيل : من هؤلاء العظام ؟ وما أسماؤهم ؟ وما زمنهم ؟ وما طبقتهم ؟ لم يدر عنهم . وأخبار المجهولين لا تقبل شهادة ولا رواية يقظة ؛ فكيف إذا كانت أحلاماً ؟! والمعترض كثيراً ما يحكي عن هيان بن بيّان .

ثم قال المعترض على قول المجيب : وطلب الشفاعة من النبي ﷺ ممتنع شرعاً وعقلاً . قال المعترض : من أين هذا الامتناع ؟ وما دليله من العقل والسمع ؟

فالجواب أن يقال : معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن مثلك ، وإنما معرفتك في اللجاج الذي هو كالعجاج الذي يحوم في الفجاج . أما دليله من السمع فقد تقدم في آيات الزمر ويونس وغيرها ، وقد بسطنا القول في ذلك بما يغني عن إعادته ، فليرجع إليه .

وأما دليله من العقل ، فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل ، بأن النجاة والسعادة والفلاح وأسباب ذلك كله لا تحصل إلا بالتوجه إلى اللّٰه تعالى وحده ، وإخلاص الدعاء والالتجاء له وإليه ، لأن الخير كله بيده ، وهو القادر عليه. وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء ، كما قال تعالى : ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣]. فتسوية المخلوق بالخالق خلاف العقل، كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧]، فالذي له الخلق والأمر والنعم كلها منه ، وكل مخلوق فقير إليه ، لا يستغنى عنه طرفة عين ، هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب إليه ، ويرهب منه ، ويتخذ معاذاً وملاذاً ، ويتوكل عليه . وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَىٰ اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥]، وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون في

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢] : أي لا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

ولهذا قال سعيد بن جبير : التوكل جماع الإيمان . ذكره العلماء في تفسيره ، وليتأمل ما ذكره اللَّه عن صاحب ياسين من قوله : ﴿ أَأَتَخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُم شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ * إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ٢٣ - ٢٤]. فهذا دليل فطري عقلي سمعي .

وأما قول المعترض : إن قول الناظم :

ومن علومك علم اللوح والقلم

إنَّ « من » بيانية . فالجواب أنه ليس كما قال ، بل هي تبعيضية ، ثم لو كانت بيانية ، فما ينفعه والمحذور بحاله ، وهو أنه يعلم ما في اللوح المحفوظ .

وقد صرح المعترض بذلك فقال : ولا شك أنه أوتي علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما يكون .

فالجواب : هذه مصادمة لما هو صريح في كتاب اللَّه ، وسنَّة رسوله ، بأن الإحاطة بما في اللوح المحفوظ علماً ليس إلَّا للَّه وحده ، وكذلك علم الأولين والآخرين ليس إلَّا للَّه وحده ، إلا ما أطلع اللَّه عليه نبيه في كتابه ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِن عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فالرجل في عمىً عن قول اللَّه تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِن عِلْمِهِ﴾ وقال تعالى :﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ

عِلْماً ﴾ [الطلاق: ١٢]. وقد تقدم لهذه الآيات نظائر . فاحاطة العلم بالموجودات والمعدومات التي وجدت واستوجدت للَّه وحده ، لم يجعل ذلك لأحد سواه .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧] فأسند علم وقت الساعة إلى ربه بأمره ، كقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٤]. وأمثال هذه الآيات ، مما يدل على أن اللَّه تعالى اختص بعلم الغيب كله ، إلَّا ما استثناه بقوله : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِن عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. و﴿من﴾ تبعيضية هاهنا بلا نزاع .

وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام : « ما نقص علمي وعلمك في علم اللَّه إلَّا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر »[1] ، فتأمل هذا وتدبَّر .

وأما قول المعترض وتأويله لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، فتأويل فاسد ، ما قاله غيره ولا يقوله مسلم ، من أنه يعلم الغيب بتعليم اللَّه له. والمنفي في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه اللَّه ذلك . فما أجرأ هذا الجاهل على هذا التأويل ، وما أجهله باللَّه وبكتابه ؟! فيقال في الجواب : لا ينفعك هذا التأويل الفاسد ، إذ لو كان أحد يعلم جميع الغيب بتعليم اللَّه ، لصدق عليه أن يقال : هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه اللَّه ، فما بقي على هذا ، لقصر علم الغيب على اللَّه في هذه الآية

---

(١) قطعة من حديث طويل رواه ٨/ ٣١٠ ـ ٣٢٢ في تفسير سورة الكهف : باب :﴿وإذا قال موسى لفتاه﴾ وفي أبواب عدة ، ومسلم رقم (٢٣٨٠) في فضائل : باب فضائل الخضر عليه السلام ، والترمذي رقم (٣١٤٨) في التفسير: باب ومن سورة الكهف ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

معنى ، وحصل الاشتراك ، نعوذ بالله من الإفتراءِ على الله وعلى كتابه وصرف ما لم ينزل به سلطاناً .

وأما قوله في قول الناظم :

إنْ لَمْ تَكُنْ في مَعَادِي آخذاً بِيَدِي فَضْلاً وَإلاّ فَقُلْ يَا زَلَّةَ القَدَمِ

إن الأخذ باليد هي الشفاعة . فالجواب أن حقيقة هذا القول وصريحه طلب ذلك من غير الله ، فلو صح هذا الحمل فالمحذور بحاله لما قد عرفت من الاستغاثة بالأموات والغائبين والاستشفاع بهم في أمر هو في الله ممتنع حصوله ، لكونه تألهاً وعبادة ، وقد أبطله القرآن .

فهذا المعترض الجاهل يدور على منازعة الله في حقه وملكه وشمول علمه ، والله يجزيه بعلمه .

وأما قوله : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إلّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ٥٩] فقيل : المراد بها الخمس المذكورة في سورة لقمان . فهذا قبل أن يطلع نبيه عليها ، وإلا فقد ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله تعالى حتى علّمه كل شيء حتى الخمس .

فالجواب : انظر إلى هذا المفتري الجاهل البليد ، كيف اقتفى أثر صاحب الأبيات بجميع ما اختلقه وافتراه ، وأكثر من الأكاذيب على أهل العلم ، فإن قوله : ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله حتى علمه كل شيء حتى الخمس ؛ فحاشا أهل العلم الذين يعرفون بأنهم من أهل العلم من هذه المقالة ، وعامة أهل العلم بل كلهم على خلاف ما ادَّعاه سلفاً وخلفاً .

قال أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله في « تفسيره الكبير » الذي فاق على التفاسير : ابتدأ تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة . فقال تعالى : ﴿ إنَّ

اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ التي تقوم فيها القيامة لا يعلم ذلك أحد غيره ﴿ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ﴾ مِنَ السماء ، لا يقدر على ذلك أحد غيره ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ﴾ أرحام الإناث ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ﴾ يقول : وما تعلم نفس حيّ ماذا تعمل في غد ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ يقول : وما تعلم نفس حي بأي أرض يكون موتها ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٣٤] يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو اللَّه دون كل أحد سواه .

وذكر سنده عن مجاهد ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : امرأتي حبلى ، فأخبرني ماذا تلد ، وبلادنا جدبة فأخبرني متى ينزل الغيث ، وقد علمت متى ولدت فمتى أموت ، فأنزل اللَّه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ إلى آخر السورة .

قال : فكان مجاهد يقول : هنَّ مفاتح الغيب التي قال اللَّه : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

وأخرج بسنده عن قتادة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الآية خمس من الغيب استأثر اللَّه بهن ، فلم يطلع عليهن ملكاً مقرَّباً ، ولا نبياً مرسلاً .

وبسنده عن عائشة من قال : إن أحداً يعلم الغيب إلاَّ اللَّه فقد كذب وأعظم الفرية على اللَّه .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥].

وبالسند عن عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال : « مَفَاتِحُ الغَيبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ﴾ الآية [لقمان: ٣٤]. ثم قال: « لَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا

اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَتَىٰ يَنْزِلُ الغَيْثَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمَ أَحَدٌ مَتَىٰ قِيامِ السَّاعَةِ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا فِي الأَرْحَامِ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ »[1] .

وبسنده عن مسروق ، عن عائشة قالت : من حدَّثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان : ٣٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ ﴾ . . الآية انتهى ما ذكره ابن جرير .

وذكر البغوي في تفسير حديث ابن عمر وعائشة المتقدم ، ثم قال : وقال الضَّحَّاك ومقاتل : مفاتح الغيب : خزائن الأرض . وقال عطاء : ما غاب عنكم من الثواب . وقيل : انقضاء الأجل . وقيل : أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم . وقيل : ما لم يكن بعدُ أنه يكون أم لا يكون ، وما لا يكون كيف يكون ؟ انتهى .

قلت : ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات ، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزل اللّه في كتابه ، وما أخبر به عن نفسه ، أو أخبر به رسوله ﷺ ، وأجمع عليه العلماء ، فان اللّه استأثر بعلمه عن خلقه ، ووصف نفسه بأنه علَّام الغيوب ، ونعوذ باللّه من حال أهل الافتراء والتكذيب .

---

(١) أخرجه البخاري ٨/٣٩٥ ـ ٣٩٦ في تفسير سورة لقمان : باب قوله : ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ ، وفي الاستسقاء : باب لا يدري متىٰ يجيء المطر إلا الله ، وفي تفسير سورة الأنعام : باب ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ ، وفي تفسير سورة الرعد : باب ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى ﴾ ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد﴾ .

وأما قوله : ولو أن عبارات أهل العلم مثل البيضاوي ، وأبي السعود ، والقسطلاني وأمثالهم تجدي إليكم شيئاً لذكرناها ، لكنها تمحى بلفظة واحدة ، وهي أنهم كلهم كفار فلا نقبل منهم أحداً ؛ ومن هذه حاله فلا حيلة به ، فالجواب : أنه ليس للبيضاوي ومن ذكر عبارات تخالف ما قاله السلف والعلماء في معنى الآيات ، ومعاذ اللّه أن يقول المجيب : إن هؤلاء كفار ، ولا يوجد عن أحد من علماءِ المسلمين أنه كفَّر أحداً قد مات من هذه الأمة ، ممن ظاهره الإسلام ، فلو وجد في كلامه زلَّة من شرك أو بدعة . فالواجب التنبيه عن ذلك . والسكوت عن الشخص ، لما تقدم من أنا لا ندري ما خاتمته .

وأما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين ، فإنهم من المتأخرين الذين نشؤوا في اغتراب من الدين ، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على عبارات أهل الكلام مخالفة لما عليه السلف ، وأئمة الاسلام من الإرجاء ، ونفي حكمة اللّه ، وتأويل صفات اللّه ، وسلب معانيها ما يقارب ما في « كشاف الزمخشري » ، والارجاء والجبر يقابل ما فيه من نفي القدر ، وكلاهما في طرفي نقيض .

وكل واحد خالف ما عليه أهل السنة والجماعة في ذلك ، ومعلوم أن صاحب «الكشاف» أقدم من هؤلاء الثلاثة وأرسخ قدماً منهم في فنون العلم ؛ ومع هذا فقال شيخ الاسلام البلقيني : استخرجت ما في « الكشاف » من دسائس الاعتزال بالمناقيش .

وقال أبو حيان وقد مدح « الكشاف » وما فيه من لطيف المعنى ، ثم قال :

وَلٰكِنَّهُ فِيهِ مَجَالٌ لِنَاقِدٍ ... وَزَلَّاتُ سُوءٍ قَدْ أَخَذْنَ الْمَخَانِقَا
فَيُثْبِتُ مَوْضُوعَ الْأَحَادِيثِ جَاهِلًا ... وَيَعْزُو إِلَى الْمَعْصُومِ مَا لَيْسَ لَائِقَا
وَيَنْسِبُ إِبْدَاءَ الْمَعَانِي لِنَفْسِهِ ... لِيُوهِمَ أَغْمَاراً وَإِنْ كَانَ سَارِقَا

وَيُسْهِبُ في الْمَعْنَى الْوَجِيزِ دَلَالَةً بِتَكْثِيرِ أَلْفَاظٍ تُسَمَّى الشَّقَاشِقَا
يُقَوِّلُ فيهَا اللَّهَ مَا لَيْسَ قَائِلاً وَكَانَ مُحِبّاً في الخَطَابَةِ وَامِقَا
وَيَشْتِمُ أَعْلَامَ الْأَئِمَّةِ ضِلَّةً وَلَا سِيَّمَا إِنْ وَلَّجُوهُ الْمَضَائِقَا

إلى أن قال :

لِئَنْ لَمْ تُدَارِكْهُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ لَسَوْفَ يُرى لِلْكَافِرِينَ مُرَافِقَا

فإذا كان هذا في تفسير مشهور ، وصاحبه معروف بالذكاء والفهم ، فما دونه من المتأخرين أولى بأن لا يتلقى من كلامهم بالقبول إلا ما وافق تفسير السلف ، وقام عليه الدليل .

وهذا المعترض من جهله يحسب كل بيضاء شحمة ، يعظم المفضول من الأشخاص والتصانيف ، ولا يعرف ما هو الأفضل .ولو كان له أدنى مسكة من فهم ، ومعرفة للعلماءِ ومصنفاتهم ؛ لعلم أن أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير ، هذه الثلاثة التي نقلنا منها : تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي ، وتفسير العماد إسماعيل بن كثير ، فهذه أجل التفاسير ، ومصنفوها أئمة مشهورون ، أهل سنة ، ليسوا بجهمية ، ولا معتزلة ، ولا قدرية ، ولا جبرية ، ولا مرجئة بحمد اللّه . وأكثر ما في هذه التفاسير الأحاديث الصحيحة ، وآثار الصحابة ، وأقوال التابعين وأتباعهم ؛ فلا يرغب عنها إلا الجاهلون الناقصون المنقوصون ، واللّه المستعان .

والمصنفون في التفسير وغيره غير ما ذكر : البيضاوي وأبو السعود ، و « البحر » لأبي حيان ، لأن ما ينقله في تفسيره عن السلف والأئمة ، وكذلك تفسير الخازن .

وبالجملة فمن كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلفين ، وذكر

عباراتهم ، ويعتمد أقوال السلف ، فهو الذي ينبغي النظر إليه ، والرغبة فيه . وعلى كل حال ، فليس في تفسير البيضاوي وأبي السعود وشرح القسطلاني ومواهبه ما ينفع هذا الجاهل المفتري ؛ وكل يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول الله ﷺ .

وقول المعترض على قول المجيب : علماؤهم شرٌّ من تحت أديم السماء . فيقال : هل ورد هذا الحديث في أهل العراق ، فهم على عهد النبي ﷺ كفّار مجوس ، أو فيما يأتي ؟ فهذه شناعة على غالب علماء الأمة ، ومنهم الامام أبو حنيفة ، والامام أحمد ، وأمثالهم .

فالجواب : أن هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئاً ، ولا يفرق بين أهل السنة والجماعة ، وأهل البدعة والضلالة . ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَعْبُدُ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَىٰ ذٰلِكَ » . رواه البرقاني في « صحيحه »[(١)] .

وقد أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى ، فاليهود افترقت على إحدى وسبعين ، والنصارى على اثنتين وسبعين ، وهذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة .

وأول من فارق الجماعة في عهد الصحابة رضي الله عنهم الخوارج ،

---

(١) ورواه أبو داود في «سننه» رقم (٤٢٥٢) في الفتن والملاحم : باب ذكر الفتن ودلائلها، وابن ماجة رقم (٣٩٥٢) في الفتن : باب ما يكون من الفتن ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٥/٢٧٨ و٢٨٤ من حديث ثوبان رضي الله عنه ، واسناده صحيح ، ورواه الترمذي مختصراً من حديث ثوبان رضي الله عنه رقم (٢٢٣٠) في الفتن : باب ما جاء في الأئمة المضلين ، ورواه أحمد في « المسند » ٤/١٢٣ من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه . وقد تقدم تخريجه ص (٢٤٠) .

قاتلهم علي رضي اللّه عنه بالنهروان ، والقدرية في أيام ابن عمر وابن عباس وأكثر الصحابة موجودون .ومن دعاتهم معبد الجهني ، وغيلان القَدَري الذي قتله هشام ابن عبد الملك. وكذلك الغُلاة في عليٍّ الذين خدَّ لهم عَليٌّ الأخاديد، وحرقهم بالنار ، ومنهم المختار ابن أبي عبيد الذي قتله مصعب بن الزبير ؛ ادَّعى النبوة وتبعه خلق كثير. ثم ظهرت فتنة الجهمية، وأول من أظهرها الجعد بن درهم، قتله خالد بن عبـد اللّه القسري .

والصحابة رضي اللّه عنهم والتابعون ، والأئمة متوافرون وقت ظهور مبادىء هذه البدع ، لم يلحقهم من ضـلال هذه الفرق شناعـة ولا غضاضـة ، لأنهم متمسكون بالكتاب والسنة ، منكرون لما خالف الحق .

وصح من حديث أنس قال : « لَا يَأْتِي عَلَىٰ النَّاسِ زَمانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّىٰ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ » سمعته من نبيكم ﷺ(١) .

وظهرت بدعة [الجهم بن] صفوان في زمن أبي حنيفة وأنكرها وناظرهم ، وانتشرت في زمن الإمام أحمد رحمه الله والفقهاء وأهل الحديث ، وامتحن الإمام أحمد فتمسك بالحق وصبر،وصنف العلماء رحمهم اللّه المصنفات الكبار في الرد على الجهمية ـ القائلين بخلق القرآن ، المعطلين لصفات الملك الديان ـ كالامام أحمد في رده المعروف ، وابنه عبد اللّه وعبد العزيز الكناني في كتاب « الحيدة » وأبي بكر الأثرم ، والخلال ، وعثمان بن سعيد الدارمي ، وإمام الأئمة محمد بن خزيمة ، واللالكائي ، وأبي عثمان الصابوني ، وقبلهم وبعدهم ممن لا يحصى .

---

(١) رواه البخاري ١٣/ ١٦ في الفتن : باب ظهور الفتن ، عن الزبير بن عدي ، وهو من صغار التابعين . قال : أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج ، فقال : اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم ، سمعته من نبيكم ﷺ .

وهذا كله إنما هو في القرون الثلاثة المفضلة ، ثم بعدها ظهرت كل بدعة : بدعة الفلاسفة ، وبدعة الرافضة ، وبدعة المعتزلة ، وبدعة المجبرة ، وبدعة أهل الحلول ، وبدعة أهل الاتحاد ، وبدعة الباطنية الاسماعيليّة ، وبدعة النصيرية والقرامطة ونحوهم .

وأما أهل السنة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء الطوائف بحمد الله ؛ فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان .

والبلد الواحد من هذه هؤلاء الأمصار يجتمع فيها أهل السنة وأهل البدعة ، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ؛ ويناضلونهم بالحجج والبراهين .

وظهر معنى قول النبي ﷺ : « خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ »(١) وقال « بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَكُونُ غَرِيباً كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يَصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ »(٢) .

---

(١) رواه البخاري ٥/ ١٩٠ في الشهادات : باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد ، و١١/ ٢١٢ في الرقاق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، و١١/ ٢٠٤ في الأيمان والنذور : باب إثم من لا يفي بالنذر ، و٧/ ٤ في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، ومسلم رقم (٢٥٣٥) في فضائل الصحابة ، وأبو داود رقم (٤٦٥٧) في السنة : باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ ، والترمذي رقم (٢٢٢٢) و(٢٢٢٣) في الفتن : باب ما جاء في القرن الثالث ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٤٢٦ و٤٢٧ و٤٧٩ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه .

وفي الباب عن عبد الله بن مسعود ، وعمر بن الخطاب ، والنعمان بن بشير ، وبريدة الأسلمي رضي الله عنهم . وقد تقدم تخريجه ص (٢٩٣) .

(٢) رواه مسلم رقم (١٤٦) في الإيمان : باب بيان الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً من حديث عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ، وتمامه « وهو يأخذ يأزر بين المسجدين ، كما تأزر الحية في جحرها » ، =

وفي رواية : « يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ » .

وقد صنف العلماء رحمهم الله مصنفات ، وبينوا ما تنتحله كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه أهل الفرقة الناجية ، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص في مخالفة هذه الفرق كلها ، وإنما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها بالحق ، وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة ، والاحتجاج بالحق ونصرته ، ما ظهر فضل الامام أبي حنيفة والامام أحمد ومن قبلهما من الأئمة ومن بعدهما إلا بتمسكهم بالحق ونصرته ، وردهم الباطل . وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وأصحابه حين أجلب عليهم أهل البدع وآذوهم ، بل أظهر الله بهم السنة ، وجعل لهم لسان صدق في الأمة ، وكذلك من قبلهم ومن بعدهم ، كشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى لما دعا إلى التوحيد ، وبين أدلته ، وبين الشرك وما يبطله .

وفيه قال الامام العلامة الاديب أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى :

وَعَادَ بِهِ نَهْجُ الغِوَايَةِ طَامِسَاً ... وَقَدْ كَانَ مَسْلُوكاً بِهِ النَّاسُ تَرْبَعُ
وَجَرَّتْ بِهِ نَجْدُ ذُيُولَ افْتِخَارِهَا ... وَحُقَّ لَهَا بِالأَلْمَعِيِّ تَرَفُّعُ
فَآثَارُهُ فِيهَا سَوَامٍ سَوَافِرُ ... وَأَنْوَارُهُ فِيهَا تُضِيءُ وَتَسْطَعُ

فهذا المعترض لو تصور وعقل ، لتبين له أن ما احتج به ينقلب حجة عليه .

= ورواه أحمد ٢/ ٣٨٩ ، ومسلم رقم (١٤٥) ، وابن ماجة رقم (٣٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وتمامه « فطوبى للغرباء » ، وأحمد ٤/ ٧٣ من حديث عبد الرحمن بن سنة وتمامه « قيل : يا رسول الله من الغرباء ؟ » قال : « الذين يصلحون إذا فسد الناس » ، ورواه أحمد ١/ ١٨٤ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ،ورواه أحمد ١/ ٣٩٨ والدارمي رقم(٢٧٥٨)،والترمذي رقم (٢٦٣١) ، وابن ماجه رقم (٣٩٨٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وللحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله رسالة في هذه الأحاديث وشرحها وسماها « كشف الكربة في وصف أهل الغربة » وقد طبعت أكثر من مرة . وقد تقدم تخريجه ص (١٤٠) .

وقول المعترض : وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين ، فهذا ظاهر البطلان ، إذ هي مهبط الوحي ، ومنبع الايمان .

ولو قيل : إن هذا الحديث وأمثاله ورد في ذم نجد وأهلها ، فقد ورد في ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة ، منها قوله ﷺ : « لَا يَزَالُونَ فِي شَرٍّ مِنْ كَذَّابِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ »(١) .

فالجواب أن نقول : الأحاديث التي وردت في غربة الدين ، وحدوث البدع وظهورها ، لا تختص بمكة والمدينة ولا غيرهما من البلاد ، والغالب أن كل بلد لا يخلو من بقايا متمسكين بالسنة ، فلا معنى لقوله : وإن كان قد ورد في حق أهل الحرمين في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم بل في وقت الخلفاء الراشدين ما هو معروف عند أهل العلم ، مشهور في السير والتاريخ ، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم وقعت الحرة المشهورة ، ومقتل ابن الزبير في مكة ، وما جرى في خلال ذلك من الفتن وصارت الغلبة في الحرمين وغيرهما لأهل الأهواء . فاذا كان هذا وقع في خير القرون ، فما ظنك فيما بعد ، حين اشتدت غربة الاسلام ، وعاد المنكر معروفاً والمعروف منكراً ، فنشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ؟ !

وأما قوله : إذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان .

فالجواب أن نقول : مهبط الوحي في الحقيقة قلب رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ـ ١٩٤]، وقال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت : ٤٩]، فهذا محل الوحي ومستقره . وقوله منبع الايمان ، الإيمان

---

(١) هذا من كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كما سيأتي ص (٤٢٨) .

ينزل به الوحي من السماءِ لا ينبع من الأرض ، ومحله قلوب المؤمنين . وهذه السُّوَر المكية ـ في القرآن معلومة ـ التي نزلت على النبي ﷺ وأكثر من في مكة المشركون ، وفيها ذمهم والرد عليهم ، كقوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ [الأنعام : ٦٦]، وقال : ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام : ٢٦]، وقوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣]. ونحو هذه الآيات كما في ﴿ فصلت ﴾ و ﴿ المدثر ﴾ وغيرهما ؛ ثم هاجر النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة وأهل الشرك لم يزالوا بها ، ومنعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من دخولها بالوحي ، وقاتلوهم ببدر ، وأُحد والخندق ، وهم كانوا من آخر العرب دخولاً في الإسلام ، حاشا من هاجر ، وكل هذا بعد نزول الوحي .

ونحن بحمد الله لا ننكر فضل الحرمين ، بل ننكر على من أنكره ، ولكن نقول : الأرض لا تقدس أحداً ؛ وإنما يقدس المرء علمه وعمله ، فالمحل الفاضل لكثرة ثوابه ، وأهل الباطل لا يزيدهم إلا شراً ، تعظم فيه سيئاتهم ، كما قال تعالى في حرم مكة : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج : ٢٥]، فاذا كان هذا الوعيد في الارادة ، فعمل السوءِ أعظم ، فالعول على الايمان والعمل الصالح ، ومحله قلب المؤمن ، والناس مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر . وقوله : ولو قيل إن هـذا الحديث ورد في ذمِّ نجـد وأهلها . . إلى آخـره ، فأقـول : الذم إنمـا يقـع في الحقيقـة على الحـال لا على المحـل ، والأحاديث التي وردت في ذم نجد ، كقوله ﷺ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَـا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنا » قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : « هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ »(١) . قيل : إنه أراد نجد العراق، لأن في بعض ألفاظه ذكر

(١) البخاري ٢/٤٣٢ في الاستسقاء : باب ما قيل في الزلازل والآيات ، و١٣/٣٩ في الفتن : باب قول النبي ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق » . =

المشرق[1] ، والعراق شرقي المدينة ، والواقع يشهد له ، لا نجد الحجاز ، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث .

فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن ما لم يجر في نجد الحجاز ، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ ، كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وكمقتل الحسين وفتنة ابن الأشعث ، وفتنة المختار وقد ادَّعى النبوة ، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله ، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال والسفك ، وغير ذلك مما يطول عدُّه .

وعلى كل حال ، فالذم يكون في حال دون حال ، ووقت دون وقت ، بحسب حال الساكن ، لأن الذم إنما يكون للحال دون المحل ، وإن كانت الأماكن تتفاضل ، وقد تقع المداولة فيها ، فان الله يداول بين خلقه حتى في البقاع ، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر .

وأما قول المعترض : منها قوله ﷺ : « لَا يَزَالُونَ فِي شَرٍّ مِن كَذَّابِهِمْ » .

فالجواب : إن هذا من جملة كذبه على رسول الله ﷺ ، وجهله بالعلم ، لا يميز بين الحديث وغيره . وهذا الكلام ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في نفر من بني حنيفة ، سكنوا الكوفة في ولاية ابن مسعود عليها ، وكانوا في مسجد من مساجدها ، فسمع منهم كلمة تشعر بتصديق مسيلمة ، فأخذهم عبد الله بن مسعود ، وقتل كبيرهم ابن النواح ، وقال في الباقين : لا يزالون في بلية من كذابهم . يعني ذلك النفر ، يذم نجداً بنفر أحدثوا حدثاً في العراق ، وقد أفنى اللّه كل من حضر مسيلمة في القرن الأول ، ولم يبق بنجد من يصدق مسيلمة

= قال الخطابي : نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها ، وهي مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد ما ارتفع من الأرض ، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ، ومكة من تهامة . اهـ .

(١) قال الحافظ في « الفتح » : عن فضيل بن غزوان : سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول : يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم الكبيرة سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الفتنة تجيء من ها هنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان» .

الكذّاب ؛ بل من كان في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم بنجد يكفّرون مسيلمة ويكذبونه ، فلم يبق بنجد من فتنة مسيلمة لا عين ولا أثر ، فلو ذم نجداً بمسيلمة بعد زواله وزوال من يصدقه ، لذم اليمن بخروج الأسود العنسي ودعواه النبوة .

وما ضر المدينة سكن اليهود فيها وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه ، ومعقل الاسلام ؛ وما ذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول ﷺ ، وشدة عداوتهم له ، بل هي أحب أرض الله إليه ؛ فاذا كان الأمر كذلك ، فأرض اليمامة لم تعص الله ، وإنما ضرت المعصية ساكنيها بتصديقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله ، فطهّر الله تلك البلاد منهم ، ومن سلم منهم من القتل دخل في الاسلام ، فصارت بلادهم بلاد إسلام ، بنيت فيها المساجد ، وأقيمت الشرائع ، وعبد الله فيها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم ، ونفر كثير منهم مع خالد بن الوليد لقتال العجم فقاتلوا مع المسلمين ، فنال تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد أهل الاسلام . على أنها تفضًل على كثير من البلاد بالحديث الذي رواه البخاري في « صحيحه » أن النبي ﷺ قال وهو بمكة لأصحابه : « أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتَكُمْ » ، فوصفها ثم قال : « فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو يثرب »(١) .

ورؤيا النبي ﷺ هي حق ، وكفى بهذا فضلاً لليمامة وشرفاً لها على غيرها ، فإن ذهاب وهله ﷺ في رؤياه إليها ، لا بد أن يكون له أثر في الخير يظهر ، فظهر ذلك الفضل بحمد الله في القرن الثاني عشر ، فقام الداعي يدعو الناس إلى ما دعت إليه الرسل من إفراد الله بالعبادة ، وترك عبادة ما سواه ، وإقامة

---

(١) قطعة من حديث الهجرة رواه البخاري في الكفالة : باب جوار أبي بكر في عهد النبي ﷺ وعقده ، وفي أبواب وكتب عدة . من حديث عائشة رضي الله عنها . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » ١١/ ٥٨٥ ـ ٥٩٢ .

الفرائض والعمل بالواجبات ، والنهي عن مواقعة المحرمات ، وظهر فيها الاسلام أعظم من ظهوره في غيرها في هذه الأزمان ، ولولا ذلك ما سبَّ هؤلاء نجداً أو اليمامة بمسيلمة . إذا عرف ذلك ، فليعلم أن مسيلمة وبني حنيفة إنما كفروا بجحودهم بعض آية من كتاب الله جهلاً وعناداً .

وهذا المعترض وأمثاله جحدوا حقيقة ما بعث الله به رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيات المحكمات التي تفوت الحصر ، وعصوا رسول الله ﷺ بارتكاب ما نهى عنه من الغلوِّ والشرك ، فجوَّزوا أن يدعى مع الله غيره. وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القرآن ، وجوَّزوا أن يستعان بغير اللّه ، وقد نهى اللّهُ ورسوله عن ذلك ، وجوَّزوا الالتجاء إلى الغائبين والأموات والرغبة إليهم ، وقد نهى اللّه ورسوله عن ذلك أشد النهي ، وجعلوا للّه شريكاً في ملكه وربوبيته كما جعلوا له شريكاً في الإلَهيَّة ، وجعلوا له شريكاً في إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها .

وقد قال تعالى مبيناً لما اختص به من شمول علمه : ﴿ اللّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَـزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْـدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَـالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالِ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ﴾ الآية [الرعد: ٨ ـ ١٤] .

وهذه الأصول كلها في الفاتحة ، يبيّن تعالى أنه هو المختص بذلك دون كل من سواه .

ففي قوله : ﴿ الحَمْـدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [الفـاتحة : ١]اختصـاص الله بالحمد لكماله في ربوبيته وإلَهيته وملكه وشموله علمه وقدرته وكمالـه في ذاته وصفاته ، رب العالمين هو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم ، والمتصرف فيهم

بحكمته ومشيئته ليس ذلك إلا له ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فيه تفرده بالملك كقوله : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ [الانفطار: ١٩] وقوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فيه قصر العبادة عليه تعالى بجميع أفرادها ، وكذلك الاستعانة . وفي ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أيضاً توحيد الربوبية ؛ وهذه الأصول أيضاً في : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [الناس: ١] فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم ، والمدبر لهم ﴿ مَلِكِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ٢] هو الذي له الملك ، كما في الحديث الوارد في الأذكار ؛ « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » . وقوله : ﴿ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴾ [الناس: ٣] هو مألوههم ومعبودهم لا معبود لهم سواه ، فأهل الإيمان خصُّوه بالإلٰهية ، وأهل الشرك جعلوا له شريكاً يؤلِّهونه بالعبادة ، كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والالتجاء والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك .

وفي : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾ براءة النبي ﷺ من الشرك والمشركين ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُّمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُم وَلِيَ دِينِ ﴾ [سورة الكافرون] فهذا هو التوحيد العملي ، وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطناً وظاهراً .

وفي : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الاخلاص: ١] توحيد العلم والعمل ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يعني هو اللَّه الواحد الأحد ، الذي لا نظير له ، ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عديل ، ولا يطلق هذا اللفظ في الإثبات إلا على الله عز وجل ، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله .

وقوله : ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ .

قال عكرمة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما : يعني الذي يصمد الخلائق إليه

في حوائجهم ومسائلهم ؛ قلت : وفيه توحيد الربوبية ، وتوحيد الإلٰهية .

وقال الأعمش ، عن شقيق ، عن أبي وائل : الصمد : السيد الـذي قد انتهى سؤدده .

وقال الحسن أيضاً : الصمد : الحي القيوم الذي لا زوال له .

وقال الربيع بن أنس : هو الذي لم يلد ولم يولد ؛ كأنه جعل ما بعده تفسيراً له .

وقال سفيان بن منصور ، عن مجاهد : الصمد : المصمت الذي لاجوف له .

قال أبو القاسم الطبراني في كتاب «السنة» : وكل هـذه صحيحة ، وهي صفات ربنا عز وجل .

وقال مجاهد : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفْواً أَحَدٌ﴾ [الأخلاص : ٤] : يعني لا صاحبة له ؛ وهذا كما قال تعالى : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : ١٠١] أي هو مالك كل شيء وخالقه ؛ فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه ، أو قريب يداينه ؟ ! تعالى وتقدس وتنزه .

قلت : فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الإلٰهية والربوبية ؛ وتنزيه اللَّه عن الشريك والشبيه والنظير ، وما فيها من مجامع صفات كماله ، ونعوت جلاله ، ومن له بعض تصور يدرك هذا بتوفيق اللَّه ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَالَهُ مِن نُورٍ ﴾ [النور : ٤٠] .

وأما قول المعترض على قول المجيب : ونوع الشرك جرى في زمن شيخ

الاسلام ابن تيمية . أقول هذه «البردة» متقدمة على زمن شيخ الاسلام ، ومع هذا لم ينقل عنه فيها كلمة واحدة .

فالجواب تقدم «البردة» على زمن شيخ الاسلام ، إن كان كذلك ، فماذا يجدي عليه ؟ وما الحجة منه على جواز الشرك ؟ .

وأيضاً فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا تقبل ؛ وهو لم يطلع إلا على النزر اليسير من كلام شيخ الاسلام ، ولم يفهم معنى ما اطلع عليه ، وهو في شق وشيخ الاسلام في شق ، وليس في كلام شيخ الاسلام إلا ما هو حجة على هذا المعترض ، لكنه يتعلق في باطله بمثله خيط العنكبوت ، فإن كان يقنعه كلام شيخ الاسلام رحمه اللَّه المؤيد بالبرهان ؛ فقد تقدم في كلامه ما يكفي ويشفي في تميز الحق من الباطل .

وكلامه رحمه اللَّه في أكثر كتبه يبين هذا الشرك وينكره ، ويرده كما ردَّ على ابن البكري حين جوَّز الاستغاثة بغير اللَّه ولا يشك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب «البردة» داخل تحت كلام شيخ الاسلام في الرد عليه والانكار ؛ وأنا أورد هنا جواباً لشيخ الاسلام عن سؤال من سأله عن نوع هذا الشرك وبعض أفراده ، فأتى بجواب عام شامل كافٍ وافٍ .

قال السائل : ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ، ويطلب منهم إزالة الألم ، ويقول : يا سيدي ! أنا في حسبك ؟ وفيمن يستلم القبر ، ويمرّغ وجهه عليه ويقول : قُضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ . . ونحو ذلك ؟

الجواب : الحمد للَّه رب العالمين . الدين الذي بعث اللَّه به رسله ، وأنزل به كتبه ، هو عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، واستعانته ، والتوكل عليه ، ودعاؤه بجلب المنافع ، ودفع المضار ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ

بالحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ الآيات [الزمر: ٢ - ٣] ، وقال : ﴿ وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾ [الجن: ١٨] ، وقال : ﴿ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [الأعراف: ٢٩] ، وقوله : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء: ٥٦] الآيات .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيراً والملائكة قال اللَّه تعالى : « هَؤُلاَءِ الَّذِينَ تَدْعُونَ عِبَادِي ، يَرْجُونَ رَحْمَتِي ، وَيَخَافُونَ عَذَابِي كَمَا تَخَافُونَ عَذَابِي » ، فاذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة ، فكيف بمن دونهم ؟ ! قال تعالى ؟ ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَآءَ ﴾ الآية [الكهف : ١٠٢] . وقال : ﴿ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُم فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِنْ ظَهِيرٍ * وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣]. فبين سبحانه أنه من دعا من دون اللَّه من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة في ملكه ، وأنه ليس له شريك في ملكه : ﴿ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التغابن: ١] . وأنه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء ، وأن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك ، وذلك أن من دعا من دونه إما أن يكون مالكاً ، وإما أن لا يكون مالكاً ؛ وإذا لم يكن مالكاً ، فإما أن يكون شريكاً وإما أن لا يكون شريكاً ؛ وإذا لم يكن شريكاً فإما أن يكون معاوناً ، وإما أن يكون سائلاً طالباً .

فأما الرابع : فلا يكون إلا من بعد إذنه ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وكما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ مِن مَلَكٍ فِي السَّمٰوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُم شَيْئاً إلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَرْضَىٰ ﴾

[النجم: ٢٦] ، وقال : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣ ـ ٤٤] ، وقال : ﴿ لَيْسَ لَهُم مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام: ٥١] ، وقال : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَاداً لِي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُم أَن تَتَّخِذُوا المَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠] . فبيَّن سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كان كافراً ، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشايخ وغيرهم أرباباً ؟ ! فلا يجوز أن يقول لملك ولا لنبي ولا لشيخ ، سواء كان حياً أو ميتاً : اغفر ذنبي ، وانصرني على عدوي ، أو اشف مريضي أو ما أشبه ذلك .

ومن سأل ذلك مخلوقاً كائناً من كان ، فهو مشرك بربه ، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها على صدورهم ، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه . قال اللَّه تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ ﴾ الآية [المائدة: ١٧٦] ، وقال : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ وَالمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المائدة: ٣١] .

فان قال: أنا أسأله لأنه أقرب مني إلى اللَّه ليشفع لي لأني أتوسل إلى اللَّه به كما أتوسل إلى السلطان بخواصه وأعوانه ؛ فهذا من أفعال المشركين والنصارى ، فانهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يتشفعون بهم في مطالبهم ، ولذلك أخبر اللَّه عن المشركين أنهم قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] . وقد قال سبحانه : ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ

شُفَعَآءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ تُرْجعونَ ﴾ [الزمر: ٤٣ ـ ٤٤] وقال: ﴿ مَالَكُم مِن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة: ٤] وقال : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

فبيَّن الفرق بينه وبين خلقه، فان من عادة الناس أن يستشفعوا الى الكبير بمن يكرم عليه ، فيسأله ذلك الشافع فيقضي حاجته إما رغبة وإما رهبة ، وإما حياءً ، وإما غير ذلك ؛ فاللّه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع ، فلا يفعل إلا ما يشاء ، وشفاعة الشافع عن إذنه ، والأمر كله لله .

فالرغبة يجب أن تكون إليه كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الانشراح : ٧ ـ ٨] والرهبة تكون منه ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠] وقال : ﴿ فَلَا تَخْشَوا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة : ٤٤] ، وقد أمرنا أن نصلي على النبي ﷺ في الدعاء ، وجعل ذلك من أسباب إجابة دعائنا .

وقول كثير من الضُلَّال : هذا أقرب إلى الله مني وأنا بعيد منه ، لا يمكن أن ندعوه إلا بهذه الواسطة ونحو ذلك ، هو من قول المشركين ، والله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وقد روي أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! رَبُّنَا قَرِيبٌ فَنُنَاجِيَهُ ؟ أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيَهُ ؟ فَنَزَلَتْ الآيَةُ[1] وقد أمر اللّه العباد كلهم بالصلاة له ،

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٩٧٣) في التفسير : باب ومن سورة البقرة ، ورقم (٣٢٤٤) في تفسير سورة المؤمن ، و(٣٣٦٩) في الدعوات ، وأبو داود رقم (١٤٧٩) في الصلاة : باب الدعاء ، وأخرجه ابن حبان رقم (٣٨٢٨) في الدعاء : باب فضل الدعاء ، وإسناده صحيح ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ومناجاته ، وأمر كلاً منهم أن يقول : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٣] .

ثم يقال لهذا المشرك : أنت إذا دعوت هذا ، فان كنت تظن أنه أعلم بحالك ، أو يقدر على سؤالك ، أو أرحم بك من ربِّك ، فهذا جهل وضلال وكفر . وإن كنت تعلم أن اللَّه تعالى أعلم وأقدر وأرحم ، فلماذا عدلت عن سؤاله إلى سؤال غيره ؟ ! وإن كنت تعلم أنه أقرب إلى اللَّه منك ، وأعلى منزلة عند اللَّه منك ، فهذا حق أريد به باطل ؛ فانه إذا كان أقرب منك وأعلى درجة ؛ فان معناه أن يثيبه ويعطيه ، ليس معناه أنَّك إذا دعوته كان الله عند قضاء حاجتك أعظم مما يقضيها إذا دعوته أنت ، فانك إن كنت مستحقاً للعقاب وردّ الدعاء ؛ فالنبي والصالح لا يعين على ما يكرهه اللَّه ، ولا يسعى فيما يبغضك إليه ، وإن لم يكن كذلك ، فاللَّه أولى بالرحمة والقبول منه .

فان قلت : هذا إذا دعا اللّه أجاب دعاءه أعظم مما يجيب إذا دعوته أنا ، فهذا هو القسم الثاني وهو أن يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب أن يُدعى له ، كما يقال للحي : ادع لي ، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء ، فهذا مشروع في الحي ، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم ، فلم يشرع لنا أن نقول : ادع لنا واسأل لنا ربك ونحو ذلك ؛ ولم يفعل هذا أحد من الصحابة ولا التابعين ، ولا أمر به أحد من الأئمة ، ولا ورد في ذلك حديث ، بل الذي ثبت في «الصحيح» : أنهم لما أجدبوا زمن عمر استسقى بالعباس ، رضي الله عنهما ، فقال: «اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا إذَا أَجْدَبْنَا نَتَوَسَّل إلَيْكَ بِنَبِينا فَتُسْقِينَا، وَإنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنا فَاسْقِنَا » ، فيسقون[1]، فلم يجيؤوا إلى قبر النبي ﷺ قائلين: يا رسول اللَّه ! ادع اللَّه لنا ، أو استسق لنا ونحن نشكو إليك ماأصابنا ،ونحو هذا ، ولم يقله أحد من

(١) تقدم تخريجه ص (٣٩٨) .

الصحابة قط ، بل هو بدعة ما أنزل اللّه بها من سلطان ، بل كانوا إذا جاؤوا عند قبر النبي ﷺ يسلِّمون عليه ، ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدعوا اللّه مستقبلي القبر ، بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ، ويدعون اللّه وحده لا شريك له ، كما كانوا يدعونه في سائر البقاع .

وفي «الموطأ» وغيره : أن النبي ﷺ قال : «اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثناً يَعْبَدُ ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ »[1] .

وفي «السنن» أيضاً أنه قال : «لاَ تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَإنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي »[2] .

وفي «الصحيح» : أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه : «لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا فَعلُوا . قالت عائشة : وَلَوْلاَ ذٰلِكَ أُبرِزَ قَبْرُهُ ، لَكِنْ خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً[3] .

وفي «سنن أبي داود» عنه أنه قال : «لَعَنَ اللَّهُ زَوَّاراتِ القُبُورِ ، وَالمُتَّخِذِينَ

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » رقم (٨٥) في قصر الصلاة في السفر : باب جامع الصلاة مرسلاً ، ورواه أحمد في « المسند » ٢/٢٤٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسنداً بلفظ : « اللهم لا تجعل قبري وثناً ، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، ورواه أيضاً ابن سعد وأبو نعيم في « الحلية » ٧/٣١٧ ، وهو حديث صحيح . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٤) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٠٤٢) وأحمد ٢/ ٣٦٧ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واسناده حسن ، ورواه القاضي في « فضل الصلاة على النبي ﷺ » رقم (٢٠) و (٣٠) وغيره ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده . وتقدم تخريجه ص (١٣٤) .

(٣) رواه البخاري ١/ ٤٤٤ في الصلاة : باب الصلاة في البيعة ، و٦/٣٥٩ في أحاديث الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، و٨/١٠٨ في الغزوات : باب مرض النبي ﷺ ووفاته ، و١٠/٢٣٤ في الطب : باب المغفر ، ومسلم رقم (٥٣١) في المساجد : ومواضع الصلاة : باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبورمساجد ، من حديث عائشة وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٤) .

عَلَيْها المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ »(١) .

ولهذا قال العلماء : لا يجوز بناء المساجد على القبور . وقالوا : إنه لا يجوز أن ينذر لقبرٍ، ولا للمجاورين عند القبر، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك ، كله نذر معصية ؛ ولم يقل أحد من أئمة المسلمين : إن الصلاة عند القبور في المشاهد مستحبة ، ولا إن الدعاء هناك أفضل ، بل اتفقوا كلهم على أن الصلاة في المساجد وفي البيوت أفضل من الصلاة عند قبر ؛ لا قبر نبيّ ولا صالح ، سواء سمِّيت مشاهد أم لا .

وقد شرع اللَّه ذلك في المساجد دون المشاهد . وقال : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾ [البقرة : ١١٤] ولم يقل في المشاهد .وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [الأعراف: ٢٩] وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَن آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ﴾ الآية [التوبة : ١٨] .

وذكر البخاري في «صحيحه» والطبري وغيره في تفاسيرهم قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وُدّاً وَلَا سُوَاعاً ﴾ الآية [نوح : ٢٣] . قال : هٰذِهِ أَسْمَاءُ قَوْمٍ صَالِحِينَ فِي قَوْمِ نُوحٍ ، فَلَمَّا مَاتُوا عَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِم ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ ، فَاتَّخَذُوا تَمَاثِيلِهِمْ أَصْنَاماً(٢) .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٣٢٣٦) والترمذي رقم (٣٢٠) والنسائي ٤/ ٩٤ ـ ٩٥ وابن ماجه رقم (١٥٧٥) وأحمد ١/ ٢٢٩ و ٢٨٧ و ٣٢٤ و ٣٣٧ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وفيه أبو صالح مولى أم هانىء وهو ضعيف . والفقرة الأولى من الحديث « لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور » صحيحة فقد رواها أحمد ٢ / ٣٣٧ و ٣٥٦ ، والترمذي (١٠٥٦) وابن ماجه (١٥٧٦) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . وهو حديث صحيح بشواهده ، تقدم تخريجه ص (٢٣٦) .

(٢) رواه البخاري ٨/ ٥١١ و٥١٢ في تفسير سورة نوح . وقد تقدم تخريجه ص (٢٢٩) .

فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها ؛ هو أصل الشرك وعبادة الأوثان .

ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين ؛ فانه لا يتمسح به ولا يقبله ، وليس في الدين ما شرع تقبيله إلا الحجر الأسود .

وقد ثبت في «الصحيحين»[1] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : وَاللَّهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لاَ تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ ، وَلَوْلاَ أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ .

ولهذا لا يسن أن يقبل الرجل ويستلم ركني البيت اللذين يليان الحِجر ، ولا جدران البيت ، ولا مقام إبراهيم ، ولا صخرة بيت المقدس ، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين . انتهى .

وقال رحمه اللَّه[2] في الرد على البكري بعد كلام له سبق : لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سبباً في الأمور التي لا يقدر عليها إلا اللَّه ؟ ومن الذي قال : إنك إذا استغثت بميت أو غائب من البشر ؛ نبياً كان أو غير نبي ، كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى ، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا اللَّه ؟ ومن الذي شرع ذلك وأمر به ؟ ومن الذي فعل ذلك من الأنبياء والصحابة

---

(١) رواه البخاري ٣/٣٦٩ في الحج : باب ما ذكر في الحجر الأسود ، وباب تقبيل الحجر ، ومسلم رقم (١٢٧٠) في الحج : باب استحباب تقبيل الحجر الأسود ، و« الموطأ » ١/٣٦٧ في الحج : باب تقبيل الركن الأسود في الاستلام ، وأبو داود رقم (١٨٧٣) في المناسك : باب في تقبيل الحجر ، والترمذي رقم (٨٦٠) في الحج : باب في تقبيل الحجر ، والنسائي ٥/٢٢٧ في الحج : باب تقبيل الحجر ، وأحمد في « المسند » ١/٢١ و٢٦ و٣٤ و٣٥ و٣٩ و٤٦ و٥١ و٥٣ و٥٤ ، وابن ماجة رقم (٢٩٤٣) في الحج : باب استلام الحجر ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) يريد بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية .

والتابعين لهم باحسان ؟ فان هذا المقام يحتاج إلى مقدمتين :

إحداهما : أن هذه أسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها إلا اللَّه .

والثانية : أن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فإنه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه . . إلى أن قال : وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمراً ، فإنهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن اللَّه شرع لخلقه أن يسألوا ميتاً أو غائباً ، وأن يستغيثوا به سواء كان ذلك عند قبره ، أو لم يكن عند قبره . بل نقول : سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبي من المحرَّمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين ؛ فان أحداً منهم ما كان يقول ـ إذا نزلت به شدة ، أو عرضت له حاجة ـ لميت : يا سيدي فلان ! أنا في حسبك أو اقض حاجتي كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين .

ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الأنبياء ، لا عند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ، بل ولا أقسم بمخلوق عَلَى اللَّه أصلاً ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ، ولا قبور غير الأنبياء ، ولا الصلاة عندها .

وقد كره العلماء كمالك وغيره : أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه ؛ وذكروا أن هذا من البدع التي لم يفعلها السلف .

وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال: قبر «معروف» الترياق المجرب، وقول بعضهم : فلان يدعى عند قبره ، وقول بعض الشيوخ : إذا [كانت] حاجة فاستغث بي ، أو قال : استغث عند قبري ونحو ذلك ، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم ، ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة في الاسلام بعد القرون

المفضلة ، وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد محدثة في الاسلام ، والسفر اليها محدث في الاسلام ، لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال : «لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا . قَالَتْ عَائِشَةُ : وَلَوْلاَ ذٰلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ ، وَلَكِنْ كَرِهَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً[1] .

وثبت في «الصحيح» عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذٰلِكَ »[2] .

وقد تقدم أن عمر لما أجدبوا استسقى بالعباس فقال : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا إِذَا أَجْدَبْنَا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنا فَتُسْقِينَا ، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِينا فَاسْقِنَا ، فَيُسْقَوْنَ[3] . فلم يذهبوا إلى القبر ، ولا توسلوا بميت ولا غائب ، بل توسلوا بالعباس ، وكان توسلهم به توسلاً بدعائه ، كالامام مع المأموم ، وهذا تعذر بموته .

فأما قول القائل عن ميت من الأنبياء والصالحين : اللهم إني أسألك بفلان ، أو بجاه فلان ، أو بحرمة فلان ، فهذا لم ينقل لا عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة ولا التابعين .

وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز ؛ فكيف يقول القائل للميت : أنا أستغيث بك وأستجير ، وأنا في حسبك ، سل اللّه لي ، ونحو ذلك

---

(١) تقدم قبل قليل ص (٤٣٨) .

(٢) رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٥٣٢) في المساجد ومواضع الصلاة : باب النهي عن بناء المساجد على القبور . وقد تقدم تخريجه ص (٢٣٣) .

(٣) تقدم قبل قليل ص (٣٩٨) .

فتبين أن هذا ليس من الأسباب المشروعة لو قدِّر أن له تأثيراً ، فكيف إذا لم يكن له تأثير صالح ، وذلك أن من الناس الذين يستغيثون بغائب أو ميت من تتمثل لـه الشياطين، وربما كانت على صورة ذلك الغائب ، وربما كلمته ، وربما قضت له أحيـاناً بعض حـوائجه ، كمـا تفعل شيـاطين الأصنام ، فـان أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته ، إذ هو ينهى عن ذلك . وأما بعد الموت فهو لا ينهى فيفضي ذلك إلى اتخاذ قبره وثناً ، ولهذا قال النبي ﷺ «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً» وقال : «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ» .

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم ﴾ الآية [نوح: ٢٣] : إن هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمـد فعبدوهم ؛ ولهـذا المعنى لعن النبي ﷺ الـذين اتخذوا قبـور الأنبياء والصـالحين مسـاجـد.انتهى ملخصاً .

وأخرج ابن أبي شيبة، عن الزبير أنه رأى قوماً يمسحون المقام فقال : لم تؤمروا بهذا ، إنما أُمرتم بالصلاة عنده .

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، عن قتادة في قول اللَّه تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة : ١٢٥] . قال : إنمـا أُمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه .

ولقد تكلفت هذه الأمة شيئاً ما تكلفته الأمم قبلهـا . فان كـان المعترض يستدل بكلام شيخ الاسلام ، فهذا صريح كلامه المؤيد بالأدلة والبراهين ، وكلام العلماء كمثل كلام الشيخ في هذا كثير جداً ، لو ذكرناه لطال الجواب .

وأما قول المعترض : بل مدح الصرصري ـ وأثني عليه بقوله : قال الفقيه

الصالح يحيى بن يوسف الصرصري في نظمه المشهور ؛ فالجواب : إن هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيـخ الإسلام وغيـره . وقد كذب على «الاقناع» و« الشفا » ليس في الكتابين إلا ما يبطل قوله . وفي الحديث : « إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَةِ الأُولَى : إذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ »[1] وإلا فكلام الشيخ في رد ما يقوله الصرصري وإنكاره موجود بحمد اللّه .

قال رحمه اللّه[2] في رده على البكري بعد وجهين ذكـرهما ، الثـالث : أنه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة به ، وهذا جائز في حياته ، لكنه أخـطأ في التسوية بين المحيا والممات ، وهذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء ، ولكنه موجود في كلام بعض الناس ، مثل الشيخ يحيى الصرصري ، ففي شعره قطعة ، وكمحمـد النعمان ، وهؤلاءِ لهم دين وصـلاح ، لكنهم ليسـوا من أهـل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام ، وليس معهم دليل شرعي ، ولا نقل عن عالم مرضي ، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثيرة من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد فيدعوه ، أكثرهـم من يـأتي إلى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنده ، وهؤلاءِ ليس لهم مستند شرعي من كتاب اللّه أو سنة رسوله ، أو قول عن الصحابة والأئمة ، وليس عندهم إلا قول طائفة أخرى : قبر معروف ترياق مجرب ، والدعاء عند قبر الشيخ مجاب ، ونحو ذلك ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت ، فرأوه قد أتى في الهواء وقضى بعض الحـوائج ، وهـذا كثير واقـع في المشركين الـذين يدعـون الملائكـة والأنبيـاء

---

(١) رواه البخاري ١٠/ ٤٣٤ في الأدب : باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت ، وفي الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ، وأبو داود رقم (٤٧٩٧) في الأدب : باب ما جاء في الحياء ، وابن ماجه رقم (٤١٨٣) في الزهد : باب الحياء ، وأحمد ٤/ ١٢١ - ١٢٢ و٥/ ٢٧٣ من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

(٢) أي شيخ الإسلام ابن تيمية .

والصالحين ، أو الكواكب والأوثان ، فان الشياطين كثيراً ما تتمثل لهم فيه فيرونها ، وإنها قد تخاطب أحدهم ولا يراها .

ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا لطال المقال ، وكلما كان القوم أعظم جهلاً وضلالاً ، كانت هذه الأحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو غير ذلك وهو لا يرى أحداً أتاه به ، فتحسب ذلك كرامة ، وإنما هو من الشيطان ، وسببه شركه بالله ، وخروجه عن طاعة اللّه ورسوله إلى طاعة الشيطان ، فأضلْتهم الشياطين بذلك كما كانت تضل عبَّاد الأصنام . انتهى ما ذكره شيخ الاسلام ـ رحمه اللّه ـ من إنكاره ما في شعر الصرصري وغيره من هذه الأمور الشركية ، وبين أسبابها .

وأما قول المعترض : وفيه توسل عظيم إن لم يزد على قول صاحب «البردة» لم ينقص عنه .

فالجواب : إن هذا من عدم بصيرته ، وكبير جهله ، فإن من له أدنى معرفة وفهم يعلم أن بين قول صاحب «البردة» وقول الصرصري في أبياته تفاوتاً بعيداً ، فقد نبهنا على ما يقتضيه كلام صاحب «البردة» من قصر الإلهية والربوبية والملك ، وشمول العلم على عبد شرفه اللّه بعبوديته ورسالته ، ودعوة الخلق إلى عبادته وحده ، وجهاد الناس على ذلك ، وبلَّغ الأمة ما أنزل اللّه تعالى عليه في الآيات المحكمات في تجريد التوحيد ، والنهي عن الشرك ووسائله كما قدمنا الإشارة إليه .

وأما الصرصري ففي كلامه توسل بالنبي ﷺ ، والاستغاثة به بلا قصر ولا حصر للاستغاثة ، والاستعانة في جانب المخلوق ، وقد أنكره شيخ الاسلام ـ رحمه اللّه ـ وذكر أنه لا دليل من كتاب ولا سنة ، ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة . وقد بيَّن رحمه اللّه أن استغاثة الحي بالحي إنما هو بدعائه

وشفاعته ؛ وأما الميت الغائب فلا يجوز أن يستغاث به ، وكذلك الحي فيما لا يقدر عليه إلا اللّه ، وأن أهل الاشراك ليس معهم إلا الجهل والهوى وعوائد نشأوا عليها بلا برهان وقد عرفت أن هذا المعترض لم يأت إلا بشبهات واهية ، وحكايات سوفسطائية أو منامات تضليلية ، كما قال كعب بن زهير :

فلا يغرَّنك ما منَّت وما وعدت   إن الأمانيَّ والأحلام تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين إلا دعوى مجردة محشوة بالأكاذيب وليس معهم ـ بحمد اللّه ـ دليل من كتاب أو سنة أو قول واحد من سلف الأمة وأئمتها ؛ وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنة وما عليه الصحابة والأئمة .

ولو استقصينا ذكر الأدلة ، وبسط القول ، لاحتمل مجلداً ضخماً ، وسبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين كقصائد البوصيري والبرعي ، واختيارها على قصائد شعراء الصحابة ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم ، وفيها من شواهد اللغة والبلاغة ما لم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عُشْر المعشار ، وما ذاك إلا لأن قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد إلى ما يكرهه اللّه ورسوله ، فزينها الشيطان في نفوس الجهال والضُلَّال ، فمالت إليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها إلا الحق والصدق ، وما قصروا فيها جهدهم عما يصلح أن يُمدح به رسوله ﷺ ، وتحرَّوا فيها ما يرضيه ، وتجتنبوا ما يسخطه ﷺ وما نهى عنه من الغلوِّ .

فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفاء ابن عقيل ، وهو في القرن الخامس : لما صعبت التكاليف على الجهال والطَّغام[1] ، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم ، فسهلت عليهم ، إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم . قال : وهم عندي كفار بهذه الأوضاع . إلى آخره .

---

(١) الطغام : أوغاد الناس ، جمع وغد ، وهو الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه .

ومما يتعين أن نختم به هذا الجواب فصل ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله ونفعنا بعلومه قال : بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور ، وأن مقصودها ثلاثة أشياء :

أحدهما : تذكير الآخرة والاعتبار والاتعاظ .

الثاني : الإحسان إلى الميت ، وأن لا يطول عهده به فيتناساه ، فإذا زاره أو أهدى إليه هدية من دعاء أو صدقة ، ازداد بذلك سروره وفرحه ؛ ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية فقط ، ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلِّي عندهم .

الثالث : إحسان الزائر إلى نفسه باتّباع السنة ، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ . وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ من عبَّاد الأصنام ؛ قالوا : الميت المعظم الذي لروحه قرب ومزية عند الله لا يزال تأتيه الألطاف من الله ، وتفيض على روحه الخيرات ، فإذا علق الزائر روحه به وأدناها ، فاض من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها ، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية ، والماء على الجسم المقابل له، قالوا: فتمام الزيارة أن يتوجه الزائر بروحه وقلبه إلى الميت ، ويعكف بهمَّته عليه ، ويوجه قصده كله وإقباله عليه ، بحيث لا يبقى فيه التفات إلى غيره ، وكلما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم ، كان أقرب إلى الانتفاع به .

وقد ذكر هذه الزيارة ابن سينا والفارابي وغيرهما ؛ وصرح بها عبَّاد الكواكب في عبادتها، وهذا بعينه هو الذي أوجد لعباد القبور: من اتخاذها أعياداً، وتعليق الستور عليها ، وإيقاد السرج ، وبناء المساجد عليها ، وهو الذي قصد رسول الله ﷺ إبطاله ومحوه بالكلية ، وسد الذرائع المفضية اليه ، فوقف المشركون في طريقه ، وناقضوه في قصده ؛ وكان رسول الله ﷺ في شق ، وهؤلاء في شق .

وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها، وتشفع لهم عند الله ، قالوا : فإن العبد إذا تعلق روحه بروح الوجيه المقرَّب عند الله ، وتوجه بهمَّته اليه ، وعكف بقلبه عليه ؛ صار بينه وبينه اتصال ، يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة ، وقرب من السلطان ، وهو شديد التعلق به ، فما يحصل لـذلك من السلطان من الانعـام والأفضال ، ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به . فهذا سر عبادة الأصنام ، وهو الذي بعث الله رسله وأنزل كتبه بإبطاله ، وتكفير أصحابه ولعنهم ، وأباح دماءهم وأموالهم، وسبى ذراريهم، وأوجب لهم النار، والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله ، وإبطال مذهبهم .

قال الله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر : ٤٣ ـ ٤٤] فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السماوات والأرض وهو الله وحده، وهو الذي يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له. والذي يشفع عنده إنما يشفع باذنه وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه. وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده .

وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم ، وهي التي أبطلها الله سبحانه بقوله : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ﴾ [البقرة: ٤٨]، وقوله : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام : ٥١].

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه ، بل إذا أراد سبحانه رحمته بعبده أذن هو لمن يشفع فيه . كما قال تعالى : ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾

[يونس: ٣]. وقال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاّ بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه ، ولا الشافع شفيع من دونه ؛ بل يشفع باذنه . والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور ، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك ، فانه لا شريك له ؛ والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ، ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له ويقول : اشفع في فلان .

ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد الذين جرَّدوا التوحيد وخلَّصوه من تعلقات الشرك وشوائبه . وهم الذين ارتضى الله سبحانه . قال تعالى : ﴿ ولاَ يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[الأنبياء: ٢٨]،وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً ﴾ [طه: ١٠٩]. فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضى قول المشفوع له وإذنه للشافع .فأما المشرك فإنه لا يرضاه ، ولا يرضى قوله ، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه ، فإنه سبحانه علقها بأمرين . رضاه عن المشفوع له أو إذنه للشافع فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة .

وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده ، فليس لأحد معه من الأمر شيء . وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون ، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ، لا يفعلون شيئاً إلا من بعد إذنه لهم ، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، فهم مملوكون مربوبون ، أفعالهم مقيدة بأمره وإذنه ، فاذا أشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ، ظناً منه أنه إذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله ، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه ، وما يجب له ويمتنع عليه ، فان هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء ، حيث يتخذ الرجل من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج .

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام ، واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي ، والفرق بينهما هو الفرق بين الخالق والمخلوق ، والرب والمربوب ، والسيد والعبد ، والمالك والمملوك ، والغني والفقير ، والذي لا حاجة به إلى أحد قط والمحتاج من كل وجه إلى غيره ، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم ، فإن قيام مصالحهم بهم ، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم ؛ ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس ، فلحاجتهم إليهم يحتاجون إلى قبول شفاعتهم وإن لم يأذنوا فيها ، ولم يرضوا عن الشافع ، لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم ، فينتقص طاعتهم لهم ، ويذهبون إلى غيرهم فلا يجدون بداً من قبول شفاعتهم على الكره والرضى . فأما الذي غناه من لوازم ذاته ، وكل ما سواه فقير إليه لذاته ، وكل من في السماوات والأرض عبيد له ، مقهورون لقهره ، مصرفون بمشيئته ، لو أهلكهم جميعاً لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته وإلهيته مثقال ذرة .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِن أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمٰواتِ والأَرْضِ ﴾ [المائدة: ١٧]. قال في سيدة آي القرآن آية الكرسي : ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٤٤]، فأخبر أن ملكه السماوات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده ، وأن أحداً لا يشفع عنده إلا بإذنه ، فانه ليس بشريك ، بل مملوك محض ، بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض .

فتبين أن الشفاعة التي نفاها لله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض، ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هي المعروفة

عند الناس ، ويقيدها تارة بأنها لا تنفع إلا بإذنه ، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه ، فانه هو الذي أذن له ، والذي قبل ، والذي رضي عن المشفوع ، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة . وقوله : فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته ، ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب وحده إلّهه ومعبوده ، ومحبوبه ومرجوه ، ومخوفه الذي يتقرب إليه وحده ، ويطلب رضاه ، ويتباعد من سخطه ، فهو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له .

قال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّؤُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨]. فبين أن متَّخذي الشفعاء مشركون ، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم .

وسرّ الفرق بين الشفاعتين : أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده ، لا يفتقر فيها إلى المشفوع عنده لا خلقاً ولا أمراً ولا إذناً ؛ بل هو سبب محرك له من خارج ، كسائر الأسباب .

وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لأجل ما يوافقه كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه ؛ وقد يكون عنده ما يخالفه كمن يشفع اليه في أمر يكرهه ، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض ، فيقبل شفاعة الشافع ، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع فيردها ، وقد يتعارض عنده الأمران ، فيبقى متردداً بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد ،وبين الشفاعة التي تقتضي القبول ، فيتوقف إلى أن يترجح عنده أحد الأمرين بمرجح ، وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه ، فانه ما لم يخلق شفاعة الشافع ، ويأذن له فيها ، ويحبها منه ، ويرضى عن الشافع ، لم يكن أن توجد . والشافع لا يشفع عنده بمجرد امتثال أمره وطاعته له ، فهو مأمور بالشفاعة ، مطيع بامتثال الأمر ، فان

أحداً من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرهـا إلا بمشيئة الله وخلقه ، فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع ، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع إليه حتى يقبل ، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره ، وهو في الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبـده . فـالمشفوع عنده محتاج إليه فيما يناله من النفع والنصر والمعاونة وغير ذلك ، كما أن الشافع محتاج إليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره ، فكل منهما محتاج إلى الآخر . ومن وفقه الله لفهم هذا الموضوع تبين له حقيقة التوحيد والشرك ، والفرق بين ما أثبت الله من الشفاعة وما نفاه وأبطله ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم ، علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وأنهم على شيء والسلف على شيء كما قيل :

سـارت مشرِّقـة وسـرت مغـرِّبـاً ... شتَّـان بيـن مشـرِّق ومـغـرِّب

والأمر والله أعظم مما ذكرنا . انتهى .

وبه كمل الجواب . والحمد للّه الذي هدانا لدينه الذي رضيه لعباده ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانـا الله . وصلى اللّه على محمد النبي الأمي وعلى آلـه وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً جزيلاً وافياً وافراً .

* * *

قاعدة جليلة في العبادة
تفسيراً لقوله عز وجل : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ تسمى العُبُودِيَّةُ

لشيخ الإسلام

تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله

أملاها بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

أما بعد : فقد سئل شيخ الاسلام وعلم الأعلام ، ناصر السنة ، وقامع البدعة : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه اللّه عن قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم ﴾ [البقرة : ٢١] ، فما العبادة ؟ وما فروعها ؟ وهل مجموع الدين داخل فيها أم لا ؟ وما حقيقة العبودية ؟ وهل هي أعلى المقامات في الدنيا والآخرة ، أم فوقها شيء من المقامات ؟

والمسؤول أن تبسطوا لنا القول في ذلك مأجورين برحمة اللّه وفضله فأجاب رحمه اللّه ورضي عنه :

الحمد للّه رب العالمين .

العبادة : هي اسم جامع لكل ما يحبه اللّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

فالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، وصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والوفاء بالعهود ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والجهاد للكفار والمنافقين ، والاحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك ، من العبادة .

وكذلك حبُّ اللّه ورسوله ، وخشية اللّه والإنابة إليه ، وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه ، والرضى بقضائه ، والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه . وأمثال ذلك : هي من العبادة .

وذلك : أن العبادة للّه هي الغاية المحبوبة له ، والمرضية له ، التي خَلق الخلق لها، قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، وبها أرسل جميع الرسل ، كما قال نوح لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٥٩] .

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مِنَ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [النحل : ٣٦] . وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] . كما قال في الآية الأخرى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً

﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون : ٥١ ـ ٥٢] . وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ اليَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] . وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ الليلَ وَالنَّهارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩ ـ ٢٠] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] . وذمَّ المستكبرين عنها بقوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم إِنَّ الَّذِين يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] . ونعت صفوة خلقه بالعبودية له ، فقال تعالى : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ [الدهر : ٦] . وقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً * وَالَّذِين يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّداً وَقِيَاماً ﴾ الآيات [الفرقان : ٦٣ ـ ٧٧] . ولما قال الشيطان : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُم فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُم أَجمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلِصِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩ ـ ٤٠] ,قال اللّه تعالى : ﴿قَالَ هٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾ [الحجر : ٤١ ـ ٤٢] .

وقال في وصف الملائكة بذلك : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِن خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٨] . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَداً * لَقَد جِئْتُم شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعُوا لِلرَّحْمٰنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً * إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ

عَبْداً ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُم وَعَدَّهُم عَدّاً ﴿ وَكُلُّهُم آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٥] .

وقال تعالى عن المسيح الذي ادعيت فيه الإلٰهية والبنوة : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٩] ، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : « لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَىٰ ابنَ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ »[1] .

وقد نعته اللّه بالعبودية في أكمل أحواله . فقال في ﴿الإسراء﴾ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً ﴾ [الإسراء :] ، وقال في الايحاء : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ٦] . وقال في الدعوة ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللّٰهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً ﴾ [الجن : ١٩] وقال في التحدي : ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورةٍ مِن مِثْلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

فالدين كله داخل في العبادة . وقد ثبت في « الصحيح » أن جبريل لما جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الاسلام والإيمان والإحسان . فقال : « الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّٰهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِن اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » قال : فما الايمان ؟ قال : « أَنْ تُؤْمِنَ باللّٰهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » . قال : فما الاحسان ؟ قال : « أَنْ تَعْبُدَ اللّٰهِ

---

(١) رواه البخاري فقط ٦/٣٥٥ في أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالىٰ : ﴿واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت﴾ و١٢/ ١٣١ في المحاربين : باب رجم الحبلى في الزنا إذا احصنت ، والدارمي رقم (٢٧٨٧) في الرقاق : باب قول النبي ﷺ : « ولا تطروني » ، وأحمد في « المسند » ١/ ٢٣ و٢٤ و٤٧ و٥٥ . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٤) .

كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » . ثم قال في آخر الحديث : « هٰذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ »[1] . فجعل هذا كله من الدين .

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته ، فدان . أي ذللته فذل . ويقال : ندين اللّه وندين للّه . أي نعبد اللّه ونطيعه ، ونخضع له .

فدين اللّه : عبادته وطاعته والخضوع له .

والعبادة أصل معناها : الذل أيضاً . يقال : طريق معبد ، إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها ، تتضمن معنى الذل ومعنى الحب : فهي تتضمن غاية الذل للّه تعالى ، بغاية المحبة له .

فإن آخر مراتب الحب : هو التتيم ، وأوله : العلاقة ، لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم الصبابة ، لانصباب القلب اليه ، ثم الغرام ، وهو الحب الملازم للقلب ، ثم العشق . وآخرها : التتيم ، يقال : تيم اللّه ، أي عبد اللّه فالمتيم : المعبد لمحبوبه .

ومن خضع لانسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه . ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة اللّه تعالى . بل يجب أن يكون اللّه أحب إلى العبد من كل شيء ؛ وأن يكون اللّه أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع

---

(١) رواه مسلم رقم (٨) في الايمان : باب بيان الايمان والاسلام والاحسان ، ووجوب الايمان باثبات قدر الله ، والترمذي رقم (٢٦١٣) في الايمان : باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الاسلام والإيمان ، وأبو داود رقم (٤٦٩٥) في السنة : باب في القدر ، والنسائي ٨/٩٧ ـ ١٠١ في الإيمان : باب نعت الاسلام ، وابن ماجه رقم (٦٣) في المقدمة : باب في الإيمان من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وقد تقدم تخريجه ص (٥٦) .

التام إلا اللّه. وكل ما أحب لغير اللّه فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر اللّه فتعظيمه باطل. قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٥]، فجنس المحبة، يكون للّه ولرسوله والارضاء للّه ولرسوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] والإيتاء للّه ولرسوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٩].

وأما العبادة وما يناسبها: من التوكل، والخوف، ونحو ذلك، فلا تكون إلا للّه وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩] فالإيتاء للّه وللرسول، كقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وأما الحسب ـ وهو الكافي ـ فهو للّه وحده، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] أي حسبك وحسب من اتَّبعك من المؤمنين: اللّه. ومن ظن أن المعنى: حسبك اللّه والمؤمنون معه، فقد غلط غلطاً فاحشاً، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع[1]. وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

---

(١) انظر «منهاج السنة» للمؤلف رحمه الله تعالى (٤/ ٥٥، ٥٨) عند قوله تعالى: ﴿حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾.

وتحرير ذلك : أن العبد يراد به المعبد الذي عبَّده اللّه ، فذللّه ودبره وصرفه ، وبهذا الاعتبار : فالمخلوقون كلهم عباد اللّه : الأبرار منهم والفجار ، والمؤمنون والكفار ، وأهل الجنة وأهل النار ، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم ، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته ، وكلماته التامات التي لا يجاوزها برٌّ ولا فاجر ، فما شاء كان وإن لم يشاؤوا . وما شاؤوا إن لم يشأه لم يكن ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : ٨٣] ، فهو سبحانه رب العالمين ، وخالقهم ورازقهم ، ومحييهم ومميتهم ، ومقلب قلوبهم ، ومصرف أمورهم ، لا رب لهم غيره ، ولا مالك لهم سواه ، ولا خالق إلا هو ، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه ، وسواء علموا ذلك أو جهلوه ، لكن أهل الايمان منهم علموا ذلك واعترفوا به بخلاف من كان جاهلاً بذلك أو جاحداً له مستكبراً عَلَىٰ ربه ، لا يقر ولا يخضع له مع علمه بأن اللّه ربه وخالقه ، فالمعرفة بالحق إذا كان ذلك مع الاستكبار عن قبوله والجحد له ، كان عذاباً على صاحبه ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٤] ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُم وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُم لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٦] وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّهُم لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

فإذا عرف العبد أن اللّه ربه وخالقه ، وأنه مفتقرٌ اليه محتاج اليه ، عرف العبودية المتعلقة بربوبية اللّه وهذا العبد يسأل ربه ، ويتضرع اليه ويتوكل عليه . لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه ، وقد يعبده مع ذلك ، وقد يعبد الشيطان والأصنام ، ومثل هذه العبودية لا تفرِّق بين أهل الجنة وأهل النار ، ولا يصير بها الرجل مؤمناً ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُشْرِكُونَ ﴾

[يوسف : ١٠٦] ، فإن المشركين كانوا يقرّون أن اللّهُ خالقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى : ﴿ وَلَئِنَ سَأَلْتَهُم مَن خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [الزمر : ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿ قُل لِمَن الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ ربُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَربُّ العَرْشِ العَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ . قُلْ : أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إنْ كُنْتُم تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ : فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ؟ ﴾ [المؤمنون : ٨٤ ـ ٨٩] .

وكثير ممن يتكلم في الحقيقة ، ويشهدها ، يشهد هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي يشترك فيها وفي شهودها وفي معرفتها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر . بل وإبليس معترف بهذه الحقيقة ، وأهل النار . قال إبليس : ﴿ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [ص: ٧٩] وقال: ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩] وقال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ ﴾ [ص : ٨٢] وقال : ﴿ أَرَأَيْتَكَ هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِن أَخَّرْتَنِ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَتَهُ إلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٦٢] .

وأمثال هذا من الخطاب الذي يقرّ فيه بأن اللّه ربه وخالقه وخالق غيره ، وكذلك أهل النار قالوا : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، وقال تعالى عنهم : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِم قَالَ أَلَيْسَ هٰذَا بِالحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ [الأنعام : ٣٠].

فمن وقف عند هذه التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمره وأمر رسوله ، كان من جنس إبليس ومن أهل النار ، فإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء اللّه وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان ، كان

من شر أهل الكفر والإلحاد .

ومن ظن أن الخضر وغيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك ، كان قوله هذا من شر أقوال الكافرين باللَّه ورسوله حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد ، وهو العبد بمعنى العابد ، فيكون عابداً للَّه ، لا يعبد إلا إياه ، فيطيع أمر اللَّه وأمر رسله ، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ، ويعادي أعداءه .

وهذه العبادة متعلقة بالإلَهية للَّه تعالى ، ولهذا كان عنوان التوحيد : « لا إلٰه إلا اللَّه » بخلافٍ من يقرّ بعبوديته ولا يعبده ، أو يعبد معه إلَهاً آخر .

فالإلَه : هو الذي يأله إليه القلب بكمال الحب والتعظيم، والإجلال والإكرام ، والخوف والرجاء ، ونحو ذلك .

وهذه العبادة : هي التي يحبها اللَّه ويرضاها ، وبها وصف المصطفين من عباده ، وبها بعث رسله . وأما العبد : بمعنى المعبَّد ، سواء أقر بذلك أو أنكر ، فتلك يشترك فيه المؤمن والكافر .

وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة اللَّه ودينه وأمره الشرعي التي يحبها ويرضاها ويوالي أهلها ويكرمهم بجنته ، وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية ، كان من أتباع إبليس اللعين ، والكافرين برب العالمين ، ومن اكتفى فيها ببعض الأمور دون بعض ، أو في مقام [دون مقام] أو حال دون حال نقص من إيمانه وولايته للَّه بحسب ما نقص من الحقائق الدينية ، وهذا مقام عظيم غلط فيه الغالطون ، وكثر فيه الاشتباه على السالكين ، حتى زلق فيه من أكابر الشيوخ المدَّعين للتحقيق والتوحيد والعرفان ، ما لا يحصيه إلا اللَّه الذي يعلم السر والإعلان .

وإلى هذا أشار الشيخ عبد القادر[1] رحمه اللّه فيما ذكر عنه . فبين أن كثيراً من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا ، إلا أنا فإني انفتحت لي فيه روزنة[2] ، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق ، والرجل من يكون منازعاً للقدر ، لا من يكون موافقاً للقدر .

والذي ذكره الشيخ رحمه اللّه هو الذي أمر اللّه به ورسوله . ولكنّ كثير من الرجال غلطوا فيه ، فإنهم قد يشهدون ما يقدَّر على أحدهم من المعاصي والذنوب ، أوما يقدَّر على الناس من ذلك ، بل من الكفر ، ويشهدون أن هذا جار بمشيئة اللّه وقضائه وقدره ، داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته ، فيظنون أن الإستسلام لذلك وموافقته والرضى به ونحو ذلك ، ديناً وطريقاً وعبادة ، فيضاهؤون المشركين الذين قالوا : ﴿لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَآ آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ١٤٨] . وقالوا : ﴿ أَنُطْعِمُ مَن لَوْ يَشَآءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴾ [يس : ٤٧]. ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَآءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ﴾ [الزخرف: ٢٠]. ولو هُدوا لعلموا أن القدر أُمرنا أن نرضى به ، ونصبر على موجبه في المصائب التي تصيبنا ، كالفقر والمرض والخوف . قال اللّه تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنِ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ﴾ [التغابن: ١١].

قال بعض السلف : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند اللّه ، فيرضى ويسلّم .

---

(١) هو عبد القادر بن موسى الجيلاني ، ولد في جيلان سنة ٤٧١ هـ وانتقل إلى بغداد شاباً وبرع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب واشتهر وكان يأكل من عمل يده ، وتصدر للتدريس والافتاء ببغداد ، وكان آخر من سمع منه قبيل وفاته موفق الدين بن قدامة المقدسي وتوفي في بغداد سنة ٥٦١ هـ رحمه الله تعالى .

(٢) الروزنة : الكوة ، وهي خرق في الحائط ، كالنافذة .

قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُم إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أَن نَبْرَأَهَا إِنَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ۞ لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُم وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد : ٢٢ - ٢٣] .

وفي « الصحيحين »(١) : عن النبي ﷺ أنه قال : « احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ(٢) ، فَقَالَ مُوسَىٰ : أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ ؟ فَلِمَاذَا أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الجَنَّةِ ؟ فَقَالَ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالاَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ ، فَهَلْ وَجَدْتَ ذٰلِكَ مَكْتُوباً عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ » .

وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظناً أن المذنب يحتج بالقدر ، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ؛ ولو كان هذا عذراً لكان عذراً لإبليس ، وقوم نوح ، وقوم هود ، وكل كافر . ولا موسى لام آدم أيضاً لأجل الذنب ، فإن آدم قد تاب إلى ربه فاجتباه وهدى ، ولكن لامه لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة . ولهذا قال له : « فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ » فأجابه آدم أن هذا كان مكتوباً عليَّ قبل أن أخلق .

فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدَّراً ، وما قُدِّر من المصائب يجب الاستسلام له ، فإنه من تمام الرضى بالله رباً .

---

(١) رواه البخاري ٨/٣٢٩ في التفسير : باب تفسير سورة طه ، وفي القدر : باب تحاج آدم وموسى ، وفي الأنبياء : باب وفاة موسى عليه السلام ، وفي التوحيد : باب قوله تعالى : ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ ومسلم رقم (٢٦٥٢) في القدر : باب حجاج آدم وموسى ، وأبو داود رقم (٤٧٠١) في السنة : باب في القدر ، والترمذي رقم (٢١٣٥) في القدر : باب حجاج آدم وموسى ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٤٨ و٢٦٤ و٢٦٨ و٣٩٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) قوله : « احتج آدم وموسى » قال أبو الحسن القابسي : معناه التقت أرواحهما في السماء فوقع الحجاج بينهما . قال القاضي عياض : ويحتمل أنه على ظاهره وأنهما اجتمعا بأشخاصهما .

وأما الذنوب ، فليس للعبد أن يذنب ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب ، فيتوب من صنوف المعائب ويصبر على المصائب . قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥]. وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ﴾ [آل عمران: ١٢٠]. وقال: ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. وقال يوسف عليه السلام : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠].

وكذلك ذنوب العباد ، يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر بحسب قدرته ، ويجاهد في سبيل اللّه الكفار والمنافقين ، ويوالي أولياء اللّه ، ويعادي أعداء اللّه ، ويحب في اللّه ويبغض في اللّه ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ، أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُم فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُم يَكُونُوا لَكُم أَعْدَاءً وَيَبْسِطُوا إِلَيْكُم أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنْفَعَكُم أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * قَدْ كَانَتْ لَكُم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَآؤُاْ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ١ ـ٤]. وقال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُم أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [القلم: ٣٥] وقال : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ

كَالفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوآءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١] وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ * وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُورُ * وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَآءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ ﴾ [فاطر: ١٩ - ٢٢] وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً ﴾ [الزمر: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدَاً مَمْلُوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقَاً حَسَناً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرّاً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلاَهُ أَيْنَمَا يُوَجِهْهُ لاَ يَأْتِ بِخَيرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل: ٧٥ - ٧٦] وقال تعالى: ﴿ لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠].

ونظائر ذلك كثير مما يفرِّق اللَّه فيه بين أهل الحق والباطل، وأهل الطاعة والمعصية، وأهل البر والفجور، وأهل الهدى والضلال، وأهل الغي والرشاد، وأهل الصدق والكذب.

فمن شهد الحقيقة الكونية دون الحقيقة الدينية، سوَّى بين هذه الأصناف المختلفة التي فرَّق اللَّه بينها غاية التفريق حتى تؤول به هذه التسويةإلى أن يسوّي بين اللَّه وبين الأصنام، كما قال تعالى عنهم: ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٧ - ٩٨] بل قد آل الأمر بهؤلاءِ إلى أن سوَّوا اللَّه بكل موجود، وجعلوا ما يستحقه من العبادة والطاعة حقاً لكل موجود، إذ جعلوه هو وجود المخلوقات، وهذا من أعظم الكفر والإلحاد بربِّ العباد، وهؤلاء يصل بهم الكفر إلى أنهم لا يشهدون أنهم عباد اللَّه، لا بمعنى أنهم

معبودون ، ولا بمعنى أنهم عابدون ، إذ يشهدون أنفسهم هي الحق ، كما صرح بـذلك طـواغيتهم ، كـابن عـربي صـاحب « الفصـوص » وأمثـالـه الملحـدين المفترين ، كابن سبعين وأمثاله ، ويشهدون أنهم هم العابدون والمعبودون .

وهذا ليس بشهود للحقيقية ، لا الكونية ولا الدينية ، بل هو ضلال وعمى عن شهود الحقيقة الكونية ، حيث جعلوا وجود الخالق هو وجود المخلوق ، وجعلوا كل وصف مذموم وممدوح نعتاً للخالق والمخلوق ، إذ وجود هذا هو وجود هذا عندهم .

وأما المؤمنون بالله ورسوله ، عوامهم وخواصهم ، الذين هم أهل القرآن ، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ » قِيلَ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَهْلُ القُرْآنِ ، هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَتِهِ »[1] .

فهؤلاءِ يعلمون أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأن الخالق سبحانه مباين للمخلوق ليس هو حالٌّ فيه ، ولا متحد به ، ولا وجوده وجوده . والنصارى إنما كفَّرهم الله إذ قالوا بالحلول واتحاد الرب بالمسيح خاصة . فكيف من جعل ذلك عاماً في كل مخلوق ؟ ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسـوله ، وأنـه لا يحب الفساد ، ولا يـرضى لعباده الكفر ، وأن على الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره ، ويستعينوا به على كل ذلك ، كما قال في فاتحة الكتاب : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٤] .

ومن عبادته وطاعته : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان ،

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ١٢٧ و١٢٨ و٢٤٢ ، والدارمي رقم (٣٣٢٩) في فضائل القرآن : باب فضل من قرأ القرآن ، وابن ماجه رقم (٢١٥) في المقدمة : باب فضل من تعلم القرآن وعلمه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح، كما قال الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢١٦١).

والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق ، فيجتهدون في إقامة دينه ، مستعينين به ، دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات ، دافعين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك ، كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالأكل ، ويدفع به الجوع المستقبل . وكذلك إذا آن أوان البرد ، دفعه باللباس ، وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه ، كما قالوا للنبي ﷺ : يَا رَسُولَ اللّهِ ! أَرَأَيْتَ أَدْوِيَةً نَتَدَاوَىٰ بها . وَرِقًى نَسْتَرْقِي بِهَا ، وَتُقًى[1] نَتَّقِي بِهَا ، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللّهِ شَيْئاً ؟ فَقال : « هِيَ مِنْ قَدَرِ اللّهِ »[2] . وفي الحديث : « إنَّ الدُّعَاءَ وَالبَلاَءَ لِيَلْتَقِيَانَ ، فَيَعْتَلِجَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ »[3] .

فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله ، العابدين لله ، وكل ذلك من العبادة .

وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية ـ وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ، ويجعلون ذلك مانعاً من اتِّباع أمره الديني الشرعي على مراتب في الضلال .

فغُلاتهم يجعلون ذلك مطلقاً عاماً ، فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة .

وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى ، وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا : ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام : ١٤٨]، وقالوا : ﴿ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ [الزخرف : ٢٠].

---

(١) جمع تقية : ما يدفع به الإنسان ما يخاف ويكره .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٠٦٦) في الطب : باب ما جاء في الرُّقي والأدوية ، من حديث أبي خزامة بن يعمر عن أبيه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال .

(٣) قال الهيثمي في « المجمع » ١٠/ ١٤٦ : رواه البزار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه ابراهيم ابن خيثم بن عراك ، وهو متروك ولفظه « لا ينفع حذر من قدر ، والدعاء ينفع ما لم ينزل القضاء ، وإن البلاء والدعاء . . . » الحديث وللحديث شواهد .

وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضاً ، بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض . فانه لا يمكن أن يُقرّ كل آدمي على ما يفعل ، فلا بد إذا ظلمه ظالم ، أو ظلم الناس ظالم ، وسعى في الأرض بالفساد ، وأخذ يسفك دماء الناس ، ويستحل الفروج ، ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها ، أن يدفع هذا القدر ، وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوانه وعدوان أمثاله . فيقال له : إن كان القدر حجةً ، فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك ؛ وإن لم يكن حجة بطل أصل قولك .

وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية ، لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه ، وإنما هم يتبعون آراءهم وأهواءهم ، كما قال فيهم بعض العلماء : أنت عند الطاعة قدَري ، وعند المعصية جبري ، أيُّ مذهب وافق هواك تمذهبت به .

ومنهم صنف يدَّعون التحقيق والمعرفة ، ويزعمون أن الأمر والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعالاً ، وأثبت له صفات . أما من شهد أن أفعاله مخلوقة ، أو أنه مجبور على ذلك ، وأن اللّه هو المتصرف فيه كما يحرك سائر المتحركات ، فانه يرتفع عنه الأمر والنهي ، والوعد ، والوعيد .

وقد يقولون : من شهد الارادة سقط عنه التكليف . ويزعمون أن الخضر سقط عنه التكليف لشهوده الإرادة .

فهؤلاء : يفرقون بين العامة ، والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية ، فشهدوا أن اللّه خالق أفعال العباد ، وأنه مريد ومدبر لجميع الكائنات .

وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علماً ، وبين من يراه شهوداً ، فلا يسقطون التكليف عمن يؤمن بذلك ويعلمه فقط ؛ ولكن يسقطونه عمن يشهده ، فلا يرى لنفسه فعلاً أصلاً .

وهؤلاء يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعاً من التكليف على هذا الوجه .

وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد .

وسبب ذلك : أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما يقدر عليه خلافه . كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك .

ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهي الشرعيين دون القضاء والقدر ، اللذين هما إرادة اللّه العامة وخلقه لأفعال العباد . وهؤلاء أثبتوا القضاء والقدر ، ونفوا الأمر والنهي في حق من شهد القدر ، إذ لم يمكنهم نفي ذلك مطلقاً .

وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة ، ولهذا لم يكن في السلف من هؤلاء أحد ، وهؤلاء يجعلون الأمر والنهي للمحجوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ، ولهذا يسقطون عمن وصل إلى شهود هذه الحقيقة الأمر والنهي ، ويقولون : إنه صار من الخاصة ، وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيكَ اليَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]. فاليقين عندهم هو معرفة هذه الحقيقة .

وقول هؤلاء كفر صريح ، وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر ، فإنه قد عُلم بالاضطرار من دين الاسلام ، أن الأمر والنهي لا زمان لكل عبد ما دام عقله حاضراً إلى أن يموت ، لا يسقط عنه الأمر والنهي ، لا بشهوده القدر ، ولا بغير ذلك . فمن لم يعرف ذلك عُرِّفه وبيّن له ، فإن أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي ، فإنه يقتل ، وقد كثرت مثل هذه المقالات في المستأخرين[١] .

وأما المتقدمون من هذه الأمة ، فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم .

---

(١) انظر تزييف مقالات هؤلاء في كتاب « العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ » للعلامة « المقبلي » من منشورات « مكتبة دار البيان بدمشق » .

وهذه المقالات هي محادة للّه ورسوله . ومعاداة له ، وصدٌّ عن سبيله ومشاقة له ، وتكذيب لرسله ، ومضادة له في حكمه ، وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ، ويعتقد أن هذا الذي هو عليه ، هو طريق الرسول ، وطريق أولياء اللّه المحققين ، فهـو في ذلك بمنـزلة من يعتقـد أن الصـلاة لا تجب عليـه ، لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية ، أو أن الخمر حلال له ، لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر ، أو أن الفاحشة حلال له ، لأنه صـار كالبحر لا تكدِره الذنوب ونحو ذلك !

فلا ريب أن المشركين الذين كذبوا الرسول يترددون بين البدعة المخالفة لشرع اللّه ، وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر اللّه ، فهذه الأصناف فيهم شبه بالمشـركين ، لأنهم إما أن يبتـدعوا ، وإما أن يحتجوا بـالقدر ، وإمـا أن يجمعوا بين الأمرين ، كما قال تعالى عن المشركين : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٨] ، وكما قال تعالى عنهم : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [النحل : ٣٥] .

وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشرعها اللّه ، في مثل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِم وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ ﴾ [الأنعام : ١٣٨]، إلى آخر السورة وكذلك في سورة الأعراف في قوله : ﴿ يا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِن حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ

أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُم عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقاً هَدَىٰ وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧ ـ ٣٣].

وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع : حقيقة ، كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة ، وطريق الحقيقة عندهم : هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ، ولكن بما يراه هو ويذوقه ويجده ونحو ذلك .

وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقاً . بل عمدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم ، وجعلهم لما يرونه وما يهوونه حقيقة ، وأمْرُهم باتباعها دون اتباع أمر اللّه ورسوله ، نظير بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم ، الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها ، دون ما دلت عليه السمعيات . ثم الكتاب والسنة ، إما أن يحرفوا القول فيهما عن مواضعه ، وإما أن يعرضوا عنه بالكلية ، فلا يتدبرونه ولا يعقلونه ، بل يقولون : نفوض معناه الى اللّه، مع اعتقادهم لنقيض مدلوله .

وإذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة ، وكذلك أولئك إذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء اللّه ، المخالفة للكتاب والسنة ، وجدت من الأهواء التي يتبعها

أعداء اللّه لا أولياؤه .

وأصل كل ضلال من ضل ، إنما هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند اللّه ، وتقديم اتباع الهوى على اتباع أمر اللّه . فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد . فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته .

فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد ، مثل ما بينه النبي ﷺ بقوله في الحديث الصحيح : « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إلَّا لِلّهِ ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ »(١) .

وقال ﷺ في الحديث الصحيح : « ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ : مَنْ رَضِيَ بِاللّهِ رَبّاً ، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِياً »(٢) وأما أهل الكفر والبدع والشهوات ، فكلٌّ بحسبه .

قيل لسفيان بن عيينة : ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم ؟ فقال : أنسيت قوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بِكُفْرِهِم ﴾ [البقرة : ٩٣]، أو نحو هذا من الكلام .

فعبَّاد الأصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥]

---

(١) رواه البخاري ١/٥٦ - ٥٨ في الايمان : باب حلاوة الايمان و١/٦٨ في الإيمان : باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار ، و١٢/٢٨١ في الإكراه : باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، ومسلم رقم (٤٣) في الإيمان : باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الايمان ، من حديث أنس رضي الله عنه . وقد تقدم تخريجه ص (٢٥٦) .

(٢) رواه مسلم رقم (٣٤) في الايمان : باب الدليل على أن من رضي بالله رباً . . . ، والترمذي رقم (٢٧٥٨) في الايمان : باب ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ، من حديث العباس رضي الله عنه .

وقال : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُم وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص : ٥٠] ، وقال : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَىٰ الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِن رَبِّهِمُ الهُدَىٰ ﴾ [النجم : ٢٣].

ولهذا يميل هؤلاء إلى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة ، التي تختص بأهل الإيمان ، بل يشترك فيها محب الرحمن ، ومحب الأوثان ، ومحب الصلبان ، ومحب الأوطان ، ومحب الإخوان ، ومحب المردان ، ومحب النسوان ، وهؤلاء يتبعون أذواقهم ومواجيدهم ، من غير اعتبار لذلك بـالكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف الأمة[١] .

فالمخالف لما بعث اللَّه به رسوله من عبادته وحده ، وطاعته وطاعة رسوله ، لا يكون متبعاً لدين شرعه اللَّه أبداً ، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُم لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُم أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية : ١٨ - ١٩] بل يكون متبعاً لهواه بغير هدى من اللَّه . قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُم شُرَكَآءُ شَرَعُوا لَهُم مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ .

وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة ، يقدمونها على ما شرعه اللَّه . وتارة يحتجون بالقدر الكوني على شريعة اللَّه ، كما أخبر اللَّه عن المشركين كما تقدم .

ومن هؤلاء طائفة أعلاهم قدراً ، وهم مستمسكون بما اختاروا بهواهم من الـدين في أداء الفرائض المشهـورة ، واجتناب المحـرمـات المشهـورة ، لكن يغلطون في ترك ما أُمروا به من الأسباب التي هي عبادة ، ظانّين أن العارف إذا

---

(١) انظر كتاب المؤلف « حكم السماع والرقص » وهو تحت الطبع من منشورات « مكتبة دار البيان » .

شهد القدر أعرض عن ذلك ، مثل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة ، بناء على أن من شهد القدر ، علم أن ما قدر سيكون ، فلا حاجة إلى ذلك وهذا غلط عظيم .

فإن اللَّهَ قَدَّر الأشياء بأسبابها ، كما قدَّر السعادة والشقاوة بأسبابهما ، كما قال النبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً ، خَلَقَها لَهُمْ وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ »[1] .

وكما قال النبي ﷺ لما أخبرهم : بأن اللَّه كتب المقادير ، فقالوا : يا رسول اللَّه ! أفلا ندع العمل ، ونتكل على الكتاب ؟ فقال : « لَا ، اعْمَلُوا ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ »[2] .

فما أمر اللَّه به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣]، وفي قوله : ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقول شعيب عليه السلام : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات ، فتنقص بقدر ذلك .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٦٢) في القدر : باب معنى « كل مولود يولد على الفطرة » ، وأبو داود رقم (٤٧١٣) في السنة : باب في ذراري المشركين ، والنسائي ٤/٥٧ في الجنائز : باب الصلاة على الصبيان ، وابن ماجة رقم (٨٢) في المقدمة : باب في القدر .

(٢) رواه البخاري ٣/١٧٩ في الجنائز : باب موعظة المحدث عند القبر ، ومسلم رقم (٢٦٤٧) في القدر : باب كيفية الخلق ، والترمذي رقم (٣٣٤١) في التغير : باب ومن سورة الليل ، وابن ماجة رقم (٧٨) في المقدمة : باب في القدر .

ومنهم طائفة يغترّون بما يحصل لهم من خرق عادة ، مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ، فيشتغل أحدهم بهذه الأمور عما أُمر به من العبادة والشكر ، ونحو ذلك . فهذه الأمور ، ونحوها كثيراً ما تعرض لأهل السلوك والتوجه ، وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر اللَّه الذي بعث به رسوله ، في كل وقت ، كما قال الزهري : كان من مضى من سلفنا يقولون : الاعتصام بالسنة نجاة . وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه اللَّه : مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلَّف عنها غرق .

والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ، ولها أصلان :

أحدهما : أن لا يعبد إلا اللَّه .

الثاني : أن لا يعبده إلا بما أمر وشرع ، ولا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ١١٢]، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [النساء: ١٢٥].

فالعمل الصالح : هو الاحسان وهو فعل الحسنات ، والحسنات : هي ما أحبه اللَّه ورسوله ، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب .

فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ، ولا في صحيح السنة ، فإنها ـ وإن قالها من قالها ، وعمل بها من عمل ـ ليست مشروعة فإن اللَّه لا يحبها ولا رسوله ، فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما أن من يعمل ما لا يجوز ، كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح .

وأما قوله : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف: ١١٠] وقوله : ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] فهو إخلاص الدين للَّه وحده. وكان عمر بن الخطاب يقول : اللهم اجعل عملي كله صالحاً ، واجعله لوجهك خالصاً ، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً .

وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُم أَيُّكُم أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك: ٢] قال : أخلصه وأصوبه قالوا : يا أبا علي ؛ ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص : أن يكون للَّه . والصواب : أن يكون على السنة .

فإن قيل : فإذا كان جميع ما يحبه اللَّه داخلاً في اسم العبادة ، فلماذا عطف عليها غيرها ؟ كقوله في فاتحة الكتاب : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ . وقوله لنبيه ﷺ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣]، وقول نوح : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾ [نوح: ٣] وكذلك قول غيره من الرسل ؟ .

قيل : هذا له نظائر ، كما في قوله : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والفحشاء من المنكر . وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ [النحل: ٩٠] وإيتاء ذي القربى : هو من العدل والاحسان ، كما أن الفحشاء والبغي من المنكر ، وكذلك قوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وإقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب .

وكذلك قوله عن أنبيائه : ﴿ إِنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً

وَرَهَباً ﴾ [الأنبياء : ٩٠] ، ودعاؤهم رغباً ورهباً من الخيرات وأمثال ذلك في القرآن كثير .

وهذا الباب : يكون تارة مع كون أحدهما بعض الآخر ، فيعطف عليه تخصيصاً له بالذكر ، لكونه مطلوباً بالمعنى العام والمعنى الخاص .

وتارة تتنوع دلالة الاسم بحال الانفراد والاقتران . فاذا أُفرد عم ، وإذا قرن بغيره خص ، كاسم « الفقير » و « والمسكين » لما أفرد أحدهما في مثل قوله : ﴿ لِلفُقَرَآءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٧٣] ، وقوله : ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ﴾ [المائدة : ٨٩] دخل فيه الآخر . ولما قرن بينهما في قوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَرَآءِ وَالمَسَاكِينِ ﴾ [التوبة : ٦٠] صارا نوعين .

وقد قيل : إن الخاص المعطوف على العام ، لا يدخل في العام حال الاقتران ؛ بل يكون من هذا الباب .

والتحقيق أن هذا ليس لازماً . قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ ﴾ [البقرة : ٩٨] وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيينَ مِيثَاقَهُم وَمِنْكَ وَمِن نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوْسَىٰ وَعِيْسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ [الأحزاب : ٧] .

وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة ، تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام ، كما في نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وتارة لكون العام فيه إطلاق قد لا يفهم منه العموم ، كما في قوله : ﴿ هُدىً لِلمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [البقرة : ٢ ـ ٤] فقوله : ﴿يؤمنون بالغيب ﴾ . يتناول الغيب الذي يجب الإيمان به ، لكن فيه إجمال . فليس فيه دلالة على أن من الغيب : ما

أنزل إليك وما أنزل من قبلك . وقد يكون المقصود أنهم يؤمنون بالمخبر به ، وهو الغيب ، وبالإخبار بالغيب ، وهو ما أنزل إليك وما أنزل من قبلك .

ومن هذا الباب : قوله تعالى : ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ [الأعراف : ١٧٠] ، وتلاوة الكتاب : هي اتّباعه والعمل به ، كما قال ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ [البقرة : ١٢١] ، قال : يحلّون حلاله ويحرمون حرامه ، ويؤمنون بمتشابهه ، ويعملون بمحكمه . فاتباع الكتاب : يتناول الصلاة وغيرها ، لكن خصها بالذكر لمزيتها . وكذلك قوله لموسى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤]. وإقام الصلاة لذكره : من أجلّ عبادته . وكذلك قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾ [الأحزاب : ٧١] . وقوله : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة : ٣٥] . وقوله :﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة : ١١٩] ، فإن هذه الأمور هي أيضاً من تمام تقوى اللّه ، وكذلك قوله : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود : ١٢٣] . فإن التوكل هو الاستعانة ، وهي من عبادة اللّه ، لكن خصت بالذكر ، ليقصدها المتعبد بخصوصيتها، فإنها هي العون على سائر أنواع العبادة ، إذ هو سبحانه لا يعبد إلا بمعونته .

إذا تبين هذا فكمال المخلوق : في تحقيق عبوديته للّه ، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته . ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه ، أو أن الخروج عنها أكمل ؛ فهو من أجهل الخلق بل من أضلهم . قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِم وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦ ـ ٢٨] . وقال تعالى :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا * تَكَادُ السَّمَٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَداً * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُم وَعَدَّهُم عَدّاً * وَكُلُّهُم آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْداً ﴾ [مريم : ٨٨ ـ ٩٥] . وقال تعالى في المسيح : ﴿ إِن هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٩] . وقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩ ـ ٢٠] . وقال تعالى : ﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلَا المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَن عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِر فَسَيَحْشُرُهُم إِلَيْهِ جَمِيعاً * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوفِّيهِمْ أُجُورَهُم وَيَزِيدُهُم مِن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُم عَذَاباً أَلِيماً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللَّهِ وَلِياً وَلَا نَصِيراً ﴾ [النساء : ١٧١ ـ ١٧٢] . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٤٠] . وقال تعالى : ﴿ وَمِن آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلْشَّمْسِ وَلَا لِلقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ * فَإِن اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [فصلت : ٣٧ ـ ٣٨] . وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُو وَالآصَالِ وَلَا تَكُن مِنَ الغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عِن عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجِدُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥ ـ ٢٠٦] . وهذا ونحوه مما فيه وصف أكابر الخلق بالعبادة ، وذم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن ، وقد أخبر أنه أرسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] . وقال تعالى

لبني إسرائيل : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ [العنكبوت : ٥٦] . ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ [البقرة : ٤١] . وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١] . وقال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ المُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِنْ دُونِهِ ﴾ [الزمر : ١١ - ١٥] .

وكل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة اللّه ، كقول نوح ومن بعده عليهم السلام في سورة الشعراء وغيرها : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [المؤمنون : ٣٢] .

وفي « المسند » عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال : « بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِّ السَّاعَة حَتَّىٰ يُعْبَدَ اللّه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ والصِّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي »(١) .

وقد بين أن عباده المخلصين ، هم الذين ينجون من السيئات التي زينها الشيطان قال الشيطان : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُم فِي الأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُم المُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩ - ٤٠] قال تعالى : ﴿ هٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ ﴾ [الحجر : ٤١ - ٤٢]. وقال﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ * إِلَّا

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٥٠ و ٩٢ ، وإسناده حسن ، وجود إسناده المصنف في « الاقتضاء » ص ٩٤ من طبعتنا ، وصححه الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » ، وحسنه الحافظ في « الفتح » ١٠/ ٢٣٠ . وتقدم تخرجه ص (٣٤١) .

عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص : ٨٢ ـ ٨٣] . وقال في حق يوسف : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ ﴾ [الصافات : ١٥٩ ـ ١٦٠] وقال : ﴿ إِنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل : ٩٩ ـ ١٠٠] .

وبالعبودية نعت كل من اصطفى من خلقه في قوله : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَىٰ الدَّارِ * وَإِنَّهُم عِندَنَا لَمِنَ المُصْطَفَينَ الأَخْيَارِ ﴾ [ص : ٤٥ ـ ٤٧] . وقوله ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧]. وقال عن سليمان: ﴿نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص : ٣٠] . وعن أيوب ﴿ نِعْمَ العَبْدُ ﴾ [ص : ٤٤] . وقال عنه : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ [ص : ٤١] . وقال عن نوح عليه السلام : ﴿ ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾ [الإسراء : ٣] . وقال عن خاتم رسله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَىٰ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ ﴾ [الإسراء : ١] وقال : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن : ١٩] . وقال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة : ٢٣] . وقال : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [النجم : ١٠] . وقال : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [الدهر : ٦] . وقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْناً ﴾ [الفرقان : ٦٣] . ومثل هذا كثير متعدد في القرآن .

فصل

إذا تبين ذلك ، فمعلوم أن الناس يتفاضلون في هذا الباب تفاضلاً عظيماً ، وهو تفاضلهم في حقيقة الإيمان . وهم ينقسمون فيه إلى عام وخاص ، ولهذا

كانت إلٰهية[1] الرب لهم فيها عموم وخصوص، ولهذا كان الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل . وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنـه قال : «تَعِسَ عَبْـدُ الدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ القَطِيفَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ ، وَإِذَا شِيـكَ فَلاَ انْتَقَشَ . إنْ أُعْـطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ مُنِعَ سَخِطَ »[2] .

فسماه النبي ﷺ : عبد الدرهم ، وعبد الدينار ، وعبد القطيفة ، وعبد الخميصة ، وذكر ما فيه دعاء وخبراً ، وهو قوله : «تعس وانتكس ، وإذا شيـك فلا انتقش» والنقش : إخراج الشوكة من الرجل . والمنقاش : ما يخرج به الشوكة . وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ، ولم يفلح لكونه تعس وانتكس . فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه ، وهذه حال من عبد المال وقد وصف ذلك بأنه إذا أُعطي رضي ، وإذا منع سخط . كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة : ٥٩] . فرضاهم لغير اللَّه ، وسخطهم لغير اللَّه ، وهكذا حـال من كان متعلقـاً برئاسة أو بصورة ، ونحو ذلك من أهواء نفسه ، إن حصـل له رضي ، وإن لم يحصل له سخط . فهذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو رقيق له ، إذ الرق والعبودية في الحقيقة : هو رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبـده ، فالقلب عبده ولهذا يقال :

العَبْـدُ حُـرٌّ مَـا قَنِـعَ   وَالحُرُّ عَبْدٌ مَـا طَمِـعَ

وقال القائل :

أَطَعْتُ مَـطَامِعِي فَاسْتَعْبَـدَتْنِي   وَلَـوْ أَنِّي قَنِعْتُ لَكُنْـتُ حُـرّاً

---

(١) في نسخة « ربوبية » .

(٢) رواه البخاري ٦١/٦ في الجهاد : باب الحراسة في الغزو في سبيل الله مطولاً ، ومختصراً ٢١٦/١١ في الرقاق : باب ما يتقي من فتنة المال ، ورواه أيضاً ابن ماجة مختصراً رقم (٤١٣٥) و(٤١٣٦) . وقد تقدم تخريجه ص (٢٦٤) .

ويقال: الطمع غل في العنق، وقيد في الرجل، فإذا زال الغل من العنق، زال القيد من الرجل. ويروى عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه، أنه قال: الطمع فقر، واليأس غنى، وإن أحدكم إذا يئس من شيء استغنى عنه. وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه، فان الأمر الذي ييأس منه لا يطلبه، ولا يطمع فيه، ولا يبقى قلبه فقيراً إليه، ولا إلى من يفعله. وأما إذا طمع في أمر من الأمور ورجاه، فإن قلبه يتعلق به، فيصير فقيراً إلى حصوله، وإلى من يظن أنه سبب في حصوله، وهذا في المال والجاه والصور وغير ذلك. قال الخليل ﷺ: ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧].

فالعبد لا بد له من رزق، وهو محتاج إلى ذلك، فإذا طلب رزقه من اللَّه صار عبداً للَّه، فقيراً إليه، وإذا طلبه من مخلوق صار عبداً لذلك المخلوق فقيراً إليه. ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمة في الأصل، وإنما أبيحت للضرورة. وفي النهي عنها أحاديث كثيرة في «الصحاح» و«السنن» و«المسانيد». كقوله ﷺ: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّىٰ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ مِنْ لَحْمٍ(١)»(٢).

وقال: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ، جَاءَتْ مَسْأَلَتُه يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُدُوشاً ـ أَوْ خُمُوشاً أَوْ كُدُوشاً ـ فِي وَجْهِهِ»(٣).

---

(١) قوله: «مزعة لحم» أي قطعة. قال القاضي: قيل معناه يأتي يوم القيامة ذليلاً ساقطاً لا وجه له عند الله. وقيل: هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم فيه، عقوبة له وعلامة له بذنبه حين طلب وسأل بوجهه.

(٢) رواه البخاري ٣/٢٦٨ في الزكاة: باب من سأل الناس تكثراً، ومسلم رقم (١٠٤٠) في الزكاة: باب كراهة المسألة للناس والنسائي ٥/ ٩٤ في الزكاة: باب المسألة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه أبو داود رقم (١٦٢٦) في الزكاة: باب من يعطي من الصدقة، والترمذي رقم (٦٥٠) فيه: باب من تحل له الزكاة، والنسائي ١/ ٣٦٣ فيه: باب حد الغنى، وابن ماجه (١٨٤٠) والدارمي رقم (١٦٤٧)، وأحمد ١/ ٣٨٨ و٤٤١. من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وهو حديث صحيح، كما قال الألباني في «الأحاديث الصحيحة» رقم(٤٩٩).

وقوله : «لَا تَحِلُّ المَسْأَلَةُ إلاَّ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ ، أَوْ فَقْرٍ مُدْقِعٍ »[1] . وهـذا المعنى في « الصحيح » وفيـه أيضاً : « لأنْ يَـأْخُذَ أَحَـدُكُم حَـبْلَهُ فَيَذْهَبَ فَيَحْتَطِبَ ، خَيْرٌ لَهُ مَنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ »[2] .

وقال : «مَا أَتَاكَ مِنْ هٰذَا المَالِ وَأَنْتَ غَيْرُ سَائِلٍ ، وَلاَ مُسْتَشْرِفٍ فَخُذْهُ ، وَمَا لاَ ، فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ »[3] . فكره أخذه مع سؤال اللسان ، واستشراف القلب . وقال في الحديث الصحيح : «مَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ »[4] .

وأوصى خواص أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئاً . وفي «المسند» : أن أبا بكر كان يسقط السوط من يده ، فـلا يقول لأحـد : ناولني إيـاه ، ويقول : إنَّ

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٦٤١) في الزكاة : باب ما تجوز فيه المسألة ورواه أيضاً ابن ماجه رقم (٢١٩٨) في التجارات : باب بيع المزايدة ، ورواه مختصراً الترمذي رقم (١٢١٨) في البيوع : باب ما جاء في بيع من يزيد ، والنسائي ٧/٢٥٩ في البيوع : باب البيع فيمن يزيد ، وأحمد في « المسند » ٣/١٠٠ ، وفي سنده أبو بكر الحنفي عبد الله ، لا يعرف حاله ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الأخضر بن عجلان ، وقال : والعمل على هذا عند بعض أهل العلم ، لم يروا بأساً ، ببيع من يزيد في الغنائم والمواريث ، وقد روى هذا الحديث المعتمر بن سليمان ، وغير واحد من أهل الحديث ، عن الأخضر بن عجلان .

(٢) رواه البخاري ٣/٢٦٥ في الزكاة : باب الاستعفاف عن المسألة ، وفي البيوع : باب كسب الرجل وعمله بيده ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري ١٣/١٣٤ و١٣٥ في الأحكام : باب رزق الحكام والعاملين عليها ، وفي الزكاة : باب من أعطاه الله شيئاً من غير مسألة ولا إشراف ، ومسلم رقم (١٠٤٥) في الزكاة : باب إباحة الأخذ لمن أعطي من غير مسألة ولا إشراف ، والنسائي ٥/١٠٥ في الزكاة : باب من آتاه الله عز وجل مالاً من غير مسألة . من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه البخاري ٣/٢٦٥ في الزكاة : باب الاستعفاف في المسألة ، وفي الرقاق : باب الصبر عن محارم الله ، ومسلم رقم (١٠٥٣) في الزكاة : باب فضل التعفف والصبر ، والموطأ ٢/٩٩٧ في الصدقة : باب ما جاء في التعفف عن المسألة ، وأبو داود رقم (١٦٤٤) في الزكاة : باب في الاستعفاف ، والترمذي رقم (٢٠٢٥) في البر والصلة : باب ما جاء في الصبر ، والنسائي ٥/٩٥ في الزكاة : باب الاستعفاف عن المسألة ، وأحمد في « المسند » ٣/١٢ و٤٧ و٩٣ ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

خَلِيلِي أَمَرَنِي أَنْ لاَ أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً »[1] . وفي «صحيح مسلم»[2] وغيره ، عن عوف بن مالك أن النبي ﷺ بايعه في طائفة ، وَأَسرَّ إِلَيْهِمْ كَلِمَةً خَفِيَّةً : أَنْ لاَ يَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئاً ، فَكَانَ بَعْضُ أُوْلَئِكَ النَّفَرُ يَسْقُطُ السَّوْطَ مِنْ يَدِ أَحَدِهِم وَلاَ يَقُولُ لأَحَدٍ : نَاوِلْنِي إِيَّاهُ .

وقد دلت النصوص على الأمر بمسألة الخالق ، والنهي عن مسألة المخلوق في غير موضع . كقوله تعالى ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الانشراح: ٧ ـ ٨] . وقول النبي ﷺ لابن عباس : «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ »[3] . ومنه قول الخليل : ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ [العنكبوت: ١٧] ، ولم يقل : فابتغوا الرزق عند الله ، لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر ، كأنه قال : لا تبتغوا الرزق إلا عند الله . وقد قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النساء ٣٢] .

والإنسان لا بد له من حصول ما يحتاج إليه من الرزق ونحوه ، ودفع ما يضره ، وكلا الأمرين شرع له أن يكون دعاؤه لله ، فلا يسأل رزقه إلا من الله ، ولا يشتكي إلا إليه ، كما قال يعقوب عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » ١/ ١١ ، وفي سنده انقطاع ، قال الحافظ المنذري ١/ ٥٧٩ : ابن أبي مليكة ـ يعني الراوي ـ لم يدرك أبا بكر .

(٢) رواه مسلم رقم (١٠٤٣) في الزكاة : باب كراهية المسألة ، وأبو داود رقم (١٦٤٢) في الزكاة : باب كراهية المسألة ، وابن ماجه رقم (٢٨٦٧) في الجهاد : باب البيعة .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٥١٨) في صفة القيامة : باب رقم (٦٠) وأحمد في « المسند » ١/ ٢٩٣ و٣٠٣ و٣٠٧، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في«جامع العلوم والحكم»ص ١٦٩ : وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح ، وعمرو بن دينار ، وعبيد الله بن عبد الله ، وعمر مولى عفرة ، وابن أبي مليكة ، وغيرهم ، وقد جمع الحافظ ابن رجب الحنبلي طرق هذا الحديث وشرحه شرحاً وافياً في رسالة سماها « نور الاقتباس في وصية ابن عباس » فلتراجع فانها رسالة قيمة . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٣) .

والله تعالى ذكر في القرآن الهجر الجميل ، والصفح الجميـل ، والصبر الجميل ، وقد قيل : إن الهجر الجميل : هو هجر بلا أذى، والصفح الجميل : صفح بلا معاتبة . والصبر الجميل : صبـر بغير شكـوى إلى المخلوق . ولهذا قرىء على أحمد بن حنبـل في مرضـه : أن طاووساً كان يكـره أنين المريض ويقول : إنه شكوى . فما أنَّ أحمد حتى مات . وأما الشكوى إلى الخالق فلا تنافي الصبر الجميل ، فإن يعقوب قال ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ١٨] . وقال ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَىٰ اللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦] . وكان عمر بن الخـطاب رضي الله عنه يقرأ في الفجر بسورة يونس ويوسف والنحل ، فمر بهذه الآية في قراءته . فبكى حتى سمع نشيجه من آخر الصفوف .

ومن دعاء موسى : «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ وَإِلَيْكَ المُشْتَكَىٰ ، وَأَنْتَ المُسْتَعَانُ [وَبِكَ المُسْتَغَاثُ] وَعَلَيْكَ التِكْلَانُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِكَ »[1] . وفي الدعاء الذي دعا به النبي ﷺ لما فعل به أهل الطائف ما فعلوا : « اللَّهُمَّ إلَيْكَ أَشْكُـو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوانِي عَلَىٰ النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبِّي وَرَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ ، اللَّهُمَّ إِلَىٰ مَنْ تَكِلُنِي ؟ إِلَىٰ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي ، أَمْ إِلَىٰ عَدُوٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبالِي ، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي . أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ بِهِ الظُّلُماتُ ، وَصَلُحَ عَلَيْهُ أَمْرُ الدُّنْيا وَالآخِرَة : أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ ، أَوْ يَحُلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ ، لَكَ العُتْبَى حَتَّىٰ تَرْضَىٰ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوةَ إِلَّا بِاللَّهِ » وفي بعض الروايات : « وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ »[2] .

---

(١) ذكره بطوله من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١٠/١٨٣ وقال في آخره : رواه الطبراني في « الأوسط » و« الصغير » وفيه من لم أعرفهم .

(٢) أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن جعفر ، كما في « مجمع الزوائد » ٦/٣٥ ، ورجاله ثقات إلا أن فيه تدليس ابن اسحاق . وقال الزرقاني في « شرح المواهب » ١/ ٣٠٥ : وهذا مرسل صحابي لأن عبد الله ابن جعفر ولد بالحبشة فلم يدرك ما حدث به .

وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته ، ورجاؤه لقضاء حاجته ودفع ضرورته ، قويت عبوديته له ، وحريته مما سواه ، فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له ، فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه ، كما قيل: استغن عمن شئت تكن نظيره ، وأَفْضلْ على من شئت تكن أميره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره فكذلك طمع العبد في ربه ورجاؤه له، يوجب عبوديته له،وإعراض قلبه عن الطلب من الله ، والرجاء له يوجب انصراف قلبه عن العبودية للّه. لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق ، بحيث يكون قلبه معتمداً إما على رئاسته وجنوده وأتباعه ومماليكه ، وإما على أهله وأصدقائه ، وإما على أمواله وذخائره ، وإما على ساداته وكبرائه ، كمالكه وملكه وشيخه ومخدومه وغيرهم ، ممن هو قد مات أو يموت قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً ﴾ [الفرقان: ٥٨] وكل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه ، أو أن يهدوه ، خضع قلبه لهم ، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك ، وإن كان في الظاهر أميراً لهم ، مدبراً لأمورهم ، متصرفاً بهم . فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر . فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ـ ولو كانت مباحة له ـ يبقى قلبه أسيراً لها تتحكم فيه وتتصرف بما تريد ، وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها أو مالكها ، ولكنه في الحقيقة هو أسيرها ومملوكها ، ولا سيما إذا علمت بفقره إليها وعشقه لها ، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها ، فإنها حينئذ تتحكم فيه تحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه ، بل أعظم ، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن ، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن ، فإن من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي ما دام قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً ، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص. وأما إذا كان القلب ـ الذي هو ملك الجسم ـ رقيقاً مستعبداً ، متيماً لغير اللّه ، فهذا هو الذل والأسر المحض ، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب .

وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب ، فإن المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق ، لم يضره ذلك إذا كان قائماً بما يقدر عليه من الواجبات . ومن استعبد بحق ، إذا أدى حق اللّه وحق موَاليه فله أجران ، ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك . وأما من استعبد قلبه فصار عبداً لغير اللّه ، فهذا يضره ذلك كل الضرر ، ولو كان في الظاهر ملك الناس(١) .

فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ، كما أن الغنى غنى النفس . قال النبي ﷺ : « لَيسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَة العَرَضِ(٢) ، وَإِنَّمَا الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ »(٣) .

وهذا لعمر اللّه إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة . فأما من استعبد قلبه صورة محرمة : امرأة أو صبي . فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب .

وهؤلاء عشّاق الصور من أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً ، فإن العاشق لصورة ، إذا بقي قلبه متعلقاً بها ، مستعبداً لها ، اجتمع له من أنواع الشر والخسران والفساد ما لا يحصيه إلا ربُّ العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى ، فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة ، أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب منه ، ويزول أثره من قلبه . وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين ، كما قيل :

---

(١) انظر بيان معنى الإكراه في رسالة « حكم موالاة أهل الإشراك » للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ص (٣٠٢) من هذه المجموعة .

(٢) قوله : « العَرَض » هو متاع الدنيا . ومعنى الحديث : الغنى المحمود غنى النفس وشبعها وقلة حرصها ، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة ، لأن من كان طالباً للزيادة لم يستغن بما معه ، فليس له غنى .

(٣) رواه البخاري ١١/٢٣١ و٢٣٢ في الرقاق : باب الغنى غنىٰ النفس ، ومسلم رقم (١٠٥١) في الزكاة : باب ليس الغنى عن كثرة العرض ، والترمذي رقم (٢٣٧٤) في الزهد : باب ما جاء أن الغنى غنى النفس ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

سَكْـرَانُ سُكْـرَ هَـوَىً وَسُكْـرَ مُـدَامَـةٍ وَمَـتَى إِفَـاقَـةُ مَـنْ بِـهِ سُكْـرَانِ ؟

وقيل :

قَـالُـوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْـوَىٰ فَقُلْتُ لَهُمْ الْعِشْقُ أَعْـظَمُ مِمَّـا بِـالْـمَجَـانِـينِ
الْعِشْقُ لَا يَسْتَفِيقُ الـدَّهْـرَ صَـاحِبُـهُ وَإِنَّمَـا يُصْـرَعُ الْمَجْنُـونُ فِي حِينِ

ومن أعظم أسباب هذا البلاء : إعراض القلب عن اللّه ، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة اللّه والاخلاص له ، لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك ، ولا ألذ ولا أمتع ولا أطيب .

والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه ، أو خوفاً من مكروه ، فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح ، أو بالخوف من الضرر .

قال تعالى في حق يوسف : ﴿ كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤]، فاللّه يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصورة والتعلق بها ، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه للّه .

وهـذا يـكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية للّه ، والاخلاص له ، بحيث تغلبه نفسه على اتباع هواها ، فإذا ذاق طعم الاخلاص للّه ، وقوي في قلبه ، انقهر له هواه بلا كبير علاج .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥]، فإن الصلاة فيها دفع لشر مكروه ، وهو الفحشاء والمنكر ، وفيها تحصيل لخير محبوب ، وهو ذكر اللّه . وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه ، فإن ذكر اللّه ؛ عبادة للّه ، وعبادة القلب للّه مقصودة لذاتها .

وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع ، والقلب خلق يحب

الحق ويريده ويطلبه ، فلما عرضت له إرادة الشر طلب دفع ذلك ، فإنها تفسد القلب كما يفسد الزرع بما ينبت فيه من الدغل .

ولهذا قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس : ٩ - ١٠] وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى : ١٤ - ١٥] ، وقال : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِن أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُم ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾ [النور : ٣٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُم وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُم مِن أَحَدٍ أَبَداً ﴾ [النور : ٢١] فجعل سبحانه غض البصر ، وحفظ الفرج ، هو أقوى تزكية للنفس ، وبين أن ترك الفواحش من زكاة النفوس ، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور : من الفواحش والظلم ، والشرك والكذب وغير ذلك .

وكذلك طالب الرئاسة والعلو في الأرض ، قلبه رقيق لمن يعينه عليها ، ولو كان في الظاهر مقدمهم والمطاع فيهم ، فهو في الحقيقة يرجوهم ويخافهم ، فيبذل لهم الأموال والولايات ، ويعفو عما يجترحونه ليطيعوه ويعينوه ، فهو في الظاهر رئيس مطاع ، وفي الحقيقة عبد مطيع لهم .

والتحقيق أن كلاهما فيه عبودية للآخر ، وكلاهما تارك لحقيقة عبادة الله . وإذا كان تعاونهما على العلو في الأرض بغير الحق ، كانا بمنزلة المتعاونين على الفاحشة أو قطع الطريق فكل واحد من الشخصين ، - لهواه الذي استعبده واسترقه - مستعبد للآخر . وهكذا أيضاً طالب المال ، فإن ذلك المال يستعبده ويسترقه .

وهذه الأمور نوعان :

منها : ما يحتاج العبد إليه ، ككل ما يحتاج إليه من طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ، ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ، ويرغب إليه فيه ، فيكون المال عنده -

بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته ، من غير أن يستعبده ، فيكون هلوعاً : إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً .

يستعمله في حاجته ـ بمنزلة حماره الذي يركبه ، وبساطه الذي يجلس عليه . بل

ومنها : ما لا يحتاج العبد إليه ، فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به . فإذا علق قلبه به صار مستعبداً له . وربما صار معتمداً على غير اللّه ، فلا يبقى معه حقيقة العبادة للّه ، ولا حقيقة التوكل عليه ، بل فيه شعبة من العبادة لغير اللّه ، وشعبة من التوكل على غير اللّه ، وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ : « تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ القَطِيفَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ »(١) . وهذا هو عبد هذه الأمور ، فإنه لو طلبها من اللّه ، فإن اللّه إذا أعطاه إياها رضي ، وإذا منعه إياها سخط . وإنما عبد اللّه من يرضيه ما يرضي اللّه ، ويسخطه ما يسخط اللّه ، ويحب ما أحبه اللّه ورسوله ، ويبغض ما أبغضه اللّه ورسوله ، ويوالي أولياء اللّه ، ويعادي أعداء اللّه تعالى . وهذا هو الذي استكمل الإيمان ، كما في الحديث : « مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ ، وَأَعْطَىٰ للَّهِ وَمَنَعَ للَّهِ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ »(٢) . وقال : « أَوْثَقُ عُرَىٰ الإِيمَانِ : الحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالبُغْضُ فِي اللَّهِ »(٣) .

---

(١) رواه البخاري ٦١/٦ في الجهاد : باب الحراسة في الغزو في سبيل الله مطولاً ، ومختصراً ٢١٦/١١ في الرقاق : باب ما يتقى من فتنة المال ، ورواه أيضاً ابن ماجة مختصراً رقم (٤١٣٥) و(٤١٣٦ . وقد تقدم تخريجه ص (٤٨٢) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٤٣٠/٣ من حديث عمرو بن الجموح رضي الله عنه بلفظ « لا يحق للعبد صريح الايمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله تعالى ، فاذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاء من الله . . . » واسناده ضعيف ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٨٩/١ من حديث عمرو بن الجموح رضي الله عنه بلفظ « لا يجد العبد صريح الايمان حتى يحب لله ، ويبغض لله ، فاذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية » وقال: رواه الطبراني في « الكبير » وفيه رشد بن سعد وهو ضعيف . وقد تقدم تخريجه ص (٢٥٦) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٢٨٦/٤ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وهو في « الصغير » عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٧٢٨) : الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل ، والله أعلم . تقدم تخريجه ص (١٤٤) .

وفي « الصحيح » عنه ﷺ : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيْمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَىٰ الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ »[1] . فهذا وافق ربه فيما يحبه وما يكرهه . فكان اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأحب المخلوق للَّه ، لا لغرض آخر . فكان هذا من تمام حبه للَّه ، فإن محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب ، فإذا أحب أنبياء اللَّه وأولياء اللَّه لأجل قيامهم بمحبوبات الحق ، لا لشيء آخر ، فقد أحبهم للَّه لا لغيره . وقد قال تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَىٰ الكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]، ولهذا قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]، فإن الرسول لا يأمر إلا بما يحب اللَّه ، ولا ينهى إلا عما يبغضه اللَّه ، ولا يفعل إلا ما يحبه اللَّه ، ولا يخبر إلا بما يحب اللَّه التصديق به . فمن كان محباً للَّه ، لزم أن يتبع الرسول ، فيصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر ، ويتأسى به فيما فعل ، ومن فعل هذا ، فقد فعل ما يحبه اللَّه ، فيحبه اللَّه .

وقد جعل اللَّه لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول ، والجهاد في سبيله ، وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه اللَّه من الإيمان ، والعمل الصالح ، وفي دفع ما يبغضه اللَّه : من الكفر ، والفسوق والعصيان .

وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُم وَأَبْنَاؤُكُم وَإِخْوَانُكُم وَأَزْوَاجُكُم

---

(١) رواه البخاري ١/ ٥٦ ـ ٥٨ في الايمان : باب حلاوة الايمان و١/ ٦٨ في الإيمان : باب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار ، و١٢/ ٢٨١ في الإكراه : باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر ، ومسلم رقم (٤٣) في الإيمان : باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الايمان ، من حديث أنس رضي الله عنه . وقد تقدم تخريجه ص (٢٥٦) و (٤٧٢) .

وَعَشِيرَتُكُم وأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة : ٢٥]. فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من اللَّه ورسوله ، والجهاد في سبيله بهذا الوعيد الشديد ، بل قد ثبت عنه ﷺ في « الصحيح » أنه قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »[1] .

وفي « الصحيح » : أن عمر بن الخطاب قال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ : « لَا يَا عُمَرُ ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ » ، فَقَالَ : فَوَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي ، فَقَالَ : « الآنَ يَا عُمَرُ »[2] .

فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب ، وهو موافقته في حب ما يحب ، وبغض ما يبغض . واللَّه يحب الإيمان والتقوى ، ويبغض الكفر والفسوق والعصيان .

ومعلوم أن الحب يحرك إرادة القلب ، فكلما قويت المحبة في القلب طلب القلب فعل المحبوبات ، فإذا كانت المحبة تامة استلزمت إرادة جازمة في حصول المحبوبات ، فإذا كان العبد قادراً عليها حصلها ، وإن كان عاجزاً عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك ، كان له أجر كأجر الفاعل . كما قال النبي ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدَىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ .

---

(١) رواه البخاري ١/٥٥ في الايمان : باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ، ومسلم رقم (٤٤) في الايمان : باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، من حديث أنس رضي الله عنه . وأحمد في « المسند » ٣/ ٢٠٧ وقد تقدم تخريجه ص (٢٥٥) .

(٢) رواه البخاري ١١/٤٥٨ في الايمان والنذور : باب كيف كانت يمين النبي ﷺ .

وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الوِزْرِ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ »(١) .

وقال : « إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ » . قَالُوا : وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ؟ قَالَ : « وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ »(٢) .

والجهاد : هو بذل الوسع ـ وهو كل ما يملك من القدرة ـ في حصول محبوب الحق ، ودفع ما يكرهه الحق . فإذا ترك العبد ما يقدر عليه من الجهاد ، كان تركه دليلاً على ضعف محبة اللّه ورسوله في قلبه .

ومعلوم أن المحبوبات لا تنال غالباً إلا باحتمال المكروهات ، سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة . فالمحبون للمال والرئاسة والصور ، لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم في الدنيا ، مع ما يصيبهم من الضرر في الدنيا والآخرة . فالمحب للّه ورسوله إذا لم يحتمل ما يرى من تحمل المحبين لغير اللّه ما يحتملون في سبيل حصول محبوبهم ، دل ذلك على ضعف محبته للّه ، إذ كان ما يسلكه أولئك في نظرهم ، هو الطريق الذي يسير به العقل .

ومن المعلوم أن المؤمن أشد حباً للّه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذَ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٧٤) في العلم : باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ، وأحمد في « المسند » ٣٩٧/٢ و٥٠٥ و٥٢٠ ، والترمذي رقم (٢٦٧٦) في العلم : باب فيمن دعا إلى هدى فاتبع ضلالة ، وأبو داود رقم (٤٦٠٩) في السنة : باب لزوم السنة ، و« الموطأ » ٢١٨/١ في القرآن : باب العمل في الدعاء ، وابن ماجه رقم (٢٠٦) في المقدمة : باب من سنة حسنة ، والدارمي رقم (٥١٩) في المقدمة : باب رقم (٤٤) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ، وقد تقدم تخريجه ص (١٢٨) .

(٢) رواه مسلم رقم (١٩١١) في الامارة : باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ، وابن ماجه رقم (٢٧٦٥) في الجهاد : باب من حبسه العذر عن الجهاد من حديث جابر رضي الله عنه .

نعم قد يسلك المحب لضعف عقله وفساد تصوره طريقاً لا يحصل له بها المطلوب . فمثل هذه الطريق لا تحمد إذا كانت المحبة صالحة محمودة .

فكيف إذا كانت المحبة فاسدة ، والطريق غير موصل ؟ ! كما يفعله المتهورون في طلب المال والرئاسة والصور ، من حب أمور توجب لهم ضرراً ، ولا تحصل لهم مطلوباً ، وإنما المقصود : الطرق التي يسلكها ذو العقل السليم لحصول مطلوبه.

وإذا تبين هذا، فكلما ازداد القلب حباً للّه، ازداد له عبودية وحرية عما سواه، وكلما ازداد له عبودية، ازداد له حباً وحرية عما سواه .

والقلب فقير بالذات إلى اللّه من جهتين : من جهة العبادة ، وهي العلة الغائبة ، ومن جهة الاستعانة والتوكل ؛ وهي العلة الفاعلة .

فالقلب لا يصلح ، ولا يفلح ، ولا ينعم ، ولا يسر ، ولا يلتذ ، ولا يطيب ، ولا يسكن ، ولا يطمئن ، إلا بعبادة ربه وحده ، وحبه والإنابة اليه ، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات ، لم يطمئن ، ولم يسكن ، إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة ، من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه ، وبذلك يحصل له الفرح والسرور واللذة والنعمة والسكون والطمأنينة .

وهذا لا يحصل له إلا بإعانة اللّه له ، فانه لا يقدر على تحصيل ذلك السرور والسكون إلا اللّه ، فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فإنه لو أعين على حصول كل ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده . ولم تحصل له عبادة اللّه ، فلن يحصل إلا على الألم والحسرة والعذاب ، ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها ، إلا بإخلاص الحب للّه ، بحيث يكون اللّه هو غاية مراده ، ونهاية مقصوده ، وهو المحبوب له بالقصد الأول ، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله ،

لا يحب شيئاً لذاته إلا للّه ، ومتى لم يحصل له هذا ، لم يكن قد حقق حقيقة : « لا إله إلا اللّه » . ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة للّه ، وكان فيه من نقص التوحيد والإيمان ، بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك ، ولو سعى في هذا المطلوب ، ولم يكن مستعيناً باللّه متوكلاً عليه ، مفتقراً اليه في حصـوله ، لم يحصل له ، فانه ما شاء اللّه كان ، وما لم يشأ لم يكن .

فـالعبـد مفتقـر إلى اللّه ؛ من حيث هـو المـطلوب المحبـوب ، المـراد المعبود ، ومن حيث هو المسؤول المستعان به ، المتوكل عليه ، فهو إلّهه الذي لا إله له غيره ، وهو ربه الذي لا رب له سواه ، ولا تتم عبوديته للّه إلا بهذين .

فمتى كان يحب غير اللّه لذاته ، أو يلتفت إلى غير اللّه أنه يعينه ، كان عبداً لما أحبه ، وعبداً لما رجاه ، بحسب حبه له ورجائه إياه ، وإذا لم يحب أحداً لذاته إلا اللّه ، وأي شيء أحبه سواه ، فإنما أحبه له ، ولم يرج قط شيئاً إلا اللّه ، وإذا فعل ما فعل من الأسباب ، أو حصل ما حصل منها ، مشاهداً أن اللّه هو الذي خلقها وقدرها وسخرها له ، وأن كل ما في السماوات والأرض فاللّه ربه ومليكه وخالقه ومسخره ، وهو مفتقر اليه ، كان قد حصل له من تمام عبوديته للّه بحسب ما قسم له من ذلك .

والناس في هذا على درجات متفاوتة ، لا يحصي طرقها إلا اللّه .

فـأكمـل الخلق وأفضلهم ، وأعــلاهم وأقـربهم إلى اللّه ، وأقــواهم ، وأهداهم : أتمهم عبودية للّه من هذا الوجه .

وهذا هو حقيقة دين الاسلام الذي أرسل اللّه به رسله ، وأنزل به كتبه ، وهو أن يستسلم العبد للّه لا لغيره ، فـالمستسلم له ولغيـره مشرك ، والممتنـع عن الاستسلام له مستكبر .

وقد ثبت في « الصحيح »(١) عن النبي ﷺ : « أَنَّ الجَنَّةَ لَا يَدْخُلَهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» كما أن النار لا يخلد فيها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ، فجعل الكبر مقابلاً للايمان ، فان الكبر ينافي حقيقة العبودية ، كما ثبت في الصحيح »(٢) عن النبي ﷺ أنه قال : « يَقُولُ اللّٰهُ : العَظَمَةُ إزارِي ، وَالْكُبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ » فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية ، والكبرياء أعلى من العظمة ، ولهذا جعلها بمنزلة الرداء ، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار .

ولهذا كان شعار الصلاة والأذان والأعياد : هو التكبير ؛ وكان مستحباً في الأمكنة العالية ، كالصفا والمروة ، وإذا علا الإنسان شرفاً ، أو ركب دابة ونحو ذلك ، وبه يطفأ الحريق وإن عظم ، وعند الأذان يهرب الشيطان قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وكل من استكبر عن عبادة اللّه ، فلا بد أن يعبد غيره ، ويذل لـه ، فإن الانسان حساس يتحرك بالإرادة .

وقد ثبت في « الصحيح »(٣) عن النبي ﷺ أنه قال : « أَصْدَقُ الأَسْمَاءِ :

---

(١) رواه مسلم (٩١) في الإيمان : باب تحريم الكبر وبيانه ، وأبو داود رقم (٤٠٩١) في الأدب : باب ما جاء في الكبر ، والترمذي (١٩٩٩) في البر والصلة : باب ما جاء في الكبر ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٢٠) في البر : باب تحريم الكبر ، من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما ، وروواه أبو داود رقم (٤٠٩١) في اللباس : باب ما جاء في الكبر ، وابن ماجة رقم (٤١٧٤) في الزهد : باب البراءة من الكبر والتواضع وأحمد في « المسند » ٢/٣٧٦ و٤١٤ و٤٢٧ و٤٤٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . ولفظه عند مسلم «العز إزاره ، والكبرياء داؤه ، فمن ينازعني عذبته » .

(٣) الذي في « صحيح مسلم » : « أحب الأسماء إلى الله تعالى : عبد الله وعبد الرحمن » رواه مسلم رقم (٢١٣٢) في الأداب : باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء ، والترمذي رقم =

حَارِثٌ وَهَمَّامٌ » فالحارث : الكاسب الفاعل ، والهمام : فعال من الهم ، والهم أول الإرادة ، فالإنسان له إرادة دائماً ، وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي اليه ، فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته ، فمن لم يكن اللّه معبوده ومنتهى حبه وإرادته ، بل استكبر عن ذلك ، فلا بد أن يكون له مراد محبوب ، يستعبده ويستذله غير اللّه ، فيكون عبداً ذليلاً لذلك المراد المحبوب : إما المال ، وإما الجاه ، وإما الصور ، وإما ما يتخذه إلهاً من دون اللّه ، كالشمس ، والقمر ، والكواكب ، والأوثان ، وقبور الأنبياء ، والصالحين ، والملائكة ، والأنبياء ، والأولياء ، الذين يتخذهم أرباباً ، وغير ذلك مما عبد من دون اللّه .

وإذا كان عبداً لغير اللّه كان لا بد مشركاً ، وكل مستكبر فهو مشرك ، ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكباراً عن عبادة اللّه ، وكان مشركاً قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ ـ إلى قوله : ـ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴾ ـ إلى قوله : ـ ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٢٣ ـ ٣٥]. وقال تعالى : ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴾ [العنكبوت: ٣٩]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٤]، وقال : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا

= (٢٨٣٥) في الأدب : باب رقم (٦٤) ، وأبو داود رقم (٤٩٤٩) في الأدب : باب تغيير الأسماء ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وحديث « أصدق الأسماء : حارث وهمام » رواه أبو داود رقم (٤٩٥٠) في الأدب : باب في تغيير الأسماء ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٣٤٥ من حديث أبي وهب الجشمي وهو حديث صحيح .

وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُم ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ المُفْسِدِينَ ﴾ [النمل : ١٤] .
ومثل هذا في القرآن كثير .

وقد وصف فرعون بالشرك في قوله : ﴿ وَقَالَ المَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكباراً عن عبادة اللّه ، كان أعظم إشراكاً باللّه ، لأنه كلما استكبر عن عبادة اللّه ، ازداد فقراً وحاجة إلى مراده المحبوب الذي هو مقصود قلبه بالقصد الأول ، فيكون مشركاً لما استعبده من ذلك .

ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات ، إلا بأن يكون اللّه هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ، ولا يستعين إلا به ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ، ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ، ولا يوالي إلا من والاه اللّه ، ولا يعادي إلا من عاداه اللّه ، ولا يحب إلا لله ، ولا يبغض شيئاً إلا للّه ، ولا يعطي إلا للّه ، ولا يمنع إلا للّه . فكلما قوي إخلاص حبه ودينه للّه كملت عبوديته ، واستغناؤ ه عن المخلوقات . وبكمال عبوديته للّه تكمّل براءته من الكبر والشرك ، والشرك غالب على النصارى والكبر غالب على اليهود . قال تعالى في النصارى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١] ، وقال في اليهود: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُم فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧] . وقال تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لاَ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ [الأعراف: ١٤٦] .

ولما كان الكبر مستلزماً للشرك ، والشرك ضد الاسلام ، وهو الذنب الذي لا يغفره اللّه، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ

يَشَآءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً ﴾ [النساء: ٤٨] . وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ [النساء: ١١٦] . كان الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام ، فهو الدين الذي لا يقبل اللّه غيره ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين، قال نوح: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُم فَمَا سَأَلْتُكُم مِن أَجْرٍ إِن أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ اللَّه وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢] . وقال في حق إبراهيم : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لِمَن الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا ابْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢] .

وقال عن يوسف : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١] . وقال عن موسى : ﴿ إِن كُنْتُم آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنا ﴾ [يونس : ٨٤ - ٨٥] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ [المائدة: ٤٤] . وقال عن بلقيس : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤] . وقال : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الحَوَارِيينَ أن آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [المائدة: ١١١] . وقال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقال: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرِ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] . وقال تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ؟ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ﴾ [آل عمران: ٨٣] .

فذكر إسلام الكائنات طوعاً وكرهاً ، لأن المخلوقات جميعها متعبدة له التعبد العام ، سواء أقر المقر بذلك أو أنكره ، وهم مدينون له مدبّرون ، فهم مسلمون له طوعاً وكرهاً ، ليس لأحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدّره

وقضاه ، ولا حول ولا قوة إلا به ، وهو رب العالمين ومليكهم ؛ يصرفهم كيف يشاء ، وهو خالقهم كلهم ، وبارئهم ومصورهم . وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع مفطور ، فقير محتاج معبَّد مقهور ، وهو سبحانه الواحد القهار ، الخالق البارىء المصور ، وهو وإن كان قد خلق ما خلقه لأسباب ، فهو خالق السبب والمقدر له ، والسبب مفتقر إليه كافتقار المسبب ، وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل خير ولا دفع ضر ، بل كان كل ما هو سبب فهو محتاج الى سبب آخر يعاونه ، وإلى ما يدفع عنه الضرر الذي يعارضه ويمانعه . وهو سبحانه وحده هو الغني عن كل ما سواه ، ليس له شريك يعاونه ، ولا ضد يناوئه ويعارضه .

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨] . وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام: ١٧] . وقال تعالى عن الخليل : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَحَاجَهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَآءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُم أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُم سُلْطَاناً فَأَيْ الفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنْتُمْ تعلمون * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٨ ـ ٨٢] .

وفي «الصحيحين»[(١)] عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه أن هذه الآية لما

---

(١) البخاري ١/٨١ و٨٢ في الإيمان : باب ظلم دون ظلم ، وفي عدة أبواب أخر ، ومسلم رقم (١٢٤) في =

نزلت شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا : يا رسول اللّه ! أيُّنا لَمْ يَلْبِسْ إيمانُه بِظُلْمٍ ؟ فقال : «إنَّما هُوَ الشِّرْكُ » أَلَمْ تَسْمَعُوا إلَىٰ قَوْلِ العَبْدِ الصَّالِحِ : ﴿ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ » .

وإبراهيم الخليل إمام الحنفاء المخلصين ، حيث بعث وقد طبق الأرض دين المشركين . قال اللّه تعالى : ﴿ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

فبين أن عهده بالامامة لا يتناول الظالم ، فلم يأمر الله سبحانه أن يكون الظالم إماماً ، وأعظم الظلم الشرك . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل : ١٢٠]. والأمة : هو القدوة، المعلم للخير الذي يؤتم به، كما أن القدوة، الذي يقتدى به. واللّه تعالى جعل في ذريته النبوة والكتاب، وإنما بعث الأنبياء بعده بملته. قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل : ١٢٣] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٨] وقال تعالى : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلَا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٧] . وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِم لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٥ ـ ١٣٦] .

= الايمان : باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده ، والترمذي رقم (٣٠٦٩) في التفسير : باب ومن سورة الأنعام ، وأخرجه أحمد في « المسند » ١/ ٤٢٤ ، والطبري رقم (١٣٤٧٦) .

وقد ثبت في « الصحيح »[1] عن النبي ﷺ : « أَنَّ إِبْرَاهِيمَ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ » . فهو أفضل الأنبياء بعد النبي ﷺ ، وهو خليل اللّه تعالى .

وقد ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال : « إنّ اللّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخذَ إبْراهِيمَ خَلِيلاً » وقال : « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، وَلَكِنْ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ »[2] - يعني نفسه - .
وقال : « لا تُبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلاَّ سُدَّتْ إلاّ خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ »[3] .

وقال : « أَلاَ وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ ، أَلاَ فَلاَ تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ فِإنّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذٰلِكَ »[4] .

وكل هذا في « الصحيح » وفيه أنه قال ذلك قبل موته بأيام ، وذلك من تمام رسالته ، فإن في ذلك تمام تحقيق مخاللته للّه التي أصلها محبة اللّه تعالى للعبد ومحبة العبد للّه ، خلافاً للجهمية .

وفي ذلك تحقيق توحيد اللّه ، وأن لا يعبدوا إلا إياه ، رداً على أشباه المشركين ، وفيه رد على الرافضة الذين يبخسون الصدّيق رضي اللّه عنه حقه ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٦٩) في الفضائل : باب من فضائل ابراهيم الخليل ﷺ من حديث أنس رضي الله عنه .
(٢) رواه مسلم رقم (٥٣٢) في المساجد ومواضع الصلاة : باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث جندب رضي الله عنه . ولفظه بتمامه : سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس ، وهو يقول : « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً ، كما اتخذ ابراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إني أنهاكم عن ذلك » . وتقدم تخريجه ص (٢٣٣) .
(٣) رواه البخاري ٧/ ١٠ - ١١ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب قول النبي ﷺ : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر » ، ومسلم رقم (٢٣٨٢) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه ، والترمذي رقم (٣٦٦١) ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .
(٤)

وهم أعظم المنتسبين إلى القبلة إشراكاً بعبادة عليٍّ وغيره من البشر .

والخلة : هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية للّه ، ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه .

ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب ، فإنهم يقولون : قلب متيم إذا كان معبداً للمحبوب . والمتيم : المعبد ، وتيم اللّه : عبد اللّه ، وهذا على الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم .

ولهذا لم يكن له ﷺ من أهل الأرض خليل ، إذ الخلة لا تحتمل الشركة ، فإنه كما قيل:

قد تخللت مسلك السروح مني   وبذا سمي الخليل خليلا

بخلاف أصل الحب ، فإنه ﷺ قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة : « اللَّهُمَّ إنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا ، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا »(١) . وسأله عمرو بن العاص : « أَيُّ النِّسَاءِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ فَقَالَ: عَائِشَةُ: قَالَ : فَمِنَ الرِّجَالِ ؟ قَالَ أَبُوهَا »(٢) وقال لعلي رضي اللّه عنه : « لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ »(٣) وأمثال ذلك كثير .

---

(١) رواه البخاري ٧/ ٧٠ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب ذكر أسامة بن زيد : بلفظ « اللهم أحبهما فإني أحبهما » وما رواه المصنف رحمه الله تعالى قطعة من حديث رواه الترمذي رقم (٣٧٧٢) في المناقب : باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما ، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن ، وصححه ابن حبان (٢٢٣٤) والحاكم .

(٢) رواه البخاري ١٩/٧ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذا خليلاً و٥٩/٨ في المغازي : باب غزوة ذات السلاسل ، ومسلم رقم (٢٣٨٤) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر ، والترمذي رقم (٣٨٧٩) في المناقب : باب مناقب عائشة رضي الله عنها ، وزاد البخاري : قلت ثم من: قال ، عمر ، فعدَّ رجالاً فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم .

(٣) رواه البخاري ١٠١/٦ في الجهاد : باب فضل من أسلم على يديه ، وباب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ، و٥٨/٧ في فضائل الصحابة : باب مناقب علي رضي الله عنه ، وفي المغازي : باب غزوة =

وقد أخبر تعالى أنه : ﴿ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٧٦] و﴿ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥] و : ﴿ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩] و : ﴿ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] و : ﴿ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤] وقال : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُم وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له ، حتى قال : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّه ﴾ [البقرة : ١٦٥] .

أما الخلَّة فخاصة ، وقول بعض الناس : إن محمداً حبيب اللَّهُ وإبراهيم خليل اللّه ، وظنَّ أن المحبة فوق الخلة ؛ فقول ضعيف ، فان محمداً أيضاً خليل اللّه ، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة .

وما يروى أن العباس يحشر بين حبيب وخليل ، وأمثال ذلك ، فأحاديث موضوعة لا تصلح أن يعتمد عليها .

وقد قدمنا أن محبة اللّه تعالى هي محبته ومحبة ما أحب ، كما في « الصحيحين » عن النبي ﷺ أنه قال : « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ : مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهِ ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَه اللَّهُ مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»[١] أخبر النبي ﷺ أن من كان فيه هذه الثلاث ؛ وجد حلاوة الايمان ، لأن وجود الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له ، فمن أحب شيئاً أو اشتهاه ؛ إذا حصل له به مراده ، فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك ، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك

= خيبر ، ومسلم رقم (٢٤٠٦) في فضائل الصحابة : باب من فضائل علي رضي الله عنه ، وأحمد في « المسند » ٥/٣٣٣ من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، وقد تقدم تخريجه ص (٢٠٣) .

(١) تقدم تخريجه آنفاً ص (٤٩٢)

الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى .

ومن قال : إن اللذة إدراك الملائم ـ كما يقوله من المتفلسفة والأطباء ـ فقد غلط في ذلك غلطاً بيِّناً ، فإن الادراك يتوسط بين المحبة واللذة ، فإن الإنسان مثلاً يشتهي الطعام ، فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة ، فاللذة ليست هي الأكل ، ولذلك يشتهي النظر إلى الشيء ، فإذا نظر إليه التذ به . واللذة التي تتبع النظر ليست نفس النظر ، وليست هي رؤ ية الشيء ، بل تحصل عقيب رؤ يته .

قال تعالى : ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف: ٧١] . وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام : من فرح ، وحزن ، وأمثال ذلك يحصل بالشعور بالمحبوب ، أو الشعور بالمكروه ، وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن .

فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد حلاوة الإيمان ، تتبع كمال محبة العبد للّه ، وذلك بثلاثة أمور : تكميل هذه المحبة ، وتعريفها ، ودفع ضدها .

فتكميلها : أن يكون اللّه ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فان محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب ، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما كما تقدم .

وتعريفها : أن يحب المرء لا يحبه إلا للّه .

ودفع ضدها : أن يكره ضد الايمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار .

فإذا كانت محبة الرسول والمؤمنين من محبة اللّه ، وكان رسول الله ﷺ يحب المؤمنين الذين يحبهم اللّه ، لأنه أكمل الناس محبة للّه ، وأحقهم بأن يحب ما يحبه اللّه ، ويبغض ما يبغضه اللّه ، والخلَّة ليس لغير اللّه فيها نصيب ،

بل قال: « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْـلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لاتَّخَـذْتُ أَبَا بَكْـرٍ خَلِيلاً » علم مزيد مرتبة الخلة على مطلق المحبة .

والمقصود : هنا أن الخلة والمحبة للّه : تحقيق عبوديته ، وإنما يغلط من يغلط في هذه من حيث يتوهمون العبودية مجرد ذل وخضوع فقط ، لا محبة معه ، وأن المحبة فيها انبساط في الأهواء ، أو إذلال لا تحتمله الربوبية ، ولهذا يذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة فقال : أمسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدَّعيها . وكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية . وقال من قال من السلف : من عبد اللّه بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجىء ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروريّ ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحِدّ .

ولهذا وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة ، حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية ، وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا لله ، فيدَّعي أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين ، أو يطلب من الله ما لا يصلح بكل وجه إلا لله ، لا يصلح للأنبياء ولا للمرسلين، فضلاً عمن هم دونهم .

وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ . وسببه ضعف تحقيق العبودية التي بيَّنها الرسل ، وجردها الأمر والنهي الذي جاؤ وا به ، بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته . وإذا ضعف العقل ، وقل العلم بالدين ، وفي النفس محبة طائشة جاهلة ، انبسطت النفس بحمقها في ذلك ، كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله ، ويقول : أنا محب ، فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عدوان وجهل . فهذا عين الضلال ، وهو شبيه بقول اليهود والنصارى : ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ . قال الله تعالى لهم : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ

أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ١٨] فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غير محبوبين ، ولا منسوبين إليه بنسبة البنوة ، بل

فمن كان اللّٰه يحبه استعمله فيما يحبه ، ومحبوبه لا يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه : من الكفر ، والفسوق ، والعصيان . ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها ، فإن اللّٰه يبغضه ويبغض منه ذلك ، كما يحب عبده المؤمن ويحب منه ما يفعله من الخير ، إذ أن حبه للعبد بحسب إيمانه وتقواه .

ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون اللّٰه يحبه مع إصراره عليها ، كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه ، وعدم تداويه منه لصحة مزاجه .

ولو تدبر الأحمق ما قص اللّٰه في كتابه من قصص أنبيائه ، وما جرى لهم من التوبة والاستغفار ، وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي كان فيه تمحيص لهم وتطهير بحسب أحوالهم ، علم ضرر الذنوب بأصحابها ، ولو كان أرفع الناس مقاماً ، فإن المحب للمخلوق إذا لم يكن عارفاً بمحابه ولا مريداً لها ، بل يعمل بمقتضى الحب ، وإن كان جهلاً وظلماً ، كان ذلك سبب بغض المحبوب له ، ونفوره عنه ، بل سبباً لعقوبته .

وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب اللّٰه أنواعاً من الجهل بالدين : إما من تعدي حدود اللّٰه ، وإما من تضييع حقوق اللّٰه ، وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها ، كقول بعضهم : أيُّ مريد لي ترك في النار أحداً فأنا بريء منه . فقال الآخر : أيّ مريد لي ترك أحداً من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء .

فالأول : جعل مريده يخرج كل من في النار . والثاني : جعل مريده يمنع من دخول النار .

ويقول بعضهم : إذا كان يوم القيامة نصبت خيمتي على جهنم حتى لا يدخلها أحد .

وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين . وهي إما كذب عليهم ، وإما غلط منهم .

ومثل هذا قد يصدر في حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تمييز الانسان ، أو يضعف حتى لا يدري ما قال . والسكر لذة مع عدم تمييز . ولهذا كان من هؤلاء من إذا صحا استغفر من ذلك الكلام ، والذين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام ، كان هذا أصل مقصدهم ، فان هذا الجنس يحرك ما في القلب من الحب كائناً ما كان ، ولهذا أنزل اللّه محبته يمتحن بها المحب. فقال : ﴿ قُلْ إن كُنْتُم تُحِبُونَ اللّه فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] فلا يكون محباً للّه إلا من يتبع رسوله . وطاعة الرسول ومتابعته لا تكون إلا بتحقيق العبودية . وكثير ممن يدَّعي المحبة يخرج عن شريعته وسننه ﷺ ، ويدَّعي من الحالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره . حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له ، وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسنته وطاعته ، بل قد جعل اللّه أساس محبته ومحبة رسوله ، الجهاد في سبيله، والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر اللّه به، وكما بغض ما نهى اللّه عنه ، ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤] .

ولهذا كانت محبة هذه الأمة للّه أكمل من محبة من قبلها ، وعبوديتهم للّه

أكمل من عبـودية من قبلهم . وأكمل هذه الأمة في ذلك : هم أصحاب محمد ﷺ ، ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل . فأين هذا من قوم يدَّعون المحبة ؟ وسمعـوا كلام بعض الشيـوخ : المحبة نـار تحـرق في القلب مـا سـوى مـراد المحبوب ، وأرادوا أن الكون كله قد أراد اللّه وجوده ، فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء ، حتى الكفر والفسوق والعصيان ، ولا يمكن أحد أن يحب كل موجود ، بل لا يمكن أن يحب إلا ما يلائمه وينفعه ، وأن يبغض ما ينافيـه ويضره ، ولكن استفادوا هذا الضلال من اتباع أهوائهم ، ثم زادهم انغماساً في أهوائهم وشهـواتهم ، فهم يحبون ما يهوونه ، كالصور ، والرئـاسة ، وفضـول المال ، والبدع المضلة ، زاعمين أن هذا من محبة اللّه ، وكذبوا وضلوا ، فان محبة اللّه لا تكون إلا ببغض ما يبغضه اللّه ورسوله ، وجهاد أهله بالنفس والمال .

وأصل ضلالهم : أن هذا القائل الذي قال : إن المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب ، قصد بمراد اللّه تعالى ، الإرادة الكونية في كل الموجودات .

أما لو قال مؤمن باللّه وكتبـه ورسله ، من غير هؤلاء الصـوفية مثـل هذه المقالة ، فإنه يقصد الإرادة الدينية الشرعية التي هي بمعنى محبته ورضاه ، فكأنه قال : تحرق من القلب ما سوى المحبوب للّه ، وهذا معنى صحيح ، فإن من تمام الحب للّه ؛ أن لا يحب إلا ما يحبه اللّه ، فاذا أحببت ما لا يحب ؛ كانت المحبة ناقصة . وأما ما قضاه وقدره وهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه ، فان لم أوافقه في بغضه وكراهته وسخطه ، لم أكن محباً له ، بل محباً لما يبغضه .

فاتباع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل محبة اللّه وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه ، وبين من يدَّعي محبة اللّه ناظراً إلى عموم ربوبيته ، أو متبعاً لبعض البدع المخالفة لشريعته ، فإن دعوى هذه المحبة للّه من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبَّة للّه ، بل قد تكون دعوى هؤلاء شراً من دعوى اليهود

والنصارى ، لما فيهم من النفاق الذي هم به في الدرك الأسفل من النار ، كما قد تكون دعوى اليهود والنصارى شراً من دعواهم إذا لم يصلوا إلى مثل كفرهم .

وفي التوراة والانجيل من الترغيب من ذكر محبة اللّه ما هم متفقون عليه ، حتى إن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس .

ففي الانجيل : أعظم وصايا المسيح : أن تحب اللّه بكل قلبك وعقلك ونفسك ، والنصارى يدَّعون قيامهم بهذه المحبة ، وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة ؛ هو من ذلك ، وهم براء من محبة اللّه ، إذا لم يتبعوا ما أحبه ، بل اتبعوا ما أسخط اللّه ، وكرهوا رضوانه ، فأحبط أعمالهم . واللّه يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم ، وهو سبحانه يحب من يحبه . لا يمكن أن يكون العبد محباً للّه ، واللّه تعالى غير محب له ، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب اللّه له ، وإن كان جزاء اللّه لعبده أعظم . كما في الحديث الصحيح الإلهي عن اللّه تعالى أنه قال : « مَنْ تَقَرَّبَ إليَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعاً ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إليَّ ذِراعاً تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعاً ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[1] .

وقد أخبر اللّه سبحانه أنه يحب المتقين المحسنين ، والصابرين ، ويحب التوَّابين ، ويحب المتطهرين ، بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب ، كما في الحديث الصحيح : «لاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إليَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ »[2] . . . الحديث .

---

(١) رواه البخاري ١٣/ ٣٢٥ و٣٢٦ في التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه﴾ وفي مواضع أخر ، ومسلم رقم (٢٦٧٥) في الذكر : باب الحث على ذكر الله تعالى والترمذي رقم (٣٥٩٨) وابن ماجه رقم (٣٨٢١) وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٥١ و٤١٣ و٤٨٠ و٤٨٢ و٥٢٤ و٥٣٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وأوله : « قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي . . . » الحديث .

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري ٢٩٢/١١ ـ ٢٩٥ في الرقاق : باب التواضع . وانظر « الفتح » وما قاله الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » ص ٣١٣ والألباني في « الأحاديث الصحيحة » =

وكثير من المخطئين الذين ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة وقعوا فيما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة للّه مع مخالفة شريعته ، وترك المجاهدة في سبيله ، ونحو ذلك ، ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى ربهم بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه ، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ، ولو صدق لم يكن قائلها معصوماً ، فيجعلون متبوعيهم وشيوخهم شارعين لهم ديناً ، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم ديناً . ثم إنهم ينتقصون العبودية ، ويدَّعون أن الخاصة يتعدونها ، كما يدَّعي النصارى في المسيح والقساوسة ، ويثبتون لخاصتهم من المشاركة في اللّه ، من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه والقسيسين والرهبان ، إلى أنواع أخر يطول شرحها في هذا الموضع .

وإنما الدين الحق هو تحقيق العبودية للّه بكل وجه ، وهو تحقيق محبة اللّه بكل درجة ، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه ، وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ، وكلما كان في القلب حب لغير اللّه ، كانت فيه عبودية لغير اللّه بحسب ذلك ، وكل محبة لا تكون للّه فهي باطلة ، وكل عمل لا يراد به وجه اللّه فهو باطل . فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان للّه ، ولا يكون للّه إلا ما أحبه اللّه ورسوله ، وهو المشروع .

فكل عمل أريد به غير اللّه لم يكن للّه ، وكل عمل لا يوافق شرع اللّه لم يكن للّه ، بل لا يكون للّه إلا ما جمع الوصفين : أن يكون للّه ، وأن يكون موافقاً لمحبة اللّه ورسوله ، وهو الواجب والمستحب ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾ [الكهف : ١١٠] ، فلا بد من العمل الصالح ، وهو الواجب والمستحب ، ولا بد أن يكون

= رقم (١٦٤٠) حول هذا الحديث .

ولفظه : « يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبد لي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي . . . ». وسيأتي لفظه ص (٥٣٩) .

خالصاً لوجه اللّه تعالى ، كما قال تعالى : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ١١٢] .

وقال النبي ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ »[١] .

وقال ﷺ : « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَىٰ ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبَهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ »[٢] .

وهذا الأصل هو أصل الدين ، وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين ، وبه أرسل اللّه الرسل ، وأنزل الكتب ، واليه دعا الرسول ، وعليه جاهد ، وبه أمر ، وفيه رغب ، وهو قطب الدين الذي يدور عليه رحاه .

والشرك غالب على النفوس ، وهو كما جاء في الحديث : « هُوَ فِي هٰذِهِ الأُمَّةُ أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّملِ »[٣] .

وفي حديث آخر : « قال أبو بكر : يا رسول اللّه ، كيف ننجو منه ، وهو أخفى من دبيب النمل ؟ فقال النبي ﷺ لأبي بكر : أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَـةً إِذَا قُلْتَهَا

---

(١) رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم ٤/٢٩٨ في البيوع : باب البخش ووصله في الصلح ، ٥/٢٢١ : باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، ومسلم رقم (١٧١٨) في الأقضية : باب نقض الأحكام الباطلة ، وأحمد في « المسند » ٦/٢٧٠ وأبو داود في السنة : باب لزوم السنة رقم (٤٦٠٦) ، وأخرجه ابن ماجة رقم (١٤) في المقدمة : باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ .

(٢) رواه البخاري ١/٧ ـ ١٥ في بدء الخلق ، وفي الايمان : باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرىء ما نوى ، وفي عدة أبواب أخر ، ومسلم رقم (١٩٠٧) في الامارة : باب قوله ﷺ : « انما الأعمال بالنيات » ، وأبو داود رقم (٢٢٠١) في الطلاق : باب فيما عنى به الطلاق والنيـات ، والترمـذي رقم (١٦٤٧) في فضائل الجهاد : باب ما جاء فيمن يقاتل رياء الدنيا ، والنسائي ١/٥٩ و٦٠ في الطهارة : باب النية في الوضوء ، وأحمد في « المسند » ١/٢٥ و٤٣ ، وابن ماجة رقم (٤٢٢٧) في الزهد : باب النية ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) وقد صح بشواهده فيما رواه الحكيم الترمذي عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما بلفظ « الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا » انظر « صحيح الجامع » رقم (٣٦٢٤) .

نَجَـوْتَ مِن دِقِّهِ وَجِلِهِ ، قُـلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِـكَ أَنْ أُشْرِكَ بِـكَ وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لاَ أَعْلَمُ »[١] .

وكان عمر يقـول في دعائـه : اللَّهُمَّ اجْعَلْ عَمَلِي كُلَّهُ صَـالِحاً ، وَاجْعَلْهُ لِوَجْهِكَ خَالِصاً ، وَلاَ تَجْعَلْ لأَحدٍ فِيهِ شَيْئاً .

وكثيراً ما يخالط النفوس الجاهلة من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها للّه وعبوديتها له ، وإخلاص دينها له ، كما قال شدَّاد بن أوس : يا بقايا العرب ! يا بقايا العرب ! إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية . وقيل لأبي داود السجستاني : وما الشهوة الخفية ؟ قال : حب الرئاسة .

وعن كعب بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال : « مَاذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَىٰ المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ »[٢] . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

فبيَّن ﷺ أن الحرص على المال والشرف ، في إفساد الدين ، لا ينقص عن إفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم ، فإن الدين السليم لا يكون فيـه هذا الحرص ، وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبودية اللّه ومحبته له ، لم يكن شيء أحب اليه من ذلك حتى يقدمه عليه ، وبذلك يصرف ـ عن أهل الإخلاص للّه ـ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٤/٤٠٣ ،والطبراني في «الكبير» و«الأوسط » من حديث أبي علي ،رجل من بني كاهل ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وأبو علي لم يوثقه غير ابن حبان ، ولكن له شاهد من حديث حذيفة رضي الله عنه ، رواه أبو يعلى من رواية ليث بن أبي سليم ، فهو حديث حسن به . انظر مجمع الزوائد » ١٠/٢٢٣ و٢٢٤ ، و « الترغيب والترهيب » ١/ ٧٦ ، و « صحيح الجامع » للألباني رقم (٣٦٢٥) ، وتقدم تخريجه ص (٩) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٣٧٧) في الزهد : باب رقم (٤٣ ، وأحمد في « المسند » ٣/٤٥٦ و٤٦٠ والدارمي رقم (٢٧٣٣) في الرقاق باب ماذئبان جائعاً ، وسنده صحيح ، وقد شرح هذا الحديث وذكر فوائده في رسالة الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى فليراجع إليها فانها قيمة وهي من منشوراتنا مكتبة دار البيان بدمشق .

السوء والفحشاء ، كما قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤] ، فان المخلص للّه ذاق من حلاوة عبوديته للّه ما يمنعه عن عبوديته لغيره ، ومن حلاوة محبته للّه ما يمنعه عن محبة غيره ، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الايمان المتضمن عبوديته للّه ومحبته له ، وإخلاصه الدين كله له ، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى اللّه ، فيصير القلب منيباً إلى اللّه ، خائفاً منه ، راغباً راهباً ، كما قال تعالى : ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ [ق : ٣٣] إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه ، أو حصول مرهوبه ، فلا يكون عبد اللّه ومحبه ، إلا بين خوف ورجاء ، كما قال تعالى : ﴿ أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ [الإسراء : ٥٧] .

وإذا كان العبد مخلصاً للّه اجتباه ربه ، فأحيى قلبه واجتذبه اليه ، فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ، ويخاف من حصول ضد ذلك ، بخلاف القلب الذي لم يخلص للّه ، فان فيه طلباً وإرادة وحباً مطلقاً ، فيهوى كل ما يسنح له ويتشبث بما يهواه ، كالغصن الرطيب ، أي نسيم مرَّ به عطفه وأماله . فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة ، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبداً له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً .

وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة ، فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ، ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل ، ويعادي من يذمه ولو بالحق .

وتارة يستعبده الدرهم والدينار ، وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب ، والقلوب تهواها ، فيتخذ إلّهه هواه ، ويتبع هواه بغير هدى من اللّه .

ومن لم يكن محباً مخلصاً للّه ، عبداً له ، قد صار قلبه معبَّداً لربه وحده لا

شريك له ، بحيث يكون اللّه أحب اليه من كل ما سواه ، ويكون ذليلاً له خاضعاً ، وإلا استعبدته الكائنات ، واستولت على قلبه الشياطين ، وكان من الغاوين إخوان الشياطين ، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا اللّه ، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه .

فالقلب إن لم يكن حنيفاً مقبلاً على اللّه معرضاً عما سواه ، كان مشركاً : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣٠ ـ ٣٢] .

وقد جعل اللّه سبحانه إبراهيم وآل ابراهيم أئمة لهؤلاء الحنفاء المخلصين أهل محبة اللّه وعبادته ، وإخلاص الدين له ، كما جعل فرعون وآل فرعون أئمة للمشركين المتبعين أهواءهم . قال تعالى في إبراهيم : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُم أَئِمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِم فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٢ ـ ٧٣] . وقال في فرعون وقومه : ﴿ وَجَعَلْنَاهُم أَئِمَةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُم في هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص : ٤١ ـ ٤٢] . ولهذا يصير أتباع فرعون أولاً إلى أن لا يميزون بين ما يحبه اللّه ويرضاه ، وبين ما قدره وقضاه ، بل ينظرون إلى المشيئة المطلقة الشاملة ، ثم في آخر الأمر لا يميزون بين الخالق والمخلوق ، بل يجعلون وجود هذا وجود هذا . ويقول محققوهم : الشريعة فيها طاعة ومعصية ، والحقيقة فيها معصية بلا طاعة ، والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية . وهذا التحقيق هو مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق وأنكروا تكليمه لعبده موسى ، وما أرسله به من الأمر والنهي .

وأما إبراهيم وآل إبراهيم الحنفاء من الأنبياء والمؤمنين بهم ، فهم يعلمون أنه لا بد من الفرق بين الخالق والمخلوق ، ولا بد من الفرق بين الطاعة والمعصية ، وأن العبد كلما ازداد تحقيقاً لهذا الفرق ، ازدادت محبته للّه وعبوديته له ، وطاعته له ، وإعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره ، وطاعة غيره . وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين اللّه وبين خلقه . والخليل يقول : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُم وآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُم عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ٧٥ ـ ٧٧] . ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشايخ كما فعلت النصارى .

مثال ذلك : اسم « الفناء » فإن الفناء ثلاثة أنواع : نوع للكاملين من الأنبياء والأولياء ، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين ، ونوع للمنافقين الملحدين المشبهين .

فأما الأول : فهو الفناء عن إرادة ما سوى اللّه ، بحيث لا يحب إلا اللّه ، ولا يعبد إلا إياه ، ولا يتوكل إلا عليه ، ولا يطلب من غيره . وهو المعنى الذي يجب أن يقصد بقول الشيخ أبي يزيد حيث قال : أريد أن لا أريد إلا ما يريد ، أي المراد المحبوب المرضي . وهو المراد بالإرادة الدينية . وكمال العبد أن لا يريد ولا يحب ولا يرضى إلا ما أراده اللّه ورضيه وأحبه ، وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب ، ولا يحب إلا ما يحبه اللّه ، كالملائكة والأنبياء والصالحين ، وهذا معنى قولهم في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَن أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء ٨٩] . قالوا : هو السليم مما سوى اللّه ، أو مما سوى عبادة اللّه ، أو مما سوى إرادة اللّه ، أو مما سوى محبة اللّه ، فالمعنى واحد . وهذا المعنى إن سمي فناءً ، أو لم يسم ؛ هو أول الإسلام وآخره ، وباطن الدين وظاهره .

وأما النوع الثاني : فهو الفناء عن شهود السوى ، وهذا يحصل لكثير من

السالكين ، فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر اللّه وعبادته ومحبته ، وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد ، وترى غير ما تقصد ، لا يخطر بقلوبهم غير اللّه ، بل ولا يشعرون به . كما قيل في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ [القصص: ١٠] . قالوا : فارغاً من كل شيء ، إلا من ذكر موسى . وهذا كثيراً ما يعرض لمن دهمه أمر من الأمور ، إما حب ، وإما خوف ، وإما رجاء ، يبقى قلبه منصرفاً عن كل شيء ، إلا عما قد أحبه أو خافه أو طلبه ؛ بحيث يكون عند استغراقه في ذلك لا يشعر بغيره ، فإذا قوي على صاحب الفناء هذا ، فانه يغيب بموجوده عن وجوده ، وبمشهوده عن شهوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن معرفته ، حتى يفنى من لم يكن، ، وهي المخلوقات ، العبد فمن سواه ، ويبقى من لم يزل ، وهو الرب تعالى ، والمراد فناؤ ها في شهود العبد وذكره ، وفناؤ ه عن أن يذكرها أويشهدها . وإذا قوي هذا ، ضعف المحب حتى يضطرب في تمييزه ، فقد يظن أنه هو محبوبه كما يذكر أَن رجلاً ألقى نفسه في اليم ، فألقى محبة نفسه خلفه . فقال : أنا وقعت ، فما أوقعك خلفي ؟ قال : غبت بك عني ، فظننت أنك أني . وهذا الموضع زلت فيه أقدام أقوام ، وظنوا أنه اتحاد ، وأن المحب يتحد بالمحبوب ، حتى لا يكون بينهما فرق في نفس وجودهما .

وهذا غلط ، فإن الخالق لا يتحد به شيء أصلاً ، لأنه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] . وهو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد،بل لا يمكن أن يتحد شيء بشيء ، إلا إذا استحالا وفسدت حقيقة كل منهما ، وحصل من اتحادهما أمر ثالث ، لا هو هذا ولا هذا ، كما إذا اتحد الماء واللبن ، والماء والخمر ، ونحو ذلك . ولكن يتحد المراد والمحبوب ، والمراد والمكروه ، ويتفقان في نوع الإرادة والكراهة . فيحب هذا

ما يحب هذا ، ويبغض هذا ما يبغض هذا ، ويرضى ما يرضى ، ويسخط ما يسخط ، ويكره ما يكره ، ويوالي من يوالي ، ويعادي من يعادي ، وهذا الفناء كله في نقص .

وأكابر الأولياء ، كأبي بكر وعمر ، والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، لم يقعوا في هذا الفناء ، فضلاً عمن هو فوقهم من الأنبياء . وإنما وقع شيء من هذا بعد الصحابة ، وكذلك كل ما كان من هذا النمط مما فيه غيبة العقل وعدم التمييز لما يرد على القلب من أحوال الايمان ، فإن الصحابة رضي اللّه عنهم كانوا أكمل وأقوى عقولاً ، وأثبت في الأحوال الإيمانية من أن تغيب عقولهم ، أو يحصل لهم غشي أو صعق أو سكر ، أو فناء ، أو وَلَه ، أو جنون ، وإنما كان مبادىء هذه الأمور في التابعين من عبَّاد البصرة ، فإنه كان فيهم من يغشى عليه إذا سمع القرآن ، ومنهم من يموت ، كأبي جهين الضرير ، وزرارة ابن أبي أوفى قاضي البصرة . وكذلك صار في شيوخ الصوفية من يعرض له من الفناء والسكر ما يضعف معه تمييزه ، حتى يقول في تلك الحال من الأقوال ما إذا صحا عرف أنه غالط فيه ، كما يحكى نحو ذلك عن مثل أبي يزيد البسطامي وأبي الحسن النوري ، وأبي بكر الشبلي ، وأمثالهم ، بخلاف أبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والفضيل بن عياض ، بل وبخلاف الجنيد وأمثاله ، ممن كانت عقولهم وتمييزهم يصحبهم في أحوالهم ، فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه ، بل الكمل [من المؤمنين الذين لا يهتدون إلا بهدي الكتاب والسنة] لا يكون في قلوبهم سوى محبة اللّه وإرادته وعبادته ، لأن عندهم من سعة العلم والتمييز ما يشهدون به الأمور على ما هي عليه ، بل يشهدون المخلوقات قائمة بأمر اللّه ، مدبرة بمشيئته ، بل مسبحة له ، قانتة له . فيكون لهم فيها تبصرة وذكرى ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيداً وممداً لما في قلوبهم من

إخلاص الدين ، وتجريد التوحيد للّه ، والعبادة له وحده لا شريك له .

وهذه هي الحقيقة التي دعا إليها القرآن ، وقام بهـا أهل تحقيق الإيمـان والكمَّل من أهل العرفان ونبينا ﷺ إمام هؤلاء وأكملهم ، ولهذا لما عرج به إلى السماوات وعاين ما هنالك من الآيات ، وأوحى إليه ربه من أنواع المناجـاة ما أوحى ، أصبح فيهم وهو لم يتغير حاله ، ولا ظهر عليه ذلك ، بخلاف ما كان يظهر على موسى من التغشي صلى اللَّه وسلم عليهم أجمعين .

وأما النوع الثالث ، مما قد يسمى فناء . فهو أن يشهد أن لا موجود إلا اللّه ، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق ، فلا فرق بين الرب والعبد ، فهذا فناء أهل الضـلال والإلحاد ، الـواقعين في الحلول والاتحاد ، وهـذا يبرأ منـه المشايـخ المستقيمون [على هدي الكتاب والسنة، كالصحابة والأئمة المهتدين ، فإنهم] إذا قال أحدهم : ما أرى غير اللّه أو لا أنظر إلى غير اللّه ونحو ذلك ، فمرادهم بذلك ما أرى رباً غيره ، ولا خالقاً ولا مدبراً غيره ، ولا إلَهاً لي غيره ، ولا أنظر إلى غيره محبة له أو خوفاً منه أو رجاء له ، فان العين تنظر إلى ما يتعلق به القلب فمن أحب شيئاً أو رجاه أو خافه التفت إليه . وإذا لم يكن في القلب محبة له ولا رجاء له ، ولا خوف منه ، ولا بغض له ، ولا غير ذلك من تعلق القلب له ، لم يقصد القلب أن يلتفت إليه ، ولا أن ينظر إليه ، ولا أن يراه ، وإن رآه اتفاقاً رؤ ية مجردة ، كان كما لو رأى حائطاً ونحوه مما ليس في قلبه تعلق به .

والمشايخ والصالحون رضي اللّه عنهم يذكرون شيئاً من تجريد التوحيـد وتحقيق إخـلاص الـدين كله ، بحيث لا يكـون العبـد ملتفتـاً إلى غيـر اللَّه ، ولا ناظراً إلى ما سواه ، لا حباً له ولا خوفاً منه ولا رجاء له ، بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات ، خالياً منها ، لا ينظر إليها إلا بنـور اللَّه .

فبالحق يسمع ، وبالحق يبصر ، وبالحق يبطش ، وبالحق يمشي . فيحب منها ما يحبه اللّه ، ويبغض منها ما يبغضه اللّه ، ويوالي منها ما والاه اللّه ، ويعادي منها ما عاداه اللّه ، ويخاف اللّه فيها ، ولا يخافها في اللّه ، ويرجو اللّه فيها ، ولا يرجوها في اللّه، فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم المؤمن المحقق العارف بمعرفة الأنبياء والمرسلين وبحقيقتهم وتوحيدهم .

فهذا النوع الثالث ـ الذي هو الفناء في الوجود ـ هو تحقيق آل فرعون ومعرفتهم وتوحيدهم ، كالقرامطة وأمثالهم .

وأما النوع الذي عليه أتباع الأنبياء فهو التحقيق المحمود ، الذي يكون صاحبه به ممن أثنى اللّه عليهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين ، وجنده الغالبين .

وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول ، أن الذي أراه بعيني من المخلوقات : هو رب الأرض والسماوات ، فإن هذا لا يقوله إلا من هو في غاية الضلال والفساد : إما فساد العقل ، وإما فساد الاعتقاد . فهو متردد بين الجنون والالحاد . وكل المشايخ الذين يقتدى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، من أن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات ، وليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته . وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث ، وتمييز الخالق عن المخلوق ، وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا . وهم قد تكلموا على ما يعرض للقلوب من الأمراض والشبهات ، فإن بعض الناس قد يشهد وجود المخلوقات ، فيظنه خالق الأرض والسماوات ، لعدم التمييز والفرقان في قلبه ـ بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس التي في السماء . وهم قد يتكلمون في الفرق والجمع ، ويدخل في ذلك من العبادات المختلفة نظير ما دخل في الفناء .

فإن العبد إذا شهد التفرقة والكثرة في المخلوقات ، يبقى قلبه متعلقاً بها مشتتاً ناظراً إليها ، وتعلقه بها ؛ إما محبة ، وإما خوفاً ، وإما رجاء ، فاذا انتقل إلى الجمع اجتمع قلبه على توحيد اللّه وعبادته وحده لا شريك له ، فالتفت قلبه إلى اللّه بعد التفاته إلى المخلوقين ، فصارت محبته لربه ، وخوفه من ربه ، ورجاؤه لربه ، واستعانته بربه ، وهو في هذا الحال قد لا يتسع قلبه للنظر إلى المخلوق ، ليفرِّق بين الخالق والمخلوق فقد يكون مجتمعاً على الحق ، معرضاً عن الخلق ، نظراً وقصداً وهو نظير النوع الثاني من الفناء ، ولكن بعد ذلك الفرق الثاني ، وهو أن يشهد أن المخلوقات قائمة باللّه ، مدبرة بأمره ، ويشهد كثرتها معدومة بوحدانية اللّه سبحانه وتعالى ، وأنه سبحانه رب المصنوعات وإلٓهها ، وخالقها ومالكها ، فيكون ـ مع اجتماع قلبه على اللّه إخلاصاً له ومحبة وخوفاً ورجاء واستعانة وتوكلاً على اللّه وموالاة فيه ، ومعاداة فيه ، وأمثال ذلك ـ ناظراً إلى الفرق بين الخالق والمخلوق ، مميزاً بين هذا وهذا ، يشهد في تفرق المخلوقات كثرتها ، مع شهادته أن اللّه رب كل شيء ومليكه وخالقه ، وأنه هو الذي لا إله إلا هو .

وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم ، وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته ، وفي حال القلب وعبادته ، وقصده وإرادته ، ومحبته وموالاته وطاعته ، وذلك تحقيق شهادة أن لا إله إلا اللّه ، فإنها تنفي عن القلب ألوهية ما سوى الحق ، وتثبت في قلبه ألوهية الحق .

فيكون نافياً لألوهية كل شيء من المخلوقات ، مثبتاً لألوهية رب العالمين ، رب الأرض والسماوات ، وذلك يتضمن اجتماع القلب على اللّه ، وعلى مفارقة ما سواه ، فيكون مفرقاً في علمه وقصده ، في شهادته وإرادته ، في معرفته ومحبته : بين الخالق والمخلوق ، بحيث يكون عالماً باللّه تعالى ، ذاكراً له ،

عارفاً به ، وهو مع ذلك عالم بمباينته لخلقه ، وانفراده عنهم ، وتوحده دونهم ، ويكون محباً للّه ، معظماً له ، عابداً له ، راجياً له ، خائفاً منه ، محباً فيه ، موالياً فيه ، معادياً فيه ، مستعيناً به ، متوكلًا عليه ، ممتنعاً عن عبادة غيره ، والتوكل عليه ، والاستعانة به ، والخوف منه ، والرجاء له ، والموالاة فيه ، والمعاداة فيه ، والطاعة لأمره ، وأمثال ذلك مما هو من خصائص إلّهية اللّه سبحانه وتعالى .

وإقراره بألوهية اللّه تعالى دون ما سواه ، يتضمن إقراره بربوبيته ، وهو أنه رب كل شيء ومليكه وخالقه ومدبّره ، فحينئذ يكون موحداً للّه .

وذلك يبيِّن أن أفضل الذكر «لا إله إلا اللّه » كما رواه الترمذي ، وابن أبي الدنيا ، وغيرهما مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : «أَفْضَلُ الذِّكْرِ : لَا إِلَه إِلاَّ اللّهُ ، وَأَفْضَلَ الدُّعَاءِ : الحَمْدُ لِلّهِ »(١) .

وفي «الموطأ» وغيره عن طلحة بن عبيد اللّه بن كريـز أن النبي ﷺ قال : « أَفْضَلَ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَه إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ »(٢) .

ومن زعم أن هذا ذكر العامة ، وأن ذكر الخاصة : هو الاسم المفرد ، وذكر

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٠) في الدعوات : باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٣٨٠٠) في الأدب : باب فضل الحامدين ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن ، حسنه الترمذي والألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٤٩٧) .

(٢) رواه مالك في « الموطأ » ١ / ٢١٤ ـ ٢١٥ في القرآن : باب ما جاء في الدعاء ، من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز ، وهو مرسل صحيح الإسناد ، والترمذي رقم (٣٥٧٩) في الدعوات : باب في دعاء يوم عرفة ، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وفي سنده عند الترمذي : محمد بن أبي حميد ابـراهيم الأنصاري الـزرقي أبو ابـراهيم المدني ، لقبـه حماد ، وهـو ضعيـف ، كما قـال الحـافظ في «التقريب » . أقول: ولكن يشهد لرواية الترمذي هذه ، رواية مالك التي قبله ، فهو بها حسن . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني » رقم (١٥٠٣) .

خاصة الخاصة : هو الاسم المضمر ، فهم ضالّون غالطون ، واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام : ٩١] من أبين غلط هؤلاء ، فإن الاسم اللّه مذكور في الأمر بجواب الاستفهام في الآية قبله وهو قوله: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنَّاس تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَها وتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِيْ خَوْضِهِمْ يَلْعَبُوْنَ ﴾ أي اللّه هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ، فالاسم ﴿ اللَّه ﴾ مبتدأ ، خبره قد دل عليه الاستفهام ، كما في نظائر ذلك ، يقال : من جاءك ؟ فتقول : زيد .

وأما الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً ، فليس بكلام تام ، ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ، ولا أمر ولا نهي .

ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ، ولا شرع ذلك رسول اللّه ﷺ ، ولا يعطي بنفسه معرفة مفيدة ، ولا حالاً نافعاً ، وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات .

فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ، ما يفيد بنفسه ، وإلا لم يكن فيه فائدة ، والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه ، لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره .

وقد وقع بعض من واظب على هذا الذكر بالاسم المفرد ، وبـ : هو ، في فنون من الالحاد ، وأنواع من الاتحاد ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

ومـا يذكـر عن بعض الشيوخ من أنـه قال : أخـاف أن أمـوت بين النفي والإثبات ، حال لا يقتدى فيها بصاحبها ، فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به ، إذا لو مات العبد في هذه الحال ، لم يمت إلا على ما قصده ونواه ، إذ الأعمال

بالنيات : وقد ثبت «أن النبي ﷺ أمر بتلقين الميت : لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ »[1] ، وقال : « مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ »[2]، ولو كان ما ذكره محذوراً ، لم يلقن الميت كلمة يخاف أن يموت في أثنائها موتاً غير محمود ، بل كان يلقن ما اختاره من ذكر الاسم المفرد .

والذكر بالاسم المضمر أو المفرد ، أبعد عن السنة ، وأدخل في البدعة ، وأقرب إلى ضلال الشيطان ، فإن من قال : يا هو يا هو ، أو هو هو ، ونحو ذلك ، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه ، والقلب قد يهتدي وقد يضل .

وقد صنف صاحب « الفصوص » كتاباً سماه كتاب « الهو » وزعم بعضهم أن قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمَ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] معناه : وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو الهو ، وهذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل العقلاء على أنه من أبين الباطل ، فقد يظن ذلك من يظنه من هؤلاء ، حتى قلت مرة لبعض من قال شيئاً من ذلك : لو كان هذا كما قلته لكتبت الآية : وما يعلم تأويل « هو » منفصلة .

ثم كثيراً ما يذكر بعض الشيوخ أنه يحتج على قول القائل : « اللّه » بقوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ [الأنعام : ٩١] . ويظن أن اللّه أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد ، وهذا غلط باتفاق أهل العلم ، فإن قوله : ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ ، معناه : اللّه

---

(١) رواه مسلم رقم (٩١٦) في الجنائز : باب تلقين الموتى لا إله إلا الله ، والترمذي رقم (٩٧٦) في الجنائز: باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له عنده ، وأبو داود رقم (٣١١٧) في الجنائز : باب في التلقين ، والنسائي ٤/٥ فيه : باب تلقين الموت ، وابن ماجه رقم (١٤٤٥) فيه : باب في تلقين الميت ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال رسول اللهﷺ : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣١١٦) في الجنائز : باب التلقين ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٢٣٣ من حديث معاذ رضي الله عنه ، ورواه الحاكم في « المستدرك » ١/ ٣٥١ وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . انظر « الإرواء » للألباني رقم (٦٨٧) .

الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ، وهو جواب لقوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوْسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِيْ خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [آل عمران : ٩١] أي اللّه الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ، الكلام رد لقول من قال من المكذِّبين لرسول اللّه : ﴿ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٩١] فقال : ﴿ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوْسَى ﴾ ثم قال : ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ أنزله ، ثم ذر هؤلاء المكذّبين في خوضهم يلعبون .

ومما يبين ما تقدم ، ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو : أن العرب يحكون بالقول ما كان كلاماً ، لا يحكون به ما كان قولاً . فالقول لا يحكى به إلا كلام تام ، أو جملة اسمية ، أو جملة فعلية ، ولهذا يكسرون « إن » إذا جاءت بعد القول ، فالقول لا يحكى به اسم ، واللّه تعالى لا يأمر أحداً بذكر اسم مفرد ، ولا شرع للمسلمين ذكراً باسم مفرد مجرد، والاسم المجرد لا يفيد شيئاً من الايمان باتفاق أهل الاسلام ، ولا يؤمر به في شيء من العبادات ، ولا في شيء من المخاطبات .

ونظير من اقتصر على الاسم المفرد : ما يذكر أن بعض الأعراب مر بمؤذن يقول : « أشهد أن محمداً رسولَ اللّه » فقال : ماذا يقول هذا ؟ هذا الاسم ، فأين الخبر عنه الذي يتم به الكلام ؟

وما في القرآن من قوله : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزمل : ٨] . وقوله : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى : ١] . وقوله : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى : ١٤ ـ ١٥] . وقوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٧٤] ، ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفرداً .

بل في « السنن »[1] أنه لما نزل قوله : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ . قال ﷺ : « اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ » ، ولما نزل قوله : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ . قال : « اجْعَلُوهَا فِي سُجودِكُمْ » . فشرع لهم أن يقولوا في الركوع : « سُبْحَانَ رَبِّي العَظِيمِ » . وفي السجود : « سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَى » .

وفي « الصحيح »[2] « أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ : « سُبْحَانَ رَبِّي العَظِيمِ » . وَفِي سُجُودِهِ : « سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَى » . وهذا معنى قوله : « اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ وَسُجُودِكُمْ » . باتفاق المسلمين . فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك : هو بالكلام التام المفيد ، كما في « الصحيح » عنه ﷺ أنه قال : « أَفْضَلُ الكَلامِ بَعْدَ القُرآنِ أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالحَمْدُ للَّهِ ، وَلاَ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ »[3] .

وفي « الصحيح » عنه ﷺ أنه قال : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ

---

(١) رواه أبو داود رقم (٨٦٩) في الصلاة : باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده ، ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٨٨٧) في الصلاة : باب التسبيح في الركوع والسجود ، والدارمي رقم (١٣١١) في الصلاة : باب ما يقال في الركوع ، من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه . وهو حديث حسن .

(٢) رواه مسلم رقم (٤٨٧) في الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، بلفظ : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده : «سبوح قدوس رب الملائكة والروح » من حديث عائشة رضي الله عنها .
أما هذه الرواية فقد رواها من حديث حذيفة رضي الله عنه ، الترمذي رقم (٢٦٢) في الصلاة : باب ما جاء في التسبيح في الركوع والسجود ، وأبو داود رقم (٨٧١) في الصلاة : باب ما يقول الرجل في سجوده وركوعه ، والنسائي ٢٢٦/٣ في قيام الليل : باب تسوية القيام والركوع ، وفي الافتتاح : باب ما يقول في قيامه ذلك ، وباب الذكر في الركوع ، وابن ماجة رقم (٨٨٨) في اقامة الصلاة : باب التسبيح في الركوع والسجود ، وهو حديث صحيح بشواهده .

(٣) رواه مسلم بلفظ « أحب الكلام إلى الله أربع » رقم (٢١٣٨) في الأدب : باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة ، من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ، وابن حبان رقم (٢٣٢٩) « موارد » في الاذكار : باب فضل التسبيح والتهليل والتحميد ، بلفظ « خير الكلام أربع . . . » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وجملة « بعد القرآن » ليست عندهما .

فِي المِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللّه وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللّهِ العَظِيمِ »[1] .

وفي « الصحيحين » عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ : لا إلَه إلَّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ ، كَتَبَ اللّهُ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ ، حَتَّى يُمْسِي ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلَّا رَجُلٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ »[2] . و « مَنْ قَالَ فِي يَوْمِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ : سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللّهِ العَظِيمِ ، حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ » [3] .

وفي «الموطأ» وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أَفْضَلَ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إلَهَ إلَّا اللّهُ وَحْدُهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ قَدِيرٍ »[4] .

وفي « سنن ابن ماجه » وغيره عنه ﷺ أنه قال : « أَفْضَلَ الذِّكْرِ : لَا إلَهَ إلَّا اللّهُ وَأَفْضَلَ الدُّعَاءِ الحَمْدُ للّهِ »[5] .

---

(١) رواه البخاري ١١/١٧٥ في الدعوات : باب فضل التسبيح ، وفي الأيمان والنذور : باب إذا قال : والله لا أتكلم اليوم ، فصلى أو قرأ ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط﴾ ، ومسلم رقم (٢٦٩٤) في الذكر والدعاء : باب فضل التهليل والتسبيح ، والترمذي رقم (٣٤٦٣) في الدعوات : باب رقم (٦١)، وابن ماجة رقم (٣٨٠٦) وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٣٢ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ١١/١٦٨ ـ ١٦٩ في الدعوات : باب فضل التهليل ، وفي بدء الخلق : باب صفة ابليس ، ومسلم رقم (٢٦٩١) في الذكر : باب فضل التهليل والتسبيح ، والترمذي رقم (٣٤٦٤) في الدعوات : باب رقم ٦١ ، وأحمد في « المسند » ٢/٣٠٢ و٣٧٥ وابن ماجة رقم (٣٨٦٧) في الدعاء : باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . .

(٣) رواه البخاري ١١/١٧٥ في الدعوات : باب فضل التسبيح ، ومسلم رقم (٢٦٩١) في الذكر والدعاء ، وهو جزء من الحديث السابق .

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل ص ،(٥٢٣) رقم (٢) .

(٥) تقدم تخريجه قبل قليل ص (٥٢٣) رقم (١) .

ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع ما يقال من الذكر والدعاء ، وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام : ١٢١] . وقوله : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُم وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة : ٤] . إنما هو قول : باسم اللّه . وهذا جملة تامة ، إما اسمية ، على أظهر قولي النحاة ، أو فعلية . والتقدير : ذبحي باسم اللّه ، أو أذبح باسم اللّه . وكذلك قول القارىء : ﴿ بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴾ . فتقديره : قراءتي باسم اللّه ، أو أقرأ باسم اللّه، ومن الناس من يضمر في مثل هذا ابتدائي باسم الله، أو ابتدأت باسم الله ، والأول أحسن، لأن الفعل كله مفعول باسم اللّه، ليس مجرد ابتدائه ، كما أظهر المضمر في قوله : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] . وفي قوله : ﴿ بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرْسَاهَا ﴾ [هود : ٤١] . وفي قول النبي ﷺ : « مَنْ كَانَ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلْيَذْبَحْ مَكَانَهَا أُخْرَى ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَبَحَ فَلْيَذْبَحْ بِاسْمِ اللَّهِ »[1] . ومن هذا قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح لربيبه عمر بن أبي سلمة : « يَا غُلَامُ ، سَمِّ اللَّهَ ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ »[2] .

فالمراد أن يقول : باسم اللّه ، ليس المراد أن يذكر الاسم مجرداً . وكذلك

---

(١) رواه البخاري ١٠/ ١٠ في الأضاحي : باب قول النبي ﷺ لأبي بردة : ضع بالجذع من المعز ، وفي عدة أبواب أخر ، ومسلم رقم (١٩٦١) في الأضاحي : باب وقتها ، والترمذي رقم (١٥٠٨) في الأضاحي : باب ما جاء في الذبح بعد الصلاة ، وأبو داود رقم (٢٨٠٠) في الضحايا : باب ما يجوز من السن في الضحايا ، والنسائي ٧/ ٢٢٢ و ٢٢٣ في الضحايا : باب ذبح الضحية قبل الإمام ، الدارمي رقم (١٩٦٨) في الأضاحي : باب في الذبح قبل الصلاة من حديث البراء رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ٩/ ٤٥٨ في الأطعمة: باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، وباب الأكل مما يليه، ومسلم رقم (٢٠٢٢) في الأشربة : باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، والموطأ ٢/ ٩٣٤ في صفة النبي ﷺ : باب جامع ما جاء في الطعام والشراب ، وأبو داود رقم (٣٧٧٧) في الأطعمة : باب الأكل باليمين ، والترمذي رقم (١٨٥٨) في الأطعمة : باب ما جاء في التسمية على الطعام ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٦ ، من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما .

قوله في الحديث الصحيح لعدي بن حاتم : « إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ وَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ فَكُلْ »[1] . وكذلك قوله ﷺ : « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ مَنْزِلَهُ فَذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ دُخُولِهِ ، وَعِنْدَ خُرُوجِهِ ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ ، قَالَ الشَّيْطَانُ : لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عِشَاءَ »[2] . وأمثال ذلك كثير .

وكذلك ما شرع للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجهم وأعيادهم : من ذكر اللّه تعالى ، إنما هو بالجملة التامة ، كقول المؤذن : اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، أشهد أن لا إله إلا اللّه ، أشهد أن محمداً رسول اللّه . وقول المصلي : اللّه أكبر ؛ سبحان ربي العظيم سبحان ربي الأعلى ، سمع اللّه لمن حمده ، ربنا ولك الحمد ، التحيات للّه . وقول الملبي : لبيك اللهم لبيك . وأمثال ذلك .

فجميع ما شرعه اللّه من الذكر ، إنما هو كلام تام ، لا اسم مفرد ، لا مظهر ولا مضمر .

وهذا هو الذي يسمى في اللغة : كلمة ، كقوله : « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ » .

وقوله : « أَفْضَلُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ : كَلِمَةُ لَبِيدٍ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهُ

---

(١) رواه البخاري ١/٢٤٤ في الوضوء : باب اذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً ، وفي الذبائح والصيد في فاتحته ، وباب صيد المعراض ، وفي عدة أبواب أخر ، ومسلم رقم (١٩٢٩) في الصيد : باب الصيد بالكلاب المعلمة ، وأبو داود رقم (٢٨٤٧) و(٢٨٤٨) و(٢٨٤٩) و(٢٨٥٠) و(٢٨٥١) في الصيد : باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره ، والترمذي رقم (١٤٦٥) و(١٤٦٧) و(١٤٦٨) و(١٤٦٩) و(١٤٧٠) و(١٤٧١) في الصيد : باب ما يؤكل من صيد الكلب وما لا يؤكل ، وفي عدة أبواب أخر ، والنسائي ٧/١٧٩ ـ ١٨٤ في الصيد : باب الأمر بالتسمية عند الصيد ، وفي أبواب أخر .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٠١٨) في الأشربة : باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، وأبو داود رقم (٣٧٦٥) في الأطعمة : باب التسمية على الطعام ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

بَاطِلُ »(١) . ومنه قوله تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِن أَفْوَاهِهِمْ ﴾ الآية [الكهف:] . وقوله : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً ﴾ [الأنعام: ١١٥] .

وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ : « الكلمة » . من الكتاب والسنة ، بل وسائر كلام العرب ، إنما يراد به الجملة التامة ، كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم ، فيقولون : هذا حرف غريب ، أي : لفظ الاسم غريب .

وقسم سيبويه الكلام إلى : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وكل من هذه الأقسام يسمى حرفاً ، لكن خاصة الثالث أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، وسمى حروف الهجاء باسم الحرف ، وهي أسماء .

ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها ، كما قال النبي ﷺ « مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَناتٍ ، أَما أَنِّي لاَ أَقُولُ : آلم حَرْفٌ ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلاَمٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ »(٢) .

وقد سأل الخليل بن أحمد أصحابه عن النطق بحرف الزاي من زيد ، فقالوا : زاي . فقال : جئتم بالاسم ، وإنما الحرف : « ز » .

ثم إن النحاة اصطلحوا على أن هذا المسمى في اللغة بالحرف ، يسمى

---

(١) رواه البخاري ١٠/٤٤٨ في الأدب : باب ما يجوز من الشد والرجز والحداد ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب أيام الجاهلية ، وفي الرقاق : باب الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ، ومسلم رقم (٢٢٥٦) في الشعر ، والترمذي رقم (٢٨٥٣) في الأدب : باب ما جاء في إنشاد الشعر ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٤٨ و٣٩٣ و٤٥٨ و ٤٧٠ ، وابن ماجه رقم (٣٧٥٨) في الأدب : باب الشعر . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٩١٢) في ثواب القرآن : باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر ، ورواه الدارمي رقم (٣٣١١) ، وهو حديث صحيح . من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، بدون لفظه « فأعربه » .

كلمة ، وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل ، كحروف الجر ونحوها .

وأما ألفاظ حروف الهجاء ، فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ ، وتارة باسم ذلك الحرف ، ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهَّم من اعتاده أنه هكذا في لغة العرب ، ومنهم من يجعل لفظ الكلمة في اللغة لفظاً مشتركاً بين الاسم مثلاً ، وبين الجملة ، ولا يُعرف في صريح اللغة من لفظ « الكلمة » إلا الجملة التامة .

والمقصود هنا : أن المشروع في ذكر الله سبحانه ، هو ذكره بجملة تامة ، وهو المسمى بالكلام ، والواحد منه بالكلمة ، وهو الذي ينفع القلوب ، ويحصل به الثواب والأجر ، ويجذب القلوب إلى الله ومعرفته ، ومحبته وخشيته ، وغير ذلك من المطالب العالية ، والمقاصد السامية .

وأما الاقتصار على الاسم المفرد ؛ مظهراً أو مضمراً ، فلا أصل له ، فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين ، بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات ، وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة ، من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد ، كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع .

وجماع الدين أصلان : أن لا نعبد إلا الله ، ولا نعبده إلا بما شرع ، لا نعبده بالبدع ، كما قال تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[الكهف : ١١٠] ، وذلك تحقيق الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله .

ففي الأولى : أن لا نعبد إلا إياه .

وفي الثانية : أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه ، فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره .

وقد بيّن ﷺ لنا ما نعبد الله بـه ، ونهانا عن محدثات الأمور ، وأخبر أنها ضلالة . قال تعالى : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ١١٢] ، وكما أننا مأمورون أن لا نخاف إلا الله ، ولا نتوكل إلا على الله ، ولا نرغب إلا إلى الله ، ولا نستعين إلا بالله ، وأن لا تكون عبادتنا إلا لله ، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ، ونتأسى به .

فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرَّمه ، والدين ما شرعه ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة : ٦٠] ، فجعل الإيتاء لله وللرسول ، كما قال : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر : ٧] ، وجعل التوكل على الله وحده بقوله : ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ ولم يقل : ورسوله ، كما قال في وصف الصحابة رضي الله عنهم : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، ومثله قوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال : ٦٤] ، أي حسبك وحسب المؤمنين ، كما قال : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر : ٣٦] ، ثم قال : ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة : ٥٩] فجعل الإيتاء، لله وللرسول ، وقدم ذكر الفضل لله ، لأن الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم، وله الفضل على رسوله وعلى المؤمنين . وقال : ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ فجعل الرغبة إلى الله وحده ، كما في قوله : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الانشراح : ٧ ـ ٨] .

وقال النبي ﷺ لابن عباس : « إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ »[1] ، والقرآن يدل على مثل هذا في غير موضع .

فجعل العبادة والخشية والتقوى للَّه ، وجعل الطاعة والمحبة للَّه ورسوله ، كما في قول نوح عليه السلام : ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ [نوح : ٣] ، وقوله : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور : ٥٢] ، وأمثال ذلك .

فالرسل أمروا بعبادته وحده ، والرغبة اليه ، والتوكل عليه وطاعته ، والطاعة لهم ، فأضل الشيطان النصارى وأشباههم ، فأشركوا باللَّه وعصوا الرسول ، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللَّه والمسيح بن مريم ، فجعلوا يرغبون اليهم ويتوكلون عليهم ، ويسألونهم مع معصيتهم لأمرهم ، ومخالفتهم لسنتهم ، وهدى اللَّه المؤمنين المخلصين للَّه ، أهلَ الصراط المستقيم ، الذين عرفوا الحق واتبعوه ، فلم يكونوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين ، فأخلصوا دينهم للَّه وأسلموا وجوههم للَّه ، وأنابوا إلى ربهم ، وأحبوه ورجوه ، وخافوه وسألوه ، ورغبوا إليه ، وفوضوا أمورهم إليه ، وتوكلوا عليه ، وأطاعوا رسله ، وعزّروهم ووقروهم ، وأحبوهم ووالوهم ، واتبعوهم واقتفوا آثارهم ، واهتدوا بمنارهم .

وذلك هو دين الإسلام الذي بعث اللَّه به الأولين والآخرين من الرسل ، وهو

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٥١٨) في صفة القيامة : باب رقم (٦٠) وأحمد في « المسند » ١/٢٩٣ و٣٠٣ و٣٠٧ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال ، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » ص (١٦٩) وقد روي هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي ومولاه عكرمة وعطاء بن أبي رباح ، وعمرو بن دينار ، وعبيد الله بن عبد الله ، وعمر مولى عفرة ، وابن أبي مليكة ، وغيرهم ، وقد جمع الحافظ ابن رجب الحنبلي طرق هذا الحديث وشرحه شرحاً وافياً في رسالة سماها « نور الاقتباس في وصية ابن عباس » فلتراجع فإنها رسالة قيمة . وقد تقدم تخريجه ص (١٣٣) .

الدين الذي لا يقبل اللّٰه من أحد ديناً إلا إياه ، وهو حقيقة العبادة لرب العالمين .

فنسأل اللّٰه العظيم أن يثبتنا عليه ، ويكمله لنا ويميتنا عليه ، وسائر إخواننا المسلمين .

والحمد للّٰه وحده وصلى اللّٰه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *

الفُرْقَانُ

بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

تأليف

شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ومن يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله . أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً . أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فهدى به من الضلالة ، وبصر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وفرق به بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والرشاد والغي ، والمؤمنين والكفار ، والسعداء أهل الجنة ، والأشقياء أهل النار ، وبين أولياء الله وأعداء الله . فمن شهد له محمد ﷺ بأنه من أولياء الله فهو من أولياء الرحمن ، ومن شهد له بأنه من أعداء الله فهو من أعداء الله وأولياء الشيطان .

وقد بيَّن سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن للَّه أولياء من الناس ، وللشيطان أولياء ، ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فقال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس : ٦٢ ـ ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة : ٥١ ـ ٥٦] . وقال تعالى : ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف : ٤٤] .

وذكر أولياء الشيطان فقال تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل : ٩٨ ـ ١٠٠] . وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

الطَّاغوتِ فقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء : ٧٦] . وقال تعالى : ﴿وَإِذ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُوني وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلْظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ [النساء : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً﴾ [النساء ١١٩] . وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيْمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّما ذٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُم وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٧٣ ـ ١٧٥] . وقال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آباءَنَا﴾ إلى قوله : ﴿إِنَّهُم اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف : ٢٧ ـ ٣٠] . وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِم لِيُجَادِلُوكُم﴾ [الأنعام : ١٢١] . وقال الخليل عليه السلام : ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُونَ لِلْشَّيْطَانِ وَلِيّاً﴾ [مريم : ٤٥] . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالمَوَدَّةِ﴾ الآيات إلى قوله : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الممتحنة : ١ ـ ٥] .

فصل

وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء ، كما فرق اللَّه ورسوله بينهما ، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، كما قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٦٢ ـ ٦٣] .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري(١) وغيره عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالمُحَارَبَةِ ـ أَوْ فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ ـ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قبض نَفْسِ عَبْدِي المُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، وَلاَ بُدَّ لَهُ مِنْهُ » وهذا أصح حديث يروى في الأولياء ، فبين النبي ﷺ أنه من عادى ولياً للَّه فقد بارز اللَّه في المحاربة .

وفي حديث آخر : « وَإِنِّي لأَثْأَرُ لأَوْلِيَائِي كَمَا يَثْأَرُ اللَّيْثُ الحَرِبَ»(٢) أي : آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره ، وهذا لأن أولياء اللَّه هم الذين آمنوا به ووالوه ، فأحبوا ما يحب ، وأبغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضى ، وسخطوا بما يسخط ، وأمروا بما يأمر ، ونهوا عما نهى ، وأعطوا لمن يحب أن يعطى ، ومنعوا من يحب أن يمنع ، كما في الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « أَوْثَقُ عُرَىٰ الإيمانِ : الحُبُّ فِي اللَّهِ والبُغْضُ فِي اللَّـهِ »(٣) ، وفي حديث آخر

---

(١) رواه البخاري ١١/٢٩٢ ـ ٢٩٥ في الرقاق : باب التواضع ، وانظر « الفتح » وما قاله الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » حول هذا الحديث ص ٣١٣ و « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٦٤٠) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/٤٣٠ من حديث عمرو بن الجموح رضي الله عنه ، بلفظ « لا يحق للعبد صريح الايمان حتى يحب لله تعالى ويبغض لله تعالى ، فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاء من الله . . . » واسناده ضعيف ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ١/٨٩ من حديث عمرو بن الجموح رضي الله عنه ، بلفظ « لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ، ويبغض لله ، فاذا أحب لله وأبغض لله ، فقد استحق الولاية . . . » ، وقال الطبراني في « الكبير » ، وفيه رشدين بن سعد ، وهو ضعيف .

(٣) رواه أحمد في « المسند » ٤/٢٨٦ عن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وفي « الصغير » عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٧٢٨) : الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل ، والله أعلم .

رواه أبو داود وقال : « مَنْ أَحَبَّ للَّهِ ، وَأَبْغَضَ ، وَأَعْطَىٰ لِلَّهِ ، وَمَنَعَ لِلَّهِ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ »[1] .

والولاية : ضد العداوة ، وأصل الولاية : المحبة والقرب ، وأصل العداوة : البغض والبعد . وقد قيل : إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات ، أي متابعته لها ، والأول أصح . والولي : القريب ، يقال : هذا يلي هذا ، أي : يقرب منه . ومنه قوله ﷺ : « أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا أَبْقَتِ الفَرَائِضُ فَلأَوْلَىٰ رَجُلٌ ذَكَرَ »[2] أي لأقرب رجل إلى الميت وأكده بلفظ الذكر ليبين أنه حكم يختص بالذكور ، ولا يشترك فيه الذكور والإناث ، كما قال في الزكاة : « فـابنُ لَبُونٍ ذَكَر »[3] .

فإذا كان ولي اللَّه هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ، ويبغضه

---

(1) رواه أبو داود رقم (٤٦٨١) في السنة : باب الدليل على زيادة الإيمان ، وأحمد في « المسند » ٣/٤٣٨ و٤٤٠ من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه ، وهو حديث حسن ، فإن رجال اسناده ثقات ما خلا القاسم بن عبد الرحمن الشامي الراوي عن أبي أمامة ، فقد تكلم غير واحد ، لكن ذكروا أن حديث الثقات عنه مستقيمة ، وهذا منها .انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (٣٨٠) .

(2) رواه البخاري ١٢/٨ في الفرائض : باب ميراث الولد من أبيه وأمه ، وباب ميراث ابن الابن إذا لم يكن ابن ، ومسلم رقم (١٦١٥) في الفرائض : باب ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولي رجل ذكر والترمذي رقم (٢٠٩٩) في الفرائض : باب ميراث العصبة ، وأبو داود رقم (٢٨٩٨) في الفرائض : باب في ميراث العصبة ، وابن ماجة رقم (٢٧٤٠) في الفرائض : باب ميراث العصبة ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(3) هذا اللفظ رواه أبو داود رقم (١٥٦٧) في الزكاة : باب زكاة السائمة عن أبي بكر رضي الله عنه ونصه « هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله ﷺ على المسلمين التي أمر الله عز وجل بها نبيه ﷺ فمن سئلها من دون المسلمين على وجهها فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعطه : فيما دون خمس وعشرين من الإبل والغنم ، وفي كل خمس ذود شاة فاذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بنت مخاض إلى أن تبلغ خمساً وثلاثين فان لم يكن فيها بنت مخاض فابن لبون ذكر» . ورواه البخاري ٣/٢٥١ بمعناه والنسائي ٥/١٨ و٢٣ في الزكاة : باب زكاة الإبل ، وابن ماجة رقم (١٨٠٠) في الزكاة : باب إذا أخذ المصدق سناً دون سن أو فوق سن، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

ويسخطه ، ويأمر به وينهى عنه ، كان المعادي لوليه معادياً له ، كما قال تعالى : ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة : ١] ، فمن عادى أولياء اللّٰه فقد عاداه ، ومن عاداه فقد حاربه ، فلهذا قال : « وَمَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ » .

وأفضل أولياء اللّٰه هم أنبياؤه ، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم ، وأفضل المرسلين أولو العزم : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ . قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى : ١٣] . وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً * لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الأحزاب : ٧ ـ ٨] .

وأفضل أولي العزم : محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المتقين ، وسيد ولد آدم ، وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا ، وخطيبهم إذا وفدوا ، صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون ، وصاحب لواء الحمد ، وصاحب الحوض المورود ، وشفيع الخلائق يوم القيامة ، وصاحب الوسيلة والفضيلة ، الذي بعثه اللّٰه بأفضل كتبه ، وشرع له أفضل شرائع دينه ، وجعل أمته خير أُمة أخرجت للناس ، وجمع له ولأمته من الفضائل والمحاسن ما فرقه فيمن قبلهم ، وهم آخر الأمم خلقاً ، وأول الأمم بعثاً ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح : « نَحْنُ الآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا ، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ـ يعني يوم الجمعة ـ فَهَدَانَا اللّٰهُ لَهُ : النَّاسُ لَنَا تَبَعٌ فِيهِ ، غَداً لِلْيَهُودِ ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى »[1] .

---

(١) رواه البخاري ٢/٢٩٢ ـ ٢٩٤ في الجمعة : باب فرض الجمعة ، وباب هل على من لم يشهد الجمعة=

وقال ﷺ : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ »(١) .

وقـال ﷺ : « آتِي بَابَ الجَنَّـةِ فَأَسْتَفْتِـحُ ، فَيَقُـولُ الخـازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : أَنَا مُحَمَّدٌ . فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ »(٢) .

وفضائله ﷺ وفضائل أمته كثيـرة ، ومن حين بعثه اللَّه جعله الفـارق بين أوليائه وبين أعدائه : فلا يكون ولياً للَّه إلا من آمن به وبما جاء به ، واتبعه باطناً وظاهراً ، ومن ادعى محبة اللَّه وولايته وهو لم يتبعه ، فليس من أولياء اللَّه ، بل من خالفه كان من أعداء اللَّه وأولياء الشيطان . قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران : ٣١] .

قال الحسن البصري رحمه اللَّه : ادعى قوم أنهم يحبون اللَّه ، فأنزل اللَّه هذه الآية محنة لهم وقد بين اللَّه فيها ، أن من اتبع الرسول فإن اللَّه يحبه ، ومن ادَّعى محبة اللَّه ولم يتبع الرسول ﷺ ، فليس من أولياء اللَّه ؛ وإن كان كثير من الناس يظنون في أنفسهم ، أو في غيرهم ، أنهم من أولياء اللَّه ، ولا يكونون من أولياء اللَّه ، فاليهود والنصارى يدَّعون أنهم أولياء للَّه ، وأنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم ، بل يـدَّعون أنهم أبنـاؤه وأحباؤه . قال تعالى : ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ

= غسل ، وفي الأنبياء : باب ما ذكر عن بني اسرائيل ومسلم رقم (٨٥٥) في الجمعة : باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ، والنسـائي ٣/٨٥ ـ ٨٧ في الجمعة : بـاب ايجاب الجمعـة ، وأحمد في « المسنـد » ٢/٢٤٣ و ٢٤٩ و ٢٧٤ و ٣١٢ و ٣٤١ و ٤٧٣ و ٥٠٥ و ٥٠٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٩٣) في المناقب : باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، من حديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ، ورواه أيضاً أبو داود رقم (٤٦٧٣) في السنة : من حديث أبي هريرة ، ومسلم رقم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة بلفظ « وأول من ينشق عنه القبر » فهو حديث صحيح .

(٢) رواه مسلم رقم (١٩٧) في الإيمان : باب قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنـة ، وأحمد في « المسند » ٣/١٣٦ من حديث أنس بن مالك .

بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُم بَشَرٌ مِمَّن خلَقَ﴾ الآية [المائدة : ١٨] ، وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوابُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة : ١١١ ـ ١١٢] .

وكان مشركو العرب يدَّعون أنهم أهل اللَّه ، لسكناهم مكة ، ومجاورتهم البيت ، وكانوا يستكبرون به على غيرهم ، كما قال تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ * مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون : ٦٦ ـ ٦٧] . وقال تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ إلى قوله : ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا المُتَّقُونَ﴾ [الأنفال : ٣٠ ـ ٣٤] . فبين سبحانه أن المشركين ليسوا أولياءه ولا أولياء بيته ، إنما أولياؤه المتقون .

وثبت في « الصحيحين » عن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول جهاراً من غير سر : « إِنَّ آلَ فُلانٍ لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ ـ يعني طائفة من أقاربه ـ إِنَّمَا وَلِيِّي اللَّهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ »(١) ، وهذا موافق لقوله تعالى : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ﴾ الآية [التحريم : ٤] . وصالح المؤمنين : هو من كان صالحاً من المؤمنين . وهم المؤمنون المتقون أولياء اللَّه ودخل في ذلك أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانوا ألفاً وأربعمائة ، وكلهم في الجنة ، كما ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ أنه قال : « لَا يَدْخُلِ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ

---

(١) رواه البخاري ١٠/٣٥١ ـ ٣٥٤ في الأدب : باب قبل الرحم ببلالها ومسلم رقم (٢١٥) في الإيمان : باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم وأحمد في « المسند » ٣/ ٢٠٣ .

تَحْتَ الشَّجَرَةِ »[1] ومثل هذا الحديث الآخر :« إِنَّ أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ أَيّاً كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا[2] .

كما أن من الكفار من يدَّعي أنه ولي اللَّه ، وليس وليّاً للَّه ، بل عدوٌّ له . فكذلك من المنافقين الذين يظهرون الاسلام ، يقرون في الظاهر بشهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمداً رسول اللَّه ، وأنه مرسل إلى جميع الانس ، بل إلى الثقلين : الانس والجن ، ويعتقدون في الباطن ما يناقض ذلك ؛ مثل أن لا يقروا في الباطن بأنه رسول اللَّه ، وإنما كان ملكاً مطاعاً ، ساس الناس برأيه ، من جنس غيره من الملوك ، أو يقولون : إنه رسول اللَّه إلى الأميين دون أهل الكتاب ، كما يقوله كثير من اليهود والنصارى ، أو أنه مرسل إلى عامة الخلق ، وأن للَّه أولياء خاصة ، لم يرسل اليهم ، ولا يحتاجون اليه ، بل لهم طريق إلى اللَّه من غير جهته ، كما كان الخضر مع موسى ، أو أنهم يأخذون عن اللَّه كل ما يحتاجون اليه وينتفعون به من غير واسطة ، أو أنه مرسل بالشرائع الظاهرة وهم موافقون له فيها . وأما الحقائق الباطنية فلم يرسل بها ، أو لم يكن يعرفها ، أو هم أعرف بها منه ، أو يعرفونها مثل ما يعرفها من غير طريقته .

وقد يقول بعض هؤلاء : إن أهل الصفَّة كانوا مستغنين عنه ، ولم يرسل إليهم ، ومنهم من يقول : إن اللَّه أوحى إلى أهل الصفَّة في الباطن ما أوحى اليه ليلة المعراج ، فصار أهل الصفَّة بمنزلته ، وهؤلاء من فرط جهلهم ، لا يعلمون أن الإسراء كان بمكة ، كما قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ

(١) رواه مسلم رقم (٢٤٩٦) في فضائل الصحابة : باب فضائل أصحاب الشجرة ، وأبو داود رقم (٤٦٥٣) في السنة : باب في الخلفاء ، والترمذي رقم (٣٨٥٩) في المناقب: باب ما جاء في فضل من بايع تحت الشجرة . من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عم مبشر الأنصارية رضي الله عنها .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٥/٢٣٥ من حديث معاذ رضي الله عنه بلفظ « إن أولى الناس بي المتقون كانوا وحيث كانوا » وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٠٠٨) .

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء : ١] ، وأن الصفَّة لم تكن إلا بالمدينة ، وكانت صفَّة في شمالي مسجده ﷺ ينزل بها الغرباء الذين ليس لهم أهل وأصحاب ينزلون عندهم ، فان المؤمنين كانوا يهاجرون إلى النبي ﷺ إلى المدينة ، فمن أمكنه أن ينزل في مكان نزل به ؛ ومن تعذَّر ذلك عليه نزل في المسجد ، إلى أن يتيسر له مكان ينتقل اليه .

ولم يكن أهل الصفَّة ناساً بأعيانهم يلازمون الصفَّة ، بل كانوا يقلّون تارة ويكثرون أخرى ، ويقيم الرجل بها زماناً ، ثم ينتقل منها ، والذين ينزلون بها هم من جنس سائر المسلمين ، ليس لهم مزية في علم ولا دين ، بل فيهم من ارتدّ عن الاسلام وقتله النبي ﷺ ، كالعرنيين الذين اجتوَوا المدينة ، أي استوخموها ، فأمرهم النبي ﷺ بلقاح - أي إبل لها لبن - وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها ، فلما صحوا ؛ قتلوا الراعي ، واستاقوا الذود ، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم ، فأتي بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمرت[1] أعينهم ، وتركهم في الحرَّة يستسقون فلا يسقون . وحديثهم في « الصحيحين »[2] من حديث أنس .

وفيه أنهم نزلوا الصفَّة ، فكان ينزلها مثل هؤلاء ، ونزلها من خيار المسلمين سعد بن أبي وقاص ، وهو أفضل من نزل بالصفَّة ، ثم انتقل عنها ، ونزلها أبو هريرة وغيره ، وقد جمع أبو عبد الرحمن السلمي تاريخ من نزل الصفَّة .

---

(١) في بعض النسخ « سملت » ومعناهما واحد .

(٢) رواه البخاري ١٢/٩٨ في المحاربين في فاتحته ، وفي كتب أخرى ، ومسلم رقم (١٦٧١) في القسامة : باب حكم المحاربين والمرتدين ، والترمذي رقم (٧٢) في الطهارة باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمه ورقم (١٨٤٦) ، وأبو داود رقم (٤٣٦٤) في الحدود باب ما جاء في المحاربة ، ورقم (٤٣٦٥) و(٤٣٦٦) و(٤٣٦٧) و(٤٣٦٨) و(٤٣٧١) ، والنسائي ٧/٩٣ - ٩٨ في تحريم الدم : باب تأويل قول الله عز وجل ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله يسعون في الأرض فساداً﴾ ، وابن ماجة رقم (٢٥٧٨) في الحدود : باب من حارب وسعى في الأرض فساداً ، وأحمد في « المسند » ٣/١٠٧ و١٦٣ و١٧٠ و١٧٧ و١٨٦ و١٩٨ و٢٠٥ و٢٣٣ و٢٨٧ و٢٩٠ .

وأما الأنصار فلم يكونوا من أهل الصفَّة ، وكذلك أكابر المهاجرين - كأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم - لم يكونوا من أهل الصفَّة .

وقد روي أنه كان بها غلام للمغيرة بن شعبة ، وأن النبي ﷺ قال : « هٰذَا وَاحِدٌ مِنَ السَّبْعَةِ »[1] وهذا الحديث كذب باتفاق أهل العلم ، وإن كان قد رواه أبو نعيم في « الحلية » وكذا كل حديث يروى عن النبي ﷺ في عدة الأولياء ، والأبدال ، والنقباء ، والنجباء ، والأوتاد ، والأقطاب ، مثل أربعة ، أو سبعة ، أو اثني عشرة ، أو أربعين ، أو سبعين ، أو ثلاثمائة ، أو ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والقطب الواحد ، فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال .

وروي فيهم حديث أنهم أربعون رجلاً ؛ وأنهم بالشام ، وهو في «المسند»[2] من حديث علي كرم اللّه وجهه ، وهو حديث منقطع ليس بثابت ، ومعلوم أن علياً ومن معه من الصحابة ، كانوا أفضل من معاوية ومن معه بالشام ، فلا يكون أفضل الناس في عسكر معاوية دون عسكر علي .

وقد أخرجا في « الصحيحين »[3] عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال :

---

(١) حديث الأبدال له طرق وشواهد بمجموعها يدل أن للحديث أصلاً ، وهو حسن بطرقه وشواهده دون تحديد بمكان أو عدد ، انظر « المقاصد الحسنة » للسخاوي ٨ - ١١ ، وكتاب « التوابين » لموفق الدين ابن قدامة المقدسي بتحقيق الأستاذ الشيخ عبد القادر الأرناؤوط وهو من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق صفحة ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٢) « المسند » ١/ ١١٢ وفي سنده انقطاع كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

(٣) رواه مسلم رقم (١٠٦٥) في الزكاة : باب ذكر الخوارج وصفاتهم وأحمد في « المسند » ٣/٣٢ و٤٨ ، وأبو داود رقم (٤٦٦٧) في السنة : باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة .
وليس عند البخاري بهذا اللفظ ، انظر « جامع الأصول » ١٠/٨٣ - ٨٧ .

«تَمْرُقُ مَارِقَةٌ مِنَ الدِّينِ عَلَىٰ حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ يَقْتُلُهُمْ أَوْلَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ» وهؤلاء المارقون هم الخوارج الحرورية الذين مرقوا لما حصلت الفرقة بين المسلمين في خلافة علي ، فقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، فدلّ هذا الحديث الصحيح على أن علي بن أبي طالب أولى بالحق من معاوية وأصحابه ، وكيف يكون الأبدال في أدنى العسكرين دون أعلاهما .

وكذلك ما يرويه بعضهم عن النبي ﷺ أنه أنشد منشد :

قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الهَوَىٰ كَبِدِيْ ... فَلَا طَبِيْبُ لَهَا وَلَا رَاْقِي
إِلَّا الحَبِيْبُ الَّذِيْ شُغِفْتُ بِهِ ... فَعِنْدَهُ رُقْيَتِي وَتِرْيَاْقِي

وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه ، فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث ، وأكذب منه ما يرويه بعضهم أنه مزّق ثوبه ، وأن جبريل أخذ قطعة منه ، فعلقها على العرش ، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ أنه من أظهر الأحاديث كذبا عليه ﷺ .

وكذلك ما يروونه عن عمر رضي الله عنه أنه قال : كان النبي ﷺ وأبو بكر يتحدثان ، وكنت بينهما كالزنجي ، وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث .

والمقصود هنا ؛ أنه فيمن يقر برسالته العامة في الظاهر ومن يعتقد في الباطن ما يناقض ذلك ، فيكون منافقاً ، وهو يدعي في نفسه وأمثاله أنهم أولياء الله مع كفرهم في الباطن بما جاء به رسول الله ﷺ ، إما عناداً ، وإما جهلًا ، كما أن كثيراً من النصارى واليهود يعتقدون أنهم أولياء الله ، وأن محمداً رسول الله ، لكن يقولون : إنما أرسل إلى غير أهل الكتاب ، وإنه لا يجب علينا اتّباعه ، لأنه أرسل الينا رسلاً قبله ؛ فهؤلاء كلهم كفار مع أنهم يعتقدون في طائفتهم أنهم أولياء

اللَّه ، وإنما أولياء اللَّه الذين وصفهم اللَّه تعالى بولايته بقوله : ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس : ٦٢ - ٦٣] .

ولا بد في الإيمان من أن يؤمن باللَّه ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر . ويؤمن بكل رسول أرسله اللَّه ، وكل كتاب أنزله اللَّه ، كما قال تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُم بِهِ فَقَدْ اهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُم فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [البقرة : ١٣٦ - ١٣٧] . وقال تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ * لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْت مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَىٰ القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦] . وقال في أول السورة ﴿الٓمٓ * ذٰلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوْقِنُونَ * أُوْلَٰئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ١ - ٥] . فلا بد في الايمان من أن تؤمن أن محمداً ﷺ خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، وأن اللَّه أرسله إلى جميع الثقلين : الجن والإنس . فكل من لم يؤمن بما جاء به فليس بمؤمن ، فضلاً عن أن يكون من أولياء اللَّه المتقين . ومن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض ، فهو كافر ليس بمؤمن ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُم أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِم أُجُورَهُم وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء : ١٥٠ ـ ١٥٢] .

ومن الإيمان : الإيمان به بأنه هو الواسطة بين اللّه وبين خلقه في تبليغ أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، وحلاله وحرامه . فالحلال ما أحله اللّه ورسوله ، والحرام ما حرمه اللّه ورسوله ، والدين ما شرعه اللّه ورسوله ﷺ . فمن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى اللّه من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان .

وأما خلق اللّه تعالى للخلق ، ورزقه إياهم ، وإجابته لدعائهم ، وهدايته لقلوبهم ، ونصرهم على أعدائهم ، وغير ذلك من جلب المنافع ودفع المضار ، فهذا للّه وحده ، يفعله بما يشاء من الأسباب ، لا يدخل في مثل هذا وساطة الرسل .

ثم لو بلغ الرجل في الزهد والعبادة والعلم ما بلغ ، ولم يؤمن بجميع ما جاء به محمد ﷺ فليس بمؤمن ، ولا ولي للّه تعالى ، كالأحبار والرهبان من علماء اليهود والنصارى وعبَّادهم . وكذلك المنتسبين إلى العلم والعبادة من المشركين ، مشركي العرب والترك والهند ، وغيرهم ممن كان من حكماء الهند والترك ، وله علم أو زهد وعبادة في دينه ، وليس مؤمناً بجميع ما جاء به محمد ، فهو كافر عدو للّه ، وإن ظن طائفة أنه ولي للّه ؛ كما كان حكماء الفرس من المجوس كفاراً مجوساً ، وكذلك حكماء اليونان ، مثل أرسطو وأمثاله ، كانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب ، وكان أرسطو قبل المسيح عليه السلام بثلاثمائة سنة ، وكان

وزيراً للاسكندر بن فيلبس المقدوني ، وهو الذي يؤرخ له تواريخ الروم واليونان ، وتؤرخ به اليهود والنصارى . وليس هذا هو ذا القرنين الذي ذكره اللّه في كتابه ؛ كما يظن بعض الناس أن أرسطو كان وزيراً لذي القرنين لما رأوا أن ذاك اسمه الاسكندر ؛ وهذا قد يسمى بالاسكندر ، ظنوا أن هذا ذاك ، كما يظنه ابن سينا وطائفة معه .

وليس الأمر كذلك ، بل هذا الاسكندر المشرك ـ الذي قد كان أرسطو وزيره ـ متأخر عن ذاك ، ولم يبنِ هذا السور ، ولا وصل إلى بلاد يأجوج ومأجوج ، وهذا الاسكندر الذي كان أرسطو من وزرائه ؛ يؤرخ له تاريخ الروم المعروف .

وفي أصناف المشركين ، من مشركي العرب ، ومشركي الهند ، والترك ، واليونان ، وغيرهم ، من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بمتبع للرسل ، ولا يؤمن بما جاؤوا به ، ولا يصدقهم فيما أخبروا به ، ولا يطيعهم فيما أمروا ، فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ، ولا أولياء اللّه ، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم ، فيكاشفون الناس ببعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم جنس من الكهان والسحرة الذين تنزل عليهم الشياطين ، قال تعالى : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٣] .

وهؤلاء جميعهم ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل ، فلا بد أن يكذبوا وتكذبهم شياطينهم ، ولا بد أن يكون في أعمالهم ما هو إثم وفجور ، مثل نوع من الشرك أو الظلم أو الفواحش أو الغلوّ أو البدع في العبادة .

ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم ، فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن . قال اللّه تعالى : ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف : ٣٦] . وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث به رسول اللّه ﷺ مثل القرآن ، فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويعتقد وجوب أمره ، فقد أعرض عنه ، فيقيض له الشيطان فيقترن به .

قال تعالى : ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء : ٥٠] . وقال تعالى : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ : كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾ [طه : ١٢٤ - ١٢٦] ، فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها ، ولهذا لو ذكر الرجل اللّه سبحانه وتعالى دائماً ليلاً ونهاراً مع غاية الزهد ، وعبده مجتهداً في عبادته ، ولم يكن متبعاً لذكره الذي أنزله - وهو القرآن - كان من أولياء الشيطان ، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء ، فان الشيطان يحمله في الهواء ، وهذا مبسوط في غير هذا الموضع .

فصل

ومن الناس من يكون فيه إيمان ، وفيه شعبة من نفاق ، كما جاء في « الصحيحين »[1] عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما ، عن النبي ﷺ أنه

---

(١) رواه البخاري ١/٨٤ في الإيمان : باب علامات المنافق ، وفي المظالم باب إذا خاصم فجر ، وفي الجهاد : باب إثم من عاهد ثم غدر ، ومسلم رقم (٥٨) في الإيمان : باب بيان خصال المنافق ، وأبو داود رقم (٤٦٨٨) في السنة : باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، والترمذي رقم (٢٦٣٤) في الإيمان : باب ما جاء في علامة المنافق ، والنسائي ٨/١١٦ في الإيمان : باب علامة المنافق وأحمد في «المسند» ٢/٢٠٠ .

قَال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ » .

وفي « الصحيحين »[(١)] أيضاً عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ، أَوْ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، أَعْلاَهَا قَوْلُ : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّه ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ » فبين النبي ﷺ أن من كان فيه خصلة من هذه الخصال ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها .

وقد ثبت في « الصحيحين »[(٢)] أنه قال لأبي ذر وهو من خيار المؤمنين : « إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ » ، فقال : « يا رسول اللَّه ! أَعَلَىٰ كِبَرِ سِنِّي ؟ قال : « نَعَمْ » .

وثبت في « الصحيح »[(٣)] عنه أنه قال : « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ : الفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ » .

---

(١) رواه البخاري ١/ ٤٨ و ٤٩ في الإيمان : باب أمور الإيمان ، ومسلم رقم (٣٥) في الإيمان : باب عدد شعب الإيمان ، وأبو داود رقم (٤٦٧٦) في السنة : باب في رد الإرجاء والترمذي رقم (٢٦١٧) في الإيمان: باب استكمال الإيمان، والنسائي ٨/ ١١٠ في الإيمان: باب ذكر شعب الإيمان، وابن ماجه رقم (٥٧) في المقدمة ، وأحمد في «المسند» ٤/ ٣٧٩ و٤٤٥ .

(٢) رواه البخاري في الأدب : باب ما ينهي عن السباب وفي الإيمان : باب المعاصي من أمر الجاهلية ، وفي العتق : باب العبيد اخوانكم ، ومسلم رقم (١٦٦١) في الإيمان : باب اطعام المملوك ، وأبو داود رقم (٥١٥٧) و (٥١٥٨) في الأدب : باب في حق المملوك ، والترمذي رقم (١٩٤٦) في البر : باب الإحسان إلى الخدم ، وأحمد في «المسند» ٥/ ١٦١ ، من حديث أبي ذر ، رضي الله عنه .

(٣) رواه مسلم رقم (٩٣٤) في الجنائز : باب التشديد في النياحة ، وأحمد في «المسند» ٥/ ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

وفي « الصحيحين »[1] عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ : إِذَا حَـدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَـدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤتُمِنَ خَانَ» . وفي « صحيح مسلم » : « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » .

وذكر البخاري[2] عن ابن أبي مليكة أنه قال : أَدْرَكْتُ ثَلاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كُلُّهُمْ يَخافُ النِّفَاقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ . وقد قال اللَّه تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ المُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالُوا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُم لِلإِيمَانِ﴾ [آل عمران : ١٦٦ ـ ١٦٧] ، فقد جعل هؤلاء إلى الكفر ، أقرب منهم للإيمان ، فعلم أنهم مخلطون ، وكفـرهم أقوى ، وغيـرهم يكون مخلطاً وإيمانه أقوى .

وإذا كان أولياء اللَّه هم المؤمنين المتقين ، فبحسب إيمان العبد وتقـواه تكون ولايته للَّه تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى ، كان أكمل ولاية للَّه ، فـالناس متفـاضلون في ولايـة اللَّه عـز وجـل ، بحسب تفـاضلهم في الايمـان والتقـوى ، وكذلـك يتفـاضلون في عـداوة اللَّه ، بحسب تفـاضلهم في الكفـر والنفاق ، قال اللَّه تعالى : ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيْمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُم إِيْمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُم رِجْساً إِلَىٰ رِجْسِهِم وَمَاتُوا وَهُم كَافِرُونَ﴾ [التوبة : ١٢٤ ـ ١٢٥]. وقال

---

(١) رواه البخاري ١/٨٣ في الإيمان : باب علامات المنافق ، وفي الشهادات باب من أمر بانجاز الوعد ، ومسلم رقم(٥٩) في الإيمان : باب بيان خصال المنافق ، والترمذي رقم (٢٦٣٣) في الإيمان : باب ما جاء في علامة المنافق ، والنسائي ٨/١١٧ في الإيمان : باب علامة المنافق .

(٢) رواه البخاري ١/١٠١ في الإيمان : باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر .

تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الكُفْرِ﴾ [التوبة : ٣٧] . وقال تعالى : ﴿والَّذِينَ اهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُم تَقْوَاهُم﴾ [محمد : ١٧] . وقال تعالى في المنافقين : ﴿فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً﴾ [البقرة : ١٠] . فبين سبحانه وتعالى : أن الشخص الواحد ، قد يكون فيه قسط من ولاية اللَّه ، بحسب إيمانه ، وقد يكون فيه قسط من عداوة اللَّه ، بحسب كفره ونفاقه . وقال تعالى : ﴿وَيَـزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَاناً﴾ [المدثر : ٣١] . وقال تعالى : ﴿لِيَزْدَادُوا إِيْمَاناً مَعَ إِيْمَانِهِم﴾ [الفتح : ٤] .

فصل

وأولياء اللَّه على طبقتين : سابقون مقرَّبون ، وأصحاب يمين مقتصـدون ذكرهم اللَّه في عدة مواضع من كتابه العزيز ، في أول سورة ﴿الواقعة﴾ وآخرها ، وفي سورة ﴿الانسان﴾ و ﴿المطففين﴾ ، وفي سورة ﴿فاطر﴾ ؛ فإنه سبحانه وتعالى ذكر في ﴿الواقعة﴾ القيامة الكبرى في أولها ، وذكر القيامة الصغرى في آخرها ؛ فقال في أولها : ﴿إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ * لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسّـاً * فَكَانَتْ هَبَـاءً مُنْبَثّاً * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجـاً ثَلاَثَةً * فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ المَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ المَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ المُقَرَّبُونَ * في جَنَّاتِ النَّعيمِ * ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾ [الواقعة : ١ ـ ١٤] .

فهذا تقسيم الناس إذا قامت القيامة الكبرى التي يجمـع اللَّه فيها الأولين والآخرين ، كما وصف اللَّه سبحانه ذلك في كتابه في غير موضع ، ثم قال تعالى في آخر السورة : ﴿فَلَوْلَا﴾ أي فهلاّ ﴿إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ * وَأَنْتُم حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُم وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُم غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلاَمٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِن حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٨٣ ـ ٩٦] .

وقال تعالى في سورة الإنسان : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً * إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلكَافِرِينَ سَلاَسِلَ وَأَغْلاَلاً وَسَعِيراً * إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُم جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾ الآيات [الإنسان ٣ ـ ١٢] .

وكذلك ذكر في سورة المطففين فقال : ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلاَّ إِنَّهُم عَن رَبِّهِم يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُم لَصَالُوا الجَحِيم * ثُمَّ يُقَالُ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَىٰ الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِم نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ * وَفِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٧ ـ ٢٨] .

وعن ابن عباس رضي اللَّه عنهما وغيره من السلف ، قالوا : يمزج

لأصحاب اليمين مزجاً ، ويشرب بها المقرَّبون صرفاً ، وهو كما قالوا : فإنه تعالى قال : ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ ، ولم يقل يشرب منها ، لأنه ضمن قولـه : يشرب معنى يروى ، فان الشارب قد يشرب ولا يروى ، فإذا قيل : يشربون منها ، لم يدل على الري ، فاذا قيل : يشربون بها ، كان المعنى يروون بها ، فالمقرَّبون ، يروون بها فلا يحتاجون معها إلى ما دونها ، فلهذا يشربون منها صرفاً ، بخلاف أصحاب اليمين فإنها مزجت لهم مزجاً ، وهو كما قال تعالى في سورة الانسان : ﴿كَانَ مِزَاجُها كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ [الانسان : ٥ ـ ٦] .

فعباد اللَّه هم المقربون المذكورون في تلك السورة ، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر ، كما قال النبي ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيا ، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أخِيـهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيه عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَىٰ الجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُم ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ ، وَذَكَـرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ ، وَمَنْ بَـطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْـرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » . رواه مسلم في «صحيحه»(١) .

وقـال ﷺ : « الرَّاحِمُـون يَـرْحَمُهُمُ الـرَّحْمٰنُ ، ارْحَمُـوا مَنْ فِي الأَرْضِ

---

(١) رقم (٢٦٩٩) في الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، ورواه أيضاً وأبو داود رقم (٤٩٤٦) في الأدب : باب في المعونة للمسلم والترمذي رقم (١٤٢٥) في الحدود : باب ما جاء في الستر على المسلم ، ورقم (١٩٣١) في البر والصلة : باب ما جاء في الستر على المسلم ورقم (٢٩٤٦) في القراءات : باب رقم ٣ وابن ماجه رقم (٢٢٥) في المقدمة : باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٥٢ و٤٠٧ و٤٤٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ »[1] قال الترمذي : حديث صحيح .

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في « السنن » « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ : أَنَا الرَّحْمٰنُ ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْماً مِنْ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَها وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ »[2] ، وقال : « وَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْهُ اللَّهُ ، وَمَنْ قَطَعَها قَطَعَهُ اللَّهُ »[3] ، ومثل هذا كثير .

وأولياء اللَّه تعالى على نوعين : مقربون ، وأصحاب يمين ، كما تقدم ، وقد ذكر النبي ﷺ عمل القسمين في حديث الأولياء فقال : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا »[4] .

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض ، يفعلون ما أوجب

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٩٤١) في الأدب : باب في الرحمة ، والترمذي رقم (١٩٢٥) في البر والصلة : باب في رحمة الناس من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو حديث صحيح بشواهده ، انظر «مجمع الزوائد» ٨/١٨٧ ، والأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (٩٢٥) .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٦٩٤) في الزكاة : باب في صلة الرحم ، والترمذي رقم (١٩٠٨) في البر : باب في قطيعة الرحم ، وأحمد في «المسند» ١/١٩٤ من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أحمد ٢/٤٩٨ من حديث أبي هريرة فهو حديث صحيح .

(٣) رواه البخاري ١٣/٣٩٢ في التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ومسلم رقم (٢٥٥٤) في البر : باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها بلفظ «إن الله خلق الخلق ، حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فأخذت بِحَقْوِ الرحمن فقال : مه ، قالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال : نعم ، أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ، قالت : بلى ، قال : فذلك لك ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرؤ وا ان شئتم ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾[محمد : ٢٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) تقدم تخريجه قبل قليل ص (٥٣٩) .

اللَّه عليهم ، ويتركون ما حرم اللَّه عليهم ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ، ولا الكف عن فضول المباحات .

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ، ففعلوا الواجبات والمستحبات ، وتركوا المحرمات ، والمكروهات ، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبّاً تاماً ، كما قال تعالى : « ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه » ، يعني الحب المطلق كقوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة : ٦ ـ ٧] ، أي أنعم عليهم الانعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾ [النساء : ٦٩] .

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى اللَّه عز وجل ، فكانت أعمالهم كلها عبادات للَّه ، فشربوا صرفاً ، كما عملوا له صرفاً . والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم ، فلا يعاقبون عليه ، ولا يثابون عليه ، فلم يشربوا صرفاً ، بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا .

ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول ، ونبي ملك ، وقد خير اللَّه سبحانه محمداً ﷺ ، بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون نبياً ملكاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً ، فالنبي الملك ، مثل داود وسليمان ونحوهما عليهم الصلاة والسلام ، قال اللَّه تعالى في قصة سليمان الذي ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص : ٣٥ ـ ٣٩] . أي :

أعط من شئت ، وأحرم من شئت ، لا حساب عليك ، فالنبي الملك ، يفعل ما فرض اللَّه عليه ، ويترك ما حرم اللَّه عليه ، ويتصرف في الولاية والمال بما يحبه ويختار ، من غير إثم عليه .

وأما العبد الرسول ، فلا يعطي أحداً إلا بأمر ربه ، ولا يعطي من يشاء ، ويحرم من يشاء ، بل يعطي من أمره ربه باعطائه ، ويولي من أمره ربه بتوليته ، فأعماله كلها عبادات للَّه تعالى ، كما في « صحيح البخاري » عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنِّي وَاللَّهِ لاَ أُعْطِي أَحَداً ، وَلاَ أَمْنَعُ أَحَداً ، إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ »[1] ، ولهذا يضيف اللَّه الأموال الشرعية إلى اللَّه والرسول ، كقوله تعالى : ﴿قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال : ١] . وقوله تعالى : ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِن أَهْلِ القُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر : ٧] ، وقوله تعالى : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال : ٤١] .

ولهذا كان أظهر أقوال العلماء ، أن هذه الأموال تصرف فيما يحبه اللَّه ورسوله بحسب اجتهاد ولي الأمر ، كما هو مذهب مالك وغيره من السلف ، ويذكر هذا رواية عن أحمد ، وقد قيل في الخمس : إنه يقسم على خمسة ، كقول الشافعي ، وأحمد في المعروف عنه ، وقيل : على ثلاثة ، كقول أبي حنيفة رحمه اللَّه .

والمقصود هنا ، أن العبد الرسول ، هو أفضل من النبي الملك ، كما أن

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٢/٤٨٢ بلفظ : « والله ما أعطيكم ولا أمنعكم ، وإني أنا قاسم أضعه حيث أمرت » ورواه البخاري ٦/١٥٣ في فرض الخمس : باب قوله تعالى﴿ فان لله خمسه وللرسول ﴾ ورواية المصنف رحمه الله له بالمعنى وهو أقرب إلى رواية أحمد .

إبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام ، أفضل من يوسف ، وداود ، وسليمان عليهم السلام ، كما أن المقربين السابقين ، أفضل من الأبرار أصحاب اليمين ، الذين ليسوا مقربين سابقين ، فمن أدى ما أوجب اللّه عليه ، وفعل من المباحات ما يحبه ، فهو من هؤلاء ، ومن كان إنما يفعل ما يحبه اللّه ويرضاه ، ويقصد أن يستعين بما أبيح له على ما أمره اللّه ، فهو من أولئك .

فصل

وقد ذكر اللّه تعالى أولياءه المقتصدين والسابقين في سورة ﴿فاطر﴾ ، في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِن عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونها يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُم فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيها لُغُوبٌ﴾ [فاطر : ٣٢ - ٣٥] ، لكن هذه الأصناف الثلاثة فى هذه الآية ، هم أمة محمد ﷺ خاصة ، كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ أُوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِن عِبَادِنَا فَمِنْهُم ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُم سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ﴾ .

وأمة محمد ﷺ ، هم الذين أُورثوا الكتاب بعد الأمم المتقدمة ، وليس ذلك مختصاً بحفاظ القرآن ، بل كل من آمن بالقرآن فهو من هؤلاء ، وقسمهم إلى ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق ، بخلاف الآيات التي في ﴿الواقعة﴾ و﴿المطففين﴾ و﴿الانفطار﴾ فإنه دخل فيها جميع الأمم المتقدمة ، كافرهم ومؤمنهم ، وهذا التقسيم لأمة محمد ﷺ ، فالظالم لنفسه : أصحاب الذنوب المصرّون عليها . والمقتصد : المؤدي للفرائض ، المجتنب للمحارم .

والسابق للخيرات : هو المؤدي للفرائض والنوافل ، كما في تلك الآيات . ومن تاب من ذنبه ، أي ذنب كان ، توبة صحيحة ، لم يخرج بذلك عن السابقين والمقتصدين ، كما في قوله تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَغْفِرَةٌ مِن رَبِّهِم وَجَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ [آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٦] .

وقوله : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد : ٢٣] ، مما يستدل به أهل السنة ، على أنه لا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد .

وأما دخول كثير من أهل الكبائر النار ، فهذا مما تواترت به السنن عن النبي ﷺ ، كما تواترت بخروجهم من النار ، وشفاعة نبينا محمد ﷺ في أهل الكبائر ، وإخراج من يخرج من النار بشفاعة نبينا ﷺ ، وشفاعة غيره ؛ فمن قال : إن أهل الكبائر مخلدون في النار ، وتأول الآية على أن السابقين ، هم الذين يدخلونها ، وأن المقتصد أو الظالم لنفسه لا يدخلها، كما تأوله من تأوله من المعتزلة ، فهو مقابل بتأويل المرجئة ، الذين لا يقطعون بدخول أحد من أهل الكبائر النار ، ويزعمون أن أهل الكبائر قد يدخل جميعهم الجنة من غير عذاب ، وكلاهما مخالف للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ، ولإجماع سلف الأمة وأئمتها .

وقد دل على فساد قول الطائفتين قول اللّه تعالى في آيتين من كتابه ، وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء : ٤٨ و١١٦] ، فأخبر تعالى أنه لا يغفر الشرك ، وأخبر أنه يغفر ما دونه لمن يشاء ،

ولا يجوز أن يراد بذلك التائب ، كما يقوله من يقوله من المعتزلة ، لأن الشرك يغفره اللَّه لمن تاب ، وما دون الشرك ، يغفره اللَّه أيضاً للتائب ، فلا تعلق بالمشيئة ، ولهذا لما ذكر المغفرة للتائبين ؛ قال تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِم لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣] ، فهنا عمم المغفرة وأطلقها ، فإن اللَّه يغفر للعبد أي ذنب تاب منه ، فمن تاب من الشرك غفر اللَّه له ، ومن تاب من الكبائر غفر اللَّه له ، وأي ذنب تاب العبد منه غفر اللَّه له .

ففي آية التوبة ؛ عمم وأطلق ، وفي تلك الآية خصص وعلق ، فخص الشرك بأنه لا يغفره ، وعلق ما سواه على المشيئة ، ومن الشرك التعطيل للخالق ، وهذا يدل على فساد قول من يجزم بالمغفرة لكل مذنب ، ونبه بالشرك على ما هو أعظم منه ، كتعطيل الخالق ، أو يجوّز أن لا يعذب بذنب ، فانه لو كان كذلك ، لما ذكر أنه يغفر للبعض دون البعض ، ولو كان كل ظالم لنفسه مغفوراً له ، بلا توبة ولا حسنات ماحية ، لم يعلق ذلك بالمشيئة .

وقوله تعالى : ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ﴾ دليل على أنه يغفر للبعض دون البعض ، فبطل النفي والعفو العام .

فصل

وإذا كان أولياء اللَّه عز وجل ، هم المؤمنون المتقون، والناس يتفاضلون في الايمان والتقوى ، فهم متفاضلون في ولاية اللَّه بحسب ذلك ، كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والنفاق ، كانوا متفاضلين في عداوة اللَّه بحسب ذلك .

وأصل الايمان والتقوى : الايمان برسل اللَّه ، وجماع ذلك : الايمان

بخاتم الرسل محمد ﷺ ؛ فالايمان به يتضمن الايمان بجميع كتب اللّه ورسله . وأصل الكفر والنفاق ، هو الكفر بالرسل ، وبما جاؤ وا به ، فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة ، فإن اللّه تعالى أخبر في كتابه ، أنه لا يعذب أحداً إلا بعد بلوغ الرسالة . قال اللّه تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء : ١٥] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمَاعِيلَ وَاسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً * وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُم عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً * رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥] . وقال تعالى عن أهل النار : ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُم إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك : ٨ ـ ٩] ، فأخبر أنه كلما أُلقي في النار فوج أقروا بأنهم جاءهم النذير فكذبوه ، فدل ذلك على أنه لا يلقى فيها فوج إلا من كذب النذير . وقال تعالى في خطابه لابليس : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُم أَجْمَعِينَ﴾ [ص : ٨٥] ، فأخبر أنه يملؤها بإبليس ومن اتبعه ، فإذا ملئت بهم لم يدخلها غيرهم . فعلم أنه لا يدخل النار إلا من تبع الشيطان ، وهذا يدل على أنه لا يدخلها من لا ذنب له ، فإنه ممن لم يتبع الشيطان ولم يكن مذنباً ، وما تقدم يدل على أنه لا يدخلها إلا من قامت عليه الحجة بالرسل .

فصل

ومن الناس من يؤمن بالرسل إيماناً عاماً مجملاً ، وأما الايمان المفصل ، فيكون قد بلغه كثير مما جاءت به الرسل ولم يبلغه بعض ذلك ، فيؤمن بما بلغه عن

الرسل ، وما لم يبلغه لم يعرفه ، ولو بلغه لآمن به ، ولكن آمن بما جاءت به الرسل إيماناً مجملاً ، فهذا إذا عمل بما علم أن اللَّه أمره به مع ايمانه وتقواه ، فهو من أولياء اللَّه تعالى ، له من ولاية اللَّه بحسب إيمانه وتقواه . وما لم تقم عليه الحجة به ، فإن اللَّه تعالى لم يكلفه معرفته ، والايمان المفصل بـه ، فلا يعـذبه على تركه ، لكن يفوته من كمال ولاية اللَّه بحسب ما فاته من ذلك ، فمن علم بما جاء به الرسول ، وآمن به إيماناً مفصلاً ، وعمل به ، فهو أكمل إيماناً وولاية للَّه ممن لم يعلم ذلك مفصلاً ، ولم يعمل به ، وكلاهما ولي للَّه تعالى . والجنة درجات متفاضلة تفاضلاً عظيماً ، وأولياء اللَّه المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم . قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوماً مَـدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الآخِـرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً * كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِن عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً * انْظُر كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء : ١٨ ـ ٢١] .

فبين اللَّه سبحانه وتعالى ، أنه يمد من يريد الدنيا ومن يريـد الآخرة من عطائه ، وأن عطاءه ما كان محظوراً من برّ ولا فاجر ، ثم قال تعالى : ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَـا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ولَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـاتٍ وَأَكْبَـرُ تَفْضِيـلاً﴾ ؛ فبين اللَّه سبحانه ، أن أهل الآخرة يتفاضلون فيها أكثر مما يتفاضل الناس في الدنيا ، وأن درجاتها أكبر من درجات الدنيا ، وقد بين تفاضل أنبيائه عليهم السلام كتفاضل سائر عباده المؤمنين ، فقال تعالى : ﴿تِلْكَ الرُّسُـلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ بْنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَـاهُ بِرُوحِ القُدُسِ﴾ [البقرة : ٢٥٣] . وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾ [الإسراء : ٥٥] .

وفي « صحيح مسلم »(١) عن أبي هريرة رضي اللّه عنه ، عن النبي ﷺ أنه قـال : « المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْـرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَلَا تَعْجَزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ ، فَلا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا ؛ وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » .

وفي « الصحيحين »(٢) عن أبي هـريرة ، وعمـرو بن العـاص رضي اللّه عنهما ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا اجْتَهَدَفأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ » . وقد قال اللّه تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُم مَن أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُـلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَىٰ﴾ [الحديد : ١٠] . وقال تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْـرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالمُجَـاهِدُونَ فِي سَبِيـلِ اللَّهِ بِـأَمْـوَالِهِم وَأَنْفُسِهِـم فَضَّـلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم عَلَىٰ القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ عَلَىٰ القَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً * دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النسـاء : ٩٥ ـ ٩٦] . وقال تعـالى : ﴿أَجَعَلْتُم سِقَايَـةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِم أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ

---

(١) (٢٦٦٤) في القدر : باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، ورواه أيضاً أحمـد في « المسند » ٢/ ٣٦٦ و ٣٧٠ .

(٢) رواه البخاري ١٣/٢٦٨ في الإعتصام : باب أجر الحـاكم إذا أجتهد فـأصاب أو أخـطأ ، ومسلم رقم (١٧١٦) في الأقضية بابع ببيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصـاب أو أخطأ أو أبـو داود رقم (٣٥٧٤) في الأقضية : باب في القاضي يخطىء ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٠٢ و٢٠٥ .

عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٢]. وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]؛ وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُم، وَالَّذِينَ أُوْتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

فصل

وإذا كان العبد لا يكون ولياً للّه إلا إذا كان مؤمناً تقياً، لقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُون﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٣].

وفي «صحيح البخاري» الحديث المشهور، وقد تقدم يقول اللّه تبارك وتعالى فيه: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ»[1]. ولا يكون مؤمناً تقياً حتى يتقرب إلى اللّه بالفرائض، فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل، حتى يكون من السابقين المقربين؛ فمعلوم أن أحداً من الكفار والمنافقين لا يكون ولياً للّه، وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار، ومن لم تبلغه الدعوة، وإن قيل: إنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم رسول، فلا يكونون من أولياء اللّه، إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين، فمن لم يتقرب إلى اللّه لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات، لم يكن من أولياء اللّه؛ وكذلك المجانين والأطفال، فان النبي ﷺ قال: «يُرْفَع القَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ المَجْنُونِ حَتَّىٰ يَفِيقَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّىٰ

---

(١) تقدم تخريجه قبل قليل ص (٥٣٩).

يَحْتَلِمَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ »(1) . وهذا الحديث قد رواه أهل « السنن » من حـديث علي وعائشـة رضي اللّه عنهما ، واتفق أهـل المعرفـة على تلقيـه بالقبول .

لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء ، وأما المجنون الذي رفع عنه القلم ؛ فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء ، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة ، فلا يصلح أن يكون بزَّازاً ولا عطاراً ولا حداداً ولا نجاراً ، ولا تصح عقوده باتفاق العلماء ، فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا إقراره ولا شهادته ، ولا غير ذلك من أقواله ، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ، ولا ثواب ولا عقاب ، بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالاً معتبرة في مواضع بالنص والإجماع ، وفي مواضع فيها نزاع .

وإذا كان المجنون لا يصح منه الايمان ولا التقوى ، ولا التقرب إلى اللّه بالفرائض والنوافل ، وامتنع أن يكون ولياً للّه ، فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي للّه ، لا سيما أن تكون حجته على ذلك ، إما مكاشفة سمعها منه ، أو نوع من تصرف ، مثل أن يراه قد أشار إلى واحد ، فمات أو صرع ، فانه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب ، لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية ، كالكهان والسحرة وعبَّاد المشركين ، وأهل الكتاب ، فلا يجوز لأحد أن يستدل

---

(1) رواه أبو داود رقم (٤٤٠٣) في الحدود : باب في المجنون يسرق أو يصيب أحداً ، والترمذي رقم (١٤٢٣) في الحدود : باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ورواه أبو داود رقم (٤٣٩٨) في الحدود : باب في المجنون يسرق أو يصيب أحداً ، والنسائي ٦/١٥٦ في الطلاق : باب من لا يقع طلاقه من الأزواج ، وأحمد في « المسند » ٦/ ١٠٠ و١٠١ و١٠٤ ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، وأبو داود رقم (٤٣٩٩ ـ ٤٤٠١) ، وابن حبان (١٤٩٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه . وهو حديث صحيح . انظر « الإرواء » للألباني رقم (٢٩٧) .

بمجرد ذلك على كون الشخص ولياً للّه ، وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية اللّه ، فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية اللّه ، مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي ﷺ باطناً وظاهراً ، بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة ، أو يعتقد أن لأولياء اللّه طريقاً إلى اللّه غير طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أو يقول : إن الأنبياء ضيقوا الطريق ، أو هم قدوة على العامة ، دون الخاصة ، ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية ، فهؤلاء فيهم من الكفر ما يناقض الايمان ، فضلاً عن ولاية اللّه عز وجل ، فمن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم ، كان أضل من اليهود والنصارى .

وكذلك المجنون ، فان كونه مجنوناً ، يناقض أن يصح منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية اللّه ، ومن كان يجن أحياناً ويفيق أحياناً ، إذا كان في حال إفاقته مؤمناً باللّه ورسوله ، ويؤدي الفرائض ، ويجتنب المحارم ، فهذا إذا جن ، لم يكن جنونه مانعاً من أن يثيبه اللّه على إيمانه وتقواه الذي أتى به في حال إفاقته ، ويكون له من ولاية اللّه بحسب ذلك ، وكذلك من طرأ عليه الجنون بعد إيمانه وتقواه ، فان اللّه يثيبه ويأجره على ما تقدم من إيمانه وتقواه ، ولا يحبطه بالجنون الذي ابتلي به من غير ذنب فعله ، والقلم مرفوع عنه في حال جنونه .

فعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ، ولا يجتنب المحارم بل قد يأتي بما يناقض ذلك ، لم يكن لأحد أن يقول : هذا ولي للّه ، فإن هذا ان لم يكن مجنوناً ، بل كان متولها من غير جنون ، أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ، ويفيق أخرى ، وهو لا يقوم بالفرائض ، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول ﷺ ، فهو كافر . وإن كان مجنوناً باطناً وظاهراً قد ارتفع عنه القلم ، فهذا وإن لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين ، فليس هو مستحقاً لما يستحقه أهل الايمان والتقوى

من كرامة اللّه عز وجل ، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحد أنه ولي للّه ، ولكن إن كان له حالة في إفاقته ، كان فيها مؤمناً باللّه متقياً ؛ كان له من ولاية اللّه بحسب ذلك ، وإن كان له حال إفاقته فيه كفر أو نفاق ، أو كان كافراً أو منافقاً ، ثم طرأ عليه الجنون ، فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه ، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو نفاق .

فصل

وليس لأولياء اللّه شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان كلاهما مباحاً ، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره، إذا كان مباحاً ، كما قيل : كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عباء . بل يوجد في جميع أصناف أمة محمد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم ، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجّار والصنّاع والزرّاع .

وقد ذكر اللّه أصناف أمة محمد ﷺ في قوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُم مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل : ٢٠] .

وكان السلف يسمون أهل الدين والعلم : « القرّاء » فيدخل فيهم العلماء والنُّسَّاك ، ثم حدث بعد ذلك اسم الصوفية والفقراء . واسم الصوفية : هو نسبة إلى لباس الصوف ، هذا هو الصحيح .

وقد قيل : إنه نسبة إلى صفوة الفقهاء . وقيل : إلى صوفة بـن مـر بن أد بن طابخة ، قبيلة من العرب ، كانوا يعرفـون بالنسـك، وقيك: إلى أهـل الصفَّة . وقيل : إلى أهل الصفاء، وقيل: إلى الصفوة . وقيل : إلى الصف المقدم بين يدي اللَّه تعالى ؛ وهذه أقوال ضعيفة ، فإنه لو كـان كذلـك لقيل : صفي ، أو صفائي ، أو صفوي أو صفي(1) ، ولم يقل : صوفي ، وصار اسم الفقراء ، يعني به أهل السلوك ، وهذا عرف حادث ؛ وقد تنازع الناس : أيهما أفضل ، مسمى الصوفي ، أو مسمى الفقير ؟ ويتنازعون أيضاً أيهما أفضل ، الغني الشاكر ، أو الفقير الصابر ؟

وهذه المسألة فيها نزاع قديم ، بين الجنيد وبين أبي العباس بن عطاء ، وقد روي عن أحمد بن حنبل فيها روايتان ، والصواب في هذا كله ما قاله اللَّه تبارك وتعالى ، حيث قال : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وفي « الصحيـح » عن أبي هريـرة رضي اللَّه عنه ، عن النبي ﷺ ، أنـه سئل : أي الناس أفضل ؟ قال : « أَتْقَاهُم » قيل له : ليس عن هذا نسـألك ، فقال : « يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ، ابنُ يَعْقُـوبَ نَبِيِّ اللَّهِ ، ابنُ إِسْحَاقَ نَبِيِّ اللَّهِ ، ابْنُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ » . فقيل له : ليس عن هذا نسألـك . فقال : « عَنْ مَعَـادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي ؟ النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ ، إِذَا فَقُهُوا »(2) .

---

(1) صفي بضم الصاد وتشديد الفاء ، نسبة إلى أهل الصفة ، وصفائي نسبة إلى أهل الصفاء ، وصفوي بفتح الصاد وسكون الفاء ، نسبة إلى صفوة ، وصفي بفتح الصاد وتشديد الفاء نسبة إلى الصف المقدم .

(2) رواه البخاري ٦/ ٢٧٦ في أحاديث الأنبياء: باب ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت﴾، ومسلم رقم (٢٦٣٨) (١٦٠) وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٥٧ و٢٦٠ و٣٩١ .

فدل الكتاب والسنة أن أكرم الناس عند اللَّه أتقاهم .

وفي « السنن » عن النبي ﷺ أنه قال : « لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَـرَبِيٍّ ، وَلَا لِأَسْـوَدَ عَلَىٰ أَبْيَضٍ ، وَلَا لِأَبْيَضَ عَلَىٰ أَسْـوَدٍ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ ، وَآدَمَ مِنْ تُرَابٍ »[1] .

وعنه أيضاً ﷺ أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّـةَ الجَاهِلِيَّةِ ، وَفَخْرَهَا بِالآباءِ ، النَّاسُ رَجُلَانِ : مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ »[2] .

فمن كان من هذه الأصناف أتقى للَّه ، فهو أكرم عند اللَّه ، وإذا استويا في التقوى ، استويا في الدرجة .

ولفظ الفقر في الشرع ، يراد به الفقر من المال ، ويراد به فقر المخلوق إلى خالقه ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينَ﴾ [التوبة : ٦٠] . وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَىٰ اللَّهِ﴾ [فاطر : ١٥] . وقد مدح اللَّه تعالى في القرآن صنفين من الفقراء : أهل الصدقات ، وأهل الفيء .

فقـال في الصنف الأول : ﴿لِلْفُقَـرَاءِ الَّـذِينَ أُحْصِـرُوا فِي سَبِيـلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً﴾ [البقرة : ٢٧٣] .

وقالَ في الصنف الثاني ، وهم أفضـل الصنفين : ﴿لِلْفُقَرَاءِ المُهَـاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم وَأَمْوَالِهِم يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٥/٤١١ عن أبي نضرة وهو حديث صحيح. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه أحمد في « المسند » ٢/٥٢٤ وأبو داود رقم (٥١١٦) في الأدب : باب التفاخر بالأحساب والترمذي رقم (٣٩٥٠) في المناقب من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه الترمذي رقم (٣٢٦٦) في التفسير : باب ومن سورة الحجرات من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو حديث حسن ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٧٤٤) .

وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر : ٨] .

وهذه صفة المهاجرين الذين هجروا السيئات ، وجاهدوا أعداء اللَّه باطناً وظاهراً ، كما قال النبي ﷺ : « المُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ »(١) ، و« المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللَّهُ عَنْهُ» (٢) ، و« المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ »(٣) .

وأما الحديث الذي يرويه بعضهم ، أنه قال في غزوة تبوك : « رَجَعْنا مِنَ الجِهَادِ الأَصْغَرِ إِلَىٰ الجِهَادِ الأَكْبَرِ » فلا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ وأفعاله(٤) ، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال ، بل هو أفضل ما تطوع به الانسان . قال اللَّه تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم فَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدِينَ

---

(١) رواه أحمد في «المسند» ٣/ ١٥٤ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه و ٦/ ٢١ و ٢٢ ، وابن ماجه رقم (٣٩٣٤) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، والترمذي رقم (٢٦٢٩) في الايمان : باب رقم ١٢ والنسائي ٨/ ١٠٤ ، ١٠٥ : باب صفة المؤمن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

(٢) رواه البخاري ١/ ٥٠ و ٥١ في الإيمان : باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ومسلم رقم (٤٠) في الإيمان : باب بيان تفاضل الاسلام ، وأبو داود رقم (٢٤٨١) في الجهاد : باب في الهجرة ، والترمذي رقم (١٥٩٠) في السير: باب الهجرة، والنسائي ٨/ ١٠٥ في الإيمان باب صفة المسلم، وأحمد في «المسند» ٢/ ١٦٣ و ١٩٢ و ١٩٣ و ٢٠٥ و ٢٠٩ و ٢١٢ و ٢١٥ و ٢٢٤ .

(٣) رواه أحمد في «المسند» ٦/ ٢٠ و ٢٢ والترمذي رقم (١٦٢١) في فضائل الجهاد : باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً ، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، واسناد حسن ، وقال الترمذي : وحديث فضالة حديث حسن صحيح . انظر « صحيح الجامع » للألباني رقم (٦٥٨٦) .

(٤) هو مشهور على الألسنة بهذا اللفظ ، وقد رواه الخطيب البغدادي ، والديلمي ، والبيهقي في الزهد ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، بلفظ . « قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، مجاهدة العبد هواه » وهو حديث ضعيف .

قال الحافظ العراقي : رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر ، وقال الحافظ ابن حجر : هو من كلام ابراهيم بن عبلة .

بِـأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم عَلَىٰ القَـاعِدِينَ دَرَجَـةً وَكُـلاً وَعَـدَ اللَّهُ الحُسْنَىٰ وَفَضَّـلَ اللَّهُ المُجَـاهِدِينَ عَلَىٰ القَـاعِدِينَ أَجْـراً عَظِيمـاً﴾ [النسـاء : ٩٥] . وقـال تعـالى : ﴿أَجَعَلْتُم سِقَايَةَ الحَاجِ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّه وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِم وَأَنْفُسِهِم أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُم رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة : ١٩ ـ ٢٢] .

وثبت في « صحيح مسلم »(١) وغيره عن النعمان بن بشير رضي اللَّه عنه ، قال : كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَا أُبالِي أَلَّا أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ ، إِلَّا أَنْ أُسْقِيَ الحَاجَّ ، وَقَالَ آخرُ : مَا أُبالِي أَنْ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ ، إِلَّا أَنْ أَعْمُرَ المَسْجِدَ الحَرَامَ ، وَقَالَ عَلِي بن أبي طالب : الجِهَادُ في سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِمَّا ذَكَرْتُما ، فَقَالَ عُمَرُ : لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنْ إِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ سَأَلْتُهُ ، فَسَأَلَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ هَٰذِهِ الآية .

وفي « الصحيحين »(٢) عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال : قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ : « الصَّلاَةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا » قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : « بِرُّ الوَالِدَيْنِ » قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ : « الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » . قَالَ : حَدَّثَنِي بِهِنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي .

---

(١) رقم (١٨٧٩) في الإمارة : باب فضل الشهادة في سبيل الله .

(٢) البخاري ٢/٧ في مواقيت الصلاة : باب فضل الصلاة لوقتها ، وفي الجهاد : باب فضل الجهاد ، وفي الأدب : باب قول الله تعالى ﴿ ووصينا الانسان بوالديه ﴾ وفي التوحيد : باب وسمي النبي ﷺ الصلاة عملاً ، ومسلم رقم (٨٥) في الإيمان : باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، والترمذي رقم (١٨٩٩) في البر والصلة : باب رقم ٢ ، والنسائي ١/١٩٣ و١٩٤ في المواقيت : باب فضل الصلاة لمواقيتها ، وأحمد في « المسند » ١/ ٤١٠ و٤٣٩ و٤٤٨ .

وفي « الصحيحين »[1] عنه ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قال : « إِيْمانٌ بِاللَّهِ ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ » قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : « حَجٌّ مَبْرُورٌ » .

وفي « الصحيحين »[2] أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ! أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله ، قال : « لَا تَسْتَطِيعَهُ ، أَوْ لَا تُطِيقَهُ » قال : فأخبرني به ، قال : « هَلْ تَسْتَطِيعَ إِذَا خَرَجْتَ مُجَاهِداً أَنْ تَصُومَ وَلَا تَفْطِرَ ، وَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ ؟ » .

وفي « السنن » عن معاذ رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ ، أنه وصاه لما بعثه إلى اليمن ، فقال : « يَا مُعاذُ اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ »[3] .

وقال : « يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ، فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ »[4] .

---

(١) رواه البخاري ١/ ٧٣ في الإيمان : باب من قال : إن الإيمان هو العمل ، وفي الحج باب فضل الحج المبرور ، ومسلم رقم (٨٣) في الإيمان : باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، والترمذي رقم (١٦٥٨) في فضائل الجهاد : باب ما جاء في أي الأعمال أفضل ، والنسائي ٥/ ١١٣ في الحج : باب فضل الحج وأحمد في « المسند » ٢/ ٢٦٨ و٢٨٧ ، والدارمي رقم (٢٣٩٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ٦/ ٣ في الجهاد : باب فضل الجهاد والسير ، ومسلم رقم (١٨٧٨) في الإمارة : باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى ، و« الموطأ » ١/ ٤٤٣ في الجهاد : باب الترغيب في الجهاد ، والنسائي ٦/ ١٩ في الجهاد : باب ما يعده الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٤٢٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه أحمد في«المسند» ٥/ ٢٢٨ و ٢٣٦ عن معاذ رضي الله عنه و ٥/ ١٥٣ و ١٥٨ و ١٦٩ ، والترمذي رقم (١٩٨٨) في البر : باب ما جاء في معاشرة الناس . من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، ورواه أبو داود والدارمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في « جامع العلوم والحكم » وقد روي عن النبي ﷺ أنه أوصى بهذه الوصية معاذ أو أبا ذر من وجوه ، قال : وهي وصية عظيمة جامعة لحقوق الله وحقوق عباده .

(٤) رواه أبو داود رقم (١٥٢٢) في الصلاة : باب الاستغفار والنسائي ٣/ ٥٣ في السهو : باب نوع آخر من الدعاء ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٢٤٥ و٢٤٧ ، وابن حبان رقم (٢٣٤٥) « موارد » وإسناده صحيح .

وقال له وهو رديفه : « يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ؟ » قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ ؟ » قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: «حَقُّهُمْ عَلَيْهِ أَلَّا يُعَذِّبَهُمْ »[1] .

وقال أيضاً لمعاذ : « رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ »[2] . وقال : « يَا مُعَاذُ أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَبْوَابِ البِرِّ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ المَاءُ النَّارَ ، وَقِيَامُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ »، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة : ١٦ ـ ١٧] ، ثم قال : « يَا مُعَاذُ أَلاَ أُخْبِرُكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكُ لَكَ مِنْ ذٰلِكَ ؟» فقَالَ : « أَمْسِك عَلَيْكَ لِسَانَكَ هٰذَا ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فقَالَ : « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ، وَهَلْ يُكَبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدَ أَلْسِنَتِهِمْ »[3] .

---

(١) رواه البخاري ١٣ / ٣٠٠ في التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، وفي الجهاد : باب اسم الفرس والحمار ، وفي اللباس باب حمل صاحب الدابة غيره بين يديه ، وفي الاستئذان : باب من أجاب بلبيك وسعديك ، وفي الرقاق : باب من جاهد نفسه ، وفي العلم : باب من خص بالعلم قوماً دون قوم ، ومسلم رقم (٣٠) في الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، والترمذي رقم (٢٦٤٥) في الإيمان : باب ما جاء في إقتران هذه الأمة ، وأحمد في « المسند » ٥/٢٢٨ و ٢٣٠ و ٢٣٤ و ٢٣٦ و ٢٣٨ و ٢٤٢ .

(٢) قطعة من الحديث التالي .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٦١٩) في الإيمان : باب ما جاء في حرمة الصلاة من حديث معاذ رضي الله عنه ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أحمد في « المسند » ٥/٢٣١ من حديث أبي وائل عن معاذ ، ولم يثبت سماع أبي وائل من معاذ ، وأخرجه أيضاً ٥/٢٣٧ من رواية عروة بن النزال وميمون ابن أبي شبيب ، كلاهما عن معاذ ، ولم يسمعا منه أيضاً ، وأخرجه أيضاً ٥/٢٣٦ مختصراً من رواية شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ ، فالحديث صحيح بطرقه .
انظر ما قاله الحافظ بن رجب الحنبلي رحمه الله في « جامع العلوم والحكم » ص ٢٣٦ ـ ٢٤٢ .

وتفسير هذا ما ثبت في « الصحيحين »[1] عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتَ » فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه ، والصمت عن الشر خير من التكلم به ، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها ، وكذلك الامتناع عن أكل الخبز واللحم وشرب الماء ، فذلك من البدع المذمومة أيضاً ، كما ثبت في « صحيح البخاري » عن ابن عباس رضي اللّه عنهما ، أن النبي ﷺ رأى رجلاً قائماً في الشمس ، فقال : ما هذا؟ فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم . فقال النبي ﷺ : « مُرُوهُ فَلْيَجْلِسْ ، وَلْيَسْتَظِلَّ ، وَلِيَتَكَلَّمَ ، وَلِيُتِمَّ صَوْمَهُ »[2] .

وثبت في « الصحيحين »[3] عن أنس أن رجالاً سألوا عن عبادة رسول اللّه ﷺ ، فكأنهم تقالُّوها ، فقالوا : وأيُّنا مثل رسول اللّه ﷺ ؟ ثم قال أحدهم : أما أنا فأصوم ولا أفطر ، وقال الآخر : أما أنا فأقوم ولا أنام ، وقال الآخر : أما أنا فلا آكل اللحم ، وقال الآخر : أما أنا فلا أتزوج النساء ، فقال رسول اللّه ﷺ : « مَا بَالُ رِجَالٌ يَقُولُ أَحَدُهُمْ : كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأَقُومُ وَأَنَامُ ، وَآكُلُ اللَّحْمَ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » ؛ أي سلك غيرها ظاناً أن غيرها خير منها ، فمن كان كذلك فهو بريء من اللّه ورسوله ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة : ١٣٠] ، بل يجب على

---

(١) رواه البخاري ١٠/٣٧٣ في الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وباب إكرام الضيف ، وفي الرقاق : باب حفظ اللسان ، ومسلم رقم (٤٧) في الإيمان : باب الحث على إكرام الضيف ، وأبوداود رقم (٥١٥٤) في الأدب : باب في حسن الجوار ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ١١/٥١٢ في الإيمان والنذور : باب النذر فيما لا يملك وفي معصية ، و« الموطأ » ٢/٤٧٥ في الإيمان والنذور : باب ما جاء في النذر في المعصية ، وابن ماجة رقم (٢١٣٦) في الكفارات : باب من خلط في نذره طاعة بمعصية .

(٣) رواه البخاري ١١/٤ في النكاح : باب الترغيب في النكاح ، ومسلم رقم (١٤٠١) في النكاح : باب استحباب النكاح ، والنسائي ٦/٦٠ في النكاح : باب النهي عن التبتل ، وأحمد في « المسند » ٣/٢٤١

كل مسلم أن يعتقد أن خير الكلام كلام اللَّه ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ؛ كما ثبت عنه في « الصحيح »[1] أنه كان يخطب بذلك كل يوم جمعة .

فصل

وليس من شرط ولي اللَّه أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطىء ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين ، حتى يحسب بعض الأمور مما أمر اللَّه به ومما نهى اللَّه عنه ، ويجوز أن يظن في بعض الخوارق أنها من كرامات أولياء اللَّه تعالى ، وتكون من الشيطان لبَّسها عليه لنقص درجته ، ولا يعرف أنها من الشيطان ، وإن لم يخرج بذلك عن ولاية اللَّه تعالى ، فإن اللَّه سبحانه وتعالى تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه[2] ، فقال تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٥ ـ ٢٨٦] .

وقد ثبت في « الصحيح »[3] أن اللَّه سبحانه استجاب هذا الدعاء

---

(١) رواه مسلم رقم (٨٦٧) في الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، وأحمد في « المسند » ٣/٣١٩ و ٣٧١ من حديث جابر رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن ماجه رقم (٢٠٤٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، ورقم (٢٠٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح بشواهده . انظر « ارواء الغليل » للألباني رقم (٨٢) .

(٣) رواه مسلم رقم (١٢٥) في الإيمان : باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال : « قَدْ فعَلْتُ » .

ففي « صحيح مسلم »[1] عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُم أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٨٤] . قَالَ : دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْهَا قَبلَ ذَلِكَ شَيْءٌ أَشَدَّ مِنْهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا » قَالَ : فَأَلْقَىٰ اللَّهُ الإِيْمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . قَالَ اللَّهُ : « قَدْ فَعَلْتُ » ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ : « قَدْ فَعَلْتُ » ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنا عَلَىٰ القَوْمِ الكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، قَالَ : « قَدْ فَعَلْتُ » .

وقد قال تعالى : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُم﴾ [الأحزاب : ٥] .

وثبت في « الصحيحين » عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما مرفوعاً ، أنه قال : « إِذَا اجْتَهَدَ الحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ »[2] . فلم يؤثّم المجتهد المخطىء ، بل جعل له أجراً على اجتهاده ، وجعل خطأه مغفوراً له ، ولكن المجتهد المصيب له أجران ، فهو أفضل منه ، ولهذا لما كان ولي اللَّه يجوز أن يغلط ، لم يجب على الناس الايمان بجميع ما يقوله من هو ولي اللَّه ، إلا أن يكون نبياً ، بل ولا يجوز لولي اللَّه

---

(١) رقم (١٢٦) في الإيمان : باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ، والترمذي رقم (٢٩٩٥) في التفسير : باب ومن سورة البقرة .

(٢) تقدم تخريجه ص (٥٦٥) .

أن يعتمد على ما يلقى إليه في قلبه ، إلا أن يكون موافقاً ، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاماً ومحادثة وخطاباً من الحق ، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ﷺ فإن وافقه قبله ، وإن خالفه لم يقبله ، وإن لم يعلم أموافق هو أم مخالف ، توقف فيه .

والناس في هذا الباب ثلاثة أصناف : طرفان ووسط ، فمنهم من إذا اعتقد في شخص أنه ولي اللّه، وافقه في كل ما يظن أنه حدثه به قلبه عن ربه ، وسلَّم إليه جميع ما يفعله ؛ ومنهم من إذا رآه قد قال أو فعل ما ليس بموافق للشرع ، أخرجه عن ولاية اللّه بالكلية وإن كان مجتهداً مخطئاً ؛ وخيار الأمور أوساطها ، وهو أن لا يُجعل معصوماً ولا مأثوماً إذا كان مجتهداً مخطئاً ، فلا يتبع في كل ما يقوله ، ولا يحكم عليه بالكفر والفسق مع اجتهاده .

والواجب على الناس اتباع ما بعث اللّه به رسوله ، وأما إذا خالف قول بعض الفقهاء ووافق قول آخرين ، لم يكن لأحد أن يلزمه بقول المخالف ، ويقول : هذا خالف الشرع .

وقد ثبت في « الصحيحين »[1] عن النبي ﷺ أنه قال : « قَدْ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي [مِنْهُمْ] أَحَدٌ فَعُمَرَ مِنْهُمْ» .

وروى الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « لَوْ لَمْ أُبْعَثْ فِيكُمْ لَبُعِثَ فِيكُمْ عُمَرُ »[2] .

---

(۱) رواه البخاري ٧/ ٤٠ و ٤١ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، مسنداً ومعلقاً ، وفي الأنبياء : باب ما ذكر عن نبي إسرائيل ، ومسلم رقم (٢٣٩٨) في فضائل الصحابة : باب من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأحمد في «المسند» ٦/ ٥٥ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) ليس هو في الترمذي ، رواه الديلمي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال الحافظ العراقي : حديث منكر ، وقال الشوكاني في « الفوائد المجموعة » ص ٣٣٦ رواه ابن عدي من حديث بلال ، وفي سنده=

وفي حديث آخر : « إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ الحَقَّ عَلَىٰ لِسَانِ عُمَرَ وقَلْبِهِ »[1] .

وفيه : « لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدِي لَكَانَ عُمَرُ »[2] .

وكان علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه يقول : ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر . ثبت هذا عنه من رواية الشعبي . وقال ابن عمر : ما كان عمر يقول في شيء : إني لأراه كذا ، إلا كان كما يقول . وعن قيس بن طارق قال : كنا نتحدث أن عمر ينطق على لسانه ملك وكان عمر يقـول : اقتربـوا من أفواه المطيعين ، واسمعوا منهم ما يقولون ، فإنه تتجلى لهم أمور صادقة .

وهذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه ، أنها تتجلى للمطيعين ، هي الأمور التي يكشفها اللَّه عز وجل لهم ، فقد ثبت أن لأولياء اللَّه مخاطبات ومكاشفات ، وأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنهما ؛ فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر[3] .

= وضاع ، وورواه من طريق أخرى في اسناده متروكان وهما : عبد الله بن فرقد ومشروح بن عاهان . ورواه أحمد والترمذي والحاكم من حديث عقبة بن عامر ، والطبراني عن عصمة بن مالك رضي الله عنه بلفظه « لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب » وهو حديث حسن .

(١) رواه الترمذي رقم (٣٦٨٣) في المناقب : باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حديث عبد الله ابن‌عمر رضي الله عنهما ، وإسناده حسن ، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب ، قال : وفي الباب عن الفضل بن عباس وأبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهم . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٣٢٧) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٨٧) في المناقب : باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأحمـد في « المسند » ٤/١٥٤ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٣٢٧) .

(٣) رواه البخاري ٧/١٤ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ، وأبو داود رقم (٤٦٢٧) و (٤٦٢٨) في السنة : باب في التفضيل ، والترمذي رقم (٣٧٠٧) في المناقب : باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ولفظ البخاري : قال ابن عمر : « كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ ، نخير أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان رضي الله عنهم » .

وقد ثبت في « الصحيح »[1] تعيين عمر ، بأنه محدَّث في هذه الأمة فأي محدَّث ومخاطب فرض في أمة محمد ﷺ ، فعمر أفضل منه ، ومع هذا فكان عمر رضي اللَّه عنه يفعل ما هو الواجب عليه ، فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول ﷺ ، فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر ، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة ، وتارة يخالفه فيرجع عمر عن ذلك ، كما رجع يوم الحديبية لما كان قد رأى محاربة المشركين ؛ والحديث معروف في «البخاري» وغيره[2] ، فإن النبي ﷺ قد اعتمر سنة ست من الهجرة ، ومعه المسلمون نحو ألف وأربعمائة ، وهم الذين بايعوه تحت الشجرة ، وكان قد صالح المشركين بعد مراجعة جرت بينه وبينهم ، على أن يرجع في ذلك العام ، ويعتمر من العام القابل ، وشرط لهم شروطاً فيها نوع غضاضة على المسلمين في الظاهر ، فشق ذلك على كثير من المسلمين ، وكان اللَّه ورسوله أعلم وأحكم بما في ذلك من المصلحة ، وكان عمر فيمن كره ذلك حتى قال للنبي ﷺ : يا رسول اللَّه ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : « بَلَىٰ » ، قال : أفليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : « بَلَىٰ » قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال له النبي ﷺ : « إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ نَاصِرِي ، وَلَسْتُ أَعْصِيَهُ » ثم قال : أفلم تكن تحدثنا أنا نأتي البيت ونطوف به ، قال : « بَلَىٰ » ، قال : « أَفَقُلْتُ لَكَ : إِنَّكَ تَأْتِيهُ العَامَ ؟ » قال : لا . قال : « إِنَّكَ آتِيهُ وَمُطَوِّفٌ بِهِ » .

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ومسلم والترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها ، وانظر « جامع الأصول » رقم (٦٤٣٤) و (٦٤٣٥) .

(٢) حديث « صلح الحديبية » رواه البخاري ٥/ ٢٤١ ـ ٢٦٠ في الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، وفي أبواب عدة ، وأبو داود رقم (٢٧٦٥) و (٢٧٦٦) في الجهاد باب : في صلح العدو ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٣٢٤ و ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنهما . انظر روايات الحديث في جامع الأصول ٨/ ٢٨٦ ـ ٣٠١ .

فذهب عمر إلى أبي بكر رضي اللّٰه عنهما فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ ، ورد عليه أبو بكر مثل جواب النبي ﷺ ، ولم يكن أبو بكر يسمع جواب النبي ﷺ . فكان أبو بكر رضي اللّٰه عنه أكمل موافقة للّٰه وللنبي ﷺ من عمر ، وعمر رضي اللّٰه عنه رجع عن ذلك ، وقال : فعملت لذلك أعمالاً .

وكذلك لما مات النبي ﷺ ، أنكر عمر موته أولاً ، فلما قال أبو بكر : إنه مات ، رجع عمر عن ذلك[1] .-

وكذلك في قتال مانعي الزكاة قال عمر لأبي بكر : كيف نقاتل الناس وقد قال رسول اللّٰه ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهَ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا » . فقال له أبو بكر رضي اللّٰه عنه : ألم يقل : « إِلَّا بِحَقِّهَا » فان الزكاة من حقها ، واللّٰه لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول اللّٰه ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال عمر : فواللّٰه ما هو إلا أن رأيت اللّٰه قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعلمت أنه الحَقُّ[2] .

ولهذا نظائر تبين تقدم أبي بكر على عمر ، مع أن عمر رضي اللّٰه عنه

---

(١) رواه البخاري ٧/٢٢ و٢٣ في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » ، وفي الجنائز : باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه ، وفي المغازي : باب مرض النبى ﷺ ووفاته ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) رواه البخاري ١٣/٢١٧ في الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وفي الزكاة : باب وجوب الزكاة ، وفي استتابة المرتدين : باب فعل من أبى قبول الفرائض ، ومسلم رقم (٢٠) في الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، و« الموطأ » ١/٢٦٩ في الزكاة باب ما جاء في أخذ الصدقات والتشديد فيها ، والترمذي رقم (٢٦١٠) في الإيمان : باب ما جاء أمرت أني أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، وأبو داود رقم (١٥٥٦) في الزكاة في فاتحته ، والنسائي ٥/١٤ في الزكاة باب مانع الزكاة ، وابن ماجه رقم (٣٩٢٧) في القتل : باب الكف عمن قال : لا إله إلا الله ، وأحمد في « المسند » ٤/٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي الباب عن جماعة من الصحابة : انظر « جامع الأصول » رقم (٣٥ ـ ٤٠) و« الأحاديث الصحيحة » رقم (٤٠٧ ـ ٤١١) .

محدّث ، فان مرتبة الصدِّيق فوق مرتبة المحدّث ، لأن الصدِّيق يتلقى عن الرسول المعصوم كل ما يقوله ويفعله ، والمحدّث يأخذ عن قلبه أشياء ، وقلبه ليس بمعصوم ، فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبي المعصوم ﷺ .

ولهذا كان عمر رضي اللَّه عنه يشاور الصحابة رضي اللَّه عنهم ، ويناظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور ، وينازعونه في أشياء فيحتج عليهم ويحتجون عليه بالكتاب والسنة ، ويقرّهم على منازعته ، ولا يقول لهم : أنا محدّث ملهم مخاطب فينبغي لكم أن تقبلوا مني ولا تعارضوني ، فأي أحد ادعى ، أو ادعى له أصحابه أنه ولي للَّه ، وأنا مخاطب يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كل ما يقوله ، ولا يعارضوه ويسلّموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة ، فهو وَهُمْ مخطؤون ، ومثل هذا أضل الناس ، فعمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أفضل منه ، وهو أمير المؤمنين ، وكان المسلمون ينازعونه فيما يقوله ، وهو وهم على الكتاب والسنة ، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا رسول اللَّه ﷺ .

وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم ، فإن الأنبياء صلوات اللَّه عليهم وسلامه ، يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن اللَّه عز وجل ، وتجب طاعتهم فيما يأمرون به ـ بخلاف الأولياء ، فإنهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ، ولا الايمان بجميع ما يخبرون به ، بل يعرض أمرهم وخبرهم على الكتاب والسنة ، فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله ، وما خالف الكتاب والسنة كان مردوداً ، وإن كان صاحبه من أولياء اللَّه ، وكان مجتهداً معذوراً فيما قاله ، له أجر على اجتهاده ، ولكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئاً ، وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى اللَّه ما استطاع ، فان اللَّه تعالى يقول : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦] .

وهذا تفسير قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

قال ابن مسعود وغيره : حق تقاته : أن يطاع فلا يعصى ، وأن يذكر فلا ينسى ، وأن يشكر فلا يكفر . أي بحسب استطاعتكم ، فإن اللّه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، كما قال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة : ٢٨٦] . وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف : ٤٢] . وقال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام : ١٥٢] .

وقد ذكر اللّه سبحانه وتعالى الايمان بما جاءت به الأنبياء في غير موضع ، كقوله تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُم وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٦] . وقال تعالى : ﴿أَلَم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدىً مِن رَبِّهِم وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ١ - ٥] . وقال تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُم قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَىٰ الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِم إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وهذا الذي ذكرته ، من أن أولياء اللّه يجب عليهم الاعتصام بالكتاب

والسنة ، وأنه ليس فيهم معصوم يسوغ له أو لغيره اتباع ما يقع في قلبه من غير اعتبار بالكتاب والسنة هو مما اتفق عليه أولياء اللَّه عز وجل ، ومن خالف في هذا فليس من أولياء اللَّه سبحانه الذين أمر اللَّه باتباعهم ، بل إما أن يكون كافراً ، وإما أن يكون مفرطاً في الجهل .

وهذا كثير في كلام المشايخ ، كقول الشيخ أبي سليمان الداراني : أنه ليقع في قلبي النكتة من نكت القوم ، فلا أقبلها إلا بشاهدين : الكتاب والسنة .

وقال أبو القاسم الجنيد رحمة اللَّه عليه : علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث ، لا يصلح له أن يتكلم في علمنا ، أو قال : لا يقتدى به .

وقال أبو عثمان النيسابوري : من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً ، نطق بالحكمة ، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً ، نطق بالبدعة ، لأن اللَّه تعالى يقول في كلامه القديم : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور : ٥٤] .

وقال أبو عمر بن نجيد : كل وَجْد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل .

وكثير من الناس يغلط في هذا الموضع ، فيظن في شخص أنه ولي للَّه ، ويظن أن ولي اللَّه يُقبل منه كل ما يقوله ، ويسلِّم اليه كل ما يقوله ويسلِّم إليه كل ما يفعله ، وان خالف الكتاب والسنة ، فيوافق ذلك الشخص له ، ويخالف ما بعث اللَّه به رسوله الذي فرض اللَّه على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه ، وبين أهل الجنة وأهل النار ؛ وبين السعداء والأشقياء ، فمن اتبعه كان من أولياء اللَّه المتقين ، وجنده المفلحين ، وعباده الصالحين ، ومن لم يتبعه كان من أعداء اللَّه الخاسرين المجرمين ، فتجره مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أولاً إلى البدعة والضلال ، وآخراً إلى الكفر

والنفاق ، ويكون له نصيب من قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان : ٢٧ - ٢٩] . وقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ [الأحزاب : ٦٦ - ٦٨] . وقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنَّ القُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ العَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا العَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُم كَمَا تَبَرَّؤُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُم حَسَرَاتٍ عَلَيْهِم وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة : ١٦٥ - ١٦٧] .

وهؤلاء مشابهون للنصارى الذين قال اللَّه تعالى فيهم : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللَّهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣١] .

وفي « المسند » وصححه الترمذي عن عدي بن حاتم في تفسيره هذه الآية ، لما سأل النبي ﷺ عنها فقال : ما عبدوهم ، فقال النبي ﷺ « أَحَلُّوا لَهُمُ الحَرَامَ ، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الحَلَالَ ، فَأَطَاعُوهُمْ وَكَانَتْ هَذِهِ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ »(١) .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٤) في التفسير : باب ومن سورة براءة ، وأخرجه ابن جرير رقم (١٦٦٣١) و (١٦٦٣٣) وأورده السيوطي في « الدر المنثور » ٣/ ٢٣٠ وزاد نسبته لابن سعد ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم والطبراني ، وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في « سننه » ، وقال الترمذي :هذاحديث غريب لا نعرفه من حديث عبد السلام بن حرب ،وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث. أقول : لكن في الباب عن حذيفة موقوفاً ، أخرجه الطبراني رقم (١٦٦٣٤) ربما يتقوى به.

ولهذا قيل في مثل هؤلاء : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ، فإن أصل الأصول تحقيق الايمان بما جاء به الرسول ﷺ فلا بد من الإيمان بالله ورسوله وبما جاء به الرسول ﷺ فلا بد من الإيمان بأن محمداً رسول الله ﷺ إلى جميع الخلق ، إنسهم وجنهم ، عربهم وعجمهم ، علمائهم وعبادهم ، ملوكهم وسوقتهم ، وأنه لا طريق إلى اللّه عز وجل لأحد من الخلق إلا بمتابعته باطناً وظاهراً حتى لو أدركه موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتّباعه ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُصْدِقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُم عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران : ٨١ ـ ٨٢] .

قال ابن عباس رضي اللّه عنهما : ما بعث اللّه نبياً إلا أخذ عليه الميثاق ، لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه ، وقد قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمونَ أَنَّهُم آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُم ضَلالاً بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ بِما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم ثُمَّ جَاؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِن أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَعْرِضْ عَنْهُم وَعِظْهُم وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِم قَوْلاً بَلِيغاً * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً * فَلاَ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [النساء : ٦٠ ـ ٦٥] .

وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول ، مقلداً في ذلك لمن يظن أنه ولي اللَّه ، فإنه بنى أمره على أنه ولي اللَّه ، وأن ولي اللَّه لا يخالف في شيء ، ولو كان هذا الرجل من أكبر أولياء اللَّه ، كأكابر الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة ، فكيف إذا لم يكن كذلك ؟! وتجد كثيراً من هؤلاء ؛ عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً للَّه ، أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور ، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ، مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها ، أو يمشي في الماء أحياناً ، أو يملأ أبريقاً من الهواء ، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب ، أو يختفي أحياناً عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه ، فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سُرق لهم ، أو بحال غائب لهم أو مريض ، أو نحو ذلك من الأمور ، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي اللَّه ، بل قد اتفق أولياء اللَّه ، على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ، لم يغترّ به حتى ينظر متابعته لرسول اللَّه ﷺ وموافقته لأمره ونهيه .

وكرامات أولياء اللَّه تعالى ، أعظم من هذه الأمور ، وهذه الأمور الخارقة للعادة ، وإن كان قد يكون صاحبها ولياً للَّه ، فقد يكون عدواً للَّه ، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع ، وتكون من الشياطين ، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي اللَّه ، بل يعتبر أولياء اللَّه بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون الإيمان والقرآن ، وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة .

مثال ذلك أن هذه الأمور المذكورة وأمثالها، قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ، ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون ملابساً للنجاسات ،

معاشراً للكلاب ، يأوي إلى الحمامات والقماميم والمقابر والمزابل ، رائحته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية ، ولا يتنظف . وقد قال النبي ﷺ : « لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ جُنُبٌ وَلَا كَلْبٌ »[1] وقال عن هذه الأخلية : « إنَّ هٰذِهِ الحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ »[2] أي يحضرها الشيطان ، وقال : « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ الخَبِيثَتَيْنِ ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا ، فإنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ »[3] .

وقال : « إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّباً »[4] .

وقال : « إنَّ اللَّهَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ »[5] .

---

(١) رواه أبو داود رقم (٢٢٧) في الطهارة : باب في الجنب يؤخر الغسل ، ورقم (٤١٥٢) في اللباس : باب في الصور ، والنسائي ١/١٤١ في الطهارة : باب في الجنب إذا لم يتوضأ ، و ٧/١٨٥ في الصيد : باب امتناع الملائكة من دخول بيت فيه كلب ، من حديث علي بن أبي طالب ، ورواه أحمد في « المسند » بأطول منه ١/٨٠ ، وابن حبان رقم (١٤٨٤) « موارد » ، والحاكم ١/١٧١ ، وفي سنده نُجيٌّ الحضرمي الكوفي لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، ولأكثره شواهد ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٢) رواه أبو داود رقم (٦) في الطهارة : باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ، وابن ماجه رقم (٢٩٦) في الطهارة : باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء ، وأحمد في «المسند» ٤/٣٦٩ و ٣٧٣ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني ، في « صحيح الجامع » رقم (٢٢٥٩) .

(٣) رواه البخاري ٩/٤٩٨ في الأطعمة : باب ما يكره من الثوم والبقول . وفي صفة الصلاة : باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث ، وفي الاعتصام : باب الأحكام التي تعرف بالدلائل ، ومسلم رقم (٥٦٤) في المساجد : باب نهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً ، وأبو داود رقم (٣٨٢٢) في الأطعمة : باب في أكل الثوم ، والترمذي رقم (١٨٠٧) في الأطعمة : باب ما جاء في كراهية أكل الثوم والبصل ، والنسائي ٢/٤٣ في المساجد : باب من يمنع من المسجد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، ورواه أحمد ٢/٤٢٩ ، ومسلم رقم (٥٦٣) من حديث أبي هريرة ، وأحمد ٣/١٢ و ١٣ و ٦١ ، ومسلم (٥٦٥) من حديث أبي سعيد الخدري ، وأحمد ٤/١٩ من حديث قرة المزني .

(٤) رواه مسلم رقم (١٠١٥) في الزكاة : باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، والترمذي رقم (٢٩٩٢) في التفسير : باب ومن سورة البقرة ، وأحمد في «المسند» ٢/٣٢٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٨٠٠) في الأدب : باب ما جاء في النظافة ، من حديث عامر بن سعد عن أبيه ، وفي سنده خالد بن العباس وهو ضعيف وله شاهد بالمعنى بلفظ «طهروا أفنيتكم» . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (٢٣٦) .

وقال : « خَمْسٌ مِنَ الفَوَاسِقِ يُقْتَلْنَ فِي الحِلِّ وَالحَرَمَ : الحية والفَأْرَةُ وَالغُرَابُ وَالحِدَأَةُ وَالكَلْبُ العَقُورُ » وفي رواية : « الحَيَّةُ وَالعَقْرَبُ »(١) .

وأَمَرَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ بِقَتْلِ الكِلاَبِ(٢) .

وقال : « مَنِ اقْتَنَى كَلْباً لاَ يُغْنِي عَنْهُ زَرْعاً وَلاَ ضَرْعَاً ، نَقَصَ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ »(٣) .

وقال : « لاَ يَصْحَبُ المَلاَئِكَةُ رُفْقَةً مَعَهُمْ كَلْبٌ »(٤) .

وقال : « إِذَا وَلَغَ الكَلْبُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْسِلْهُ ، سَبْعَ مَرَّاتٍ إِحْدَاهُنَّ بِالتُّرَابِ »(٥) .

---

(١) رواه البخاري ٤/٢٩ في الحج : باب ما يقتل المحرم من الدواب ، ومسلم رقم (١١٩٩) في الحج : باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم ، و«الموطأ» ١/٣٥٦ في الحج : باب ما يقتل المحرم من الدواب ، وأبو داود رقم (١٨٤٦) في المناسك : باب ما يقتل المحرم من الدواب ، والنسائي ١٨٧/٥ ـ ١٩٠ في الحج : باب ما يقتل المحرم من الدواب : باب قتل الكلب العقور ، من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٨٠) في الطهارة : باب حكم ولوغ الكلب ، وأبو داود رقم (٧٤) في الطهارة : باب الوضوء بسؤ ر الكلب ، والنسائي ١٧٧/١ من حديث عبد الله بن المُغَفَّلِ ، ثم رخص رسول الله ﷺ في كلب الصيد وكلب الغنم ، وفي رواية للترمذي رقم (١٤٨٦) و (١٤٨٩) «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها ، فاقتلوا منها كل أسود بهيم» وهو حديث صحيح .

(٣) رواه البخاري ٦/٥ في الحرث والزراعة : باب اقتناء الطلب للحرث ، وفي بدء الخلق : باب قول الله تعالى : ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ ، ومسلم رقم (١٥٧٦) في المساقاة : باب الأمر بقتل الكلاب وبيان نسخه ، و«الموطأ» ٢/٩٦٩ في الاستئذان : باب ما جاء في أمر الكلاب ، والنسائي ١٨٨/٧ في الصيد : باب الرخصة في إمساك الكلب والماشية ، من حديث سفيان بن أبي زهير الأزدي رضي الله عنه .

(٤) رواه مسلم رقم (٢١١٣) في اللباس : باب كراهية الكلب والجرس في السفر ، وأبو داود رقم (٢٥٥٥) في الجهاد : باب في تعليق الأجراس ، والترمذي رقم (١٧٠٣) في الجهاد : باب كراهية الأجراس على الخيل ، وأحمد في «المسند» ٢/٢٦٣ و ٣١١ و ٣٢٧ و ٣٤٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه البخاري ١/٢٣٩ و ٢٤٠ في الوضوء : باب إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً ، ومسلم رقم (٢٧٩) في الطهارة : باب حكم ولوغ الكلب ، و«الموطأ» ١/٣٤ في الطهارة : باب جامع =

وقال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُم فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عِنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُم إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِم فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٦ ـ ١٥٧].

فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان ، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش ، التي تحضرها الشياطين ، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ، وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير اللَّه فيستغيث بالمخلوقات ، ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ، ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوي إلى المقابر ، ولا سيما إلى مقابر الكفار ، من اليهود والنصارى ، أو المشركين ، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن ، فهذه علامات أولياء الشيطان ، لا علامات أولياء الرحمن .

قال ابن مسعود رضي اللَّه عنه : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن

= الوضوء ، وأبو داود رقم (٧١) و (٧٢) و (٧٣) في الطهارة : باب الوضوء بسؤر الكلب ، والترمذي رقم (٩١) في الطهارة : باب جاء في سؤر الكلب ، والنسائي ١/ ١٧٦ و ١٧٧ في المياه : باب سؤر الكلب ، وابن ماجه رقم (٣٦٣) إلى (٣٦٦) في الطهارة : باب غسل الإناء من ولوغ الكلب ، وأحمد في «المسند» ٢/ ٢٤٥ و ٢٥٣ و ٢٦٥ و ٢٧١ و ٣١٤ و ٣٦٠ و ٣٩٨ و ٤٢٤ و ٤٢٧ و ٤٨٠ و ٤٨٢ و ٥٠٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

كان يحب القرآن ، فهو يحب اللَّه، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض اللَّه ورسوله .

وقال عثمان بن عفان رضي اللَّه عنه : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام اللَّه عز وجل .

وقال ابن مسعود : الذكر ينبت الإيمان في القلب ، كما ينبت الماء البقل ، والغناء ينبت النفاق في القلب ، كما ينبت الماء البقل .

وإن كان الرجل خبيراً بحقائق الإيمان الباطنة ، فارقاً بين الأحوال الرحمانية ، والأحوال الشيطانية ، فيكون قد قذف اللَّه في قلبه من نوره ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٨] وقال تعالى : ﴿ وكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِن أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيْمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَآءُ مِن عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] . فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ » . قال الترمذي حديث حسن[1] .

وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه : « لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ ، حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا . [فَبِي

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣١٢٥) في التفسير : باب من سورة الحجر ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفي سنده عطية العوفي ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي : غريب . وأورده السيوطي في « الدر المنثور » ٤ / ١٠٣ ، وزاد نسبته لابن جرير وابن أبي حاتم والبخاري في « التاريخ » وابن السني وأبي نعيم معاً في الطب ، وابن مردويه والخطيب ، وهو حديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٢٧) . انظر « كشف الخفاء» رقم (٨٠) .

يَسْمَعُ ، وَبِي يَبْصِرُ ، وَبِي يَبْطِشُ ، وَبِي يَمْشِي][1]، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ ، تَرَدُّدِي عَن [قَبْضِ][1] نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، [وَلاَ بَدَّ لَهُ مِنْهُ]»[2] .

فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان ، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف ، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء ، وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان ، كما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبيء الكذاب ، فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين ، وموسى والمسيح وغيرهم وبين مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي ، وطليحة الأسدي ، والحارث الدمشقي ، وباباه الرومي ، وغيرهم من الكذابين ، وكذلك يفرق بين أولياء اللَّه المتقين ، وأولياء الشيطان الضالين .

فصل

والحقيقة حقيقة الدين ، دين رب العالمين : هي ما اتفق عليها الأنبياء والمرسلون ، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاج ، فالشرعة : هي الشريعة ، قال اللَّه تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جعَلْنَا مِنْكُم شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ جعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ * إِنَّهُم لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُم أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ واللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٨ ـ ١٩]، والمنهاج : هو الطريق . قال تعالى : ﴿ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم ماءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُم فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ

---

(١) ما بين المربعين ليس من رواية البخاري .

(٢) قد تقدم تخريجه ص (٤٣٩) .

يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ﴾ [الجن: ١٦ ـ ١٧].

فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة اللَّه وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام، وهي أن يستسلم العبد للَّه رب العالمين لا يستسلم لغيره، فمن استسلم لغيره كان مشركاً، واللَّه ﴿ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء: ٤٨]. ومن لم يستسلم للَّه بل استكبر عن عبادته، كان ممن قال اللَّه فيه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

ودين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين. وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥] عام في كل زمان ومكان.

فنوح وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون، كلهم دينهم الإسلام، الذي هو عبادة اللَّه وحده لا شريك له. قال اللَّه تعالى عن نوح: ﴿ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُم ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونَ * فَإِن تَوَلَّيْتُم فَمَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧١ ـ ٧٢]. وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ * وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٢]. وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُم آمَنْتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٨٤].

وقال السحرة : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٦].

وقال يوسف عليه السلام : ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : ١٠١].

وقالت بلقيس : ﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النحل : ٤٤]. وقال تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ ﴾ [المائدة : ٤٤] . وقال الحواريون : ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ٥٢].

فدين الأنبياء واحد ، وإن تنوعت شرائعهم ، كما في « الصحيحين » عن النبي ﷺ قال : « إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِياءِ دِينَنَا وَاحِدٌ »[١] . قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ، كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُم إِلَيْهِ ﴾ [الشورى : ١٣]، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُم زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِم فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥١ ـ ٥٣].

فصل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ، وسائر أولياء اللّه تعالى : على أن الأنبياء

---

(١) رواه المصنف بالمعنى ، وهو جزء من حديث رواه البخاري ٦/٣٥٤ في أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها ﴾ ، ومسلم رقم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» .

أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، وقد رتب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب ، فقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً ﴾ [النساء: ٦٩].

وفي الحديث : « مَا طَلَعَت الشَمْسُ وَلاَ غَرُبَتْ عَلَىٰ أَحَدٍ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ »[١] .

وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِن عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢]. وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في « المسند » : « أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً ، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللَّهِ[٢] وأفضل أمة محمد ﷺ ، القرن الأول .

وقد ثبت عن النبي ﷺ ، من غير وجه أنه قال : « خَيْرُ القُرُونِ القَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » . وهذا ثابت في « الصحيحين »[٣] من غير وجه .

---

(١) قال الهيثمي : « مجمع الزوائد » ٩/٤٤ : رواه الطبراني وفيه بقية وهو مدلس وبقية رجاله وثقوا . اهـ. ولفظه عن أبي الدرداء قال رآني رسول الله ﷺ وأنا أمشي أمام أبي بكر فقال : « لا تمشي أمام من هو خير منك ، إن أبا بكر خير من طلعت عليه الشمس أو غربت » .

(٢) رواه أحمد في «المسند» ٥/٣ و ٥ ، وابن ماجه رقم (٤٢٨٨) في الزهد : باب صفة أمة محمد ﷺ ، والترمذي رقم (٣٠٠٤) في تفسير سورة آل عمران ، من حديث معاوية بن حيدة رضي الله عنه وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، واسناده حسن ، كما قال الألباني في « تخريج المشكاة » رقم (٦٢٨٥) .

(٣) رواه البخاري ٥/١٩٠ في الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، وفي الرقاق : باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، ومسلم رقم (٢٥٣٥) في فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، والترمذي رقم (٢٢٢٢) في الفتن : باب ما جاء في القرن الثالث ، ورقم (٢٣٠٣) في الشهادات : باب خير القرون ، وأبو داود رقم=

وفي « الصحيحين »(١) أيضاً عنه ﷺ أنه قال : « لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ » .

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، أفضل من سائر الصحابة .

قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [الحديد: ١٠]. وقال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١١٠]. والسابقون الأولون : الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، والمراد بالفتح : صلح الحديبية فإنه كان أول فتح مكة ، وفيه أنزل اللّه تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢] فقالوا : يا رسول اللّه أَوَ فتح هو ؟ قال : « نَعَمْ »(٢) .

وأفضل السابقين الأولين ، الخلفاء الأربعة ، وأفضلهم أبو بكر ثم عمر ، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة الأمة وجماهيرها ،

= (٤٦٥٧) في السنة : باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ ، والنسائي ٧/١٧ و ١٨ في الايمان والنذور : باب الوفاء بالنذر ، وأحمد في «المسند» ٤/٤٢٦ و٤٢٧ و٤٣٦ و ٤٤٠ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه . وفي الباب عن ابن مسعود وأبي هريرة وعمر وعائشة والنعمان بن بشير وبريدة الاسلمي رضي الله عنهم .

(١) رواه البخاري ٧/٢٧ و ٢٨ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً» ، ومسلم رقم (٢٥٤١) في فضائل الصحابة : باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ، وأبو داود رقم (٤٦٥٨) في السنة : باب النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ ، والترمذي رقم (٣٨٦٠) في المناقب : باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ أحمد ٣/١١ و٥٤ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ورواه عن أبي هريرة مسلم رقم (٢٥٤٠) وابن ماجه رقم (١٦١) في المقدمة : باب فضل أهل بدر .

(٢) رواه أبو داود رقم (٢٧٣٦) في الجهاد : باب فيمن أسهم له سهماً وأحمد في «المسند» ٣/٤٢٠ من حديث مجمع بن جارية و٣/٤٨٦ من حديث سهل بن حنيف وهو حديث حسن .

وقد دلت على ذلك دلائل ، بسطناها في « منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام أهل الشيعة والقدرية »[1] .

وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة ، على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء ، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة . وأفضل أولياء اللّه تعالى ، أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول واتباعاً له ، كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه ، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملاً به ، فهو أفضل أولياء اللّه ، إذ كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم ، وأفضلها أصحاب محمد ﷺ وأفضلهم أبو بكر رضي اللّه عنه .

وقد ظن طائفة غالطة ، أن خاتم الأولياء أفضل الأولياء ، قياساً على خاتم الأنبياء ، ولم يتكلم أحد من المشايخ المتقدمين بخاتم الأولياء ، إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي ، فانه صنف مصنفاً غلط فيه في مواضع[2]، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء ، ومنهم من يدَّعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم باللّه ، وأن الأنبياء يستفيدون العلم باللّه من جهته[3]، كما زعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب « الفتوحات المكية » وكتاب « الفصوص » ، فخالف الشرع ، والعقل ، مع مخالفة جميع أنبياء اللّه تعالى وأوليائه ، كما يقال لمن قال : فخرَّ عليهم السقف من تحتهم : لا عقل ولا قرآن[2] .

وذلك أن الانبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة ، والأنبياءِ عليهم

---

(١) انظر « منهاج السنة » ٣ : ٩٧ ـ ١٥٦ .

(٢) وقد نشره المعهد الفرنسي بدمشق .

(٣) كما قال قائلهم :

مَقَامُ النُّبُوَّةِ في بَرْزَخ ... فُوَيْقَ الرسُوْلِ وَدُوْنَ الوَلِي

انظر في نقض هذه الضلالات وأمثالها « العلم الشامخ » للمقبلي ص ٥٦٩ من طبعة دار البيان بدمشق .

أفضل الصلاة والسلام ، أفضل من الأولياء ، فكيف الأنبياء كلهم ؟ ! والأولياء إنما يستفيدون معرفة اللّه ممن يأتي بعدهم ، ويدَّعي أنه خاتم الأولياء ، وليس آخر الأولياء أفضلهم ، كما أن آخر الأنبياء أفضلهم ، فان فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك ، كقوله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ »(١) وقوله : « آتِي بَابَ الجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ ، فَيَقُولُ الخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ ، فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ ، أَنْ لاَ أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ »(٢) .

وليلة المعراج ، رفع اللّه درجته فوق الأنبياء كلهم ، فكان أحقهم بقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] إلى غير ذلك من الدلائل ، كل منهم يأتيه الوحي من اللّه ، لا سيما محمد ﷺ، لم يكن في نبوَّته محتاجاً إلى غيره ، فلم تحتج شريعته إلى سابق ، ولا إلى لاحق ، بخلاف المسيح ، أحالهم في أكثر الشريعة على التوراة ، وجاء المسيح فكملها ، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة على المسيح ، كالتوراة والزبور ، وتمام الأربع وعشرين نبوة ، وكان الأمم قبلنا محتاجين إلى محدّثين ، بخلاف أمة محمد ﷺ ، فإن اللّه أغناهم به ، فلم يحتاجوا معه إلى نبي ، ولا إلى محدّث ، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرَّقه في غيره من الأنبياء ، فكان ما فضله اللّه به بما أنزله إليه ، وأرسله إليه ، لا بتوسط بشر .

وهذا بخلاف الأولياء، فإن كل من بلغه رسالة محمدﷺ، لا يكون ولياً للّه

---

(١) قطعة من حديث الشفاعة رواه البخاري ٦/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥ في الأنبياء : باب قول الله عز وجل : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾ ، وباب قول الله تعالى : ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلاً ﴾ ، و٨/٣٠٠ في تفسير سورة بني اسرائيل : باب ﴿ ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً ﴾ ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، والترمذي رقم (٢٤٣٦) في صفة القيامة : باب ما جاء في الشفاعة ، وأحمد في « المسند » ٢/ ٤٣٥ و٥٤٠ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) تقدم تخريجه ص (٥٤١) رقم (٢) .

إلا باتباع محمد ﷺ ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق ، هو بتوسط محمد ﷺ ، وكذلك من بلغه رسالة رسول إليه ، لا يكون ولياً للّه إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل اليه .

ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ ، من له طريق إلى اللّه لا يحتاج فيه إلى محمد ، فهذا كافر ملحد ، وإذا قال : أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر ، دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة ، دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا : إن محمداً رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب ، فان أولئك آمنوا ببعض ، وكفروا ببعض ، فكانوا كفاراً بذلك ، وكذلك هذا الذي يقول : إن محمداً بعث بعلم الظاهر ، دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به ، وكفر ببعض ، فهو كافر ، وهو أكفر من أولئك ، لأن علم الباطن ، الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها ، هو علم بحقائق الايمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الاسلام الظاهرة .

فإذا ادعى المدَّعي ، ان محمداً ﷺ ، إنما علم هذه الأمور الظاهرة ، دون حقائق الايمان ، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة ، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول ، دون البعض الآخر ، وهذا شر ممن يقول : أومن ببعض ، وأكفر ببعض ، ولا يدَّعي أن هذا البعض الذي آمن به ، أدنى القسمين .

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة ، ويلبِّسون على الناس ، فيقولون : ولايته أفضل من نبوته ، وينشدون :

مَقَامُ النُّبُوَةِ فِي بَرْزَخٍ فُوَيْقَ الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ

ويقولون : نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته ، وهذا من أعظم ضلالهم ، فان ولاية محمد لم يماثله فيها أحد ، لا إبراهيم ولا موسى ،

فضلاً عن أن يماثله فيها هؤلاء الملحدون .

وكل رسول نبي ولي ، فالرسول نبي ولي ، ورسالته متضمنة لنبوته ، ونبوته متضمنة لولايته ، وإذا قدروا مجرد إنباء اللّه إياه بدون ولايته للّه ، فهذا تقدير ممتنع ، فانه حال إنبائه إياه ، ممتنع أن يكون إلا ولياً للّه ، ولا تكون مجردة عن ولايته ، ولو قدرت مجردة ، لم يكن أحد مماثلاً للرسول في ولايته .

وهؤلاء قد يقولون كما يقول صاحب « الفصوص » ابن عربي : إنهم يأخذون من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول ، وذلك أنهم اعتقدوا عقيدة المتفلسفة ، ثم أخرجوها في قالب المكاشفة ، وذلك أن المتفلسفة الذين قالوا : إن الافلاك قديمة أزلية ، لها علة تتشبه بها ، كما يقوله أرسطو وأتباعه : أولها موجب بذاته ، كما يقوله متأخروهم ، كابن سينا ، وأمثاله ، ولا يقولون : إنها لربٍ خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، ولا خلق الأشياء بمشيئته وقدرته ، ولا يعلم الجزئيات ، بل إما أن ينكروا علمه مطلقاً ، كقول أرسطو ، أو يقولوا : إنما يعلم في الأمور المتغيرة كلياتها ، كما يقول ابن سينا ، وحقيقة هذا القول ، إنكار علمه بها ، فان كل موجود في الخارج فهو معين جزئي الأفلاك ، كل معين منها جزئي ، وكذلك جميع الأعيان وصفاتها وأفعالها ؛ فمن لم يعلم إلا الكليات ، لم يعلم شيئاً من الموجودات ، والكليات إنما توجد كليات في الأذهان ، لا في الأعيان .

والكلام على هؤلاء مبسوط في موضع آخر، في «رد تعارض العقل والنقل»(١) وغيره ، فان كفر هؤلاء أعظم من كفر اليهود والنصارى ، بل ومشركي العرب ،

(١) طبع على هامش « منهاج السنة » بعنوان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول وطبع على حدة في مطبعة أنصار السنة المحمدية ، كما باشر الدكتور رشاد سالم إخراجه في طبعة محققة بعنوان « درء العقل عن معارضة النقل » صدر منه الجزء الأول عن مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .

فان جميع هؤلاء يقولون : إن اللّه خلق السماوات والأرض ، وإنه خلق المخلوقات بمشيئته وقدرته .

وأرسطو ونحوه من المتفلسفة واليونان ، كانوا يعبدون الكواكب والأصنام ، وهم يعرفون الملائكة والأنبياء ، وليس في كتب أرسطو ذكر شيء من ذلك ، وإنما غالب علوم القوم الأمور الطبيعية .

وأما الأمور الإلّهية ، فكل منهم فيها قليل الصواب ، كثير الخطأ ، واليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل أعلم بالهيئات منهم بكثير ، ولكن متأخروهم كابن سينا وغيره أرادوا أن يلفقوا بين كلام أولئك وبين ما جاءت به الرسل ، فأخذوا أشياء من أصول الجهمية والمعتزلة ، وركبوا مذهباً قد يعتزى اليه متفلسفة أهل الملل ، وفيه من الفساد والتناقض ما قد نبهنا على بعضه في غير هذا الموضع .

وهؤلاء لما رأوا أمر الرسل ، كموسى وعيسى ومحمد ﷺ قد بهر العالم ، واعترفوا بالناموس الذي بعث به محمد ﷺ ، أعظم ناموس طرق العالم ، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن ، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك ، وبين أقوال سلفهم اليونان ، الذين هم أبعد الخلق عن معرفة اللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأولئك قد أثبتوا عقولاً عشرة ، يسمونها ، المجردات ، والمفارقات .

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن ، وسموا تلك : المفارقات ، لمفارقتها المادة ، وتجردها عنها . وأثبتوا الأفلاك ، لكل فلك نفساً ، وأكثرهم جعلوها أعراضاً ، وبعضهم جعلها جواهر .

وهذه المجردات التي أثبتوها ، ترجع عند التحقيق إلى أمور موجودة في الأذهان ، لا في الأعيان ، كما أثبت أصحاب فيثاغورس أعداداً مجردة ، وكما أثبت أصحاب أفلاطون الأمثال الافلاطونية المجردة ، أثبتوا هيولى مجردة عن

الصورة ، ومدة وخلاءً مجردين ، وقد اعترف حذّاقهم ، بأن ذلك إنما يتحقق في الأذهان ، لا في الأعيان ؛ فلما أراد هؤلاء المتأخرون منهم ، كابن سينا ، أن يثبت أمر النبوات على أصولهم الفاسدة ، زعموا أن النبوة لها خصائص ثلاثة ، من اتصف بها فهو نبي :

١ ـ أن تكون له قوة علمية ، يسمونها القوَّة القدسية ، ينال بها العلم بلا تعلم .

٢ ـ وأن يكون له قوة تخيلية ، تخيل له ما يعقل في نفسه ، بحيث يرى في نفسه صوراً ، أو يسمع في نفسه أصواتاً ، كما يراه النائم ويسمعه ، ولا يكون لها وجود في الخارج ، وزعموا أن تلك الصور هي ملائكة اللّه ، وتلك الأصوات هي كلام اللّه تعالى .

٣ ـ وأن يكون له قوة فعَّالة ، يؤثر بها في هيولى العالم ، وجعلوا معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ،وخوارق السحرة ، هي من قوى الأنفس ، فأقروا من ذلك بما يوافق أصولهم ، من قلب العصا حية ، دون انشقاق القمر ونحو ذلك ، فانهم ينكرون وجود هذا .

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء في مواضع(١) ،وبينا أن كلامهم هذا أفسد الكلام ، وأن هذا الذي جعلوه من خصائص النبي تحصّل ، ما هو أعظم منه لآحاد العامة ، ولأتباع الأنبياء ، وأن الملائكة التي أخبرت بها الرسل ، أحياء ناطقون أعظم مخلوقات اللّه ، وهم كثيرون ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١] وليسوا عشرة ، وليسوا أعراضاً ، لا سيما وهؤلاء يزعمون أن

---

(١) بسط ذلك في كتابه القيم « النبوات » وهو تحت الطبع في طبعة محققة مخرجة الأحاديث من منشورات « مكتبة دار البيان بدمشق » .

الصادر الأول هو العقل الأول ، وعنه صدر كل ما دونه ، والعقل الفعَّال العاشر ، ربّ كل ما تحت فلك القمر .

وهذا كله يعلم فساده بالاضطرار من دين الرسل ، فليس أحد من الملائكة مبدع لكل ما سوى اللّه . وهؤلاء يزعمون أن العقل المذكور في حديث يروى : « إن أول ما خلق اللّه العقل ، فقال له : أقبل ، فأقبل ، فقال له : أدبر ، فأدبر ، فقال : وعزَّتي ما خلقت خلقاً أكرم عليَّ منك ، فبك آخذ ، وبك أعطي ، ولك الثواب وعليك العقاب » ويسمونه أيضاً القلم لما روي « إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللّهُ القَلَمَ » الحديث رواه الترمذي[1] .

والحديث الذي ذكروه في العقل كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث[2]، كما ذكر ذلك أبو حاتم البستي ، والدارقطني ، وابن الجوزي ، وغيرهم . وليس في شيء من دواوين الحديث التي يعتمد عليها ، ومع هذا فلفظه لو كان ثابتاً حجة عليهم ، فان لفظه « أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللّهُ تَعَالَىٰ العَقْلَ » قال : ـ ويروي ـ « لَمَّا خَلَقَ اللّهُ العَقْلَ قَالَ لَهُ . . » ، فمعنى الحديث . أنه خاطبه في أول أوقات خلقه ، وليس معناه أنه أول المخلوقات « وأول » منصوب على الظرف كما في اللفظ الآخر « لما » وتمام الحديث « مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ » فهذا يقتضي أنه خلق قبل غيره ، ثم قال : « فبك آخذ ، وبك أُعطي ، ولك الثواب ، وعليك العقاب » فذكر أربعة أنواع من الأعراض . وعندهم أن جميع جواهر العالم العلوي والسفلي

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٧٠٠) في السنة : باب القدر ، والترمذي رقم (٢١٥٦) في القدر : باب رقم ١٧ ، ورواه أيضا أحمد في «المسند» ٥/٣١٧ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٣٣) .

(٢) وتابع الزركشي شيخ الإسلام ابن تيمية في القول بأن الحديث موضوع ، ولكن أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في زوائد الزهد مرسلاً عن الحسن ؛ وهو في معجم الطبراني من حديث أبي أمامة ومن حديث أبي هريرة بإسنادين ضعيفين ا هـ « انتقاد المغني » من جمع الأستاذ حسام الدين القدسي رحمه الله تعالى .

صدر عن ذلك العقل . فأين هذا من هذا ؟

وسبب غلطهم أن لفظ العقل في لغة المسلمين ليس هو لفظ العقل في لغة هؤلاء اليونان ، فان العقل في لغة المسلمين مصدر عقل يعقل عقلاً ، كما في القرآن ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك : ١٠] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤] ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ [الحج : ٤٦]، ويراد بالعقل الغريزة التي جعلها اللّه تعالى في الإنسان يعقل بها .

وأما أولئك ، فالعقل عندهم جوهر قائم بنفسه كالعاقل ، وليس هذا مطابقاً للغة الرسل والقرآن ، وعالم الخلق عندهم كما يذكره أبو حامد[1] عالم الأجسام : العقل والنفوس ، فيسميها عالم الأمر ، وقد يسمي «العقل» عالم الجبروت و« النفوس» عالم الملكوت ، و« الأجسام» عالم الملك ، ويظن من لم يعرف لغة الرسل ولم يعرف معنى الكتاب والسنة ، أن ما في الكتاب والسنة من ذكر الملك والملكوت والجبروت موافق لهذا ، وليس الأمر كذلك .

وهؤلاء يلبسون على المسلمين تلبيساً كثيراً كاطلاقهم أن الفلك محدث ، أي معلول ، مع أنه قديم عندهم ، والمحدث لا يكون إلا مسبوقاً بالعدم ، ليس في لغة العرب ولا في لغة أحد أنه يسمى القديم الأزلي : محدثاً ، واللّه قد أخبر أنه خالق كل شيء . وكل مخلوق فهو محدث ، وكل محدث كائن بعد أن لم يكن ، لكن ناظرهم أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة مناظرة قاصرة لم يعرفوا بها ما أخبر به الرسول ، ولا أحكموا فيها قضايا العقول ، فلا للاسلام نصروا ، ولا للأعداء

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي وما ذكره هو في كتابه « مقاصد الفلاسفة » الذي عرض فيه لمذاهبهم ثم اتبعه بكتابه العظيم « تهافت الفلاسفة » فأبطل مذاهبهم .

كسروا ، وشاركوا أولئك في بعض قضاياهم الفاسدة ؛ ونازعوهم في بعض المعقولات الصحيحة ، فصار قصور هؤلاء في العلوم السمعية والعقلية من أسباب قوة ضلال أولئك ، كما قد بسط في غير هذا الموضع .

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون جبريل هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ ، والخيال تابع للعقل ، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم أولياء اللَّه ، وأن أولياء اللَّه أفضل من أنبياء اللَّه ، وأنهم يأخذون عن اللَّه بلا واسطة ، كابن عربي صاحب «الفتوحات» و«الفصوص» . فقال : إنه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول ، والمعدن عنده هو العقل ، والملك هو الخيال ، والخيال تابع للعقل ، وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن الخيال ، فلهذا صار عند نفسه فوق النبي ، ولو كان خاصة النبي ما ذكروه ، ولم يكن هو من جنسه ، فضلاً عن أن يكون فوقه ، فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين ؟ ! والنبوة أمر وراء ذلك ، فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من الصوفية ، فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة ، ليسوا من صوفية أهل العلم ، فضلاً عن أن يكونوا من مشايخ أهل الكتاب والسنة ، كالفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، وأبي سليمان الداراني ، ومعروف الكرخي ، والجنيد بن محمد ، وسهل بن عبد الله التستري ، وأمثالهم رضوان اللَّه عليهم أجمعين ، واللَّه سبحانه وتعالى قد وصف الملائكة في كتابه بصفات تباين قول هؤلاء ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٩] . وقال تعالى : ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَٰوَاتِ لَا

تُغْنِي شَفَاعَتُهُم شَيْئاً إِلَّا مِن بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم : ٢٦] . وقال تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَالَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَالَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٩ ـ ٢٠] .

وقد أخبر أن الملائكة جاءت إبراهيم عليه السلام في صورة البشر ، وأن الملك تمثل لمريم بشراً سوياً ، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي ، وفي صورة أعرابي ، ويراهم الناس كذلك .

وقد وصف اللّه تعالى جبريل عليه السلام بأنه ذو﴿ قوة عِنْد ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠ ـ ٢١] ، وأن محمداً ﷺ ﴿ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣] ووصفه بأنه﴿ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَما طَغَى * لَقَدْ رَأَىٰ مِن آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم: ٥ ـ ١٨] .

وقد ثبت في «الصحيحين»(١) عن عائشة رضي اللّه عنها ، عن النبي ﷺ أنه لم ير جبريل في صورته التي خلق عليها غير مرتين ، يعني المرة الأولى بالأفق الأعلى ، والنزلة الأخرى عند سدرة المنتهى . ووصف جبريل عليه السلام

---

(١) رواه البخاري في تفسير سورة النجم ، ومسلم رقم (١٧٧) ، في الإيمان : باب قوله تعالى ﴿ ولقد رآه نزلة أخرىٰ ﴾ .

في موضع آخر بأنه الروح الأمين ، وأنه روح القدس ، إلى غير ذلك من الصفات التي تبين أنه من أعظم مخلوقات اللّٰه تعالى الأحياء العقلاء ، وأنه جوهر قائم بنفسه ، ليس خيالاً في نفس النبي ، كما زعم هؤلاء الملاحدة المتفلسفة ، والمدَّعون ولاية اللّٰه وأنهم أعلم من الأنبياء .

وغاية حقيقة هؤلاء إنكار أصول الإيمان ، بأن يؤمن باللّٰه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وحقيقة أمرهم جحد الخالق ، فانهم جعلوا وجود المخلوق هو وجود الخالق ، وقالوا : الوجود واحد ، ولم يميزوا بين الواحد بالعين والواحد بالنوع ، فان الموجودات تشترك في مسمى الوجود ، كما تشترك الأناسي في مسمى الانسان ، والحيوانات في مسمى الحيوان . ولكن هذا المشترك الكلي لا يكون مشتركاً كلياً إلا في الذهن ، وإلا فالحيوانية القائمة بهذا الانسان ليست هي الحيوانية القائمة بالفرس ، ووجود السماوات ليس هو بعينه وجود الانسان ، فوجود الخالق جل جلاله ليس هو كوجود مخلوقاته .

وحقيقة قولهم ، قول فرعون الذي عطل الصانع ، فانه لم يكن منكراً هذا الموجود والمشهود ، لكن زعم أنه موجود بنفسه ، لا صانع له ، وهؤلاء وافقوه في ذلك ، لكن زعموا بأنه هو اللّٰه ، فكانوا أضل منه ، وإن كان قوله هذا هو أظهر فساداً منهم ، ولهذا جعلوا عُبَّاد الأصنام ما عبدوا إلا اللّٰه ، وقالوا : لما كان فرعون في منصب التحكم صاحب السيف ـ وإن جاز في العرف الناموس ـ لذلك قال : أنا ربكم الأعلى ـ أي وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما ، فأنا الأعلى منكم بما أعطيته في الظاهر من الحكم فيكم .

قالوا : ولما علمت السحرة صدق فرعون فيما قاله ، أقروا له بذلك وقالوا : ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه : ٧٢] قالوا : فصح قول فرعون : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٤] .

وكان فرعون عين الحق ، ثم أنكروا حقيقة اليوم الآخر ، فجعلوا أهل النار يتنعَّمون كما يتنعم أهل الجنة ، فصاروا كافرين باللَّه واليوم الآخر ، وبملائكته وكتبه ورسله ، مع دعواهم أنهم خلاصة خاصة الخاصة من أهل ولاية اللّه ، وأنهم أفضل من الأنبياء، وأن الأنبياء إنما يعرفون اللَّه من مشكاتهم .

وليس هذا موضع بسط إلحاد هؤلاء(١) ، ولكن لما كان الكلام في أولياء اللّه ، والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وكان هؤلاء من أعظم الناس ادعاءً لولاية اللّه ، وهم أعظم الناس ولاية للشيطان ، نبهنا على ذلك ، ولهذا عامة كلامهم ، إنما هو في الحالات الشيطانية ، ويقولون ما قاله صاحب «الفتوحات» باب أرض الحقيقة ويقولون : هي أرض الخيال .

فتعرف بأن الحقيقة التي يتكلم فيها هي خيال ، ومحل تصرُّف الشيطان ، فان الشيطان يخيل للانسان الأمور بخلاف ما هي عليه .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُم عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَآءَنا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ القَرِينُ * وَلَنْ يَنْفَعَكُم اليَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٩] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّه لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١١٦] إلى قوله : ﴿ يَعِدُهُم وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ [النساء: ١٢٠] . وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُم وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُم فَأَخْلَفْتُكُم وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُم فَاسْتَجَبْتُم

(١) وممن بسط أقوالهم وفندها الامام البقاعي رحمه الله تعالى في كتابه « تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي » المطبوع تحت عنوان « مصرع التصوف » وكذلك العلامة صالح بن محمد المقبلي في كتابه النفيس « العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ » وهو من مطبوعات « مكتبة دار البيان بدمشق » .

لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُم مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُم وَمَا أَنْتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] . وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُم وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُم فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُم إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٤٨] .

وقد روي عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح: أنه رأى جبريل يزع الملائكة[1] ، والشياطين إذا رأت ملائكة اللَّه التي يؤيد بها عباده هربت منهم ، واللَّه يؤيد عباده المؤمنين بملائكته .

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُم فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الأنفال: ١٢] . وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُم إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [الأحزاب: ٩] . وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة: ٤٠] . وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُم رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِن فَوْرِهِم هَٰذَا يُمْدِدْكُم رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٢٤ - ١٢٥] .

وهؤلاء تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم ، وهي جن وشياطين ، فيظنونها ملائكة ، كالأرواح التي تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام .

---

(١) رواه مالك في «الموطأ» ١/٤٢٢ في الحج: باب جامع الحج ، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال: «ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أدحر ، ولا أحقر ، ولا أغيظ منه في يوم عرفة ، وما ذاك إلا لما رأى من تنزل الرحمة ، وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأي يوم بدر» . قيل: وما رأى يوم بدر يا رسول الله ! ؟ قال: «أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة» أي يصفهم للقتال . وهو حديث مرسل .

وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الاسلام : المختار بن أبي عبيد الذي أخبر به النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في « صحيحه »[1] عن النبي ﷺ أنه قال: « سَيَكُونُ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ » وكان الكذاب : المختار بن أبي عبيد، والمبير : الحجاج بن يوسف. فقيل لابن عمر وابن عباس: إن المختار يزعم أنه ينزل اليه ، فقالا : صدق ، قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّل عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢].

وقال الآخر : وقيل له : إن المختار يزعم أنه يوحى اليه ، فقال : قال اللّه تعالى : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١].

وهذه الأرواح الشيطانية ؛ هي الروح الذي يزعم صاحب « الفتوحات » أنه ألقى اليه ذلك الكتاب ، ولهذا يذكر أنواعاً من الخلوات بطعام معين ، وشيء معين، وهذه مما تفتح لصاحبها اتصالاً بالجن والشياطين، فيظنون ذلك من كرامات الأولياء ، وإنما هو من الأحوال الشيطانية ، وأعرف من هؤلاء عدداً ، ومنهم من كان يحمل في الهواء إلى مكان بعيد ويعود ، ومنهم من كان يؤتى بمال مسروق ، تسرقه الشياطين وتأتيه به ، ومنهم من كانت تدله على السرقات بجعل يحصل له من الناس أو لعطاء يعطونه إذا دلهم على سرقاتهم ونحو ذلك .

ولما كانت أحوال هؤلاء شيطانية ؛ كانوا مناقضين للرسل صلوات اللّه تعالى وسلامه عليهم ، كما يوجد في كلام صاحب « الفتوحات المكية » و« الفصوص » وأشباه ذلك يمدح الكفار ، مثل قوم نوح وهود وفرعون وغيرهم ، وينتقص الأنبياء ، كنوح وإبراهيم وموسى وهارون ، ويذم شيوخ المسلمين

---

(١) رقم (٢٥٤٥) في فضائل الصحابة : باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها ، وأحمد في «المسند» ٢٦/٢ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

المحمودين عند المسلمين ، كالجنيد بن محمد ، وسهل بـن عبد اللّه التستري وأمثالهما . ويمدح المذمومين عند المسلمين ، كالحلاج ونحوه ؛ كما ذكره في تجلياته الخيالية الشيطانية ، فإن الجنيد ـ قدس اللّه روحه ـ كان من أئمة الهدى ، فسئل عن التوحيد فقال : التوحيد إفراد الحدوث عن القدم . فبين أن التوحيد أن تميز بين القديم والمحدث ، وبين الخالق والمخلوق .

وصاحب « الفصوص » أنكر هذا وقال في مخاطبته الخيالية الشيطانية له : يا جنيد ! هل يميز بين المحدث والقديم إلا من يكون غيرهما ؟ فخطأ الجنيد في قوله : إفراد الحدوث عن القدم ، لأن قوله هو : إن وجود المحدث هو عين وجود القديم ، كما قاله في «فصوصه» : ومن أسمائه الحسنى : « العلي » على من ؟ وما ثمَّ إلا هو . وعن ماذا ؟ وما هو إلا هو ، فعلُوُّه لنفسه وهـو عين الموجـودات . فالمسمى محدثات ، هي العلية لذاتها ، وليست إلا هو . . . إلى أن قال :

هو عين ما بطن ، وهو عين ما ظهر ، وما ثمَّ من يراه غيره ، وما ثمَّ من ينطق عنه سواه ، وهو المسمى أبو سعيد الخرَّاز ، وغير ذلك من الأسماء المحدثات .

فيقال لهذا الملحد : ليس من شرط المميز بين الشيئين بالعلم والقول أن يكون ثالثاً غيرهما ، فإن كل واحد من الناس يميز بين نفسه وغيره ، وليس هو ثالثاً ، فالعبد يعرفه أنه عبد ، ويميز بين نفسه خالقه ، والخالق جل جلاله يميز بين نفسه وبين مخلوقاته ، ويعلم أنه ربهم ، وأنهم عباده ، كما نطق بذلك القرآن في غير موضع ، والاستشهاد بالقرآن عند المؤمنين الذين يقرون به باطناً وظاهراً .

وأما هؤلاء الملاحـدة فيزعمـون ما كـان يزعمـه التلمساني منهم ؛ وهـو أحذقهم في اتحادهـم ـ لما قرىء عليه « الفصوص » فقيل له : القرآن يخـالف « فصوصكم » فقال : القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد من كلامنا . فقيل له : فاذا كان الوجود واحداً ، فلمَ كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً ؟ فقال : الكل عندنا

حلال ، ولكن هؤلاء المحجوبون قالوا : حرام ، فقلنا : حرام عليكم[1] .

وهذا مع كفره العظيم متناقض ظاهراً ، فان الوجود إذا كان واحداً ، فمَن المحجوب ومَنْ الحاجب؟ ولهذا قال بعض شيوخهم لمريده: من قال لك: إن في الكون سوى اللّه فقد كذب. فقال له مريده: فمن هو الذي يكذب؟ وقالوا لآخر: هذه مظاهر . فقال لهم : المظاهر غير المظاهر ، أم هي ؟ فان كانت غيرها فقد قلتم بالنسبة ، وإن كانت إياها فلا فرق .

وقد بسطنا الكلام على كشف أسرار هؤلاء في موضع آخر ؛ وبينا حقيقة قول كل واحد منهم ، وإن صاحب « الفصوص » يقول : المعدوم شيء ، ووجود الحق فاض عليهما ، فيفرق بين الوجود والثبوت .

والمعتزلة الذين قالوا : المعدوم شيء ثابت في الخارج مع ضلالهم خير منه ، فإن أولئك قالوا : إن الرب خلق لهذه الاشياء الثابتة في العدم وجوداً ليس هو وجود لرب ، وهذا زعم أن عين وجود الرب فاض عليهما ، فليس عنده وجود مخلوق مباين لوجود الخالق ،وصاحبه الصدر القونوي يفرق بين المطلق والمعين ، لأنه كان أقرب إلى الفلسفة ، فلم يقر بأن المعدوم شيء ، لكن جعل الحق هو الوجود المطلق ، وصنف« مفتاح غيب الجمع والوجود» .

وهذا القول أدخل في تعطيل الخالق وعدمه ، فإن المطلق بشرط الإطلاق ، وهو الكلي العقلي ، لا يكون إلا في الأذهان لا في الأعيان ، والمطلق لا بشرط ، وهو الكلي الطبيعي . وإن قيل : إنه موجود في الخارج ، فلا يوجد في الخارج إلا معيناً ، وهو جزء من المعين عند من يقول بثبوته في الخارج ، فيلزم أن يكون وجود الرب ، إما منتفياً في الخارج ، وإما أن يكون جزءاً من وجود المخلوقات ، وإما أن

---

(١) انظر « العلم الشامخ » للمقبلي ص ٥٦٩ .

يكون عين وجود المخلوقات . وهو يخلق الجزء الكل أم يخلق الشيء نفسه ؟ أم العدم يخلق الوجود ؟ أو يكون بعض الشيء خالقاً لجميعه ؟

وهؤلاء يفرون من لفظ الحلول لأنه يقتضي حالاً ومحلاً ، ومن لفظ الاتحاد ، لأنه يقتضي شيئين اتحد احدهما بالآخر ، وعندهم الوجود واحد ويقولون : النصارى كفروا لما خصصوا المسيح بأنه هو اللّه ، ولو عمموا لما كفروا .

وكذلك يقولون في عباد الاصنام : إنما أخطأوا لما عبدوا بعض المظاهر دون بعض ، فلو عبدوا الجميع لما أخطأوا عندهم ، والعارف المحقق عندهم لا يضره عبادة الأصنام .

وهذا مع ما فيه من الكفر العظيم ، ففيه ما يلزمهم دائماً من التناقض ، لأنه يقال لهم : فمن المخطىء ؟ لكنهم يقولون : إن الرب هو الموصوف بجميع النقائص التي يوصف بها المخلوق ، ويقولون : إن المخلوقات توصف بجميع الكمالات التي يوصف بها الخالق ويقولون ما قاله صاحب « الفصوص » : فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستوعب به جميع النعوت الوجودية والنسب العدمية ، سواء كانت محمودة عرفاً أو عقلاً أو شرعاً ، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً ، وليس ذلك إلا لمسمى اللّه خاصة .

وهم مع كفرهم هذا لا يندفع عنهم التناقض ، فانه معلوم بالحس والعقل أن هذا ليس هو ذاك ، وهؤلاء يقولون ما كان يقوله التلمساني : إنه ثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل . ويقولون : من أراد التحقيق ـ يعني تحقيقهم ـ فليترك العقل والشرع .

وقد قلت لمن خاطبته منهم : ومعلوم أن كشف الأنبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم ، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم ، والأنبياء صلوات اللّه وسلامه عليهم

يخبرون بما تعجز عقول النّاس عن معرفته لا بما يعرف الناس بعقولهم أنه ممتنع ، فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول ، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ما يناقض صريح العقول ، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان ، سواء كانا عقليين أو سمعيين ، أو كان أحدهما عقلياً والآخر سمعياً ، فكيف بمن ادعى كشفاً يناقض صريح الشرع والعقل ؟ !

وهؤلاء قد لا يتعمدون الكذب ، لكن يخيل لهم أشياء تكون في نفوسهم ويظنونها في الخارج ، وأشياء يرونها تكون موجودة في الخارج لكن يظنونها من كرامات الصالحين ، وتكون من تلبيسات الشياطين .

وهؤلاء الذين يقولون بالوحدة قد يقدِّمون الأولياء على الأنبياء ، ويذكرون أن النبوة لم تنقطع ، كما يذكر عن ابن سبعين وغيره ، ويجعلون المراتب ثلاثة : يقولون : العبد يشهد أولاً طاعة ومعصية ، ثم طاعة بلا معصية ، ثم لا طاعة ولا معصية ، والشهود الأول هو الشهود الصحيح ، وهو الفرق بين الطاعات والمعاصي ، وأما الشهود الثاني ، فيريدون به شهود القدر ، كما أن بعض هؤلاء يقول : أنا كافر برب يعصى ، وهذا يزعم أن المعصية : مخالفة الإرادة التي هي المشيئة ، والخلق كلهم داخلون تحت حكم المشيئة . ويقول شاعرهم :

أَصْبَحْتُ مُنْفَعِلاً لِمَا تَخْتَارُهُ   مِنِّي فَفِعْلِي كُلُّهُ طَاعَاتُ

ومعلوم أن هذا خلاف ما أرسل اللّه به رسله ، وأنزل به كتبه ، فان المعصية التي يستحق صاحبها الذم والعقاب ، مخالفة أمر اللّه ورسوله ، كما قال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذٰلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِدَاً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [النساء : ١٣ ـ ١٤]، وسنذكر الفرق بين الإرادة الكونية والدينية ، والأمر الكوني والديني .

وكانت هذه المسألة قد اشتبهت على طائفة من الصوفية ، فبينها الجنيد رحمه اللّه لهم ، فمن اتبع الجنيد فيها كان على السداد ، ومن خالفه ضل ، لأنهم تكلفوا بأن الأمور كلها بمشيئة اللّه وقدرته وفي شهود هذا التوحيد ، وهذا يسمونه الجمع الأول ، فبين لهم الجنيد أنه لا بد من شهود الفرق الثاني ، وهو أنه مع شهود كون الأشياء كلها مشتركة في مشيئة اللّه وقدرته وخلقه ، يجب الفرق بين ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، وبين ما ينهى عنه ويكرهه ويسخطه ، ويفرق بين أوليائه وأعدائه ، كما قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: ٣٥ ـ ٣٦]. وقال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨]. وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَحْيَاهُم وَمَمَاتُهُم سَآءَ مَا يَحْكِمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]. وقال تعالى : ﴿ وَما يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [غافر: ٥٨].

ولهذا كان مذهب سلف الأمة وأئمتها أن اللّه خالق كل شيء وربه ومليكه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، لا رب غيره ، وهو مع ذلك أمر بالطاعة ، ونهى عن المعصية ، وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يأمر بالفحشاء ، وإن كانت واقعة بمشيئته ، فهو لا يحبها ، ولا يرضاها ، بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم .

وأما المرتبة الثالثة : أن لا يشهد طاعة ولا معصية ، فانه يرى أن الوجود واحد ، وعندهم أن هذا غاية التحقيق والولاية للّه ؛ وهو في الحقيقة غاية الالحاد في أسماء اللّه وآياته ، وغاية العداوة للّه ، فان صاحب هذا المشهد يتخذ اليهود والنصارى وسائر الكفار أولياء ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُم ﴾

[المائدة: ٥١]، ولا يتبرَّأ من الشرك والأوثان فيخرج عن ملة إبراهيم الخليل صلوات اللّه وسلامه عليه ، قال اللّه تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة : ٤]. وقال الخليل عليه السلام لقومه المشركين : ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٥ ـ ٧٧]، وقال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وهؤلاء قد صنف بعضهم كتباً وقصائد على مذهبه ، مثل قصيدة ابن الفارض المسماة بنظم السلوك ، يقول فيها :

لَهَا صَلَوَاتِي فِي المَقَامِ أُقِيمُهَا ... وَأَشْهَدُ فِيهَا أَنَّهَا لِيَ صَلَّتِ
كِلَانَا مُصَلٍّ وَاحِدٌ سَاجِدٌ إلى ... حَقِيقَتِهِ بِالْجَمْعِ فِي كُلِّ سَجْدَةِ
وَمَا كَانَ لِي صَلَّى سِوَايَ وَلَمْ تَكُنْ ... صَلَاتِي لِغَيْرِي فِي أَدَا كُلِّ رَكْعَةِ

إلى أن قال :

وَمَا زِلْتُ إِيَّاهَا وَإِيَّايَ لَمْ نَزَلْ ... وَلَا فَرْقَ بَلْ ذَاتِي لِذَاتِيَ صَلَّتِ
إِلَيَّ رَسُولاً كُنْتُ مِنِّي مُرْسَلاً ... وَذَاتِي بِآيَاتِي عَلَيَّ اسْتَدَلَّتِ
فَإِنْ دُعِيتُ كُنْتُ المجيبَ وإنْ أَكُنْ ... مُنَادَى أَجَابَتْ مَنْ دَعَانِي وَلَبَّتِ

إلى أمثال هذا الكلام ، ولهذا كان هذا القائل عند الموت ينشد ويقول :

إنْ كَانَ مَنْزِلَتِي فِي الحُبِّ عِنْدَكُمْ ... مَا قَدْ لَقِيتُ فَقَدْ ضَيَّعْتُ أَيَّامِي
أُمْنِيَّةٌ ظَفِرَتْ نَفْسِي بِهَا زَمَناً ... وَالْيَوْمَ أَحْسِبُهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامِي

فانه كان يظن أنه هو اللّه ، فلما حضرت ملائكة اللّه لقبض روحه ، تبين بطلان ما كان يظنه ، وقال اللّه تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [الحديد: ١]، فجميع ما في السماوات والأرض يسبح للّه ، ليس هو اللّه ، ثم قال تعالى : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٢ ـ ٣].

وفي « صحيح مسلم »[1] عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الحَبِّ والنَّوَىٰ ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ ، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ ، وَأَغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ » .

ثم قال : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]، فذكر أن السماوات والأرض ، وفي موضعٍ آخر : ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ مخلوق مسبح له ، وأخبر سبحانه أنه يعلم كل شيء .

وأما قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ فلفظ « مَعَ » لا تقتضي في لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر ، كقوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ

---

(١) رقم (٢٧١٣) في الذكر : باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، وأبو داود رقم (٥٠٥١) في الأدب : والترمذي رقم (٣٣٩٧) في الدعوات ، وأحمد في «المسند» ٢/٣٨١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُم فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧٥]، ولفظ «مَعَ» جاءت في القرآن عامة وخاصة، فالعامة في هذه الآية وفي آية المجادلة: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُم وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُم وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُم أَيْنما كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]، فافتتح الكلام بالعلم، وختمه بالعلم، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل: هو معهم بعلمه.

وأما المعيَّة الخاصة، ففي قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقُوا وَالَّذِينَ هُم مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله تعالى لموسى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، يعني النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه، فهو مع موسى وهارون دون فرعون، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه، ومع الذين اتّقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين.

فلو كان معنى المعيَّة أنه بذاته في كل مكان، تناقض الخبر الخاص والخبر العام؛ بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أي هو إله من في السماوات وإله من في الأرض كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٣٠]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ٣]، كما فسره أئمة العلم، كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السماوات والأرض.

وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الرب تعالى بائن من مخلوقاته ، يوصف بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ، ويعلم أنه ليس كمثله شيء ، ولا كقوله في شيء من صفات الكمال ، كما قال اللّٰه تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص] .

قال ابن عباس : الصمد : العليم الذي كمل في علمه ، العظيم الذي كمل في عظمته ، القدير الكامل في قدرته ، الحكيم الكامل في حكمته ، السيد الكامل في سؤدده .

وقال ابن مسعود وغيره : هو الذي لا جوف له ، والأحد : الذي لا نظير له . فاسمه﴿الصمد﴾يتضمن اتصافه بصفات الكمال ، ونفي النقائص عنه ، واسمه ﴿الأحد﴾ يتضمن اتصافه أنه لا مثيل له .

وقد بسطنا الكلام على تفسير ذلك في هذه السورة وفي كونها تعدل ثلث القرآن(١) .

فصل

وكثير من الناس تشتبه عليهم الحقائق الأمرية الدينية الايمانية بالحقائق الخَلقية القدرية الكونية ، فان اللّٰه سبحانه وتعالى له الخلق والأمر ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُم اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرْضَ فِي سِتَةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَىٰ

---

(١) راجع « تفسير سورة الاخلاص » و « جواب أهل العلم والإيمان بأن ﴿ قول هو الله أحد ﴾ تعدل نصف القرآن » للمصنف شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ، وهي من منشوراتنا ـ مكتبة دار البيان بدمشق .

العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، فهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه ، لا خالق غيره ، ولا رب سواه ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فكل ما في الوجود من حركة وسكون ، فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه ، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ، ونهى عن معصيته ومعصية رسله ، أمر بالتوحيد والاخلاص ، ونهى عن الاشراك بالله ، فأعظم الحسنات التوحيد ، وأعظم السيئات الشرك. قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

وفي «الصحيحين»[1] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ! أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ ؟ قال : «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ » قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : «أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يُطْعَمَ مَعَكَ» قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : «أَنْ تُزَانِي بِحَلِيلَةِ جَارِكَ » ، فأنزل الله تصديق ذلك : ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالحَقِ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً

---

(١) رواه البخاري ٨/٣٧٨ في تفسير سورة الفرقان : باب قوله تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس ﴾ ، وفي تفسير سورة البقرة : باب قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا الله أنداداً ﴾ ، وفي الأدب : باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ، وفي المحاربين : باب إثم الزناة ، وفي التوحيد : باب قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ﴾ ، ومسلم رقم (٨٦) في الايمان : باب كون الشرك أقبح الذنوب ، وأبو داود رقم (٢٣١٠) في الطلاق: باب في تعظيم الزناة، والترمذي من طريقين رقم (٣١٨١) في التفسير: باب ومن سورة الفرقان، والنسائي ٧/٨٩ في تحريم الدم : باب ذكر أعظم الذنب ، وأحمد في « المسند » ١/٣٨٠ و ٤٢١ و ٤٢٤ .

صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧٠] .

وأمر سبحانه بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى ، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وأخبر أنه يحب المتقين ، ويحب المحسنين ، ويحب المقسطين ، ويحب التوّابين ، ويحب المتطهّرين ، ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، وهو يكره ما نهى عنه ، كما قال في سورة ﴿سبحان﴾ : ﴿كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ [الإسراء : ٣٨] .

وقد نهى عن الشرك وعقوق الوالدين ، وأمر بإيتاء ذي القربى الحقوق ، ونهى عن التبذير ، وعن التقتير ، وأن يجعل يده مغلولة إلى عنقه ، وأن يبسطها كل البسط ، ونهى عن قتل النفس بغير الحق ، وعن الزنا ، وعن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن . . إلى أن قال : ﴿ كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ [الاسراء : ٣٨] .

وهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، والعبد مأمور أن يتوب إلى اللَّه تعالى دائماً قال اللَّه تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَىٰ اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١] .

وفي «صحيح البخاري»[١] عن النبي ﷺ أنه قال : «أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ، فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » .

---

(١) رواه البخاري ١١/٨٥ في الدعوات : باب استنصار النبي ﷺ في اليوم والليلة ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٢٥٥) في تفسير القرآن : باب من سورة محمد ، وأحمد ٢/ ٢٨٢ و٣٤١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي «صحيح مسلم»[1] عنه ﷺ أنه قال : «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مَائَةَ مَرَّةٍ» .

وفي «السنن»[2] عن ابن عمر قال : كنا نعد لرسول اللَّه ﷺ في المجلس الواحد يقول : «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمِ ، مَائَةَ مَرَّة» أو قال : «أكثر من مائة مرة» .

وقد أمر اللَّه سبحانه أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار ، فكان النبي ﷺ إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثاً ويقول : «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»[3] .

كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عنه وقد قال تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران : ١٧] ، فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار .

وكذلك ختم سورة﴿المزمل﴾وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وكذلك قال في سورة «الحج» : ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِن عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنْتُمْ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِينَ * ثُمَّ أَفِيضُوا

---

(١) رقم (٢٧٠٢) في الذكر : باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، وأبو داود رقم (١٥١٥) في الصلاة : باب في الاستغفار ، من حديث أغر مزينة رضي الله عنه ، وليس له في الكتب الستة إلا هذا الحديث ، وأحمد في «المسند» ٤/ ٢١١ و ٢٦٠ .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٥١٦) في الصلاة : باب في الاستغفار ، والترمذي رقم (٣٤٣٠) في الدعوات : باب ما يقول إذا قام من مجلسه ، وأحمد ٢/ ٨٤ ، وابن ماجه رقم (٣٨١٤) وإسناده صحيح .

(٣) رواه مسلم رقم (٥٩١) في المساجد : باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، من حديث ثوبان رضي الله عنه ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٣٠٠) في الصلاة : باب ما يقول إذا سلم من الصلاة ، والنسائي ٣/ ٦٨ في السهو : باب الاستغفار بعد التسليم ، وأحمد في « المسند » ٥/ ٢٧٥ ، وابن ماجه رقم (٩٢٨) والدارمي رقم (١٣٥٥) في الصلاة : باب القول بعد السلام .

مِن حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٩٨ - ١٩٩] .

بل أنزل سبحانه وتعالى في آخر الأمر لما غزا النبي ﷺ غزوة تبوك وهي آخر غزواته ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُم ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِم إِنَّهُ بِهِم رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَىٰ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِم الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِم أَنْفُسُهُم وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِم لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٧ - ١١٨] ، وهي من آخر ما نزل من القرآن .

وقد قيل : إن آخر سورة نزلت قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ [سورة النصر] فأمره اللَّه تعالى أن يختم عمله بالتسبيح والاستغفار .

وفي «الصحيحين»(١) عن عائشة رضي اللَّه عنها أنه ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي» - يتأول القرآن » .

وفي «الصحيحين»(٢) عنه ﷺ أنه كان يقول : «اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي خَطِيئَتِي ، وَجَهْلِي ، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنت أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزْلِي

---

(١) رواه البخاري ٢٤٧/٢ في صفة الصلاة : باب الدعاء في الركوع ، وباب التسبيح والدعاء في السجود ، ومسلم رقم (٤٨٤) في الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، وأحمد في « المسند » ٤٣/٦ و ٤٩ و ١٩٠ .

(٢) رواه البخاري ١٦٧/١١ في الدعوات : باب قول النبي ﷺ : « اللهم إغفر لي ما قدمت وما أخرت » ، ومسلم رقم (٢٧١٩) في الذكر والدعاء : باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، وأحمد ٤١٧/٤ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

وَجِدِّي ، وَخَطَئِي ، وَعَمْدِي ، وَكُلُّ ذٰلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ » .

وفي « الصحيحين »[1] أن أبا بكر الصدِّيق رضي اللَّه عنه قال : يا رسول اللَّه علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، قال : « قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْماً كَثِيراً وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدَكَ وَارْحَمْنِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمِ » .

وفي « السنن »[2] عن أبي بكر رضي اللَّه عنه ، قال : يا رسول اللَّه ! علمني دعاءً أدعو به إذا أصبحت وإذا أمسيت ، فقال : « قُلْ : اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ، عالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَىٰ نَفْسِي سُوءاً ، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَىٰ مُسْلِمٍ . قَالَ : قُلْهُ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ » .

فليس لأحد أن يظن استغناءه عن التوبة إلى اللَّه والاستغفار من الذنوب ؛ بل كل أحد محتاج إلى ذلك دائماً قال اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ

---

(1) رواه البخاري ٢/٢٦٥ في صفة الصلاة : باب الدعاء قبل السلام ، وفي الدعوات : باب الدعاء وفي الصلاة ، وفي التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ ، ومسلم رقم (٢٧٠٥) في الذكر : باب استحباب خفض الصوت بالذكر ، والترمذي رقم (٢٧٠٥) ، والنسائي ٣/ ٥٣ ، وأحمد ١/ ٤ و٧ ، وابن ماجه رقم (٣٨٣٥) من حديث أبي بكر رضي الله عنه .

(2) رواه أحمد في « المسند » ١/ ٩ و١٠ و١٤ من حديث أبي بكر رضي الله عنه ، ورواه الترمذي رقم (٣٣٨٩) وأبو داود رقم (٥٠٦٧) والحاكم ١/ ٥١٣ وصححه ووافقه الذهبي ، دون قوله : « وأن أقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم » . ورواه أيضاً أحمد ٢/ ١٩٦ والترمذي رقم (٣٥٢٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما . وهو حديث صحيح .

وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [الأحزاب : ٧٢ - ٧٣] .

فالانسان ظالم جاهل ، وغاية المؤمنين والمؤمنات التوبة ، وقد أخبر اللّه تعالى في كتابه بتوبة عباده الصالحين ومغفرته لهم .

وثبت في «الصحيح»(١) عن النبي ﷺ أنه قال : «لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ أحَدٌ بِعَمَلِهِ» قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللّهِ !؟» قال : «وَلاَ أنَا إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»(١) . وهذا لا ينافي قوله : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤] ، فإن الرسول ﷺ نفى باء المقابلة والمعادلة ، والقرآن أثبت باء السبب .

وقول من قال : إذا أحب اللّه عبداً لم تضره الذنوب ، معناه أنه إذا أحب عبداً ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصرَّ على الذنوب ، ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصرَّ عليها ، فهو ضالٌّ مخالف للكتاب والسنة ، وإجماع السلف والأئمة ؛ بل من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وإنما عباده الممدوحون هم المذكورون في قوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ والأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ *

---

(١) رواه البخاري ١٠/١٠٩ في المرضى : باب تمني المريض الموت ، وفي الرقاق : باب القصد والمداومة على العمل ، ومسلم رقم (٢٨١٦) في صفات المنافقين : باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، والنسائي ٨/١٢١ ، ١٢٢ في الإيمان : باب الدين يسر ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٣٥ و ٢٥٦ و ٢٦٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

والَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٥].

ومن ظن أن القدر حجة لأهل الذنوب فهو من جنس المشركين الذين قال اللّه تعالى عنهم : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٤٨]. قال اللّه تعالى ردّاً عليهم : ﴿ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِن عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِن أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٨ ـ ١٤٩].

ولو كان القدر حجة لأحد لم يعذِّب اللّه المكذبين للرسل ، كقوم نوح وعاد وثمود والمؤتفكات ،وقوم فرعون ، ولم يأمر بإقامة الحدود على المعتدين ، ولا يحتج أحد بالقدر إلا إذا كان متبعاً لهواه بغير هدى من اللّه ، ومن رأى القدر حجة لأهل الذنوب يرفع عنهم الذمَّ والعقاب ، فعليه أن لا يذم أحداً ولا يعاقبه إذا اعتدى عليه ، بل يستوي عنده ما يوجب اللذة وما يوجب الألم ، فلا يفرق بين من يعمل معه خيراً ولا بين من يفعل معه شراً ، وهذا ممتنع طبعاً وعقلاً وشرعاً . وقد قال تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ المُتَّقِينَ كَالفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨]. وقال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كالمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]، وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِين اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَجْعَلَهُم كَالَّذِين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَحْيَاهُم وَمَمَاتُهُم سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُم عَبَثاً وَأَنَّكُم إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدىً ﴾ [القيامة: ٣٦]، أي مهملاً لا يُؤمر ولا يُنهى .

وقد ثبت في « الصحيحين »[1] عن النبي ﷺ أنه قال : « احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ ، قَالَ مُوسَىٰ : يَا آدَمُ ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ ، أَخْرَجْتَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ : أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلامِهِ ، وَكَتَبَ لَكَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ ؟ فَبِكَمْ وَجَدْتَ مَكْتُوباً عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقُ : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١]؟ قَالَ : بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ : فَلِمَ تَلُومَنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَرْبَعِينَ سَنَةً ؟ قَالَ : فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ » أي غلبه بالحجة .

وهذا الحديث ضلَّت فيه طائفتان : طائفة كذَّبت به لما ظنوا أنه يقتضي رفع الذم والعقاب عمن عصى للّه لأجل القدر ، وطائفة شر من هؤلاء جعلوه حجة وقد يقولون القدر حجة لأهل الحقيقة الذين شهدوه ، أو الذين لا يرون أن لهم فعلاً ، ومن الناس من قال : إنما حج آدم موسى لأنه أبوه ، أو لأنه قد تاب ؛ أو لأن الذنب كان في شريعة واللوم في أخرى ، أو لأن هذا يكون في الدنيا دون الأخرى ، وكل هذا باطل .

ولكن وجه الحديث أن موسى عليه السلام لم يلم أباه إلا لأجل المصيبة التي لحقتهم من أجل أكله من الشجرة ، فقال له : لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة ؟ لم يلمه لمجرد كونه أذنب ذنباً وتاب منه ، فان موسى يعلم أن التائب من الذنب لا يُلام ، وهو قد تاب منه أيضاً ، ولو كان آدم يعتقد رفع الملام عنه لأجل القدَر لم

---

(١) رواه البخاري ٨/٣٢٩ في التفسير : تفسير سورة طه ، وفي القدر : باب تحاج آدم وموسى ، وفي الأنبياء : باب وفاة موسى عليه السلام ، وفي التوحيد : باب قوله تعالى ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ، ومسلم رقم (٢٦٥٢) في القدر : باب حجاج آدم وموسى ، وأبو داود رقم (٤٧٠١) في السنة : باب في القدر ، والترمذي رقم (٢١٣٥) في القدر : باب حجاج آدم وموسى ، وأحمد في « المسند » ٢/٢٤٨ و ٢٦٤ و٢٦٨ و٣٩٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (٩٠٨) .

يقل : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَم تَغْفِر لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

والمؤمن مأمور عند المصائب أن يصبر ويسلِّم ، وعند الذنوب أن يستغفر ويتوب ، قال اللّه تعالى : ﴿ فَاصْبِرِ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِر لِذَنْبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥]، فأمره بالصبر على المصائب ، والاستغفار من المعائب .

وقال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَه ﴾ [التغابن : ١١] . قال ابن مسعود : هو الرجل تصيبه المصيبة يعلم أنها من عند اللّه فيرضى ويسلّم .

فالمؤمنون إذا أصابتهم مصيبة مثل المرض والفقر والذل ، صبروا لحكم اللّه ، وإن كان ذلك بسبب ذنب غيرهم ، كمن أنفق أبوه ماله في المعاصي فافتقر أولاده لذلك ، فعليهم أن يصبروا لما أصابهم ، وإذا لاموا الأب لحظوظهم ، ذكر لهم القدَر .

والصبر واجب باتفاق العلماء ، وأعلى من ذلك الرضى بحكم اللّه ، والرضى قد قيل : إنه واجب ، وقيل : هو مستحب ، وهو الصحيح ، وأعلى من ذلك أن يشكر اللّه على المصيبة لما يرى من إنعام اللّه عليه بها ، حيث جعلها سبباً لتكفير خطاياه ، ورفع درجاته ، وإنابته إلى اللّه وتضرعه إليه ، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين .

وأما أهل البغي والضلال فتجدهم يحتجون بالقدر إذا أذنبوا واتَّبعوا أهواءهم ، ويضيفون الحسنات إلى أنفسهم إذا أنعم عليهم بها ، كما قال أحد العلماء : أنت عند الطاعة قدَري ، وعند المعصية جبري ، أيّ مذهب وافق هواك تمذهبت به .

وأهل الهدى والرشاد إذا فعلوا حسنة ، شهدوا إنعام اللّه عليهم بها ، وأنه هـو الذي أنعم عليهم وجعلهم مسلمين ، وجعلهم يقيمـون الصلاة ، وألهمهم التقوى ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به ، فزال عنهم بشهـود القدر العُجْب والمنّ والأذى ، وإذا فعلوا سيئة استغفروا اللّه وتابوا إليه منها .

ففي « صحيح البخاري »[1] عن شداد بن أوس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « سيِّد الاستغفار أن يقـول العبد : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي ، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ . مَنْ قَالَهَا إِذَا أَصْبَحَ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ » .

وفي الحديث الصحيح عن أبي ذر رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَمُوا . يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِؤُونَ بِـاللَّيْلِ وَالنَّهَـارِ وَأَنَا أَغْفِـرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً وَلَا أُبَالِي ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ . يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ . يَا عِبَادِي كُلُّكُم عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ . يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُم وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُم وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذٰلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً . يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ

---

(١) رواه البخاري ١١/٨٣ في الدعوات : باب أفضل الاستغفار ، وباب ما يقول إذا أصبح ، وليس لشداد بن أوس رضي الله عنه في « صحيح البخاري » سوى هذا الحديث ، والترمذي رقم (٣٣٩٠) في الدعوات : باب رقم (١٥) ، والنسائي ٨/٢٧٩ في الاستعاذة : باب الاستعاذة من شر ما صنع ، وأحمد في « المسند » ٤/١٢٢ و ١٢٥ .

وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذٰلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً . يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذٰلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ البَحْرَ إِذَا غُمِسَ فِيهِ المَخِيطُ غَمْسَةً وَاحِدَةً . يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمِدِ اللّٰهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذٰلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ »[1] .

فأمر سبحانه بحمد اللّه على ما يجده العبد من خير وأنه إذا وجد شراً فلا يلومن إلا نفسه .

وكثير من الناس يتكلم بلسان الحقيقة ، ولا يفرِّق بين الحقيقة الكونية القدرية المتعلقة بخلقه ومشئته ، وبين الحقيقة الدينية الأمرية المتعلقة برضاه ومحبته ، ولا يفرّق بين من يقوم بالحقيقة الدينية موافقاً لما أمر اللّه به على ألسن رسله ، وبين من يقوم بوجده وذوقه غير معتبر ذلك بالكتاب والسنة ، كما أن لفظ الشريعة يتكلم به كثير من الناس ، ولا يفرِّق بين الشرع المنزَّل من عند اللّه تعالى وهو الكتاب والسنة الذي بعث اللّه به رسوله ، فان هذا الشرع ليس لأحد من الخلق الخروج عنه ، ولا يخرج عنه إلا كافر ، وبين الشرع الذي هو حكم الحاكم ، فالحاكم تارة يصيب وتارة يخطىء . هذا إذا كان عالماً عادلاً ، وإلا ففي « السنن »[2] عن النبي ﷺ أنه قال : « القُضَاةُ ثَلَاثَةٌ : قَاضِيَانِ فِي النَّارِ ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٥٧٧) في البر والصلة : باب تحريم الظلم ، والترمذي رقم (٢٤٩٧) في صفة القيامة : باب رقم (٤٩) ، وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام ، وقد اشتمل على قواعد عظيمة في أصول الدين ، وهو من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام ، وقد شرحه كثير من العلماء وأفراده بالتأليف ، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد طبعت محققة وهي من منشورات مكتبة دار البيان بدمشق وكان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه ، وقال أحمد بن حنبل : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث .

(٢) رواه أبو داود رقم (٣٥٧٣) في الأقضية : باب القاضي يخطىء ، والترمذي رقم (١٣٢٢) في الأحكام : =

وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ ، رَجُلٌ عَلِمَ الحَقَّ وَقَضَىٰ بِهِ فَهُوَ فِي الجَنَّةِ ، وَرَجُلٌ قَضَىٰ لِلْنَّاسِ عَلَىٰ جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ عَلِمَ الحَقَّ فَقَضَىٰ بِغَيْرِهِ فَهُوَ فِي النَّارِ » .

وأفضل القضاة العالمين العادلين سيد ولد آدم : محمد ﷺ . فقد ثبت عنه في « الصحيحين »[1] أنه قال : « إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ يَكُونُ أَلْحَنَ بِحجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بِنَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً فَلا يَأْخُذْهُ ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ » .

فقد أخبر سيِّد الخلق أنه إذا قضى بشيء مما سمعه وكان في الباطن بخلاف ذلك ، لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضي به له ، وأنه إنما يقطع له به قطعة من النار .

وهذا متفق عليه بين العلماء في الأملاك المطلقة ، إذا حكم الحاكم بما ظنه حجة شرعية كالبينة والاقرار ، وكان الباطن بخلاف الظاهر لم يجز للمقضي له أن يأخذ ما قضي به له بالاتفاق . وإن حكم في العقود والفسوخ بمثل ذلك ، فأكثر العلماء يقول : إن الأمر كذلك ، وهو مذهب مالك والشافعي وأحمد بن حنبل ، وفرَّق أبو

= باب ما جاء عن رسول الله ﷺ في القاضي ، وابن ماجة رقم (٢٣١٥) في الأحكام : باب الحاكم يجتهد فيصيب الحق ، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ، ورواه أيضاً الطبراني وأبو يعلى من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الإرواء » رقم (٢٦١٤) .

(١) رواه البخاري ٥/٢١٢ في الشهادات : باب من أقام البينة بعد اليمين ، وفي المظالم : باب إثم من خاصم في الباطل وهو يعلمه ، وفي الحيل : باب إذا غصب جاريته فزعم أنها ماتت فقضي بقيمة الجارية الميتة ثم وجد صاحبها فهي له ، وفي الأحكام : باب موعظة الإمام للخصوم ، وباب من قضي له بحق أخيه فلا يأخذه ، وباب القضاء في كثير المال وقليله ، ومسلم رقم (١٧١٣) في الأقضية : باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة ، و « الموطأ » ٢/٧١٩ في الأقضية : باب الترغيب في القضاء بالحق ، وأبو داود رقم (٣٥٨٣) و (٣٥٨٤) في الأقضية : باب في قضاء القاضي إذا أخطأ ، والترمذي رقم (١٣٣٩) في الأحكام : باب ما جاء في التشديد على من يقضي له ، والنسائي ٨/٢٣٣ في القضاء : باب الحكم بالظاهر ، وأحمد في « المسند » ٦/٢٠٣ و ٢٩٠ و ٣٠٨ و ٣٢٠ من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

حنيفة رضي اللّه عنه بين النوعين .

فلفظ الشرع والشريعة إذا أريد به الكتاب والسنة لم يكن لأحد من أولياء اللّه ولا لغيرهم أن يخرج عنه ، ومن ظن أن لأحد من أولياء اللّه طريقاً إلى اللّه غير متابعة محمد ﷺ باطناً وظاهراً فلم يتابعه باطناً وظاهراً فهو كافر .

ومن احتج في ذلك بقصة موسى مع الخضر ، كان غالطاً من وجهين :

أحدهما : أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ، ولا كان على الخضر اتّباعه ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بني إسرائيل ، وأما محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الثقلين : الجن ، والإنس ، ولو أدركه من هو أفضل من الخضر ، كإبراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم اتّباعه ، فكيف بالخضر سواء كان نبياً أو ولياً ؟ ! ولهذا قال الخضر لموسى : « أَنَا عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللّهِ عَلَّمْنِيهِ اللّهُ لاتَعْلَمُهُ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللّهِ عَلَّمَكَهُ اللّهُ ، لَا أَعْلَمُهُ »[1] وليس لأحد من الثقلين الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ أن يقول مثل هذا .

الثاني : أن ما فعله الخضر لم يكن مخالفاً لشريعة موسى عليه السلام ، وموسى لم يكن علم الأسباب التي تبيح ذلك ، فلما بيَّنها له وافقه على ذلك ، فانَّ خرق السفينة ثم ترقيعها لمصلحة أهلها خوفاً من الظالم أن يأخذها ، إحسان اليهم ، وذلك جائز ، وقتل الصائل جائز وان كان صغيراً ، ومن كان تكفيره لأبويه لا يندفع إلا بقتله جاز قتله .

---

(١) رواه البخاري ٨/ ٣١٠ ـ ٣٢٢ في تفسير سورة الكهف : باب ﴿ وإذ قال موسىٰ لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين ﴾ ، وفي كتب أخر ، ومسلم رقم (٢٣٨٠) في الفضائل : باب فضائل الخضر عليه السلام ، والترمذي رقم (٣١٤٨) في التفسير : باب ومن سورة الكهف ، وأحمد في « المسند » ٥/ ١١٨ من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

قال ابن عباس رضي اللّه عنهما لنجدة الحروري لما سأله عن قتل الغلمان قال له : إنْ كُنْتَ عَلِمْتَ مِنْهُمْ مَا عَلِمَهُ الخَضِرُ مِنْ ذٰلِكَ الغُلَامِ فَأَقْتُلْهُمْ ، وَإلاَّ فَلاَ تَقْتُلْهُمْ ، رواه البخاري(١) .

وأما الاحسان إلى اليتيم بلا عوض والصبر على الجوع ، فهذا من صالح الأعمال ، فلم يكن في ذلك شيء مخالفاً شرع اللّه .

وأما إذا أريد بالشرع حكم الحاكم ، فقد يكون ظالماً ، وقد يكون عادلاً ، وقد يكون صواباً ، وقد يكون خطأ ، وقد يراد بالشرع قول أئمة الفقه ، كأبي حنيفة والثوري ومالك بن أنس والأوزاعي والليث بـن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وداود وغيرهم ، فهؤلاء أقوالهم يحتج لها بالكتاب والسنة ، وإذا قلد غيره حيث يجوز ذلك ، كان جائزاً ، أي ليس اتباع أحدهم واجباً على جميع الأمة ، كاتباع الرسول ﷺ ، ولا يحرم تقليد أحدهم ، كما يحرم اتباع من يتكلم بغير علم .

وأما إن أضاف أحد إلى الشريعة ما ليس منها من أحاديث مفتراة ، أو تأول النصوص بخلاف مراد اللّه ، ونحو ذلك ، فهذا من نوع التبديل ، فيجب الفرق بين الشرع المنزَّل ، والشرع المؤوَّل ، والشرع المبدَّل ، كما يفرق بين الحقيقة الكونية والحقيقة الدينية الأمرية ، وبين ما يستدل عليها بالكتاب والسنة ، وبين ما يكتفي فيها بذوق صاحبها ووجده .

فصل

وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الإرادة والأمر والقضاء والإذن والتحريم

---

(١) حديث نجده هذا لم يروه البخاري ، وإنما رواه مسلم رقم (١٨١٢) في الجهاد : باب النساء الغازيات يرضخ لهن ولا يسهم والنهي عن قتل صبيان أهل الحرب ، وأحمد في « المسند » ١/٣٠٨ و ٣٥٢ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

والبعث والإرسال والكلام والجعل ، وبين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه ، وإن كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب أصحابه ، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين ، وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأثاب فاعليه وأكرمهم ، وجعلهم من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين وجنده الغالبين ، وهذا من أعظم الفروق التي يفرّق بها بين أولياء الله وأعدائه ، فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ، ومات على ذلك ، كان من أوليائه ، ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ، ومات على ذلك كان من أعدائه .

فالإرادة الكونية هي مشيئته لما خلقه ، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية ، والإرادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعاً وديناً .

وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح ، قال الله تعالى في الأولى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام : ١٢٥] .

وقال نوح عليه السلام لقومه : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِن أَرَدْتُ أَن أَنْصَحَ لَكُم إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ [الرعد: ١١] ، وقال تعالى في الثانية : ﴿ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِن أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] . وقال في آية الطهارة : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِن حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُم لَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦] . ولما ذكر ما أحلّه وما حرّمه من النكاح قال : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُم وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُم وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ۞

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُم وَخُلِقَ الإِنْسانُ ضَعِيفاً ﴾ [النساء : ٢٦ ـ ٢٨] .

وقال لما ذكر ما أمر به أزواج النبي ﷺ وما نهاهن عنه : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب: ٣٣] ، والمعنى أنه أمركم بما يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ، فمن أطاع أمره كان مطهراً قد أذهب عنه الرجس ، بخلاف من عصاه .

وأما الأمر ، فقال في الأمر الكوني : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالبَصَرِ ﴾ [القمر: ٥٠] ، وقال تعالى : ﴿ أَتاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ ﴾ [يونس: ٢٤] .

وأما الأمر الديني فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيْتَاءِ ذِي القُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [النساء: ٥٨] .

وأما الإذن ، فقال في الكوني لما ذكر السحر : ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢] أي بمشيئته وقدرته ؛ وإلا فالسحر لم يبحه الله عز وجل .

وقال في الإذن الديني : ﴿ أَمْ لَهُم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِن الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَىٰ اللَّهِ بِإِذْنِهِ ﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النساء: ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِن لِينَةٍ أَوْ

تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [الحشر: ٥] .

وأما القضاء فقال في الكوني : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت: ١٢] ، وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [البقرة: ١١٧] .

وقال في الديني : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] ، أي أمر ، وليس المراد به : قدَّر ذلك ، فإنه قد عبد غيره ، كما أخبر في غير موضع ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُم وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨] .

وقال الخليل عليه السلام لقومه: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَا كُنْتُم تَعْبُدُونَ * أَنْتُم وَآبَاؤُكُمْ الأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ العَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧] ، وقال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِم إِنَّا بُرَآؤا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُم وَبَدا بَيْنَنا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الممتحنة: ٤] ، وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُم دِينُكُمْ وَلِي دِينِ ﴾ [سورة الكافرون] وهذه كلمة تقتضي براءته من دينهم ، ولا تقتضي رضاه بذلك ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُم عَمَلُكُم أَنْتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٤١] .

ومن ظن من الملاحدة أن هذا رضى منه بدين الكفار ، فهو من أكذب الناس وأكفرهم ، كمن ظن أن قوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ [الإسراء : ٢٣] . بمعنى قدر ،

وأن اللّه سبحانه ما قضى بشيء إلا وقع ، وجعل عبَّاد الأصنام ما عبدوا إلا اللّه ، فإن هذا من أعظم الناس كفراً بالكتب .

وأما لفظ البعث ، فقال تعالى في البعث الكوني : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاَهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُم عِبَاداً لَنا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً ﴾ [الإسراء: ٥] .

وقال في البعث الديني : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُميينَ رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] .

وأما لفظ الإرسال فقال في الإرسال الكوني : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً ﴾ [مريم: ٨٣] ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الفرقان: ٤٨] .

وقال في الديني : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [الأحزاب: ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ ﴾ [نوح: ١] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُم كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَونَ رَسُولاً ﴾ [المزمل: ١٥] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥] .

وأما لفظ الجعل ، فقال في الكوني : ﴿ وَجَعَلْنَاهُم أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ ﴾ [القصص: ٤١] .

وقال في الديني : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾ [المائدة: ٤٨] ،

وقال تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ [المائدة: ١٠٣] .

وأما لفظ التحريم ، فقال في الكوني : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾ [القصص: ١٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٢٦] .

وقال في الديني : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ والدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ [المائدة: ٣] ، وقال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُم وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأُخْتِ ﴾ الآية [النساء: ٢٣] .

وأما لفظ الكلمات ، فقال في الكلمات الكونية : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ [التحريم: ١٢] .

وثبت في « الصحيح »(١) عن النبي ﷺ أنه كان يقول : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا خلَق ، وَمِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » .

وقال ﷺ : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خلَق ، لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ »(٢) .

---

(١) الذي في الصحيح الحديث الذي بعده ، وأما روايته بهذا اللفظ فقد رواه مالك ٢ / ٩٥٠ بلاغاً في الشعر : باب يؤمر به من التعوذ ، ورواه الترمذي رقم (٣٥١٩) في الدعوات : باب رقم ٩٦ ، وأبو داود رقم (٣٨٩٣) في الطب : باب كيف الرقي ، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٠٨) في الذكر : باب في التعوذ من سوء القضاء ، والترمذي رقم (٣٤٣٣) ، وأحمد ٦/ ٣٧٧ و٣٧٨ و٤٠٩ والدارمي رقم (٢٧٨٣) من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها .

وكان يقول : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزَهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ ، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْها ، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ ، إِلَّا طارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمٰنُ »[1] .

وكلمات اللّه التامَّات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر ، هي التي كوَّن بهـا الكائنات ، فلا يخرج برّ ولا فاجر عن تكوينـه ومشيئته وقـدرته . وأمـا كلماتـه الدينية ، وهي كتبه المنزلة وما فيها من أمره ونهيه ، فأطاعها الأبرار ، وعصاهـا الفجَّار .

وأولياء اللّه المتقون هم المطيعون لكلماته الدينية ، وجعله الديني ، وإذنه الديني ، وإرادته الدينية .

وأما كلماته الكونية التي لا يجاوزها برّ ولا فاجر ، فإنه يدخل تحتها جميع الخلق ، حتى إبليس وجنوده وجميع الكفار وسائر من يدخل النار ، فالخلق وإن اجتمعوا في شمول الخلق والمشيئة والقدرة والقدر لهم ، فقد افترقوا في الأمر والنهي والمحبة والرضى والغضب .

وأولياء اللّه المتقون هم الذين فعلوا المأمور ، وتركوا المحظور ، وصبروا على المقدور ، فأحبهم وأحبّوه ، ورضي عنهم ورضوا عنه .

وأعداؤه أولياء الشياطين ، وإن كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ، ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم .

---

(١) رواه مالك في « الموطأ » ٢ / ٩٥٠ في الشعر : باب ما يؤمر به من التعوذ ، مرسلاً ، وأحمد في « المسند » ٤١٩/٣ من حديث عبد الرحمن بن خنبش ، وهو حديث صحيح .

وبسط هذه الجمل له موضع آخر ، وإنما كتبت هنا تنبيهاً على مجامع الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله ﷺ ، فإنه هو الذي فرّق اللّه تعالى به بين أوليائه السعداء ، وأعدائه الأشقياء ، وبين أوليائه أهل الجنة ، وأعدائه أهل النار ، وبين أوليائه أهل الهدى والرشاد ، وبين أعدائه أهل الغي والضلال والفساد ، وأعدائه حزب الشيطان ، وأوليائه الذين كتب في قلوبهم الإيمان ، وأيّدهم بروح منه، قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية [المجادلة : ٢٢] ؛ وقال تعالى : ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَىٰ الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُم فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢] .

وقال في أعدائه : ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِم لِيُجَادِلُوكُم ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال : ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُم إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُم الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُم فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٧]، وقال تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِن رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُم مِن أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ

اليَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٥٢]، وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: ٢٩ - ٣٤].

فنزَّه سبحانه وتعالى نبينا محمداً ﷺ عمن تقترن به الشياطين من الكهَّان والشعراء والمجانين، وبيَّن أن الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه قال اللَّه تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٢]، فسماه الروح الأمين وسماه روح القدس، وقال تعالى: ﴿ فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الجَوَارِ الكُنَّسِ ﴾ يعني الكواكب التي تكون في السماءِ خانسة، أي مختفية قبل طلوعها، فإذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء فإذا غربت ذهبت إلى كناسها الذي يحجبها ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴾ أي إذا أدبر وأقبل الصبح ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أي أقبل ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ وهو جبريل عليه السلام ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ أي مطاع في السماء أمين، ثم قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ١٥ - ٢٢] أي صاحبكم الذي منَّ اللَّه عليكم به، إذ بعثه إليكم رسولاً من جنسكم يصحبكم إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ الآية [الأنعام: ٨ - ٩] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ ﴾ أي رأى جبريل عليه السلام ﴿ وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾

[التكوير: ٢٣ ـ ٢٤] أي بمتهم، وفي القراءة الأخرى ﴿بِضَنِينٍ﴾[1] أي ببخيل يكتم العلم ولا يبذله إلا بجعل ، كما يفعل من يكتم العلم إلا بالعوض ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ [التكوير: ٢٥] فنزَّه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطاناً ، كما نزَّه محمداً ﷺ عن أن يكون شاعراً أو كاهناً .

فأولياء اللّه المتقون هم المقتدون بمحمد ﷺ ، فيفعلون ما أمر به ، وينتهون عما عنه زجر ، ويقتدون به فيما بيَّن لهم أن يتبعوه فيه ، فيؤيدهم بملائكته وروح منه ، ويقذف اللّه في قلوبهم من أنواره ، ولهم الكرامات التي يكرم اللّه بها أولياءه المتقين وخيار أولياء اللّه ، كراماتهم لحجة في الدين ، أو لحاجة بالمسلمين ، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك .

وكرامات أولياء اللّه إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ مثل انشقاق القمر[2] وتسبيح الحصا في كفه[3]،

---

(١) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ورويس ﴿ بِظَنِينٍ ﴾ بالظاء وانفرد به ابن مهران عن روح . والباقون بالضاد . ا هـ « تقريب النشر » ص ١٨٦ .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ومسلم والترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والبخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والبخاري ومسلم والترمذي من حديث أنس ، والترمذي من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ، وانظر « جامع الأصول » ٣٩٦/١١ ـ ٣٩٨ ، الأرقام : (٨٩٣٣) و (٨٩٣٤) و (٨٩٣٥) و (٨٩٣٦) و (٨٩٣٧) .

(٣) ذكره الهيثمي في « مجمع الزائد » ١٧٩/٥ من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وقال في آخره : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه محمد بن أبي حميد ، وهو ضعيف ، وذكره أيضاً من طريق آخر أحسن عن أبي ذر رضي الله عنه ، في « المجمع » ٢٩٩/٨ ، وقال في آخره : رواه البزار بإسنادين ورجال أحمد هما ثقات وفي بعضهم ضعف ، وذكره ملاعلي القاري في « شرح الشفا » للقاضي عياض ٦٢٧/١ و ٦٢٨ من رواية ابن عساكر في « تاريخه » من حديث أنس ، وسكت عنه ، وانظر « فتح الباريء » ٤٣٣/٦ و ٤٣٤ وما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله حول هذا الحديث .

وإتيان الشجر إليه(١) ، وحنين الجذع إليه(٢) ، وإخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس(٣) ، وإخباره بما كان وما يكون(٤) ، وإتيانه بالكتاب العزيز ، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة ، كما أشبع في الخندق العسكر من قدر طعام وهو لم ينقص ، في حديث أم سليم المشهور(٥) ، وروَّى العسكر في غزوة خيبر من مزادة ماء ولم تنقص(٦) ، وملأ أوعية العسكر عام تبوك من طعام قليل ولم ينقص ، وهم

---

(١) روى مسلم في « صحيحه » رقم (٣٠١٢) في حديث جابر رضي الله عنه ، وقصة أبي اليسر الطويل ، قال : ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجتهفاتبعه بأداءة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطىء الوادي ، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما ، فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : « إنقادي علي بإذن الله » فانقادت معه كالبعير المخشوش ، الذي يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها فقال : « انقادي علي بإذن الله » فانقادت معه . . » الحديث بطوله .

وهناك روايات أخرى للحديث تدل على إتيان الشجرة إليه ورجوعها إلى مكانها ، كما في رواية أحمد عن طلحة بن نافع ، والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ومن حديث بريدة رضي الله عنه عند البزار ، وهو حديث صحيح بشواهده .

انظر « شرح الزرقاني على المواهب اللدنية » ٥/١٢٩ ـ ١٣٢ و « شرح السنة » للبغوي ١٣/٢٩٥ ـ ٢٩٧ .

(٢) رواه البخاري والنسائي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، والبخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه ، وانظر « جامع الأصول » ١١/٣٣٢ و ٣٣٤ رقم (٨٨٩٧) و (٨٨٩٨) و (٨٨٩٩) .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، انظر « جامع الأصول » ١١/٣١٠ رقم (٨٨٧٢) .

(٤) رواه مسلم رقم (٢٨٩٢) في الفتن وأشراط الساعة : باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة من حديث عمر بن أخطب الأنصاري ، ورواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وانظر « جامع الأصول » ١١/٣٢٤ و ٣٢٥ رقم (٨٨٨٢) و (٨٨٨٣) و (٨٨٨٤) .

(٥) رواه البخاري ومسلم و« الموطأ » والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه ، وانظر « جامع الأصول » ١١/٣٥٦ رقم (٨٩١٠) .

(٦) رواه البخاري ٦/٤٢٥ و ٤٢٦ في أحاديث الأنبياء : باب في علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم رقم (٦٨٢) في المساجد ، وباب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، قال : كنا في سفر مع رسول الله ﷺ . . . الحديث ، وقد ذكر المؤلف رحمه الله أن ذلك كان في غزوة خيبر ، قال الحافظ في « الفتح » ١/٣٧٩ في التيمم : باب الصعيد الطيب وضوء =

نحو ثلاثين ألفاً[1] ونبع الماء من بين أصابعه مرات متعددة حتى كفى الناس الذين كانوا معه ، كما كانوا في غزوة الحديبية نحو ألف وأربعمائة أو خمسمائة[2] ، ورده لعين أبي قتادة حين سالت على خده فرجعت أحسن عينيه[3] ، ولما أرسل محمد ابن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف فوقع وانكسرت رجله فمسحها فبرأت[4] ، وأطعم من شواء مائة وثلاثين رجلاً كلاًّ منهم حزَّ له قطعة ، وجعل منها قطعتين فأكلوا منها جميعهم ، ثم فضل فضلة[5] . و[قضى] دين عبد اللّه أبي جابر لليهودي وهو ثلاثون وسقاً[6] .

قال جابر : فأمر صاحب الدَّين أن يأخذ التمر جميعه بالذي كان له فلم

= المسلم يكفيه عن الماء : اختلف في تعيين هذا السفر ، ففي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه وقع عند رجوعهم من خيبر قريب من هذه القصة ، وفي أبي داود من حديث ابن مسعود رضي الله عنه : أقبل النبي ﷺ من الحديبية ليلاً فنزل فقال : « من يكلؤنا » فقال بلال . أنا . . . الحديث ، وفي « الموطأ » عن زيد أسلم مرسلاً : عرس رسول الله ﷺ ليله بطريق مكة ، ووكل بلالاً ، وفي « مصنف عبد الرزاق » عن عطاء بن يسار مرسلاً أن ذلك كان بطريق تبوك ، وانظر بقية كلام الحافظ في « الفتح » ١/ ٣٧٩ .

(١) رواه مسلم رقم (٢٧) و (٤٤) و (٤٥) في الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أو عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري على الشك ، قوله : وهم نحو ثلاثين ألفاً ، ليس في الحديث ، وإنما هو من كلام المؤلف رحمه الله .

(٢) رواه البخاري ٦/ ٤٢٩ في أحاديث الأنبياء : باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي المغازي : باب غزوة الحديبية ، وفي تفسير سورة الفتح وفي الأشربة : باب شرب البركة والماء المبارك ، ومسلم رقم (١٨٥٦) في لإمارة : باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال .

(٣) ذكره الهيثمي في « مجمع الزائد » ٨/ ٢٩٧ وأنه كان في غزوة أحد ، وقال : رواه الطبراني وأبو يعلى ، وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم ، وفي إسناد أبي يعلى يحيى بن عبد الحميد الحماني ، وهو ضعيف .

(٤) ذكر البخاري ٧/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥ في المغازي : باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق أن الذي كسرت رجله هو عبد الله بن عتيك رضي الله عنه فمسحها ﷺ فبرأت لا كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى .

(٥) رواه البخاري ١١/ ٢٧ في الاستئذان : باب إذا دعي الرجل فجاء هل يستأذن ، وفي الرقاق : باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ، والترمذي رقم (٢٤٧٩) في صفة القيامة : باب رقم ٣٧ .

(٦) رواه البخاري ٥/ ٤٥ في الاستقراض : باب إذا قاص أو جازفه في الدين، وفي الصلح : باب الصلح بين الغرماء

يقبل ؛ فمشى فيها رسول اللّٰه ﷺ ، ثم قال لجابر : جد له ، فوفاه الثلاثين وسقاً ، وفضل سبعة عشر وسقاً. ومثل هذا كثير ، قد جمعت نحو ألف معجزة[١] .

وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً ، مثل ما كان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلّة فيها أمثال السرج ، وهي الملائكة نزلت لقراءته[٢] وكانت الملائكة تسلّم على عمران بن حصين ، وكان سلمان وأبو الدرداء يأكلان في صحفة ، فسبحت الصحفة أو سبح ما فيها . وعباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول اللّٰه ﷺ في ليلة مظلمة ، فأضاء لهما نور مثل طرف السوط ، فلما افترقا ؛ افترق الضوء معهما رواه البخاري وغيره[٣] .

وقصة الصديق في « الصحيحين »[٤] لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته ، وجعل لا يأكل لقمة إلاّ ربا من أسفلها أكثر منها ، فشبعوا وصارت أكثر مما هي قبل ذلك . فنظر إليها أبو بكر وامرأته ؛ فإذا هي أكثر مما كانت ، فرفعها إلى رسول اللّٰه ﷺ ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا .

وخبيب بن عدي كان أسيراً عند المشركين بمكة شرّفها اللّٰه تعالى ، وكان

---

(١) انظر « شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم » لابن كثير ص ١٣٠ ـ ١٣٧ فقد نقل كلام ابن تيمية رحمه الله بلفظه من كتاب « الجواب الصحيح » وكذلك انظر معجزاته الحسية ص ١٣٨ ـ ٣٣٧ و « الشمائل » ـ هذا هو جزء من « كتاب تاريخ البداية والنهاية » أفردها تحت هذا العنوان محققه الدكتور مصطفى عبد الواحد .

(٢) رواه البخاري ٥٢/٩ في فضائل القرآن : باب فضل سورة الكهف ، في الأنبياء : باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي تفسير سورة الفتح : باب ﴿ هو الذي أنزل السكينة ﴾ ، ومسلم رقم (٧٩٥) في صلاة المسافرين : باب نزول السكينة لقارىء القرآن ، والترمذي رقم (٢٨٨٧) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل سورة الكهف ، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٣) أحمد في « المسند » ٣/ ١٣٨ و ١٩١ و ٢٧٢ من حديث أنس رضي الله عنه أن أسيد بن حضير وعباد بن بشر كانا عند رسول الله ﷺ في ليلة ظلماء حندس ، قال : « فلما خرجا من عنده أضاءت عصا أحدهما ، فكانا يمشيان ضوئها ، فلما تفرقا أضاءت عصا هذا وعصا هذا » .

(٤) رواه البخاري ٤٣٦/٦ في أحاديث الأنبياء : باب علامات النبوة في الإسلام ، ومسلم رقم (٢٠٥٧) في الأشربة : باب إكرام الضيف وفضل إيثاره . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة[1] .

وعامر بن فهيرة قتل شهيداً ، فالتمسوا جسده فلم يقدروا عليه ، وكان لما قتل رفعه ، فرآه عامر بن الطفيل وقد رفع . وقال عروة : فيرون الملائكة رفعته .

وخرجت أم أيمن مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر وكانت صائمة ، سمعت حساً على رأسها ، فرفعته فإذا دلو معلّق ، فشربت منه حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها .

وسفينة مولى رسول اللّه ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول اللّه ﷺ ، فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده[2] .

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على اللّه تعالى أبرّ قسمه[3] ، وكان الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء ! أقسم على ربك ، فيقول : يا رب ! أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، فيهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية قال : أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وجعلتني أول شهيد ، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً .

وخالد بن الوليد حاصر حصناً منيعاً، فقالوا: لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضرّه[4] .

---

(١) رواه البخاري ٧/٢٩١ ـ ٢٩٥ في المغازي : باب غزوة الرجيع ، وأبو داود رقم (٢٦٦٠) و (٢٦٦١) في الجهاد : باب في الرجل يستأسر من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » ٩/٣٦٦ من رواية البزار والطبراني ، وقال في آخره : ورجالهما وثقوا .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٨٥٣) في المناقب : باب مناقب البراء بن مالك رضي الله عنه ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قاله الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٤٤٩) .

(٤) انظر «مجمع الزوائد» ٩/٣٥٠ .

وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة(١) ، ما دعا قط إلا استجيب له ، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .

وعمر بن الخطاب لما أرسل جيشاً أمرَّ عليهم رجلاً يسمى سارية ، فبينما عمر يخطب فجعل يصيح على المنبر : يا سارية ! الجبل ، يا سارية الجبل الجبل ، فقدم رسول الجيش فسأله ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لقينا عدواً فهزمونا فإذا بصائح : يا سارية الجبل ، يا سارية الجبل ، فأسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم اللّه(٢) .

ولما عذّبت الزنّيرة على الإسلام في اللّه ، فأبت إلا الإسلام وذهب بصرها ، قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزّى ، قالت : كلا واللّه ، فردَّ اللّه عليها بصرها .

ودعا سعيد بن زيد على أروى بنت الحكم فأعمى بصرها لما كذبت عليه ، فقال : اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها ، فعميت ووقعت في حفرة من أرضها فماتت(٣) .

والعلاء بن الحضرمي كان عامل رسول اللّه ﷺ على البحرين ، وكان يقول في دعائه : يا عليم يا حليم يا عليُّ يا عظيم ، فيستجاب له ، ودعا اللّه بأن يسقوا ويتوضؤوا لما عدموا الماء والإسقاء لما بعدهم ، فأجيب ، ودعا اللّه لما اعترضهم

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٧٥٢) في المناقب : باب مناقب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، ورواه أيضاً ابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٢١٥) « موارد» والحاكم في «المستدرك» ٤٩٩/٣ وصححه ووافقه الذهبي من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٢) أخرجها الواقدي والبيهقي في « الدلائل » ، وابن الأعرابي في « كرامات الأولياء » قال ابن حجر في « الإصابة » رقم (٣٠٢٨) إسناده حسن . وانظر ما قاله الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١١١٠) حول الحديث .

(٣) انظر «الاصابة » في ترجمة سعيد بن زيد رضي الله عنه ، رقم (٣٢٥٤) .

البحر ولم يقدروا على المرور بخيولهم ، فمروا كلهم على الماء ما ابتلت سروج خيولهم ، ودعا اللَّه أن لا يروا جسده إذا مات ، فلم يجدوه في اللحد ، وجرى مثل ذلك لأبي مسلم الخولاني الذي ألقي في النار ، فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة ، وهي ترمي بالخشب من مدَّها ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : تفقدون من متاعكم شيئاً حتى أدعو اللَّه عز وجل فيه ؟ فقال بعضهم : فقدت مخلاة ، فقال : اتبعني ، فتبعته فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها ، وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة ، فقال له : أتشهد أني رسول اللَّه ؟ قال : ما أسمع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول اللَّه ؟ قال : نعم ، فأمر بنار فألقي فيها ، فوجدوه قائماً يصلي فيها ، وقد صارت عليه برداً وسلاماً .

وقدم المدينة بعد موت النبي ﷺ ، فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر الصدِّيق رضي اللَّه عنهما ، وقال : الحمد للَّه الذي لم يمتني حتى أرى من أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل اللَّه ، ووضعت له جاريته السم في طعامه فلم يضره ، وخببت امرأة عليه زوجته ، فدعا عليها فعميت وجاءت وتابت ، فدعا لها فرد اللَّه عليها بصرها .

وكان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه ألفي درهم في كمه ، وما يلقاه سائل في طريقه إلا أعطاه بغير عدد ، ثم يجيء إلى بيته فلا يتغير عددها ولا وزنها . ومرَّ بقافلة قد حبسهم الأسد ، فجاء حتى مس بثيابه الأسد ، ثم وضع رجله على عنقه وقال : إنما أنت كلب من كلاب الرحمن ، وإني أستحيي من اللَّه أن أخاف شيئاً غيره ، ومرَّت القافلة ، ودعا اللَّه تعالى أن يهون عليه الطهور في الشتاء ، فكان يؤتى بالماء له بخار ، ودعا ربه أن يمنع قلبه من الشيطان وهو في الصلاة ، فلم يقدر عليه .

وتغيب الحسن البصري عن الحجاج ، فدخلوا عليه ست مرات فدعا اللَّه

عز وجل فلم يروه ، ودعا على بعض الخوارج ـ كان يؤذيهم ـ فخرَّ ميتاً .

وصلة بن أشيم مات فرسه وهو في الغزو ، فقال : اللهم لا تجعل لمخلوق عليَّ منَّة . ودعا اللَّه عز وجل فأحيا له فرسه ، فلما وصل إلى بيته قال : يا بني خذ سرج الفرس فإنه عارية ، وأخذ سرجه فمات الفرس . وجاع مرة بالأهواز ، فدعا اللَّه عز وجل واستطعمه ، فوقعت خلفه دوخلة رطب في ثوب حرير ، فأكل التمر ، وبقي الثوب عند زوجته زماناً . وجاءه الأسد وهو يصلي في غيضة بالليل ، فلما سلَّم قال له : اطلب الرزق من غير هذا الموضع ؛ فولّى الأسد وله زئير .

وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسول اللّه ﷺ في أوقات الصلوات ، وكان المسجد قد خلا ، فلم يبق غيره .

ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق ، فقال له أصحابه : هلم نتوزع متاعك على رحالنا ، فقال لهم : أمهلوني هنيهة ، ثم توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين ، ودعا اللَّه تعالى فأحيا له حماره ، فحمل عليه متاعه .

ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفاناً لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبراً محفوراً فيه لحد في صخرة ، فدفنوه فيه وكفنوه في تلك الأثواب .

وكان عمرو بن عقبة بن فرقد يصلّي يوماً في شدة الحر فأظلته غمامة وكان السبع يحميه ، وهو يرعى ركاب أصحابه ، لأنه كان يشترط على أصحابه في الغزو أنه يخدمهم .

وكان مطرِّف بن عبد اللَّه بن الشخِّير إذا دخل بيته سبّحت معه آنيته ، وكان هو وصاحب له يسيران في ظلمة ، فأضاء لهما طرف السوط .

ولما مات الأحنف بن قيس ، وقعت قلنسوة رجل في قبره ، فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر .

وكان إبراهيم التيمي يقيم الشهر والشهرين لا يأكل شيئاً ، وخرج يمتار لأهله طعاماً فلم يقدر عليه ، فمر بسهلة حمراء فأخذ منها ، ثم رجع إلى أهله ففتحها فإذا هي حنطة حمراء ، فكان إذا زرع منها تخرج السنبلة من أصلها إلى فرعها حباً متراكباً .

وكان عتبة الغلام سأل ربه ثلاث خصال : صوتاً حسناً ، ودمعاً غزيراً ، وطعاماً من غير تكلف . فكان إذا قرأ بكى وأبكى ، ودموعه جارية دهره ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب فيه قوته ولا يدري من أين يأتيه .

وكان عبد الواحد بن زيد أصابه الفالج ، فسأل ربه أن يطلق له أعضاءه وقت الوضوء ، فكان وقت الوضوءِ تطلق له أعضاؤ ه ثم تعود بعده .

وهذا باب واسع ، وقد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضع .

وأما ما نعرفه نحن عياناً ونعرفه في هذا الزمان فكثير ، ومما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فاذا احتاج إليها الضعيف الايمان أو المحتاج ، أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسدُّ حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية للّه منه مستغنياً عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك ، لعلوِّ درجته وغناه عنها ، لا لنقص ولايته ، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم ، فهؤلاء أعظم درجة .

هذا بخلاف الأحوال الشيطانية ، مثل حال عبد اللّه بن صياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ ، وكان قد ظن بعض الصحابة أنه الدجَّال ، وتوقف النبي ﷺ في أمره حتى تبين له فيما بعد أنه ليس هو الدجَّال ، لكنه كان من جنس الكهان . قال له النبي ﷺ : « قَدْ خَبأْتُ لَكَ خَبْأً » قال : الدَّخ الدَّخ . وقد كان خبَّأ له سورة الدخان ، فقال له النبي ﷺ : « اخْسَأْ فَلَنْ تَعْدُوَ قَـدْرَكَ »[1] يعني إنما أنت من

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٩٢٤) في الفتن واشراط الساعة : باب ذكر ابن الصياد .

إخوان الكهان ، والكهان كان يكون لأحدهم القرين من الشياطين يخبره بكثير من المغيبات بما يسترقه من السمع ، وكانوا يخلطون الصدق بالكذب كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال : « إن الملائكة تنزل في العنان ـ وهو السحاب ـ فتذكر الأمر قضي في السماءِ ، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان ، فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم »[١] .

وفي الحديث الذي رواه مسلم[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما النبي ﷺ في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار ، فقال النبي ﷺ : « مَاذا كُنْتُمْ تَقولُونَ لِمِثْلِ هٰذَا فِي الجَاهِلِيَةِ إذَا رَأَيْتُمُوهُ ؟ » قَالُوا : كُنَّا نَقولُ : يَمُوتُ عَظِيمٌ أَوْ يُولَدُ عَظِيمٌ . قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : « فَإِنَّهُ لَا يُرْمَىٰ بِهَا لِمَوْتِ أَحدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ؛ وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعالَىٰ إذا قَضَىٰ أَمْراً سَبَّحَ حَمَلَةُ العَرْشِ ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هٰذِهِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ يَسْأَلُ أَهْلُ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ حَمَلَةَ العَرْشِ : مَاذَا قَالَ رَبُّنَا؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ ، ثُمَّ يَسْتَخْبِرُ أَهْلُ كُلِّ سَمَاءٍ حَتَّىٰ يَبْلُغُ الخَبَرُ أَهْلَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا .

---

(١) البخاري ٦/ ٢٢٠ في بدء الخلق : باب ذكر الملائكة ، وفي كتب أخرى ، ومسلم رقم (٢٢٢٨) في السلام : باب تحريم الكهانة ، وأحمد في « المسند » ٦/ ٨٧ من حديث عائشة رضي الله عنها . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٣٠٧٤) .

(٢) رقم (٢٢٢٩) في السلام : باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ، من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار انهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله ﷺ رمي بنجم فاستنار ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ماذا كنتم تفعلون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا ؟ ، قالوا : الله ورسوله أعلم كنا نقول : ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم ، فقال رسول الله ﷺ : فانها لا يرمي بها لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه اذا قضى أمراً سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا ، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ماذا قال ، قال فيستخبر بعض أهل السماوات بعضاً ، حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السمع فيقذفون الى أوليائهم ويرمون به فما جاؤ وا به على وجهه فهو حق ، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون » .

وَتَخْطَفُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَيَرْمَوْنَ فَيَقْذِفُونَهُ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ، فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ وَلَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ » .

وفي رواية ، قال معمر : قلت للزهري : أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال : نعم ، ولكنها غلظت حين بعث النبي ﷺ .

والأسود العنسي الذي ادَّعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الأمور المغيَّبة ، فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون من الشياطين أن يخبروه بما يقولون فيه ، حتى أعانتهم عليه امرأته لما تبيَّن لها كفره فقتلوه .

وكذلك مسيلمة الكذَّاب كان معه من الشياطين من يخبره بالمغيَّبات ويعينه على بعض الأمور .

وأمثال هؤلاء كثيرون ، مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان وادَّعى النبوة، وكانت الشياطين تخرج رجليه من القيد، وتمنع السلاح أن ينفذ فيه ، وتسبح الرُّخامة إذا مسحها بيده ، وكان يري الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواءِ ويقول : هي الملائكة ، وإنما كانوا جنّاً ، ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : إنك لم تسمِّ اللّه فسمى اللّه فطعنه فقتله .

وهكذا أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم ما يطردها ، مثل آية الكرسي ، فانه قد ثبت في « الصحيح » عن النبي ﷺ في حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه لما وكله النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر ، فسرق منها الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه ، فيقول له النبي ﷺ : « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ ؟ » فيقول : زعم أنه لا يعود ، فيقول : « كَذَبَكَ وَإِنَّهُ سَيَعُودُ » فلما كان في المرة الثالثة ، قال : دَعْنِي حَتَّىٰ أُعَلِّمُكَ مَا يَنْفَعُكَ : إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ

فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ إِلَىٰ آخِرِهَا [البقرة : ٢٥٥] ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ ، فلما أخبر النبي ﷺ قال : « صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ » وأخبره أنه شيطان(١) .

ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها ، مثل من يدخل النار بحال شيطاني ، أو يحضر سماع المكاء والتصدية ، فتنزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاماً لا يعلم ، وربما لا يفقه . وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه ، وربما تكلم بألسنة مختلفة ، كما يتكلم الجني على لسان المصروع . والانسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبَّطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه ، فاذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال .

ولهذا قد يضرب المصروع ضرباً كثيراً حتى قد يقتل مثله الإنسي أو يمرضه لو كان هو المضروب، وذلك الضرب لا يؤثر في الإنسي ، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء ، لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه .

ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلوى وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الجني إلى مكة ، أو بيت المقدس أو غيرهما ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ، ثم يعيده من ليلته ، فلا يحج حجاً شرعياً ، بل يذهب بثيابه ، ولا يحرم إذا حاذى الميقات ، ولا يلبِّي ، ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ، ولا يسعى بين الصفا والمروة ، ولا يرمي الجمار ،

---

(١) رواه البخاري تعليقاً ، ولم يصرح فيه بالتحديث ٤/٣٩٦ في الوكالة : باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه فهو جائز ، و ٦/٢٤٠ و ٩/٥٠ ، قال : وقال عثمان بن الهيثم . قال الحافظ في «الفتح» : وصله النسائي والاسماعيلي وأبو نعيم من طرق إلى عثمان المذكور . انظر بقية كلام الحافظ في «الفتح» ٤/٣٩٨ و « شرح الأذكار » لابن علان ٣/١٤٦ ـ ١٤٨ .

بل يقف بعرفة بثيابه ، ثم يرجع من ليلته ، وهـذا ليس بحج مشـروع باتفـاق المسلمين ، بل هو كمن يأتي الجمعة ويصلي بغيروضوءٍ وإلى غير القبلة ، ومن هؤلاء المحمولين ، من حمل مرة إلى عرفات ورجع فرأى في النوم ملائكة يكتبون الحجـاج فقال : ألا تكتبوني ؟ فقالوا : لست من الحجاج . يعني لم تحج حجاً شرعياً .

وبين كـرامات الأوليـاء ، وبين ما يشبههـا من الأحوال الشيـطانية فـروق متعـددة : منهـا ، أن كـرامـات الأوليـاء سببهـا الايمـان والتقـوى . والأحـوال الـشيطانية سببها ما نهى اللّه عنه ورسوله .

وقد قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُـونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] فـالقـول على اللّه بغيـر علم ، والشـرك والـظلم والفواحش ؛ قد حرَّمها اللّه تعالى ورسوله ، فلا تكون سبباً لكرامة اللّه تعـالى بالكرامات عليها ، فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن ، بل تحصل بما يحبه الشيطان، وبالأمور التي فيها شرك، كالاستغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش ، فهي من الأحوال الشيطانية ، لا من الكرامات الرحمانية .

ومن هؤلاء من إذا حضر سماع المكاء والتصدية يتنزَّل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من تلك الدار ، فاذا حضر رجل من أولياء اللّه تعالى ، طرد شيطانه فيسقط ، كما جرى هذا لغير واحد .

ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت ، سواء كان ذلك المخلوق مسلماً أو نصرانياً أو مشركاً ، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ، ويقضي

بعض حاجة ذلك المستغيث ؛ فيظن أنه ذلك الشخص ، أو هو ملك تصوَّر على صورته ، وإنما هو شيطان أضلَّه لما أشرك باللّه ، كما كانت الشياطين تدخل في الأصنام وتكلِّم المشركين . ومن هؤلاء من يتصوَّر له الشيطان ويقول لـه : أنا الخضر ، وربما أخبره ببعض الأمور ، وأعانه على بعض مطالبه ؛ كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت ، فيأتي الشيطان بعد موتـه على صورتـه ، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت ، ويقضي الديون ، ويرد الودائع ، ويفعل أشياء تتعلق بالميت ، ويدخل إلى زوجته ويذهب ، وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار ، كما تصنع كفار الهند، فيظنون أنه عاش بعد موته ومن هؤلاء شيخ كـان بمصر أوصى خادمه فقـال : إذا أنا متّ فـلا تدع أحـداً يغسلني ، فأنـا أجيء وأغسل نفسي ، فلما مات رأى خادمه شخصاً في صورته ، فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه، فلما قضى ذلك الداخل غسله ـ أي غسل الميت ـ غـاب ، وكان ذلـك شيطاناً ، وكان قد أضلَّ الميت ، وقال : إنك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك ، فلما مات جاء أيضاً في صورته ليغوي الأحياء ، كما أغوى الميت قبل ذلك .

ومنهم من يرى عرشاً في الهواء ، وفوقه نورٌ ، ويسمع من يخاطبه ويقول : أنا ربك ، فإن كان من أهل المعرفة ؛ علم أنه شيطان فزجره واستعاذ باللّه منه ، فيزول[1] .

ومنهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يدَّعي أحدهم أنه نبي أو صدِّيق أو شيخ من الصالحين ، وقد جرى هذا لغير واحد، وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره ، فيرى القبر قد انشق وخرج اليه صورة ، فيعتقدها الميت ، وإنما هو

---

(١) كما حصل للشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله .

جني تصوَّر بتلك الصورة . ومنهم من يرى فارساً قد خرج من قبره ، أو دخل في قبره ، ويكون ذلك شيطاناً ، وكل من قال : إنه رأى نبياً بعين رأسه فما رأى إلا خيالاً .

ومنهم من يرى في منامه أن بعض الأكابر ؛ إما الصدِّيق رضي اللّه عنه أو غيره قد قصَّ شعره ، أو حلقه ، أو ألبسه طاقيته ، أو ثوبه ، فيصبح وعلى رأسه طاقية ، وشعره محلوق أو مقصر ، وإنما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه ، وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة ، وهم درجات ، والجن الذين يقترنـون بهم من جنسهم وعلى مذهبهم ، والجن فيهم الكـافر والفـاسق والمخطىء ، فان كان الأنسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلًا ، دخلوا معه في الكفـر والفسوق والضلال ، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر ، مثل الإقسام عليهم بأسماء من يعظِّمونه من الجن وغيرهم ، ومثل أن يكتب أسماء اللّه أو بعض كلامه بالنجاسة ، أو يقلب فاتحة الكتاب ، أو سورة الإخلاص ، أو آية الكرسي ، أو غيرهنَّ ، ويكتبهنَّ بنجاسة فيغوِّرون له الماء ، وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر ، وقد يأتونه بمن يهواه من امرأة أو صبي ؛ إما في الهواء ، وإما مدفوعاً ملجأً إليه ، إلى أمثال هذه الأمور التي يطول وصفها ، والايمان بها ؛ إيمان بالجبت والطاغوت،والجبت : السحر . والطاغوت : الشياطين والأصنام وإن كان الرجل مطيعاً للّه ورسوله باطناً وظاهراً ، لم يمكنهم الدخـول معه في ذلك ، أو مسالمته .

ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة في المساجد التي هي بيـوت اللّه ، كان عمَّار المساجد أبعد عن الأحوال الشيطانية ، وكان أهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى ، فيدعون الميت أو يدعون به ، أو يعتقدون أن الـدعـاء عنـده مستجـاب ، أقـرب إلى الأحـوال الشيـطانيـة ، فـانـه ثبت في

« الصحيحين »[1] عن النبي ﷺ أنه قال : « لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » .

وثبت في « صحيح مسلم »[2] عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس ليال : « إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ لِاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُم خَلِيلُ اللَّهِ ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا سُدَّتْ ، إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ ، إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذٰلِكَ » .

وفي « الصحيحين »[3] عنه أنه ذُكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة ، وذكروا من حسنها وتصاوير فيها ، فقال : « إِنَّ أُوْلَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِداً وَصَوَّرُوا فِيهَا تِلْكَ التَّصَاوِيرَ ، أُوْلَـئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ » .

وفي « المسند » و « صحيح أبي حاتم » عنه ﷺ قال : « إِنَّ مِنْ شِرَارِ

---

(١) رواه البخاري ١/٤٤٤ في الصلاة : باب في البيعة ، ومسلم رقم (٥٣٠) في المساجد : باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، وأبو داود رقم (٣٢٢٧) في الجنائز : باب في البناء على القبر ، والنسائي ٤/٩٥ و ٩٦ في الجنائز : باب اتخاذ القبور مساجد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري ٧/١٠ و ١١ في فضائل أصحاب النبي ﷺ : باب قول النبي ﷺ : سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر ، وفي المساجد : باب الخوخة والممر في المسجد ، ومسلم رقم (٢٣٨٢) في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه ، والترمذي رقم (٣٦٦١) في المناقب : باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري ١/٤٣٨ في الصلاة : باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ، وباب الصلاة في البيعة ، وفي الجنائز : باب بناء المسجد على القبر ، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ ، وباب هجرة الحبشة ، ومسلم رقم (٥٢٨) في المساجد : باب النهي عن بناء المساجد على الصور ، والنسائي ٢/٤١ و ٤٢ في المساجد : باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد ، وأحمد في «المسند» ٦/٥١ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

الخَلْقِ مَنْ تُدْرِكَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ ، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ »(1) .

وفي « الصحيح »(2) عنه ﷺ أنه قال : « لَا تَجْلِسُوا عَلَىٰ القُبُورِ وَلَا تُصَلُّوا إِلَيْهَا » .

وفي « الموطأ »(3) عنه ﷺ أنه قال : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَىٰ قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » .

وفي « السنن »(4) عنه ﷺ أنه قال : « لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيداً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُمَا كُنْتُمْ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي » .

وقال ﷺ : « مَا مِنْ رَجُلٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ »(5) .

---

(1) رواه أحمد في «المسند» ١/٤٣٥ ، وأبو نعيم في «أخبار اصبهان» ١/١٤٢ ، وابن أبي شيبة ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/٢٧ وقال : رواه الطبراني في «الكبير» واسناده حسن .

(2) رواه مسلم رقم (٩٧٢) في الجنائز : باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه وأبو داود رقم (٣٢٢٩) في الجنائز : باب في كراهية العقود على القبور ، والترمذي رقم (١٠٥٠) في الجنائز : باب ما جاء في كراهية المشي على القبور والجلوس عليها والصلاة إليها ، والنسائي ٢/٦٧ في القبلة : باب النهي عن الصلاة إلى القبر ، من حديث أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه .

(3) رواه مالك في «الموطأ» ١/١٧٢ في قصر الصلاة : باب جامع الصلاة مرسلاً من حديث عطاء بن يسار ، وقد صح موصولاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(4) رواه أبو داود رقم (٢٠٤٢) في المناسك : باب زيارة القبور ، وأحمد في «المسند» ٢/٣٦٧ من حديث أبي هريرة ، وأخرجه أيضاً اسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ من حديث علي بن الحسين رقم (٢٠) ومن حديث الحسن بن علي رقم (٣٠) وهو حديث حسن ، حسنه الحافظ في «تخريج الأذكار» .

(5) رواه أبو داود رقم (٢٠٤١) في المناسك : باب زيارة القبور من حديث أبي هريرة ، ورواه أيضاً أحمد في « المسند » ٢/٥٢٧ ، وإسناده حسن .

وقال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ وَكَّل بِقَبْرِي مَلَائِكَةً يُبْلِغُونَنِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ »[1] .

وقال ﷺ : « أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الجُمْعَةِ وَلَيْلَةَ الجُمْعَةِ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةً عَلَيَّ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ ؟ - أي يَقُولُونَ : قد بَلِيتَ - فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَىٰ الأَرْضِ أَنْ تَأْكُل لُحُومَ الأَنْبِيَاءِ »[2] .

وقد قال اللّه تعالى في كتابه عن المشركين من قوم نوح عليه السلام : ﴿ وقالوا : لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ ودّاً ولا سُواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ [نوح : ٢٣]، قال ابن عباس وغيره من السلف : هؤلاء قوم كانوا صالحين من قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوَّروا تماثيلهم فعبدوهم ، فكان هذا مبدأ عبادة الأوثان .

فنهى النبي ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ليسد باب الشرك كما نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ، لأن المشركين يسجدون للشمس

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/١٦٢ من حديث عمار بن يامر رضي الله عنهما بلفظ «إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماع الخلائق ، فلا يصلي أحد إلى يوم القيامة إلا ابلغني باسمه واسم أبيه : هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك» ، وقال : رواه البزار ، وفيه ابن الحميري ، واسمه عمران ، قال البخاري : لا يتابع على حديثه ، وقال صاحب «الميزان» : لا يعرف ، وفيه أيضاً نعيم بن ضمضم ، ضعيف وقد جاء الحديث من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ «أن لله ملائكة سياحين في الأرض ، يبلغوني عن أمتي السلام» وهو حديث صحيح رواه أحمد في «المسند» ١/٣٨٧ و ٤٤١ و ٤٥٢ ، وابن حبان في «صحيحه» رقم (٣٣٩٣) «موارد» والدارمي رقم (٢٧٧٧) في الرفاق : باب في فضل الصلاة على النبي ﷺ ، والنسائي ٣/ ٤٣ في السهو : باب السلام على النبي ﷺ ، والحاكم في «المستدرك» ٢/ ٤٢١ وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٠٤٧) في الصلاة : باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة ، والنسائي ٣/٩١ و٩٢ في الجمعة : باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه ، وإسناده صحيح . انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (١٥٢٧) .

حينئذ، والشيطان يقارنها[1] وقت الطلوع ووقت الغروب ، فتكون في الصلاة حينئذ مشابهة لصلاة المشركين ، فسدَّ هذا الباب . والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته ، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها كما يفعل أهل دعوة الكواكب ، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور ، ويسمون ذلك روحانية الكواكب ، وهو شيطان ، والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده ، فإنه يضره أضعاف ما ينفعه ، وعاقبة من أطاعه إلى شر ، إلا أن يتوب اللَّه عليه .

وكذلك عبَّاد الأصنام قد تخاطبهم الشياطين ، وكذلك من استغاث بميت أو غائب ، وكذلك من دعا الميت أو دعا به ، أو ظن أن الدعاء عند قبره أفضل منه في البيوت والمساجد ، ويروون حديثاً هو كذب بإتفاق أهل المعرفة وهو : « إذا أعيتكم المعرفة فعليكم بأصحاب القبور» وإنما وضع هذا من فتح باب الشرك .

ويوجد لأهل البدع وأهل الشرك المتشبهين بهم من عبَّاد الأصنام والنصارى والضلاَّل من المسلمين أحوال عند المشاهد يظنونها كرامات وهي من الشياطين ، مثل أن يضعوا سراويل عند القبر فيجدونه قد انعقد ، أو يوضع عنده مصروع فيرون شيطانه قد فارقه ، يفعل الشيطان هذا ليضلَّهم ، وإذا قرأت آية الكرسي هناك بصدق بطل هذا ، فإن التوحيد يطرد الشيطان . ولهذا حُمل بعضهم في الهواء فقال : لا إله إلاَّ اللَّه ، فسقط ، ومثل أن يرى أحدهم أن القبر قد انشقَّ وخرج منه إنسان فيظنه الميت وهو شيطان .

---

(١) روى مسلم في «صحيحه» رقم (٨٣٣) في صلاة المسافرين : باب لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «لا تتحروا طلوع الشمس ولا غروبها فتصلوا عند ذلك» ، والنسائي ١ / ٢٧٩ في المواقيت : باب النهي عن الصلاة بعد العصر بلفظ «لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان» .

وهذا باب واسع لا يتسع له هذا الموضع .

ولما كان هذا الانقطاع إلى المغارات والبوادي من البدع التي لم يشرعها اللّه ولا رسوله ، صارت الشياطين كثيراً ما تأوي المغارات والجبال ، مثل مغارة الدم التي بجبل قاسيون ، وجبل لبنان الذي بساحل الشام ، وجبل الفتح بأسوان بمصر ، وجبال بالروم وخراسان ، وجبال بالجزيرة ، وغير ذلك ، وجبل اللكام ، وجبل الأحيش ، وجبل سولان قرب أردبيل ، وجبل شهنك عند تبريز ، وجبل ماشكو عند أقشوان ، وجبل نهاوند ، وغير ذلك من الجبال التي يظن بعض الناس أن بها رجالاً من الصالحين من الإنس ، ويسمونهم : رجال الغيب ، وإنما هناك رجال من الجن ، فالجن رجال ، كما أن الإنس رجال ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقاً ﴾ [الجن : ٧] .

ومن هؤلاءِ من يظهر بصورة رجل شعراني ، جلده يشبه جلد الماعز ، فيظن من لا يعرفه أنه إنسي ، وإنما هو جني . ويقال : بكل جبل من هذه الجبال الأربعون الأبدال وهؤلاء الذين يظن أنهم الأبدال هم جن بهذه الجبال ، كما يعرف ذلك بطرق متعددة .

وهذا باب لا يتسع هذا الموضع لبسطه ، وذكر ما نعرفه من ذلك ، فإذا قد رأينا وسمعنا من ذلك ما يطول وصفه في هذا المختصر الذي كتب لمن سأل أن نذكر له من الكلام على أولياء اللّه تعالى ما يعرف به جمل ذلك .

والناس في خوارق العادات على ثلاثة أقسام : قسم يكذِّب وجود ذلك لغير الأنبياء ؛ وربما صدق به مجملاً ، وكذَّب ما يذكر له عن كثير من الناس ، لكونه عنده ليس من الأولياء . ومنهم من يظن أن كل ما كان له نوع من خرق العادة كان وليّاً للّه وكلاًّ الأمرين خطأ . ولهذا تجد أن هؤلاء يذكرون أن للمشركين وأهل

الكتاب نصراء يعينونهم على قتال المسلمين ، وأنهم من أوليـاء اللَّه . وأولئك يكذبون أن يكون معهم من له خرق عادة ، والصواب القول الثالث ، وهو أن معهم من ينصرهم من جنسهم ، لا من أولياء اللَّه عز وجل ، كما قال اللَّه تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَصَارَىٰ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُم أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُم مِنْكُم فَإِنَّهُ مِنْهُم ﴾ [المائدة: ٥١].

وهؤلاء العبَّاد والزهَّاد الذين ليسوا من أولياء اللَّه المتقين المتبعين للكتاب والسنة ، تقترن بهم الشياطين ، فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله ، لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضاً ، وإذا حصل من له تمكن من أولياء اللَّه تعالى أبطلها عليهم ، ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً ، ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم ليفرِّق اللَّه بذلك بين أوليائه المتقين ، وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين قال اللَّه تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]. والأفاك : الكذاب . والأثيم : الفاجر .

ومن أعظم ما يقوي الأحوال الشيطانية ؛ سماع الغناء والملاهي وهو سماع المشركين قال اللَّه تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاَتُهُم عِنْدَ البَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾ [الأنفال: ٣٥].

قال ابن عباس وابن عمر رضي اللَّه عنهم وغيرهما من السلف : التصدية : التصفيق باليد ، والمكاء : مثل الصفير . فكان المشركون يتخذون هذا عبادة .

وأما النبي ﷺ وأصحابه فعبادتهم ما أمر اللَّه به من الصلاة والقراءة والذكر ونحو ذلك ، والاجتماعات الشرعية ، ولم يجتمع النبي ﷺ وأصحابه على استماع غناء قط ، لا بكف ، ولا بدف ، ولا تواجد ، ولا سقطت بردته ، بل كل ذلك

كذب باتفاق أهل العلم بحديثه .

وكان أصحاب النبي ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحداً منهم أن يقرأ ، والباقون يستمعون ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري : ذكِّرْنا ربنا ، فيقرأ وهم يستمعون ، ومرَّ النبي ﷺ بأبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال له : « مَررْتُ بِكَ البَارِحَةَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ ، فَجَعَلْتُ أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ فَقَالَ : لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَمِعُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيراً »(١) ، أي لحسنته لك تحسيناً ، كما قال النبي ﷺ : « زَيِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ »(٢) وقال ﷺ : « للَّه أَشَدُّ أُذُناً - أي استماعاً - إِلَىٰ الرَّجُلِ الحَسَنِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ القَيْنَةِ إِلَىٰ قَيْنَتِهِ »(٣) وقال ﷺ لابن مسعود : « اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآن » فقال : أقرأ عليك وعليك أُنْزِلَ ؟ فقال : « إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ ﴿النِّسَاءِ﴾ ، حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ هٰذِهِ الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٧/١٧١ أن النبي ﷺ وعائشة مرا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته ، فقاما يستمعان لقراءته ، ثم أنهما مضيا ، فلما أصبح لقي أبا موسى رسول الله ﷺ فقال : «يا أبا موسى مررت بك البارحة ومعي عائشة وأنت تقرأ في بيتك ، فقمنا واستمعنا فقال له أبو موسى : أما إني يا رسول الله لو علمت لحبرته لك تحبيراً» . قال الهيثمي : رواه أبو يعلى ، وفيه خالد بن نافع الأشعري ، وهو ضعيف ، قال الحافظ في «الفتح» ٩/٨١ بعد ما ذكر حديث أبي يعلى هذا ، وسكت عليه : ولابن سعد من حديث أنس على شرط مسلم أن أبا موسى قام ليلة يصلي ، فسمع أزواج النبي ﷺ صوته ، وكان حلو الصوت ، فقمن يستمعن ، فلما أصبح قيل له : فقال : لو علمت لحبرته لهن تحبيراً ، قال وللروياني من طريق مالك ابن مغول عن عبد الله بن بريدة عن ابيه نحو سياق سعيد بن أبي بردة وقال فيه : لو علمت أن رسول الله ﷺ يستمع قراءاتي لحبرتها » فالحديث حسن بشواهده .

(٢) رواه أبو داود رقم (١٤٦٨) في الصلاة : باب استحباب الترتيل في القراءة ، والنسائي ٢/١٧٩ و ١٨٠ في الصلاة : باب تزيين القرآن بالصوت من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، وأخرجه الدارمي رقم (٣٥٠٣) وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٨٣ و ٢٨٥ و ٢٩٦ و ٣٠٤ وابن ماجه رقم (١٣٤٢) .

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٣٤٠) في إقامة الصلاة والسنة فيها : باب في حسن الصوت بالقرآن ، قال في «الزوائد» إسناده حسن .

شَهِيداً ﴾ [النساء: ٤١]، قال « حَسْبُكَ » ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرُفَانِ مِنَ البُكَاءِ[١] .

ومثل هذا السماع ؛ هو سماع النبيين وأتباعهم ، كما ذكر اللَّه ذلك في القرآن فقال : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِم آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾ [مريم: ٥٨].

وقال في أهل المعرفة : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَىٰ الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ ﴾ [المائدة: ٨٣].

ومدح سبحانه أهل هذا السماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان ، واقشعرار الجلد ، ودمع العين ، فقال تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُم وَقُلُوبُهُم إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣]. وقال تعالى : ﴿ إِنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُم وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم آيَاتُهُ زَادَتْهُم إِيْمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ المُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِم وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢ ـ ٤].

وأما السماع المحدث : سماع الكف والدف والقصب ، فلم تكن الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر الأكابر من أئمة الدين ، يجعلون هذا طريقاً إلى اللَّه تبارك وتعالى ، ولا يعدونه من القرب والطاعات ، بل يعدونه من البدع المذمومة ؛

---

(١) البخاري ٨٥/٩ في فضائل القرآن : باب البكاء عند قراءة القرآن ، وباب من أحب أن يسمع القرآن من غيره ، وباب قول المقرىء للقارىء : حسبك ، ومسلم رقم (٨٠٠) في صلاة المسافرين : باب فضل استماع القرآن والترمذي رقم (٣٠٢٧) و (٣٠٢٨) في تفسير القرآن : باب ومن سورة النساء ، وأبو داود رقم (٣٦٦٨) في العلم : باب في القصص ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

حتى قال الشافعي : خلَّفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة ، يسمونه التغيير ، يصدون به الناس عن القرآن . وأولياء اللَّه العارفون يعرفون ذلك ، ويعلمون أن للشيطان فيه نصيباً وافراً ، ولهذا تاب منه خيار من حضره منهم .

ومن كان أبعد عن المعرفة وعن كمال ولاية اللَّه ، كان نصيب الشيطان فيه أكثر ، وهو بمنزلة الخمر ، [بل هو] يؤثر في النفوس أعظم من تأثير الخمر ، ولهذا إذا قويت سكرة أهله ؛ نزلت عليهم الشياطين ، وتكلمت على ألسنة بعضهم ، وحملت بعضهم في الهواء ، وقد تحصل عداوة بينهم ، كما تحصل بين شرَّاب الخمر ، فتكون شياطين أحدهم أقوى من شياطين الآخر فيقتلونه . ويظن الجهَّال أن هذا من كرامات أولياء اللَّه المتقين ، وإنما هذا مبعد لصاحبه عن اللَّه ، وهو من أحوال الشياطين ، فإن قتل المسلم لا يحل إلا بما أحلَّه اللَّه ، فكيف يكون قد قتل المعصوم مما يكرم اللَّه به أولياءه ؟ ! وإنما غاية الكرامة لزوم الاستقامة . فلم يكرم اللَّه عبداً بمثل أن يعينه على ما يحبه ويرضاه ، ويزيده مما يقربه إليه ، ويرفع به درجته .

وذلك أن الخوارق منها ما هو من جنس العلم ، كالمكاشفات ، ومنها ما هو من جنس القدرة والملك ، كالتصرفات الخارقة للعادات ، ومنها ما هو من جنس الغنى ، من جنس ما يعطاه الناس في الظاهر ، من العلم ، والسلطان ، والمال ، والغنى .

وجميع ما يؤتيه اللّه لعبده من هذه الأمور ، إن استعان به على ما يحبه اللّه ويرضاه ، ويقربه إليه ، ويرفع درجته ، ويؤمره اللّه به ورسوله ، ازداد بذلك رفعة وقرباً إلى اللّه ورسوله ، وعلت درجته . وإن استعان به على ما نهى اللّه عنه ورسوله ، كالشرك والظلم ، والفواحش ، استحق بذلك الذم والعقاب ، فان لم يتداركه اللّه تعالى بتوبة أو حسنات ماحية ، وإلا كان كأمثاله من المذنبين ، ولهذا كثيراً ما يعاقب أصحاب الخوارق ، تارة بسلبها ، كما يعزل الملك عن ملكه ،

ويسلب العالم علمه ، وتـارة بسلب التطوعـات ، فينقل من الـولاية الخـاصة إلى العامة ، وتارة ينزل إلى درجة الفسَّاق ، وتارة يرتدّ عن الاسلام ، وهذا يكون فيمن له خوارق شيطانية ، فان كثيراً من هؤلاء يرتد عن الاسلام ، وكثيراً منهم لا يعرف أن هذه شيطانية ، بل يظنها من كرامات أوليـاء اللّه ، ويظن من يـظن منهم أن اللّه عز وجل ، إذا أعطى عبداً خرق عادة لم يحاسبه على ذلك ، كمن يظن أن اللّه إذا أعطى عبداً ملكاً ومالاً وتصرفاً ، لم يحاسبه عليه ، ومنهم من يستعين بالخوارق على أمور مباحة لا مأمور بها ولا منهي عنها ، فهذا يكون من عموم الأولياء ، وهم الأبرار المقتصدون ، وأما السابقون المقرَّبون فأعلى من هؤلاء ، كما أن العبد الرسول أعلى من النبي الملك .

ولما كانت الخوارق كثيراً ما ينقص بها درجة الرجل ، كان كثير من الصالحين يتوب من مثل ذلك ، ويستغفر اللّه تعـالى ، كما يتـوب من الذنـوب ، كالـزنا ، والسرقة ، وتعرض على بعضهم فيسأل اللّه زوالها ، وكلهم يأمر المريد السالك أن لا يقف عندها ، ولا يجعلها همته ، ولا يتبجج بها ، مع ظنهم أنها كرامات ، فكيف إذا كانت بالحقيقة من الشياطين تغويهم بها ؟ ! فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع ، وإنما يخاطبـه الشيطان الـذي دخل فيهـا ، وأعرف من يخـاطبهم الحجر والشجر ، وتقول : هنيئاً لك يا ولي اللّه ، فيقرأ آية الكرسي ، فيذهب ذلك وأعرف من يقصد صيد الطير ، فتخاطبه العصافير وغيرها ، وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها ، كما يدخل في الإنس ، ويخاطبه بذلك ، ومنهم من يكون في البيت وهو مغلق ، فيرى نفسه خارجه وهو لم يفتح ، وبالعكس ، وكذلك في أبواب المدينة ، وتكون الجن قد أدخلته وأخـرجته بسـرعة ، أو تـريه أنواراً ، وتحضر عنـده من يطلبـه ، ويكون ذلك من الشياطين يتصورون بصورة صاحبه ، فاذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ، ذهب ذلك كله .

وأعرف من يخاطبه مخاطب ويقول له : أنا من أمر اللّه ، ويعده بأنه المهدي الذي بشر به النبي ﷺ ، ويظهر له الخوارق ، مثل أن يخطر بقلبه تصرف في الطير والجراد في الهواء ، فاذا خطر بقلبه ذهاب الطير أو الجراد يميناً وشمالاً ، ذهب حيث أراد ، وإذا خطر بقلبه قيام بعض المواشي ، أو نومه ، أو ذهابه ، حصل له ما أراد من غير حركة منه في الظاهر ، وتحمله إلى مكة ، وتأتي به ، وتأتيه بأشخاص في صورة جميلة ، وتقول له هذه الملائكة الكروبيون أرادوا زيارتك ، فيقول في نفسه : كيف تصوروا بصورة المردان ، فيرفع رأسه فيجدهم بلحىً ، ويقول له : علامة أنك أنت المهدي أنك تنبت في جسدك شامة ، فتنبت ويراها ، وغير ذلك ، وكله من مكر الشيطان .

وهذا باب واسع ، لو ذكرت ما أعرف منه لاحتاج إلى مجلد كبير . وقد قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴾ [الفجر : ١٥ - ١٦] . قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ كَلَّا ﴾ ولفظ ﴿ كَلَّا ﴾ فيها زجر وتنبيه ، زجر عن مثل هذا القول ، وتنبيه على ما يخبر به ، ويؤمر به بعده ؛ وذلك أنه ليس كل من حصل له نعم دنيوية تعدُّ كرامة ، يكون اللّه عز وجل مكرماً له بها ، ولا كل من قدِّر عليه ذلك يكون مهيناً له بذلك ، بل هو سبحانه يبتلي عبده بالسراء والضراء ، فقد يعطي النعم الدنيوية لمن لا يحبه ، ولا هو كريم عنده ، ليستدرجه بذلك ، وقد يحمي منها من يحبه ويواليه ، لئلا ينقص بذلك مرتبته عنده ، أو يقع بسببها فيما يكرهه منه .

وأيضاً كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الايمان والتقوى ، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان ، فهو من خوارق أعداء اللّه لا من كرامات أولياء اللّه ، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة ، والقراءة ، والذكر ، وقيام الليل ، والدعاء ، وإنما تحصل عند الشرك ، مثل دعاء الميت ، والغائب ، أو بالفسق

والعصيان وأكل المحرَّمات ، كالحيات ، والزنابير ، والخنافس ، والدم ، وغيره من النجاسات ، ومثل الغناء ، والرقص ، لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن ، وتقوى عند سماع مزامير الشيطان ، فيرقص ليلاً طويلاً ، فاذا جاءت الصلاة صلّى قاعداً ، أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يبغض سماع القرآن ، وينفر عنه ، ويتكلفه ، ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد . فهذه أحوال شيطانية ، وهو ممن يتناوله قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : ٣٦] .

فالقرآن هو ذكر الرحمن ، قال تعالى : ﴿ وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشِرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذٰلِكَ اليَوْمَ تُنْسَىٰ ﴾ [طه : ١٢٤ ـ ١٢٦] ، يعني تركت العمل بها .

قال ابن عباس رضي اللّه عنهما : تكفَّل اللّه لمن قرأ كتابه وعمل بما فيه ، أن لا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة ، ثم قرأ هذه الآية .

فصل

ومما يجب أن يعلم أن اللّه بعث محمداً ﷺ إلى جميع الإنس والجن ، فلم يبق إنسي ولا جني إلا وجب عليه الايمان بمحمد ﷺ واتّباعه ، فعليه أن يصدقه فيما أخبر ، ويطيعه فيما أمر . ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به ، فهو كافر ، سواء كان إنسياً أو جنياً .

ومحمد ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن ،

وولُّوا إلى قومهم منذرين لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة لما رجع من الطائف ، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَىٰ الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُم وَيُجِرْكُم مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الاحقاف : ٢٩ - ٣٢] وأنزل الله تعالى بعد ذلك : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً * وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَىٰ اللَّهِ شَطَطاً * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَن تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِباً * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقاً ﴾ [الجن : ١ - ٦] أي السفيه منا في أظهر قولي العلماء .

وقال غير واحد من السلف : كان الرجل من الإنس إذا نزل بالوادي قال : أعوذ بعظيم هذا الوادي من شر سفهاء قومه ، فلما استغاثت الإنس بالجن ، ازدادت الجن طغياناً وكفراً ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُم رَهَقاً * وَأَنَّهُم ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُم أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَداً * وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ﴾ [الجن : ٦ - ٨] وكانت الشياطين ترمي بالشهب قبل أن ينزل القرآن ، لكن كانوا أحياناً يسترقون السمع قبل أن يصل الشهاب إلى أحدهم ، فلما بعث محمد ﷺ ملئت السماء حرساً شديداً وشهباً ، وصارت الشهب مرصدة لهم قبل أن يسمعوا ، كما قالوا : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً ﴾ [الجن : ٩] ، وقال تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُم وَمَا

يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُم عَنِ السَّمعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ [الشعراء : ٢١٠ ـ ٢١٢] قالوا : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَداً * وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً ﴾ [الجن : ١٠ ـ ١١] ، أي على مذاهب شتّى ، كما قال العلماء منهم : المسلم والمشرك ، واليهودي والنصراني ، والسني والبدعي . ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً ﴾ [الجن : ١٢] أخبروا أنهم لا يعجزونه ؛ لا إن أقاموا في الأرض ولا إن هربوا منه : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخساً وَلَا رَهَقاً * وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القَاسِطُونَ ﴾ [الجن : ١٣ ـ ١٤] أي الظالمون .

يقال : أقسط إذا عدل ، وقسط : إذا جار وظلم ﴿ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوا رَشَداً * وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً * وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَآءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُم فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً * وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً * وَأَنَّهُ لَمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُواْ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَداً * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُم ضَرّاً وَلَا رَشَداً * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً ﴾ [الجن : ١٤ ـ ٢٢] أي ملجأً ومعاذاً ﴿ إِلَّا بَلَاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً * حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَن أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً ﴾ [الجن : ٢٣ ـ ٢٤] .

ثم لما سمعت الجن القرآن أتوا إلى النبي ﷺ وآمنوا به ، وهم جن نصيبين ، كما ثبت ذلك في « الصحيح »[1] من حديث ابن مسعود .

---

(١) رواه البخاري ٨/٥١٣ ، ٥١٤ في تفسير سورة الجن ، وفي صفة الصلاة باب الجهر بقراءة صلاة الفجر ، ومسلم رقم (٤٤٩) في الصلاة : باب الجهر بالقراءة في الصبح ، والترمذي رقم (٣٣٢٠) في التفسير : باب ومن سورة الجن .

وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن وكان إذ قال : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٣] قالوا : وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ آلَائِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ ، فَلَكَ الحَمْدُ[1] .

ولما اجتمعوا بالنبي ﷺ سألوه الزاد لهم ولدوابهم ، فقال : « لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ تَجِدُونَهُ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحماً ، وَكُلُّ بَعَرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ » قال النبي ﷺ : « فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا ، فَإِنَّهُمَا زَادُ إِخْوَانِكُمْ مِنَ الجِنِّ »[2] وهذا النهي ثابت عنه من وجوه متعددة ، وبذلك احتج العلماء على النهي عن الاستنجاء بذلك ، وقالوا : فاذا منع من الاستنجاء بما للجن ولدوابهم ، فما أعد للإنس ولدوابهم من الطعام والعلف أولى وأحرى .

ومحمد ﷺ أرسل إلى جميع الانس والجن ، وهذا أعظم قدراً عند اللّه تعالى من كون الجن سخروا لسليمان عليه السلام ، فانهم سخروا له يتصرف فيهم بحكم الملك ، ومحمد ﷺ أرسل اليهم يأمرهم بما أمر اللّه به ورسوله ، لأنه عبد اللّه ورسوله ، ومنزلة العبد الرسول فوق منزلة النبي الملك .

وكفار الجن يدخلون النار بالنص والإجماع ، وأما مؤمنوهم ، فجمهور العلماء على أنهم يدخلون الجنة ، وجمهور العلماء على أن الرسل من الانس ، ولم يبعث من الجن رسول ؛ لكن منهم النذر ، وهذه المسائل لبسطها موضع آخر .

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٢٠) في التفسير : باب ومن سورة الرحمن من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد . أقول : والوليد مدلس وقد عنعن ، وزهير بن محمد راوية أهل الشام عند غير مستقيمة وهذا منها ، ورواه الحاكم ٢/ ٤٧٣ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) رواه مسلم رقم (٤٥٠) في الصلاة : باب الجهر بالقراءة في الصبح ، والترمذي رقم (٣٢٥٤) في التفسير : باب ومن سورة الأحقاف وأبو داود رقم (٨٥) في الطهارة : باب الوضوء بالنبيذ ، من حديث علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه .

والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال : فمن كان من الانس يأمر الجن بما أمر اللّه به ورسوله من عبادة اللّه وحده وطاعة نبيه ، ويأمر الانس بذلك ، فهذا من أفضل أولياء اللّه تعالى ، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ﷺ ونوابه ، ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له ، فهو كمن استعمل الانس في أمور مباحة له ، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم ، وينهاهم عما حرّم عليهم ، ويستعملهم في مباحات له ، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك .

هذا إذا قدِّر أنه من أولياء اللّه تعالى ، فغايته أن يكون في عموم أولياء اللّه تعالى ، مثل النبي الملك مع العبد الرسول ، كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين .

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى اللّه عنه ورسوله ، إما في الشرك ، وإما في قتل معصوم الدم ، أو في العدوان عليهم بغير القتل ، كتمريضه وإنسائه العلم ، وغير ذلك من الظلم ؛ وإما في فاحشة ، كجلب من يطلب فيه الفاحشة ، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان ، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر ، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاصٍ ، إما فاسق ، وإما مذنب غير فاسق .

وإن لم يكن تامَّ العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات ، مثل أن يستعين بهم على الحج ، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي ، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمر اللّه به ورسوله ، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة ، ونحو ذلك ، فهذا مغرور قد مكروا به .

وكثير من هؤلاءِ قد لا يعرف أن ذلك من الجن ، بل قد سمع أن أولياء اللّه لهم كرامات خوارق للعادات ، وليس عندهم من حقائق الايمان ومعرفة القرآن ما يفرِّق به بين الكرامات الرحمانية ، وبين التلبيسات الشيطانية ، فيمكرون به

بحسب اعتقاده ، فان كان مشركاً يعبد الكواكب والأوثان ، أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة ، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صوَّر ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح ، فيظن أنه يعبد ذلك النبي أو الصالح ، وتكون عبادته في الحقيقة للشيطان ، قال اللّه تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُم جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلمَلائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُم كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمَ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ : ٤٠ ـ ٤١] .

ولهذا كان الذين يسجدون للشمس والقمر والكواكب يقصدون السجود لها ، فيقارنها الشيطان عند سجودهم ليكون سجودهم له ، ولهذا يتمثل الشيطان بصورة من يستغيث به المشركون ، فان كان نصرانياً واستغاث بجرجس أو غيره ، جاء الشيطان في صورة جرجس أو من يستغيث به . وإن كان منتسباً إلى الاسلام واستغاث بشيخ بحسن الظن به من شيوخ المسلمين ، جاء في صورة ذلك الشيخ . وإن كان من مشركي الهند ، جاء في صورة من يعظمه ذلك المشرك .

ثم إن الشيخ المستغاث به ، إن كان ممن له خبرة بالشريعة لم يعرفه الشيطان أنه تمثل لأصحابه المستغيثين به ، وإن كان الشيخ ممن لا خبرة له ، أخبره بأقوالهم ، ونقل أقوالهم له ، فيظن أولئك أن الشيخ سمع أصواتهم من البعد وأجابهم ، وإنما هو يتوسط الشيطان .

ولقد أخبر بعض الشيوخ الذين كان قد جرى لهم مثل هذا بصورة مكاشفة ومخاطبة فقال : يريني الجن شيئاً برَّاقاً مثل الماء والزجاج ، ويمثِّلون له فيه ما يطلب منه الإخبار به ، قال : فأُخبر الناس به ، ويوصلون إليَّ كلام من استغاث بي من أصحابي فأجيبه ، فيوصلون جوابي إليه .

وكان كثير من الشيوخ الذين حصل لهم كثير من هذه الخوارق ـ إذا كذَّب بها

من لم يعرفها وقال : إنكم تفعلون هذا بطريق الحيلة ، كما يدخل النار بحجر الطلق وقشور النارنج ، ودهن الضفادع ، وغير ذلك من الحيل الطبيعية ، ـ يتعجب هؤلاء المشايخ ويقولون : نحن والله لا نعرف شيئاً من هذه الحيل . فلما ذكر لهم الخبير : إنكم لصادقون في ذلك ، ولكن هذه الأحوال شيطانية ، أقرّوا بذلك ، وتاب منهم من تاب الله عليه لما تبين لهم الحق ، وتبين لهم من وجوه أنها من الشيطان ، ورأوا أنها من الشياطين ، لما رأوا أنها تحصل بمثل البدع المذمومة في الشرع وعند المعاصي لله ، فلا تحصل عندما يحبه الله ورسوله من العبادات الشرعية ، فعلموا أنها حينئذ من مخارق الشيطان لأوليائه لا من كرامات الرحمن لأوليائه .

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب ،
وصلى الله وسلم على محمد سيد رسله وأنبيائه ، وعلى آله
وصحبه وأنصاره وأشياعه وخلفائه ، صلاة
وسلاماً نستوجب بهما شفاعته
آمين

* * *

الحزب المقبول من أحاديث الرّسول ﷺ

تأليف الفاضل الأجل أبي سعيد محمد بن الفيض الأنصاري

المقدمة وفيها ثلاثة فصول

الفصل الأول في فضل الدعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ » ثم قرأ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ .

٢ - «الدُّعاءُ مُخُّ العِبَادَةِ ».

٣ - «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ على اللَّه مِنَ الدُّعاءِ ».

٤ - «لا يَرُدُّ القَضَاءَ إلاَّ الدُّعَاءُ ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إلاَّ البِرُّ ».

---

(١) رواه أبو داود رقم (١٤٧٩) ، والترمذي رقم (٣٢٤٤) والبخاري في « الأدب المفرد » وابن ماجه رقم (٣٨٢٨) وابن حبان رقم (٢٣٩٦) والحاكم ١/ ٤٩١ ، وأحمد ٤/ ٢٦٧ و ٢٧١ و ٢٧٦ و ٢٧٧ ، من حديث النعمان بن بشير رضي اللّه عنه، وهو حديث صحيح، كما قال الألباني في «صحيح الجامع».

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٦٨) مرفوعاً من حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه ، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف لسوء حفظه ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب . ويؤيده بالمعنى الحديث السابق .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٣٦٧) ، وأحمد ٢/ ٣٦٢ ، والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (٧١٢) وابن ماجة رقم (٣٨٢٩) ، وابن حبان (٢٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه وهو حديث حسن .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢١٤٠) في القدر : باب لا يرد القدر إلا الدعاء من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وهو حديث حسن، **كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة »** رقم (١٥٤) .

٥ ـ «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ».

٦ ـ « مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعاءٍ إلاَّ آتاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ ، أو كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ ، مالَمْ يَدْعُ بإثم أو قَطِيعَة رَحِم » .

٧ ـ «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ ».

٨ ـ «مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ ، فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ ، وما سُئِلَ اللَّهُ شيئاً ـ يعني أحبَّ إليه ـ من أنْ يُسْأَلَ العافِيَةَ ».

٩ ـ «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ ، يَسْتَحِيي مِنْ عَبْدِهِ إذا رَفَعَ يَدَيْهِ إليهِ أَنْ يَرُدَّهُما صِفْراً».

١٠ ـ «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيها إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ ، إلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ بها إحْدَى ثلاثٍ ، إمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ ، وَإمَّا أَنْ يَدَّخِرَها لَهُ في الآخِرَةِ ، وإمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَها» قالوا : إذا نُكْثِرُ . قال : « اللَّهُ أَكْثَرُ» .

---

(٥) قطعة من حديث رواه الترمذي رقم (٣٥٤٢) ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وإسناده ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، المليكي وهو ضعيف في الحديث ، والحديث حسن لغيره وأوله يأتي برقم (٨) .

(٦) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن .

(٧) رواه أحمد ٤٤٢/٢ والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (٦٥٨) والترمذي رقم (٣٧٧٠) وابن ماجة رقم (٣٨٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي إسناده أبو صالح الخوزي ، ضعفه ابن معين ، وقال أبو زرعة : لا بأس به ، ويؤيده من جهة المعنى حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه الترمذي فهو به حسن إن شاء اللَّه : « سلوا الله من فضله ، فإن اللَّه يحب أن يسأل » .

(٨) قطعة من حديث الترمذي ، الذي تقدم قبل قليل برقم (٥) .

(٩) رواه الترمذي رقم (٣٥٥١) وأبو داود رقم (١٤٨٨) وابن ماجة رقم (٣٨٦٥) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وحسنه الترمذي ، وهو كما قال . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » ١١/ ١٢١ : وسنده جيد .

(١٠) رواه الترمذي رقم (٣٥٦٨) وأحمد ٣٢٩/٥ من حديث عبادة بن الصامت رضي اللّه عنه ، وهو حديث حسن ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥١٣) .

الفصل الثاني

في آداب الدعاء

١١ - «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ بِبُطُونِ أَكُفِّكُمْ ، وَلَا تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا».

١٢ - «[وكانَ] إذا رَفَعَ يَدَيْه فِي الدُّعَاءِ لَمْ يَحُطَّهُما حتى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ ».

١٣ - «[وكان] يَرْفَعُ يَدَيْهِ في الدُّعَاءِ حتى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ ».

١٤ - قال : كانَ يَجْعَلُ إِصْبَعَيْهِ حِذَاءَ مَنْكِبَيْهِ وَيَدْعُو .

١٥ - قال : إِنَّ رَفْعَكُمْ أَيْدِيَكُمْ بِدْعَةٌ ، مَا زَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على هذا ، يعني إلى الصَّدْرِ .

١٦ - «إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى ، فقال : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي . فقال رَسُولُ اللَّه ﷺ : «عَجِلْتَ أَيُّها المصلِّي ! إذا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ ، فاحْمَدِ اللَّه بما هُوَ أَهْلُهُ ، وصَلِّ عَلَيَّ ، ثم ادْعُهُ ».

---

(١١) رواه أبو داود رقم (١٤٨٦) وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (٥٩٥) .

(١٢) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٣) من حديث عمر رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن عيسى ، وقد تفرد به وهو قليل الحديث . قال الحافظ في « بلوغ المرام » رقم (١٥٨١ و١٥٨٢) وله شواهد منها عند ابي داود (١٤٨٥) من حديث ابن عباس وغيره ومجموعها يقضي بأنه حديث حسن . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٤١٩): ضعيف جداً .

(١٣) رواه البخاري ٢/ ٤٢٩ في الاستسقاء : باب رفع الناس أيديهم مع الإمام في الاستسقاء ، من حديث أنس رضي الله عنه ، بلفظ « أن رسول الله ﷺ رفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه » .

(١٤) رواه البيهقي في « الدعوات الكبير » من حديث سهل بن سعد ، وهو حديث حسن .

(١٥) رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن .

(١٦) رواه الترمذي رقم (٣٤٧٤) و (٣٤٧٥) وأبو داود رقم (١٤٨١) والنسائي ٣/ ٤٤ ، من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال . انظر « جامع الأصول » رقم (٢١٢٠) .

قال : ثم صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بعد ذلك ، فَحَمِدَ اللَّهَ وصلَّى على النبيِّ ﷺ ، فقالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : «أيُّها المُصلِّي ! ادْعُ تُجبْ » . فلما جَلَسْتُ بَدَأْتُ بالثَّناءِ على اللَّهِ تعالى ، ثم الصَّلاةِ على النَّبِيِّ ﷺ ، ثم دَعَوْتُ لنفسي . فقال النبيُّ ﷺ : «سَلْ تُعْطَهْ ، سَلْ تُعْطَهْ ».

١٧ ـ «إنَّ الدُّعاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ ، لا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حتى تُصَلِّيَ على نَبِيِّكَ ».

١٨ ـ كان يَسْتَحِبُّ الْجَوامِعَ مِنَ الدُّعاءِ وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ .

١٩ ـ «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، ولَا تَدْعُوا على أَوْلَادِكُمْ ، ولا تَدْعُوا على أَمْوَالِكُمْ ، لا تُوَافِقُوا مِنَ اللَّه ساعةً يُسْأَلُ فيها عطاءً فيستجيبُ لَكُمْ » .

٢٠ ـ «إذا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ ، ارْحَمْني إنْ شِئْتَ ، ارْزُقْنِي إنْ شِئْتَ ، وَلْيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ ، إنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مُكْرِهَ لَهُ » .

٢١ ـ «يُسْتَجابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّه ! مَا الاِسْتِعْجَالُ ؟ قال : «يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ أَرَ يُسْتَجَابُ لي ، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ » .

---

(١٧) رواه الترمذي رقم (٤٨٦) موقوفاً على عمر رضي الله عنه ، وفيه أبو قرة الأسدي لا يعرف اسمه ، وليس له عند الترمذي ولا أصحاب السنن إلا هذا الموقوف ، وانظر كلام الحافظ في « تخريج الأذكار » ٣/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

(١٨) رواه أبو داود رقم (١٤٨٢) وأحمد في « المسند » ١٤٧/٦ و ١٤٨ و ١٨٩ ، وصححه ابن حبان رقم (٢٤١٢) «موارد » من حديث عائشة رضي الله عنها . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٨٢٥) .

(١٩) رواه مسلم رقم (٣٠٠٩) في الزهد والرقائق : باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ، من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه .

(٢٠) رواه البخاري ١١/ ١١٨ ومسلم رقم (٢٦٧٨) من حديث أنس رضي الله عنه .

(٢١) رواه البخاري ١١/ ١١٩ ومسلم رقم (٢٧٣٥) والترمذي رقم (٣٣٨٤) وأبو داود رقم (١٤٨٤) وابن ماجة رقم (٣٨٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٢ - «دَعْوَةُ الرَّجُلِ المُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ ، كُلَّما دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ ، قال المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ : آمين ، وَلَكَ بِمِثْلٍ » .

٢٣ - «إِنَّ أَسْرَعَ الدُّعَاءِ إجابةً دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ » .

٢٤ - «أَشْرِكْنَا يا أُخَيَّ في دُعَائِكَ وَلَا تَنْسَنَا ، فقال كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لي بها الدُّنْيا » .

٢٥ - «لِيَسْأَلْ أَحَدُكُم رَبَّهَ حَاجَتَهُ كُلَّها ، حَتَّى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إذا انْقَطَعَ » .

وفي رواية عن ثابتٍ البُنَانِيِّ مُرْسَلًا : «حتى يَسْأَلَهُ المِلْحَ ، وحتى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إذَا انْقَطَعَ » .

٢٦ - «إذَا ذَكَرَ أَحَدَاً فَدَعَا لَهُ ، بَدَأَ بِنَفْسِهِ » .

٢٧ - «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللَّهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ ، فَلْيُكْثِرِ الدُّعاءَ في الرَّخَاءِ» .

---

(٢٢) رواه مسلم رقم (٢٧٣٢) و (٢٧٣٣) ، وأبو داود رقم (١٥٣٤) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢٣) رواه الترمذي رقم (١٩٨١) وأبو داود رقم (١٥٣٥) ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقي ، وهو ضعيف في حفظه ، ويشهد له حديث أبي الدرداء عند مسلم المتقدم .

(٢٤) رواه أبو داود رقم (١٤٩٨) والترمذي رقم (٣٥٥٧) وابن ماجة رقم (٢٨٩٤) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي إسناده عاصم بن عبيد الله العدوي ، قال الحافظ في « التقريب » : ضعيف ، ومع ذلك فقد قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٦٢٩٢) و (٦٣٩٢) : ضعيف .

(٢٥) رواه الترمذي رقم (٣٦٠٧) و (٣٦٠٨) من حديث أنس رضي الله عنه ، وحسنه الترمذي وهو كما قال .

(٢٦) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٢) من حديث أُبي بن كعب ، وهو حديث حسن .

(٢٧) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي إسناده سعيد بن عطية الليثي لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، ولكن رواه الحاكم في « المستدرك » ١/ ٥٤٤ ، وليس فيه =

٢٨ - «ٱدْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ».

٢٩ - «يَا غُلاَمُ ! احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ على أنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».

٣٠ - «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : يَا رَبِّ ! يَا رَبِّ ! قال اللَّهُ : لَبَّيْكَ عَبْدِي ، سَلْ تُعْطَ».

٣١ - قال النَّبِيُّ ﷺ : «أَوْجَبَ إِنْ خَتَمَ» فقال رَجُلٌ من الْقَوْمِ : بِأَيِّ شَيْءٍ يَخْتِمُ ؟ قال : بِـ «آمين».

* * *

= سعيد بن عطية الليثي ، وصححه وأقره الذهبي ، ورواه أيضاً الحاكم من حديث سلمان رضي الله عنه ، وقال : صحيح الاسناد . وقال الألباني : حديث حسن . انظر «الأحاديث الصحيحة» له رقم (٥٩٣) .

(٢٨) رواه الترمذي رقم (٣٤٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي إسناده صالح بن بشير بن وادع المري ، وهو ضعيف ، ولكن للحديث شاهد بمعناه عند أحمد ٢ / ١٧٧ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما «القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض ، فإذا سألتم الله عز وجل يا أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة ، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل» وقد حسن إسناده الحافظ المنذري ، فالحديث بهذا الشاهد حسن . انظر «الأحاديث الصحيحة» رقم (٥٩٤) .

(٢٩) وهو حديث صحيح بمجموع طرقه، بعضه عند أحمد، وبعضه عند الترمذي، وبعضه عند غيره. انظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي ص ١٦١ - ١٧٤ و «المقاصد الحسنة» للسخاوي في حديث : «لن يغلب عسر يسرين» .

(٣٠) رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، وهو حديث ضعيف جداً ، كما قال الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٧١٠) .

(٣١) رواه أبو داود رقم (٩٣٨) وفي اسناده صبيح بن محرز المقرائي الحمصي لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، وقال أبو عمر بن عبد البر : ليس إسناده بالقائم . وقال الألباني : ضعيف .

الفصل الثالث
في أوقات قبول الدعاء

٣٢ ـ أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ ؟ قال : «جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، ودُبُرُ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ ».

٣٣ ـ «لَا يُرَدُّ الدُّعاءُ بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَةِ » .

٣٤ ـ «إنَّ في الجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فيها خَيْراً إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ » . « هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإمامُ إلى أَنْ تُقْضَى الصَّلاةُ » .

٣٥ ـ «التمسوا السَّاعَةَ الَّتِي تُرجَىٰ في يومِ الجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ إلى غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ ».

٣٦ ـ «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ » .

---

(٣٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٩٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه وفي اسناده انقطاع ولكن للحديث شواهد . انظر « جامع الأصول » ٤/ ١٤١ .

(٣٣) رواه الترمذي رقم (٢١٢) و (٣٥٨٨) و (٣٥٨٩) وأبو داود رقم (٥٢١) وفي اسناده ضعف . ورواه أحمد ٣/ ١٥٥ و ٢٢٥ من طريق أخرى عن أنس رضي الله عنه ، بلفظ « الدعوة لا ترد بين الاذان والإقامة فادعوا » وإسناده صحيح ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان و غيرهما . فالحديث صحيح ، كما قال الألباني في « الإرواء » رقم (٢٤٤) .

(٣٤) رواه البخاري ٢/ ٣٤٤ و ٣٤٥ ومسلم رقم (٨٥٢) والنسائي ٣/ ١١٥ ـ ١١٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال الإمام أحمد : أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها الإجابة أنها بعد صلاة العصر ، انظر « فتح الباري » ٢/ ٣٥١ .

(٣٥) رواه الترمذي رقم (٤٨٩) ، وفي اسناده محمد أبي حميد وهو ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه . وقد روي الحديث عن أنس من غير هذا الوجه . وله شواهد بمعناه يقوى بها . وقال الترمذي : ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم أن الساعة التي ترجى فيها بعد العصر إلى أن تغرب الشمس ، وبه يقول أحمد واسحاق . فالحديث حسن ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٤٨) .

(٣٦) رواه مسلم رقم (٤٨٢) وأبو داود رقم (٨٧٥) والنسائي ٢/ ٢٢٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٣٧ ـ وفي رواية عن ابن عباس : «وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا في الدُّعَاءِ ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ » .

٣٨ ـ «إذا دَخَلْتَ على مَرِيضٍ فَمُرْهُ يَدْعُو لَكَ ، فَإِنَّ دُعَاءَهُ كَدُعَاءِ الملائِكَةِ » .

٣٩ ـ «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الصَّائِمُ حِين يُفْطِرُ ، والإِمَامُ العَادِلُ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُوم يَرْفَعُهَا اللَّه فَوْقَ الغَمَامِ ، ويُفْتَحُ لها أبوابُ السَّماءِ ، ويقول الربُّ : وَعِزَّتي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» .

٤٠ ـ «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ الْوَالِدِ ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ » .

٤١ ـ « إِنَّ في اللَّيْلِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعالى خَيْرَاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَذٰلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ » .

---

(٣٧) رواه مسلم رقم (٤٧٩) وأحمد ١/ ٢١٩ و أبو داود رقم (٨٧٦) والنسائي ٢/ ١٨٩ والدارمي رقم (١٣٣١) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣٨) رواه ابن ماجة رقم (١٤٤١) وابن السني رقم (٥٥٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال في « الزوائد » إسناده صحيح ورجاله ثقات ، إلا أنه منقطع ، قال العلائي في « المراسيل » والمزي : في رواية ميمون بن مهران عن عمر ثلمة. ا. هـ . قال الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٥٨٦) : ضعيف جداً.

(٣٩) رواه الترمذي رقم (٣٥٩٢) وأحمد ٢/ ٣٠٥ و ٤٤٥ و ابن ماجه رقم (١٧٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد حسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ٤/ ٣٣٨ . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٥٩١) : ضعيف .

(٤٠) رواه أحمد في « المسند » ٢/ ٢٥٨ و٣٤٨ و ٤٣٤ و٤٧٨ و٥١٧ و٥٢٣ ، والترمذي (١٩٠٦) وأبو داود رقم (١٥٣٦) وابن ماجه رقم (٣٨٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسنه الترمذي وهو كما قال . ولبعض فقراته شواهد بالمعنى .

(٤١) رواه مسلم رقم (٧٥٧) في صلاة المسافرين : باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء ، من حديث جابر رضي الله عنه .

٤٢ ـ « ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ : الـدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يَلْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً » وفي رواية : « وَتَحْتَ الْمَطَرِ » .

٤٣ ـ « كُنَّا نُؤْمَرُ بِالدُّعاءِ عِنْدَ أَذَانِ الْمَغْرِبِ » .

* * *

---

(٤٢) رواه أبو داود رقم (٢٥٤٠) والدارمي رقم (١٢٠٣) وابن حبان رقم (٢٩٧) و (٢٩٨) « موارد » ، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

(٤٣) رواه البيهقي في « الدعوات الكبير » ، كما قال صاحب « المشكاة » رقم ٦٧٩ : من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

١ ـ باب
الدعاء عند القيام من النوم

٤٤ ـ « الحمدُ للَّهِ الذي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » .

٤٥ ـ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ واللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللَّهِ ، رَبِّ اغْفِرْ لِي » .

٤٦ ـ « لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي ، وَأَسْأَلُكَ

---

(٤٤) رواه البخاري ١١/ ٩٦ ، والترمذي رقم (٣٤١٣)، وأبو داود رقم (٥٠٤٩) وابن ماجة رقم (٣٨٨٠) وأحمد ٥/ ٣٨٥ و ٣٩٧ و ٣٩٩ و ٤٠٧ من حديث حذيفة رضي الله عنه ، ورواه البخاري ١١/ ١١١ من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، ورواه مسلم رقم (٢٧١١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٤٥) رواه البخاري ٣/ ٣٣ والترمذي رقم (٣٤١١) وأبو داود رقم (٥٠٦٠) ، وأحمد ٥/ ٣١٣ وابن ماجة رقم (٣٨٧٨) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، ولفظه : « من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . . » الحديث .

(٤٦) رواه أبو داود رقم (٥٠٦١) في الأدب: باب ما يقال عند النوم، من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي اسناده عبد الله بن الوليد بن قيس التجيبي البصري ، وهو لين الحديث ، كما قال الحافظ في « التقريب » ، وباقي رجاله ثقات .

رَحْمَتَكَ . اللَّهُمْ زِدْنِي عِلْماً وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ » .

٤٧ ـ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ [هَذَا اليَوْمِ فَتْحَهُ ، وَنَصْرَه ، وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ ، وَهُدَاهُ ، وَأَعُوْذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيْهِ ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ][(١)] .

٤٨ ـ « اللَّهُ أَكْبَرُ « عشراً » الحمدُ للَّهِ « عشراً » سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عشراً ، سُبْحَانَ المَلِكَ القُدُّوسِ عشراً ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عشراً ، لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ عشراً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا ، وَضِيقِ يَوْمِ القِيَامَةِ عشراً » .

« سُبْحَانَ رَبِّ العالَمينَ» . «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » .

٤٩ ـ اللَّهُمَّ لَكَ الحمدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّماواتِ والأرضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمدُ ، أنتَ نُورُ السماواتِ والأرضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَلَكَ الحمدُ ، أَنْتَ الحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ ، والنَّارُ حَقٌّ ، والنَّبِيُّون حَقٌّ ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنبتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنتُ ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْت

---

(٤٧) رواه أبو داود رقم (٥٠٨٤) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، وهو حديث حسن بشواهده .

(١) ما بين حاصرتين ساقط من الأصل وقد أورده المؤلف بتمامه رقم (٧٨) .

(٤٨) رواه أبو داود رقم (٧٦٦) وأحمد ٦/ ١٤٣ ، وابن ماجة رقم (١٣٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها واسناده صحيح بلفظ : «كان يكبر عشراً ويحمد عشراً ويسبح عشراً ويستغفر عشراً ، ويقول : اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني ، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة » .

(٤٩) رواه البخاري ٣/ ٢ ـ ٤ ، ومسلم رقم (٧٦٩) وأبو داود رقم (٣٤١٨) والترمذي رقم (٣٤١٨) والنسائي ٣/ ٢٠٩ ـ ٢١٠ وابن ماجه رقم (١٣٥٥) وأحمد ١/ ٢٩٨ و ٣٠٢ و ٣٠٨ و ٣٥٨ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ولفظه : « كان رسول الله ﷺ يقول اذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : اللهم لك الحمد . . . » الحديث .

الْمُقَدِّم ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، لا إلهَ إلَّا أنتَ ولا إلهَ غَيْرُكَ .

٥٠ ـ ﴿ إنَّ في خَلْقِ السماواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولي الألبابِ . . ﴾ إلى ختم السورة [آل عمران : ١٩٠ ـ ٢٢٠] .

٢ ـ باب
الدعاء عند افتتاح صلاة الليل

٥١ ـ « اللَّهُمَّ ربَّ جِبريلَ ومِيكائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السماواتِ والأرضِ ، عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فيما كانوا فيه يَخْتَلِفُونَ ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » .

٥٢ ـ « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » .

٥٣ ـ « اللَّهُ أكبرُ كبيراً » . « أَعُوذُ بِاللَّهِ السميعِ العليمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ » .

---

(٥٠) رواه البخاري ومسلم والموطأ وأبو داود والنسائي من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . ولفظه : « بت عند خالتي ميمونة ليلة ، فقام النبي ﷺ فتوضأ من شنٍّ معلق ، وضوءاً خفيفاً . . . . » الحديث . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » ٦/ ٨٠ ـ ٩١ .

(٥١) رواه مسلم (٧٧٠) وأبو داود رقم (٧٦٧) والترمذي رقم (٣٤١٩) والنسائي ٣/ ٢١٢ ـ ٢١٣ وابن ماجة رقم (١٣٥٧) وأحمد ٦/١٥٦ من حديث عائشة رضي الله عنها ، ولفظه : « كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل : اللهم رب جبريل . . . . » الحديث .

(٥٢) رواه أبو داود رقم (٧٧٦) والترمذي رقم (٢٤٣) وابن ماجة رقم (٨٠٦) من حديث عائشة رضي الله عنها . ورواه أيضاً أحمد ٣/ ٥٠ و ٦٩ والدارمي رقم (١٢٤٢) وأبو داود رقم (٧٧٥) والترمذي رقم (٢٤٢) والنسائي ٢/ ١٣٢ وابن ماجة رقم (٨٠٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه وهو حديث صحيح .

(٥٣) رواه أبو داود رقم (٧٧٥) والترمذي رقم (٢٤٢) من حديث أبي سعيد الخدري ، واسناده حسن .

٥٤ ـ « اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، اللَّهُ أَكْبَرُ ، ذُو المَلَكُوتِ والجَبَروتِ والكِبْرِياءِ وَالعَظَمَةِ » .

٣ ـ باب
القنوت في الوتر

٥٥ ـ «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وبَارِكْ لِي فيما أَعْطَيْتَ ، وقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضى عَلَيْكَ ، إِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، تُبارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ » .

بسم الله الرحمن الرحيم

٥٦ ـ « اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ الخَيْرَ نَشْكُرُكَ وَلاَ نَكْفُرُكَ ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ » .

«اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، وَنَخْشَى عَذَابَكَ الجِدَّ ، ونَرْجُو رَحْمَتَكَ ، إِنَّ عَذَابَكَ الجِدَّ بِالكُفَّارِ مُلْحِقٌ » .

٥٧ ـ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سُخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ

---

(٥٤) رواه أبو داود رقم (٨٧٣) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه واسناده صحيح .

(٥٥) رواه أحمد ١/ ٢٠٠ وأبو داود رقم (١٤٢٥) والترمذي رقم (٤٦٤) ، والنسائي ٣/ ٢٤٨ والدارمي رقم (١٥٩٩) ، من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن . وقال الترمذي : ولا نعرف عن النبي ﷺ في القنوت شيئاً أحسن من هذا . ورواه ابن أبي شيبة وابن عساكر بسند صحيح .

(٥٦) هو من دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٥٧) رواه أبو داود رقم (١٤٢٧) والترمذي رقم (٣٥٦١) والنسائي ٣/ ٢٤٨ و ٢٤٩ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وحسنه الترمذي ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . ولفظه : « أن رسول الله ﷺ كان يقول في آخر وتره : اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك . . . » الحديث . وسيرد من حديث عائشة رضي الله عنها برقم (١٢٦) .

بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » .

٥٨ ـ «سُبْحَانَ المَلِكَ القُدُّوسِ» ثلاثاً .

٤ ـ باب
إجابة المؤذن والدعاء بعد الأذان

٥٩ ـ « إذَا قَالَ المؤذِّنُ : اللَّهُ أكبرُ ، اللَّهُ أكبرُ ، فقال أحدُكم : اللَّهُ أكبرُ ، اللَّهُ أكبرُ ، ثم قال : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ قال : أشهدُ أَنْ لَا إِلَه إِلا اللَّهُ ، ثم قال : أشهدُ أَنَّ محمداً رسولُ اللَّه ، قال : أَشْهَدُ أَنَّ محمداً رسولَ اللَّهِ . ثم قال : حيَّ على الصلاةِ ، قال : لا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ . ثم قال : حَيَّ عَلى الفلاحِ ، قال : لَا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلَّا باللَّهِ . ثم قال : اللَّهُ أكبرُ ، اللَّه أكبرُ ، قال : اللَّهُ أكبرُ ، اللَّهُ أكبرُ . ثم قال : لا إِلَهَ إلا اللَّهُ ، قال : لا إِلَهَ إلا اللَّهُ » .

٦٠ ـ « أشهدُ أَنْ لا إِله إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، رَضِيتُ باللَّهِ رَبّاً وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً ، وَبالإِسْلَام دِيناً » .

٦١ ـ «اللَّهُمَّ ربَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ ، والصَّلاةِ القـائِمَةِ ، آتِ محمَّـداً الوسِيلَةَ

---

(٥٨) رواه أبو داود رقم (١٤٢٣) والنسائي ٣/ ٢٣٥ من حديث أُبي بن كعب رضي اللَّه عنه واسناده صحيح ، ولفظه : « كان رسول الله ﷺ اذا سلم من الوتر قال : « سبحان الملك القدوس » .

(٥٩) رواه مسلم رقم (٣٨٥) في الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، وأبو داود رقم (٥٢٧)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٦٠) رواه مسلم رقم (٣٨٦) وأبو داود رقم (٢٢٥) والترمذي رقم (٢١٠) ، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٦١) رواه البخاري ٢ / ٧٧ ـ ٧٨ وأبو داود رقم (٥٢٥) والترمذي (٢١١) والنسائي ٢ / ٢٧ وابن ماجه رقم (٧٢٠) وأحمد ٣/ ٣٥٤ ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما . ولفظه : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة . . . . حلت له شفاعتي يوم القيامة » .

والفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقاماً مَحْمُوداً الذي وَعَدْتَّهُ » .

٦٢ ـ « اللَّهُمَّ هذا إِقْبالُ لَيْلِكَ ، وَإِدْبارُ نَهارِكَ ، وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ فَاغْفِرْ لِي » .

٦٣ ـ « أَقَامَها اللَّهُ وَأَدَامَهَا » .

٥ ـ باب
الدعاء بعد ركعتي الفجر

٦٤ ـ «اللَّهُمَّ اجعلْ لِي في قلبي نُوراً، وفي بَصَري نُوراً، وفي سَمْعي نُوراً، وَعَنْ يميني نُوراً ، وعَنْ يَساري نُوراً ، وفَوْقي نُـوراً ، وتحتي نُوراً ، وَأَمَـامِي نُوراً ، وخَلْفِي نُوراً ، وَاجْعَلْ لي نُوراً ، وفي لِسَاني نُوراً ،وفي عَصَبِي نُوراً، وفي لَحْمِي نوراً ، وفي دَمِي نوراً ، وفي شَعْرِي نُوراً ، وفي بَشَرِي نُوراً ، وَاجْعَلْ في نَفْسي نُوراً ، وأَعْظِمْ لي نُوراً ، اللهمَّ أَعْطِني نُوراً» .

٦ ـ باب
الدعاء عند الخروج من البيت

٦٥ ـ « بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ على اللَّهِ ، اللهم إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَذِلَّ أَوْ نَضِلَّ أَوْ

---

(٦٢) رواه أبو داود رقم (٥٣٠) والترمذي رقم (٣٥٨٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، وفي إسناده أبو كثير مولى أم سلمة ، وهو مجهول ، وقال الترمذي : حديث غريب وحفصة بنت أبي كثير لا نعرفها ولا أباها . ولفظه قالت : « علمني رسول الله ﷺ أن أقول عند آذان المغرب . . . » الحديث .

(٦٣) رواه أبو داود رقم (٥٢٨) في الصلاة: باب ما يقول إذا سمع الإقامة، وابن السني رقم (١٠٤) وإسناده ضعيف ، كما قال الألباني في « الإرواء » رقم (٢٤١) .

(٦٤) قطعة من حديث رواه مسلم رقم (٧٦٣) في صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، ولفظه : « بت ليلة عند خالتي ميمونة . . . » الحديث وتقدم برقم (٥٠) .

(٦٥) الرواية الأولى رواها أحمد في « المسند » ٦/ ٣٠٦ و٣١٨ ، والترمذي رقم (٣٤٢٣) والنسائي ٨ / ٢٦٨ . =

نَظْلِمَ أو نُظْلَمَ أو نَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيْنا ».

« اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ ».

٦٦ - « بِسْمِ اللَّهِ ، تَوَكَّلْتُ على اللَّهِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلا باللَّهِ ».

٧ - باب
الدعاء عند دخول المسجد

٦٧ - « أَعُوذُ باللَّهِ العظيمِ وَبِوَجْهِهِ الكريمِ وسُلْطَانِهِ القَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ».

٦٨ - « بِسْمِ اللَّهِ ، وَالصَّلَاةُ والسَّلامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ».

٦٩ - « رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ».

= والرواية الثانية رواها أبو داود رقم (٥٠٩٤) وابن ماجه رقم (٣٨٨٤) . من حديث أم سلمة رضي الله عنها ، وهو حديث صحيح .

(٦٦) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٥) ، والترمذي رقم (٣٤٢٢) ، من حديث أنس رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح . وصححه ابن حبان رقم (٢٣٧٥) .

(٦٧) رواه أبو داود رقم (٤٦٦) من عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، واسناده صحيح ، وحسنه النووي وابن حجر .

(٦٨) رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » ، رقم (٨٨) من حديث أنس رضي الله عنه ، قال السخاوي : وفي اسناده من لا يعرف . . وله شاهد عند ابن السني يحسن به . فالحديث حسن بشواهده ، كما قال الألباني في « تخريج الكلم » رقم (٦٣) .

(٦٩) رواه ابن السني رقم (٨٩) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال الهيثمي في « المجمع » ٢ / ٣٢ : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه سالم بن عبد الأعلى وهو متروك .

٨ - باب
الدعاء والذكر بعد صلاة الصبح والمغرب

٧٠ - « لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

٧١ - « اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ (سبع مرات) » .

٧٢ - « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً ، وعَمَلاً مُتقَبَّلاً ، وَرِزْقاً طَيِّباً » .

٩ - باب
الدعاء والذكر عند الصبح والمساء

٧٣ - « بِسْمِ اللَّهِ الذي لا يَضُرُّ مع اسْمِهِ شَيْءٌ في الأَرْضِ ولا في السماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العليمُ (ثلاث مرات) » .

٧٤ - «اللَّهُمَّ عَافِني في بَدَني ، اللَّهمَّ عَافِني في سَمْعِي ، اللهمَّ عَافِني في

---

(٧٠) رواه الترمذي رقم (٣٤٧٠) من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر ، وأحمد في « المسند » ٤/ ٢٢٧ عن ابن غنم ولم يقل عن أبي ذر ، فهو اسناد ضعيف لتفرد شهر به ، انظر « الفتوحات الربانية » ٣/ ٦٦ - ٦٨ وإنما صح هذا الورد في الصباح والمساء مطلقاً غير مقيد الصلاة .

(٧١) رواه أبو داود رقم (٥٠٧٩) و (٥٠٨٠) من حديث الحارث بن مسلم بن الحارث رحمه الله ، وابن حبان في « صحيحه » رقم (٢٣٤٦) « موارد » ، وقد حسنه الحافظ ابن حجر في « تخريج الأذكار » ٣/ ٦٨ .

(٧٢) رواه أحمد في « المسند » ٦/ ٢٩٤ ، وابن ماجه رقم (٩٢٥) . قال في « الزوائد » : رجال إسناده ثقات خلا مولى أم سلمة ، فإنه لم يسمع ولم أر أحداً ممن صنف في المبهمات ذكره ، ولا أدري ما حاله . اهـ. وله شاهد عند الطبراني في « الصغير » فالحديث به حسن ، وقد حسنه الحافظ ابن حجر في « تخريج الاذكار » ٣/ ٧٠ .

(٧٣) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٥) و (٥٠٨٨) و (٥٠٨٩) وابن ماجة رقم (٣٨٦٩) وأحمد ١/ ٦٢ و ٦٦ و ٧٢ ، وابن حبان رقم (٢٣٥٢) من حديث عثمان رضي الله عنه ، واسناده صحيح ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح .

(٧٤) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٠) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه ، وهو حديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٣٠٨) .

بَصَرِي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ (ثلاث مرات) » .

٧٥ ـ « رَضيتُ باللَّهِ رَبّاً ، وبالإِسْلَامِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً (ثلاث مرات)» .

٧٦ ـ « أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةِ الإِخْلَاصِ ، وعَلَى دِينِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينا إِبراهيمَ حَنِيفاً ، وَمَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ .

٧٧ ـ « أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ المُلْكُ لِلَّهِ ، والحمدُ للَّهِ ، والكِبْرياءُ والعَظَمَةُ للَّهِ ، والخَلْقُ والأَمْرُ ، والليلُ والنهارُ ، وما سَكَنَ فيهما للَّهِ » .

اللَّـهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَ هذا النَّهارِ صَلَاحاً ، وَأَوْسَطَهُ نَجاحاً ، وَآخِرَهُ فلاحاً ، يَا أرحمَ الراحمين ، أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الملكُ للَّهِ ربِّ العالمين » .

٧٨ ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذا اليومِ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وهُدَاه ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما فيه ، وشرِّ مَا بَعْدَهُ (في الصباح) .

٧٩ ـ أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الملكُ للَّهِ ربِّ العالمين .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هذِهِ الليلةِ ، فَتْحَها ونَصْرَها ونُورَها وبَرَكَتَها وَهُدَاهَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شرِّ ما فيها وشرِّ ما بعدَها (في المساء) .

---

(٧٥) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٦) في الدعوات : باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ، من حديث ثوبان رضي الله عنه ، وهو حديث حسن ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ٣/ ١٠٢ .

(٧٦) رواه أحمد ٣/ ٤٠٦ ، والدارمي رقم (٢٦٩١) وابن السني رقم (٣٤) من حديث عبد الرحمن بن أبزى ، وهو حديث صحيح .

(٧٧) رواه ابن السني رقم (٣٨) من حديث ابن أبي أوفى ، قال الهيثمي في « المجمع » ١١٥/١٠ : ورواه الطبراني وفيه فائد أبو الورقاء وهو متروك ، وقال الألباني في « تخريج المشكاة » رقم (٢٤١٤) : ضعيف جداً .

(٧٨) تقدم تخريجه برقم (٤٧) .

(٧٩) رواه مسلم رقم (٢٧٢٣) وأبو داود رقم (٥٠٧١) والترمذي رقم (٣٣٨٧) ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه دون جملة: «فتحها ونصرها وبركتها وهداها » . وانظر الحديث المتقدم برقم (٤٧) .

٨٠ ـ اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ ، فَلَكَ الحمدُ وَلَكَ الشُّكْرُ (في الصباح) .

اللَّهُمَّ مَا أَمْسَى بي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ ، فَلَكَ الحمدُ وَلَكَ الشُّكْرَ (في المساء) .

٨١ ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلائِكَتِكَ وجميع خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنتَ اللَّهُ ؛ لا إِله إلا أنتَ وَحْدَكَ لا شريكَ لَكَ ، وأَنَّ محمداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ (في الصباح) .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَمْسَيْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَة عَرْشِكَ وَمَلائِكَتِكَ وجميع خَلْقِكَ أَنَّكَ أنتَ اللَّه ، لا إِله إلا أنتَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ ، وأَنَّ محمَداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ (في المساء) .

٨٢ ـ أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ .

٨٣ ـ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ ربُّ العَرْشِ العظيمِ (سبع مرات).

---

(٨٠) رواه أبو داود رقم (٥٠٧٣) وابن حبان (٢٣٦١) من حديث عبد الله بن غنام ، وهو حديث حسن ، حسنه الحافظ كما في « شرح الاذكار » ٣/ ١٠٧ . وانظر « جامع الأصول » ٤/ ٢٥٢ ولفظه : « من قال حين يصبح : اللهم . . . ، فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته » .

(٨١) رواه الترمذي رقم (٣٤٩٥) وأبو داود رقم (٥٠٦٩) من حديث أنس رضي الله عنه ، وهو حديث حسن بشواهده . انظر « شرح الاذكار » ٣/ ١٠٥ و ١٠٦ .

ولفظه : « من قال حين يصبح أو يمسي : اللهم . . . ، أعتق الله ربعه من النار ، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه ، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه ، فإن قالها أربعاً أعتقه الله من النار » .

(٨٢) رواه أحمد في « المسند » ٣/ ٤١٩ ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » رقم (٦٣٧) من حديث عبد الرحمن بن خنيش رضي الله عنه ، وإسناده صحيح .

(٨٣) رواه أبو داود رقم (٥٠٨١) موقوفاً على أبي الدرداء ، ومثل هذا لا يقال بالرأي ، فسبيله سبيل المرفوع ، ولفظه : « من قال في كل يوم حين يصبح وحين يمسي : حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، سبع مرات ، كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة » .

٨٤ - اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِي لا إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ .

٨٥ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العافيةَ في الدُّنيا والآخرةِ .

اللَّهُمَّ إني أَسْأَلُكَ العَفْوَ والعافِيَةَ في دِيني ودُنْيَاي وأهلي ومالي .

اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْراتي ، وَآمِنْ رَوْعَاتِي .

اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي ، وعَنْ يَميني وعَنْ شِمالي ومِنْ فَوْقي ، وأَعُوذُ بِعظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تحتي .

٨٦ - لا إِلٰه إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الملكُ ، ولهُ الحمدُ ، وَهُوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

٨٧ - ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وحِينَ تُصْبِحُونَ . وَلَهُ الحمدُ في السَّمٰوَاتِ والأرضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرونَ . يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ الميِّتِ ويُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الحيِّ

---

(٨٤) رواه البخاري ١١/ ٨٣ والترمذي رقم (٣٣٩٣) وأحمد ٤/ ١٢٢ والنسائي ٨/ ٢٧٩ - ٢٨٠ من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه ، ولفظه « سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي . . . ، من قالها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة ، ومن قالها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة » .

(٨٥) رواه أبو داود رقم (٥٠٧٤) والنسائي ٨/ ٢٨٢ وأحمد ٢/ ٢٥ وابن ماجة رقم (٣٨٧١) وابن حبان رقم (٢٣٥٦) والحاكم ١/ ٥١٧ وصححه ووافقه الذهبي ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . وقال الحافظ في « تخريج الاذكار » ٣/ ١٠٨ : حديث حسن . ولفظه : « لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح : « اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة . . . . » الحديث .

(٨٦) رواه مسلم رقم (٢٧٢٣) من حديث عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه، وقد تقدم برقم (٧٩) .

(٨٧) روى أبو داود رقم (٥٠٧٦) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح : ﴿ فسبحان الله حين تمسون . . . . ﴾ [الروم : ١٧ - ١٩] أدرك ما فاته في يومه ذلك ، ومن قالهن حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته » . وإسناده ضعيف . انظر « جامع الأصول » ٤/ ٢٤٧ .

ويُحْيِي الأرضَ بَعْدَ مَوْتِها وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ .

٨٨ ـ اللَّهُمَّ عالم الغيب والشهادةِ، فَاطِرَ السماوات والأرضِ، ربَّ كلِّ شيءٍ وَمَلِيكَهُ أشهدُ أنْ لَا إله إلا أنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ .

٨٩ ـ اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِـكَ نَحْيَا ، وَبِـكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْـكَ المَصِيرُ (في الصباح) .

اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا ، وَبِكَ أَصْبَحْنَا ، وَبِـكَ نَحْيَا ، وَبِـكَ نَمُوتُ ، وَإِلَيْـكَ النُّشُورُ (في المساء) .

٩٠ ـ أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الملكَ لِلّهِ ، والحمدُ لِلّهِ ، لا إلَهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ ، لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الملكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قديرٌ ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ ما في هذه الليلةِ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما في هذه الليلةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أعوذُ بِكَ من الكَسَلِ ، وَمِنْ سُوءِ الكِبْرِ والكُفْرِ ، رَبِّ أعوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وعذَابٍ في القبر (في المساء) .

أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الملكُ للّهِ ، والحمدُ لِلّهِ ، لَا إلَهَ إلا اللّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الملكُ ، وَلَهُ الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ ، ربِّ أسألكَ خَيْرَ ما في

---

(٨٨) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٩) ، وأبو داود رقم (٥٠٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه ابن حبان رقم (٢٣٤٩) و الحاكم ١ / ٥١٣ووافقه الذهبي. وقال ابن حجر : هو حديث صحيح أخرجه أحمد والبخاري في « الأدب المفرد » من طريقين .

(٨٩) رواه أبو داود رقم (٥٠٦٨) ، والترمذي رقم (٣٣٨٨) وابن ماجة رقم (٣٨٦٨) وابن حبان رقم (٢٣٥٤) والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (١١٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو كما قال . وقال الحافظ : هذا حديث صحيح غريب .

(٩٠) رواه مسلم رقم (٢٧٢٣) وأبو داود رقم (٥٠٧١) والترمذي رقم (٣٣٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . تقدم تخريجه برقم (٧٩) .

هذا اليومِ وخيرَ مَا بَعْدَهُ ، وَأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا في هذا اليومِ وشرِّ مَا بَعْدَهُ ، رَبِّ أعوذُ بِكَ من الكَسَلِ وَسُوءِ الكِبْرِ وَالكُفْرِ ، رَبِّ أعوذُ بِكَ من عَذَابٍ في النار ، وعذابٍ في القبر (في الصباح) .

٩١ - ﴿ حٰم . تَنْزِيلُ الكتاب من اللّهِ العزيزِ العليمِ . غافِرِ الذَّنْبِ وقابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدُ العِقَابِ ، ذي الطَّوْلِ لا إلٰهَ إلا هو إليهِ المَصِيرُ ﴾ [سورة المؤمن : ١ - ٣] .

٩٢ - ﴿ اللّهُ لا إله إلا هُوَ الحيُّ القيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ ما في السماواتِ وما في الأرض مَنْ ذا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بإذنه يعلم ما بينَ أيديهم وما خَلْفَهُمْ ولا يُحيطونَ بشيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلا بما شاء وَسِعَ كُرْسِيُّهِ السماواتِ والأرضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٩٣ - أَعُوذُ بِاللّهِ السميعِ العليمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (ثلاث مرات) ﴿ هُوَ اللّهُ الذي لا إله إلا هو ، عالمُ الغيبِ والشهادَةِ ، هو الرحمنُ الرَّحيم . هُوَ اللّهُ الذي لا إلٰهَ إلا هُوَ الملكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المؤمنُ المهيمنُ العزيزُ الجَبَّارُ المتكبِّرُ سُبْحَانَ

---

(٩١) قال الحافظ ابن كثير عند تفسيره أول سورة المؤمن : وقد ورد في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي من حديث الثوري عن أبي اسحاق عن المهلب بن أبي صفرة : قال : حدثني من سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن بيتم الليلة فقولوا : ﴿ حم . . . . لا ينصرون ﴾ وهذا اسناد صحيح .

(٩٢) رواه البخاري تعليقاً ٤/٣٩٦ - ٣٩٨ في الوكالة : باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز ، و٦/٢٤٠ و٩/٥٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « الفتح » ٤/٣٨٩ و « شرح الأذكار » ٣/١٤٦ - ١٤٨ .

(٩٣) رواه الترمذي رقم (٢٩٢٣) والدارمي رقم (٣٤٢٨) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه ، وفي اسناده خالد بن طهمان ، وهو صدوق اختلط قبل موته بعشر سنين ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب . ولفظه : « من قال حين يصبح ثلاث مرات : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر من ﴿سورة الحشر﴾ ، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ، وإن مات في يومه مات شهيداً ، ومن قرأها حين يمسي فكذلك » .

اللّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ . هُوَ اللّهُ الخالقُ الباريءُ المُصوِّرُ ، لَهُ الأسماءُ الحسنى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السماواتِ والأرضِ وهو العزيزُ الحكيم﴾ [الحشر : ٢٢ - ٢٤] .

٩٤ - بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَم يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ « ثلاث مرات » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إذا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إذا حَسَدَ ﴾ [سورة الفلق] « ثلاث مرات » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناس * مَلِكِ النَّاسِ * إِلهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ * الذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ ﴾ [سورة الناس] « ثلاث مرات » .

---

(٩٤) رواه أبو داود رقم (٥٠٨٢) في الأدب : باب ما يقول إذا أصبح ، والترمذي رقم (٣٥٧٠) في الدعوات : باب رقم ١٢٧ ، والنسائي ٨/ ٢٥٠ في الاستعاذة في فاتحته ، وإسناده صحيح ، ولفظه : عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : « قل » ، قلت : يا رسول الله ! ما أقول ؟ ، قال : « قل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ والمعوذتين ، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » .

٩٥ - اللهمَّ بِكَ أُحاوِلُ ، وَبِكَ أُصاوِلُ ، وَبِكَ أُقَاتِلُ .

٩٦ - ﴿ يس * والقرآنِ الحكيم * إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ ﴾ [يس : ١ - ٣] إلى آخر السورة .

١٠ - باب
الدعاء عند الخروج من المسجد

٩٧ - اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ مِنْ فَضْلِكَ .

٩٨ - « بِسْمِ اللّهِ والصَّلاَةُ والسَّلاَمُ عَلَى رسولِ اللّهِ » .

٩٩ - « ربِّ اغْفِرْ لي ذُنُوبي ، وَافْتَحْ لي أبوابَ فَضْلِكَ » .

---

(٩٥) رواه أبو داود رقم (٢٦٣٢) والترمذي رقم (٣٥٧٨) وأحمد ٣/ ١٨٤ من حديث أنس رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، ولفظه : « كان رسول الله ﷺ إذا غزا قال : اللهم أنت عضدي ونصيري ، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل ». ورواه أحمد ٤/ ٣٣٢ والدارمي رقم (٢٤٤٦) وابن السني رقم (١١٧) من حديث صهيب رضي الله عنه ، ورجاله ثقات .

(٩٦) رواه ابن السني رقم (٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وعزاه المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢/ ٤٤٦ لابن السني وابن حبان في « صحيحه » من حديث جندب ، وعزاه صاحب « المشكاة » رقم (٢١٧٨) للبيهقي في « شعب الإيمان » من حديث معقل بن يسار ، ورواه الطبراني في الدعاء ، والدارمي رقم (٣٤٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وللحديث طرق ينهض بها .

(٩٧) رواه مسلم رقم (٧١٣) وأبو داود رقم (٤٦٠) والنسائي ٢/ ٥٣ ، من حديث أبي أسيد ، وأبي قتادة رضي الله عنهما .

(٩٨) رواه ابن السني رقم (٨٨) بلفظ : « بسم الله اللهم صل على محمد » تقدم تخريجه برقم (٦٨) .

(٩٩) رواه ابن السني رقم (٨٩) بلفظ « إذا دخل المسجد قال : اللهم اغفر لي ، وإذا خرج اللهم افتح لي أبواب فضلك » . تقدم تخريجه برقم (٦٩) .

١١ - باب
الدعاء عند دخول البيت

١٠٠ - اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خيرَ المَوْلَجِ وَخَيْرَ المَخْرَجِ ، بِسْمِ اللَّهِ ولجْنَا ، وعلى اللّه رَبِّنا تَوكَّلْنَا » .

١٢ - باب
الدعاء عند الأكل والشُّرب

١٠١ - بِسْمِ اللّهِ ، وعلى بَرَكَةِ اللّهِ .
الحمدُ للّهِ الذي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَفْضَلَ .

١٠٢ - بِسْمِ اللّهِ أَوَّلَهُ وآخِرَهُ .

١٠٣ - الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبارَكاً فيه ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ ولا مُوَدَّعٍ ولا مُسْتَغْنىً عَنْهُ ، رَبَّنَا .

١٠٤ - الحمدُ للّه الذي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ .

---

(١٠٠) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٦) في الأدب : باب ما يقول إذا خرج من بيته ، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، واسناده صحيح .

(١٠١) لم أجده .

(١٠٢) رواه الترمذي رقم (١٨٥٩) وأبو داود رقم (٣٧٦٧) وابن حبان رقم (١٣٤٠) ، من حديث عائشة رضي الله عنها وهو حديث صحيح . انظر « شرح الأذكار » ٥/ ١٨٢ و١٨٣ .

(١٠٣) رواه البخاري ٩/ ٥٠١ وأبو داود رقم (٣٨٤٩) والترمذي رقم (٣٤٥٢) وابن ماجة رقم (٣٢٨٤) وأحمد ٥/ ٢٥٣ و٢٥٦ و٢٦١ و٢٦٧ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه .

(١٠٤) رواه أبو داود رقم (٣٨٥٠) والترمذي رقم (٣٤٥٣) وابن ماجة رقم (٣٢٨٣) وأحمد ٣/ ٣٢ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. قال الحافظ في « تخريج الأذكار » ٥/ ٢٢٩ : هذا حديث حسن ، وذكره في « الفتح » وسكت عنه .

١٠٥ - الحَمْدُ للّه الذي أَطْعَمَ وَسَقى وَسَوَّغَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجاً .

١٠٦ - اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا فِيهِ وَأَطْعِمْنَا خَيْرَاً مِنْهُ .

١٠٧ - اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيما رَزَقْتَهُمْ وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ .

١٣ - باب
الدعاء عند دخول الخلاء والخروج منه

١٠٨ - اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ والخَبَائِثِ .

١٠٩ - بسم اللَّه، أَعُوذُ باللَّهِ مِنَ الخُبُثِ والخَبَائِثِ. (عند الدخول) .

١١٠ - غُفْرَانَكَ .

١١١ - الحمدُ للهِ الذي أَذْهَبَ عَنِّي الأذى وَعَافَانِي (بعد الخروج) .

---

(١٠٥) رواه أبو داود رقم (٣٨٥١) في الأطعمة : باب ما يقول الرجل إذا طعم ، من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، واسناده صحيح .

(١٠٦) رواه أبو داود رقم (٣٧٣٠) والترمذي رقم (٣٤٥١) وابن السني رقم (٤٧٤) ، من حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما . وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف ، ومع ذلك فقد حسنه الترمذي والألباني في « صحيح الجامع » رقم (٣٧٤) ، ورقم (٥٩٢١) .

(١٠٧) رواه مسلم رقم (٢٠٤٢) في الأشربة : باب استحباب وضع النوى خارج التمر ، من حديث عبد الله ابن بسر رضي الله عنه .

(١٠٨) رواه البخاري ١/ ٢١٢ في الوضوء : باب ما يقول عند الخلاء ، ومسلم رقم (٣٧٥) في الحيض : باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء، من حديث أنس رضي الله عنه . انظر « ارواء الغليل » رقم (٥١).

(١٠٩) وهو حديث حسن .

(١١٠) البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٦٩٣) وأحمد ٦/ ١٥٥ وأبو داود (٣٠) والترمذي رقم (٧) وابن ماجه (٣٠٠) وابن السني رقم (٢٣) والدارمي رقم (٦٨٦) والحاكم ١/ ١٥٨ من حديث عائشة رضي الله عنه . قال الألباني في « ارواء الغليل » رقم (٥٢) ، صحيح .

(١١١) ابن ماجه رقم (٣٠١) من حديث أنس رضي الله عنه ، واسناده ضعيف . ورواه ابن السني رقم (٢٢) من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، واسناده ضعيف . قال الحافظ ابن حجر كما في « الفتوحات الربانية » ١/ ٤٠٥ : حديث أبي ذر حسن . وانظر « الإرواء » رقم (٥٣) .

١٤ ـ باب
الدعاء قبل الوضوء وبعده

١١٢ ـ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أشهدُ أنْ لا إله إلا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . اللّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ المتَطَهِّرِينَ (بعد الوضوءِ) .

١٥ ـ باب
الدعاء بعد التكبيرة الاولى

١١٣ ـ اللّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللّهُمَّ نَقِّي مِنَ الخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأبيضُ مِنَ الدَّنسِ ، اللّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ .

١١٤ ـ وجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَر السَّماواتِ والأرضَ حنيفاً وَمَا أَنَا مِن المشركين، إنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ ومَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أوَّلُ المسلمينَ .

اللّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لا إلهَ إلا أَنْتَ ، أنتَ ربي وَأَنَا عَبْدُكَ ، ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لي ذُنُوبِي جميعاً إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ، وَاهْدِنِي

---

(١١٢) رواه مسلم رقم (٢٣٤) في الطهارة : باب الذكر المستحب عقب الوضوء من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(١١٣) رواه البخاري ٢/ ١٩٠ ـ ١٩١ في الصلاة : باب الدعاء بعد التكبير ، ومسلم رقم (٥٩٨) في المساجد : باب ما يقال بين تكبيرة الاحرام والقراءة . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١١٤) رواه مسلم رقم (٧٧١) وأبو داود رقم (٧٦٠) والترمذي رقم (٣٤٢٠) والنسائي ٢/ ١٣٠ وابن حبان رقم (٤٢٥) واحمد ١/ ٩٥ و١٠٢ و١١٩ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

لِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إلا أَنْتَ ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَها ، لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَها إلا أنتَ ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ والخيرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، والشَّرُّ ليس إلَيْكَ ، أنَا بكَ وَإلَيْكَ ، تَبارَكْتَ وَتعالَيْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إلَيْكَ .

١١٥ ـ اللَّهُ أكبرُ كبيراً (ثلاثاً) والحمدُ للَّه كثيراً (ثلاثاً) . وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأصيلاً (ثلاثاً) أعُوذُ بِاللَّهِ من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ نَفْخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ .

١٦ ـ باب

الدعاء في الركوع وبعده وفي السجود وبين السجدتين

١١٦ ـ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي .

١١٧ ـ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، رَبُّ المَلَائِكَةِ والرُّوحِ .

١١٨ ـ سَمِعَ اللَّهُ لمن حَمِدُه . اللَّهُمَّ رَبَّنا لَكَ الحمدُ مِلْءَ السماواتِ ومِلْءَ الأرضِ ومِلْءَ ما شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ .

---

(١١٥) رواه أبو داود رقم (٧٦٤) في الصلاة ابن ماجه رقم (٨٠٧) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ، في إسناده عاصم بن عمير العنزي لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، ولكن للحديث شواهد بمعناه يرتقي بها إلى درجة الصحة . انظر « جامع الأصول » ٤/ ١٨٦ .

(١١٦) رواه البخاري ٢/ ٢٤٧ في صفة الصلاة : باب التسبيح والدعاء في السجود ، ومسلم رقم (٤٨٤) وأبو داود رقم (٨٧٧) والنسائي ٢/ ٢١٩ ، وأحمد ٦/ ٤٣ و١٩٠ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١١٧) رواه مسلم رقم (٤٨٧) وأبو داود رقم (٨٧٢) والنسائي ٢/ ٢٢٤ ، وأحمد ٦/ ٣٥ و٩٤ و١١٥ و١٤٨ و١٤٩ و١٧٦ و١٩٣ ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١١٨) قطعة من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، رواه مسلم رقم (٧٧١) . وتقدم جزء منه برقم (١١٤) .

١١٩ ـ اللَّهُمَّ رَبَّنا لَكَ الحمدُ مِلْءَ السماواتِ ومِلْءَ الأرضِ وَمِلْءَ ما شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ ، أَهْلِ الثَّناءِ والمجدِ أحَقُّ ما قال العبدُ ، وكُلُّنا لَكَ عَبْدٌ .

١٢٠ ـ اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لما أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ، ولاَ يَنْفَعُ ذا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ .

١٢١ ـ رَبَّنَا لك الحمدُ حمداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه .

١٢٢ ـ سُبْحَان رَبِّي العظيم « ثلاثاً » سُبْحَانَ رَبِّيَ الأعلى « ثلاثاً » .

١٢٣ ـ سُبْحَانَ ذِي الجَبَرُوتِ والمَلَكُوتِ والكِبْرِيَاءِ والعَظَمَةِ .

١٢٤ ـ اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي .

اللَّهُمَّ ربَّنا لَكَ الحمدُ مِلْءَ السماواتِ وَمِلْءَ الأرضِ وَمَا بينهما ، وَمِلْءَ مَا

---

(١١٩) رواه مسلم رقم (٤٧٧) ، وأبو داود رقم (٨٤٧) والنسائي ٢/ ١٩٨ ـ ١٩٩ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(١٢٠) رواه البخاري ٢/ ٢٧٥ ومسلم رقم (٥٩٣) وأبو داود رقم (١٥٠٥) والنسائي ٣/ ٧٠ وأحمد ٤/ ٢٤٥ و٢٤٧ و٢٥٠ و٢٥٤ ، من حديث المغيرة من شعبة ، ولفظه : أن رسول الله ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت . . . . » الحديث .

(١٢١) رواه مسلم رقم (٦٠١) والترمذي رقم (٣٥٨٦) والنسائي ٢/ ١٢٥ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(١٢٢) رواه الترمذي رقم (٢٦٢) وأبو داود رقم (٨٧١) والنسائي ٣/ ٢٢٦ ، وابن ماجة رقم (٨٨٨) وأحمد ٥/ ٣٨٢ و٣٨٤ و٣٨٩ و٣٩٤ و٣٩٧ و٣٩٨ و٤٠٠ والدارمي رقم (٣١٢) ، من حديث حذيفة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح بشواهده .

(١٢٣) رواه ابو داود رقم (٨٧٣) وأحمد ٦/ ٢٤ والنسائي ٢/ ١٩١ ، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه ، واسناده صحيح . وتقدم برقم (٥٤) .

(١٢٤) رواه مسلم رقم (٧٧١) والترمذي رقم (٣٤١٧) و(٣٤١٩) وأبو داود رقم (٧٦٠) والنسائي ٢/ ١٣٠ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وتقدم (١١٤) .

شئتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ .

اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ ، وَبِـكَ آمَنْتُ ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذي خَلَقَهُ ، وَصَوَّرَهُ ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ .

١٢٥ - اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبِي كُلَّهُ : دِقَّهُ ، وَجِلَّهُ ، وَأَوَّلَـهُ ، وَآخِرَهُ ، وَعَلانِيَتَهُ ، وَسِرَّهُ .

١٢٦ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لاَ أُحصي ثَنَاءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ .

١٢٧ - اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَعَافِنِي وارْزُقْنِي ، ربِّ اغْفِرْ لي .

١٧ - باب
التشهد والصلاة على النبي ﷺ والدعاء

١٢٨ - التَّحِيَّاتُ للّهِ ، والصَّلواتُ والطَّيِّبَاتُ ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلام عَلَيْنَا وعلى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالحينَ ، أَشهدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلا اللَّهُ ، وأَشْهَدُ أَنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

---

(١٢٥) رواه مسلم رقم (٤٨٣) وأبو داود رقم (٨٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٢٦) رواه مسلم رقم (٤٨٦) وأبو داود رقم (٨٧٩) والترمذي رقم (٣٤٩١) والنسائي ٢ / ٢٢٢ وابن ماجة رقم (٣٨٤١) وأحمد ٦/ ٥٨ من حديث عائشة رضي الله عنها . تقدم برقم (٥٧) من حديث علي رضي الله عنه .

(١٢٧) رواه ابو داود رقم (٨٥٠) والترمذي رقم (٢٨٤) وابن ماجة رقم (٨٩٨) ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن ، ورواه الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي .

(١٢٨) رواه البخاري ٢/٢٥٧ في الأذان : باب التشهد في الآخرة ، وفي كتب أخرى ، ومسلم رقم (٤٠٢) في الصلاة : باب التشهد في الصلاة ، وأبو داود رقم (٩٦٨ - ٩٦٩) في الصلاة : باب التشهد ، والترمذي رقم (٢٨٩) فيه: باب ما جاء في التشهد ، والنسائي ٢/٢٣٧ في الافتتاح : باب كيف التشهد ، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . انظر روايات الحديث في « جامع الأصول » رقم (٣٥٤٥) .

١٢٩ - اللَّهُمَّ صَلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ ، كما صَلَّيْتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيم إنَّكَ حميدٌ مَجيدٌ ، اللهمَّ بَارِكْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ ، كما بَارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّك حَمِيدٌ مَجيدٌ .

١٣٠ - اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذابِ القَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المسيحِ الدَّجَّال ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المحيا وَفِتْنَةِ المماتِ .

١٣١ - اللَّهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المأْثمِ والْمَغْرَمِ .

١٣٢ - اللَّهمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفسي ظُلْماً كَثيراً ، ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْني إنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ .

١٣٣ - اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وأَنْتَ المُؤَخِّرُ ، لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ .

١٣٤ - اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُك الثَّبَاتَ في الأَمْرِ ، والعَزِيمَةَ على الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَحُسْنَ عِبادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ قَلْباً سَلِيماً ، وَلِسَاناً صَادِقاً ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ

---

(١٢٩) رواه البخاري ١١/ ١٢٨ - ١٣٨ في الدعوات: باب الصلاة على النبي ﷺ ، ومسلم رقم (٤٠٦) ، من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه .

(١٣٠) رواه مسلم رقم (٥٨٨) ، وأبو داود رقم (٩٨٣) ، والنسائي ٣/ ٥٨ ، وابن ماجة رقم (٩٠٩) ، وأحمد ٢/ ٢٣٧ و٢٨٨ و٢٩٨ و٤١٦ و٤٢٣ و٤٥٤ و٤٦٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١٣١) رواه البخاري ٢/ ٢٦٣ في صفة الصلاة : باب الدعاء قبل السلام ، ومسلم رقم (٥٨٩) ، وأبو داود رقم (٨٨٠) والترمذي رقم (٣٤٩٥) والنسائي ٣/ ٥٦ - ٥٧ ، وابن ماجة رقم (٣٨٣٨) وأحمد في « المسند » ٦/ ٨٩ و٢٠٧ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١٣٢) رواه البخاري ٢/ ٢٦٥ ومسلم رقم (٢٧٠٥) والترمذي رقم (٣٥٢١) والنسائي ٣/ ٥٣ ، وأحمد ١/ ٤ و٧ ، وابن ماجة رقم (٣٨٣٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(١٣٣) رواه مسلم رقم (٧٧١) من حديث علي رضي الله عنه ، وتقدم تخريجه برقم (١١٤) .

(١٣٤) رواه أحمد ٤/ ١٢٥ ، والنسائي ٣/ ٥٤ ، والترمذي رقم (٣٤٠٤) ، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف .

مَا تَعْلَمُ ، وَأَعُوذ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لما تَعْلَمُ .

١٣٥ ـ يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قلبي على دِينِكَ .

١٨ ـ باب
الدعاء والذكر بعد الصلاة

١٣٦ ـ اللَّهُ أكبرُ ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ (ثلاثاً) الَّلهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ ، تَبارَكْتَ يا ذا الجلال والإكرامِ ، ربِّ أَعِنِّي على ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبادَتِكَ .

١٣٧ ـ لا إِلهَ إلا اللّهُ ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . الَّلهُمَّ لاَ مَانِعَ لما أَعْطَيْتَ ، ولا مُعْطِيَ لما مَنَعْتَ ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ .

١٣٨ ـ لا إِلهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، وَهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ . لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلا باللّهِ . لا إِلهَ إلا اللّهُ ، وَلاَ نَعْبُدُ إلا إِيَّاهُ ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ

---

(١٣٥) رواه الترمذي رقم (٢١٤١) من حديث أنس رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال . قال : وفي الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة وعائشة . وأبي ذر . ولفظه : « كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقلت : يا رسول الله ! قد آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال : نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبها كيف يشاء » .

(١٣٦) رواه مسلم رقم (٥٩١) وأبو داود رقم (١٥١٣) والترمذي رقم (٣٠٠) والنسائي ٣/ ٦٨ ، وابن ماجة رقم (٩٢٨) وأحمد ٥/ ٢٧٥ و٢٧٩ والدارمي رقم (١٣٥٥) من حديث ثوبان رضي الله عنه ، ورواه أيضاً مسلم (٥٩٢) وأبو داود (١٥١٢) والترمذي (٢٩٨) والنسائي ٣/ ٦٩ ، وابن ماجة (٩٢٤) والدارمي (١٣٥٤) وأحمد ٦/ ٩٢ و١٨٤ و٢٣٥ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١٣٧) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وتقدم برقم (١٢٠) .

(١٣٨) رواه مسلم رقم (٥٩٤) وأبو داود رقم (١٥٠٦) والنسائي ٣/ ٧٠ وأحمد ٤/ ٤ و٥ من حديث عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما .

الفَضْلُ ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ . لا إِلهَ إلا اللّهُ مخلصينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ .

١٣٩ ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ .

١٤٠ ـ سُبْحَانَ اللّهِ (ثلاث وثلاثون) والحمدُ للّهِ (ثلاث وثلاثون) واللّهُ أكبرُ (أربع وثلاثون)

١٤١ ـ ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ ما في السماواتِ وما في الأرضِ مَنْ ذا الَّذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلَّا بما شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّه السماواتِ والأرضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ العَلِيُّ العظيمُ﴾ .

١٤٢ ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ (إلى آخرها) ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (إلى آخرها) .

١٩ ـ باب

الدعاء عند عيادة المريض

١٤٣ ـ أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافي ، لَا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ ،

---

(١٣٩) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، تقدم برقم (١٣٠) .

(١٤٠) رواه مسلم رقم (٥٩٧) في المساجد : باب استحباب الذكر بعد الصلاة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه : « من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين . . . » الحديث .

(١٤١) وهو حديث صحيح ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، انظر « الأحاديث الصحيحة » للألباني رقم (٩٧٢) . ولفظه : « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت » .

(١٤٢) رواه أحمد في « المسند » ٤/ ١٥٥ و٢٠١ وأبو داود رقم (١٥٢٣) والترمذي رقم (٢٩٠٥) والنسائي ٣/ ٦٨ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، ولفظه : « أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات دبر كل صلاة » . وإسناده صحيح .

(١٤٣) رواه البخاري ١٠/ ١٧٦ ومسلم رقم (٢١٩١) وابن ماجة رقم (٣٥٢٠) وأحمد ٦/ ٤٤ و٤٥ و١٠٩ و١١٥ و١٢٦ و١٢٧ و١٣١ و٢٦١ و٢٧٨ من حديث عائشة رضي الله عنها .

شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً .

١٤٤ ـ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إنْ شاءَ اللَّهُ تعالى . ﴿قُلْ أَعُوذُ بِـرَبِّ النَّاسِ﴾ (إلى آخـر السورة) .

١٤٥ ـ بِسْمِ اللّه تُرْبَةُ أَرْضِنَا ، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا ، لِيُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنا .

١٤٦ ـ بِسْمِ اللّهِ (ثلاثاً) أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ (سبعاً) .

١٤٧ ـ بِسْمِ اللّهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حاسدٍ ، اللّهُ يَشْفِيكَ ، بِسْمِ اللّهِ أَرقِيكَ .

١٤٨ ـ أُعِيذُكما بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وهَامَّةٍ ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ .

١٤٩ ـ أَسْأَلُ اللّهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ . بِسْمِ اللّهِ الكبير .

١٥٠ ـ أَعُوذُ باللّهِ العظيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ .

---

(١٤٤) رواه البخاري ١٠/ ١٠٣ في المرضى : باب عيادة الأعراب من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(١٤٥) رواه البخاري ١٠/ ١٧٦ ـ ١٧٧ ، ومسلم رقم (٢١٩٤) ، وأبو داود رقم (٣٨٩٥) وأحمد ٦/ ٩٣ وابن ماجة رقم (٣٥٢١) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١٤٦) رواه مسلم رقم (٢٢٠٢) وابن ماجة رقم (٣٥٢٢) ، وأحمد ٤/ ٢١ و٢١٧ ، والترمذي رقم (٢٠٨١) من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه .

(١٤٧) رواه مسلم رقم (٢١٨٦) والترمذي رقم (٩٧٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(١٤٨) رواه البخاري ٦/ ٢٩٢ وأبو داود رقم (٤٧٣٧) والترمذي رقم (٢٠٦١) وابن ماجة رقم (٣٥٢٥) وأحمد ١/ ٢٣٦ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(١٤٩) رواه أبو داود رقم (٣١٠٦) والترمذي رقم (٢٠٨٤) وأحمد ١/ ٢٣٩ و٢٤٢ و٣٥٢ ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وحسنه الترمذي وهو كما قال .

(١٥٠) رواه الترمذي رقم (٢٠٧٦) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا يعرف إلا من حديث ابراهيم بن اسماعيل ، وهو يُضَعَّفُ في الحديث .

١٥١ ـ رَبُّنَا اللَّهُ الذي في السماءِ تقدَّسَ اسمُكَ ، أَمْرُكَ في السماءِ والأرضِ كما رَحْمَتُكَ فِي السماء ، فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأرضِ .

اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنا وَخَطَايَانَا ، أَنْتَ ربُّ الطَّيِّبينَ ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ على هذا الوَجَعِ .

١٥٢ ـ اللَّهمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكَأُ لَكَ عَدُوّاً أو يمشي لَكَ إلى جَنَازَةٍ .

١٥٣ ـ اللهمَّ أَحْيِنِي ما كانَتِ الحياةُ خيراً لي ، وتوفَّني إذا كانتِ الوفاةُ خيراً لي .

٢٠ ـ باب
الدعاء والذكر عند من حضره الموت

١٥٤ ـ لا إِلهَ إلا اللَّهُ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهمَّ اجُرْنِي في مَصِيبَتي وَأَخْلِفْ لي خَيْرَاً منها .

١٥٥ ـ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأبي سَلَمَةَ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ في المَهْدِيِّين ، وَاخْلُفْهُ في عَقبِهِ في الغَابِرِينَ ، وَاغْفِرْ لَنا وَلَهُ يَا رَبَّ العالمين ، وَافْسَحْ لَهُ في قَبْرِهِ ، وَنَوِّرْ لَهُ فيه .

---

(١٥١) رواه أبو داود رقم (٣٨٩٢) في الطب : باب كيف الرقى ، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، وفي اسناده زياد بن محمد الأنصاري ، وهو منكر الحديث ، كما قال البخاري رحمه الله تعالى .

(١٥٢) رواه أبو داود رقم (٣١٠٧) في الجنائز : باب الدعاء للمريض عند العيادة ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وإسناده حسن ، وصححه الحاكم ١/ ٣٤٤ و٥٤٩ ، ووافقه الذهبي .

(١٥٣) رواه البخاري ١٠/ ١٠٧ ـ ١٠٨ ومسلم رقم (٢٦٨٠) والترمذي رقم (٩٧١) وأبو داود رقم (٣١٠٨) و (٣١٠٩) والنسائي ٤/ ٣ من حديث أنس رضي الله عنه ، ولفظه : « لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل : اللهم أحيني . . . . » الحديث .

(١٥٤) رواه مسلم رقم (٩١٨) في الجنائز : باب ما يقال عند المصيبة ، من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

(١٥٥) رواه مسلم رقم (٩٢٠) في الجنائز : باب في اغماض الميت والدعاء له ، من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

١٥٦ ـ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحليمُ الكريمُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ربِّ العَرْشِ العظيمِ ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ .

١٥٧ ـ ﴿ يَس والقرآنِ الحكيمِ ﴾ (السورة) .

٢١ ـ باب
الدعاء في صلاة الجنازة ودفنها

بسم الله الرحمن الرحيم

١٥٨ ـ ﴿ الحمدُ للَّهِ رَبِّ العالمين * الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ * إِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيْمِ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّاْلِيْنَ ﴾ (الفاتحة) .

---

(١٥٦) رواه ابن ماجة رقم (١٤٤٦) من حديث عبد اللَّه بن جعفر ، قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « لقنوا موتاكم : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين » ، وفيه اسحاق بن عبد الله بن جعفر ـ وهوابن أبي طالب ـ وهو مجهول الحال لم يوثقه أحد . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٧١٠) : وقد صح الطرف الأول منه عن جمع من الصحابة .

(١٥٧) رواه أبو داود رقم (٣١٢١) وأحمد في « المسند » ٥/ ٢٦ و٢٧ ، وابن ماجة رقم (١٤٤٨) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه . قال ابن علان في « الفتوحات » ٤/ ١١٩ ـ ١٢٠ : قال الحافظ : وأما الحاكم فتساهل في تصحيحه لكونه من فضائل الأعمال ، وعلى هذا يحمل سكوت أبي داود والعلم عند الله . قال الحافظ : ووجدت لحديث معقل شاهداً عن صفوان بن عمرو عن المشيخة : أنهم حضروا غضيف بن الحارث حين اشتد سوقه ، فقال : هل فيكم أحد يقرأ ﴿ يس ﴾ ، قال : فقرأها صالح بن شريح السكوني ، فلما بلغ أربعين آية منها قبض ، فكان المشيخة يقولون : إذا قرئت عند الموت خفف عنه بها . هذا موقوف حسن الإسناد ، وغضيف صحابي عند الجمهور ، والمشيخة الذين نقل عنهم لم يسموا ، لكنهم ما بين صحابي وتابعي كبير ، ومثله لا يقال بالرأي ، فله حكم الرفع . قال : وأخرج ابن أبي شيبة من طريق أبي الشعثاء جابر بن زيد ، وهو من ثقات التابعين ، أنه يقرأ عند الميت سورة الرعد ، وسنده صحيح . انظر ما قاله الألباني في « الإرواء » رقم (٦٨٨) .

(١٥٨) رواه البخاري ٣/ ١٦٤ في الجنائز : باب قراءة فاتحة الكتاب على الجنازة ، وأبو داود رقم (٣١٩٨) والترمذي رقم (١٠٢٦) والنسائي ٤/ ٧٤ و٧٥ . من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

١٥٩ - اللَّهُمَّ اغفِرْ لَهُ وارْحَمْهُ ، وعَافِهِ واعْفُ عَنْهُ ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ ، ووَسِّعْ مَدْخَلَهُ ، وَاغْسِلْهُ بالماءِ والثَّلْجِ وَالبَـرَد ، وَنَقِّه من الخـطايا كمـا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبيضَ مِنَ الدَّنَسِ ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دارِهِ ، وَأَهْـلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ ، وَزَوْجـاً خَيْراً من زَوْجِهِ ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ .

١٦٠ - اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنا ، وَشَاهِدِنَا وغَائِبِنا ، وَصَغِيـرِنَا وَكَبِيـرِنا ، وذَكَـرِنَا وَأُنثانَا ، اللهمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلى الإِسْلامِ ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَـهُ مِنَّا فَتَـوَفَّهُ على الإِيمانِ ، اللهمَّ لا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ ، ولا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ .

١٦١ - اللهمَّ إِنَّ فُلانَ بنَ فُلانٍ في ذِمَّتِكَ ، وَحَبْلِ جِـوَارِكَ ، فَقِهِ مِنْ فِتْنَـةِ القَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ ، وَأَنْتَ أَهلُ الوَفَاءِ وَالحَقِّ .

اللَّهُمَّ اغفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ .

١٦٢ - اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهـا ، وأَنْتَ خَلَقْتَها ، وَأَنْتَ هَـدَيْتَهَا إِلى الإِسْـلَامِ ، وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّها وَعَلانِيَتِها ، جِئْنَا شُفَعَاء فَاغْفِرْ له .

١٦٣ - اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا سَلَفاً وفَرَطاً وذُخراً وَأَجْراً .

---

(١٥٩) رواه مسلم رقم (٩٦٣) والترمذي رقم (١٠٢٥) والنسائي ٤/ ٧٣ وابن ماجة رقم (١٥٠٠) وأحمد ٦/ ٢٣ و٢٨ من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه .

(١٦٠) رواه الترمذي رقم (١٠٢٤) وأبو داود رقم (٣٢٠١) والنسائي ٤/ ٧٤ ، وابن ماجة رقم (١٤٩٨) من حـديث أبي هريـرة رضي الله عنه ، وصححـه ابن حبان رقم (٧٥٧) والحـاكم ١/ ٣٥٨ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا . وأعل بما لا يقدح .

(١٦١) رواه أبو داود رقم (٣٢٠٢) وابن ماجة رقم (١٤٩٩) وأحمد ٣/ ٤٩١ من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه ، وإسناده حسن ، كما قال الحافظ في «تخريج الأذكار» . وصححه ابن حبان رقم (٧٥٨).

(١٦٢) رواه أبو داود رقم (٣٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي إسناده علي بن شماخ لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات . قال الحافظ بعد تخريجه من طريق الطبراني في « الدعاء » ما لفظه : هذا حديث حسن ، وأخرجه النسائي في « السنن الكبرى » .

(١٦٣) روى البخاري ١/ ٣٣٥ تعليقاً ، وقال الحسن : يقرأ على الطفل فاتحة الكتاب ، ويقول : اللهم اجعله لنا سلفاً وفرطاً وذخراً وأجراً » .

١٦٤ ـ اللَّهُمَّ عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلـهَ إلا اللّهُ وأَنَّ محمداً عَبْـدُكَ وَرَسُولُكَ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، إنْ كان مُحْسِناً فَزِدْ في إِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً فَاغْفِرْ لَهُ ، وَلاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ .

١٦٥ ـ بِسْمِ اللّهِ وبِـاللّهِ وعلى مِلَّةِ رَسُولِ اللّهِ .

١٦٦ ـ ﴿الٓم * ذَلِـكَ الكِتَـابُ لاَ رَيْبَ فيـه﴾ . . إلى قـولـه : ﴿ وَأُولَئِـكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ١ ـ ٥] عِنْدَ رَأْسِهِ ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إليـه مِنْ رَبِّهِ والمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة : ٢٨٥] . . . إلى آخر السورة عِنْدَ رجليه .

٢٢ ـ باب
الدعاء عند زيارة القبور

١٦٧ ـ السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللّهُ بكم لَلاَحِقون . نَسْأَلُ اللّهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ .

---

(١٦٤) رواه مالك ١/ ٢٢٧ ، واسماعيل القاضي في « فضل الصلاة عليه ﷺ رقم (٩٣) ، من طريق سعيد المقبري أنه سأل أبا هريرة : كيف تصلي على الجنازة ، فقال : أنا لعمرك أخبرك : اتبعها من أهلها ، فإذا وضعت كبرتُ وحمدت الله ، وصليت على نبيه ، ثم أقول : اللهم إنه عبدك . . . . » الحديث وسنده موقوف صحيح على شرط الشيخين .

(١٦٥) رواه الترمذي رقم (١٠٤٦) وابن ماجة رقم (١٥٥٠) وأبو داود رقم (٣٢١٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهمـا ، وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان رقم (٧٧٣) والحـاكم ١/ ٣٦٦ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا .

(١٦٦) قال الهيثمي في « المجمع » ٤٤/٣ : وعن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج ، قال : قال لي أبي : يا بني إذا أنا مت فالحد لي لحداً ، فإذا وضعتني في لحدي فقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ، ثم سن التراب عليَّ سناً ، ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك . رواه الطبراني في « الكبير » ورجاله موثقون .

(١٦٧) رواه مسلم رقم (٩٧٥) في الجنائز : باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها من حديث بريدة رضي الله عنه .

١٦٨ ـ السَّلَامُ عَلَيْكُم يَا أَهْلَ القُبُورِ ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَنا وَلَكُمْ ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالأَثَرِ .

١٦٩ ـ السَّلَامُ عليكم دَارَ قَوْمٍ مُؤْمنين وَأَتَاكم مَا تُوعَدُونَ ، غداً مُؤَجَّلُونَ ، وإنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بكم للاحقون . اللهمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ البَقِيعِ الغَرْقَدِ .

السَّلَامُ على أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والْمُسْلِمِينَ ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ المُسْتَقْدِمينَ مِنَّا والمُسْتَأْخِرِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ .

٢٣ ـ باب
دعاء الاستخارة

١٧٠ ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ ، وتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأَمْرَ خَيْرٌ لي في دِيني ومَعَاشي وعاقبةِ أمري ـ أو قال : في عاجل أمري وآجله ـ فَاقْدُرْهُ لي وَيَسِّره لي ثُمَّ بَارِكْ لي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأَمْرَ شَرٌّ لي في دِيني وَمَعاشي وعاقبةِ أمري ـ أو قال : في عاجلِ أمري وآجِلِهِ ـ فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عنه ، وَاقْدُر لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كان ، ثُمَّ أَرْضِني به .

---

(١٦٨) رواه الترمذي رقم (١٠٥٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن .

(١٦٩) رواهما مسلم رقم (٩٧٤) (١٠٢) و (١٠٣) ، والنسائي ٤/ ٩١ ـ ٩٤ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١٧٠) رواه البخاري ١١/ ١٥٥ ـ ١٥٨ وأبو داود رقم (١٥٣٨) والترمذي (٤٨٠) والنسائي ٦/ ٨٠ ـ ٨١ وأحمد ٣/ ٣٤٤ وابن ماجة (١٣٨٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

٢٤ - باب
دعاء الحاجة

١٧١ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الحَلِيمُ الكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العَالَمِينَ . أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، لَا تَدَعْ لِي ذَنْباً إِلَّا غَفَرْتَهُ ، وَلَا هَمّاً إِلَّا فَرَّجْتَهُ ، وَلَا حَاجَةً هي لَكَ رِضىً إِلا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

٢٥ - باب
خطبة الحاجة كالنكاح وغيره وما يتعلق به

١٧٢ - إِنَّ الحمدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﴿ يَا أَيُّها الَّذِين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ﴿ يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ . . . ﴾ إِلى قوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الذي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كان عليكم رَقِيباً ﴾ ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولوا قَوْلاً

---

(١٧١) رواه الترمذي رقم (٤٧٩) وابن ماجة رقم (١٣٨٤) والحاكم ١/ ٣٢٠ من حديث عبد اللَّه بن أبي أوفي رضي اللَّه عنه ، قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وفي إسناده مقال ، لأن فائد بن عبد الرحمن يُضَعَّف في الحديث ، وفائد هو أبو الورقاء. ولفظه : «من كانت له حاجة إلى اللَّه أو إلى أحد من بني آدم فليتوضأ ، فليحسن الوضوء ، ثم ليصلِ ركعتين ، ثم ليُثْن على اللَّه تعالى ، وليصل على النبي ﷺ ، ثم ليقل : لا إله إلا الله الحليم الكريم . . . . » الحديث .

(١٧٢) رواه أبو داود رقم (٢١١٨) والترمذي رقم (١١٠٥) والنسائي ٣/ ١٠٥ من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه ، وهو حديث صحيح بطرقه .

سَدِيداً ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ .

١٧٣ ـ بارَكَ اللَّهُ لَكَ ، وَبارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَمَعَ بَيْنَكُما في خَيْرٍ .

١٧٤ ـ اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِها وخَيْرِ ما جَبَلْتَها عَلَيْهِ ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها وشَرِّ ما جَبَلْتَها عَلَيْه .

١٧٥ ـ بِسْمِ اللَّهِ ، اللهمَّ جَنِّبْنا الشَّيْطانَ ، وجَنِّبْ الشَّيْطانَ ما رَزَقْتَنا .

٢٦ ـ باب
الدعاء عند دخول السوق

١٧٦ ـ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، يُحيي ويُميتُ وهو حَيٌّ لا يَمُوتُ ، بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

١٧٧ ـ بِسْمِ اللَّهِ ، اللَّهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ السُّوقِ وَخَيْرَ ما فيها ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها وشَرِّ ما فيها . اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذِ بِكَ أَنْ أُصيبَ فيها صفقةً خاسِرَةً .

---

(١٧٣) رواه أبو داود رقم (٢١٣٠) والترمذي رقم (١٠٩١) وأحمد ٢ / ٣٨ والحاكم ٢ / ١٨٣ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(١٧٤) رواه أبو داود رقم (٢١٦٠) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما ، وإسناده حسن وصححه الحاكم ٢ / ١٨٥ ووافقه الذهبي وهو كما قالا .

(١٧٥) رواه البخاري ٦ / ٢٤٠ ومسلم رقم (١٤٣٤) وأبو داود رقم (٢١٦١) والترمذي رقم (١٦٩٢) وأحمد ١ / ٢١٧ و ٢٢٠ و ٢٤٣ و ٢٨٣ و ٢٨٦ من حديث عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما .

(١٧٦) رواه الترمذي رقم (٣٤٢٤) و (٣٤٢٥) ، والحاكم ١ / ٥٣٨ ـ ٥٣٩ ، وابن السني رقم (١٨٢) من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما ، وهو حديث حسن بطرقه .

(١٧٧) رواه ابن السني رقم (١٨١) والحاكم ١ / ٥٣٩ من حديث بريدة رضي اللَّه عنه ، وفي اسناده محمد بن أبان وهو مجهول ، وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٣٩٦) : حديث ضعيف .

٢٧ ـ باب
الدعاء عند الكرب والغضب

١٧٨ ـ اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا ، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا .

١٧٩ ـ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو ، فلا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ ، وأَصْلِحْ لي شَأْني كُلَّهُ ، لا إِلٰهَ إلا أَنْتَ .

١٨٠ ـ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وابنُ عَبْدِكَ وابنُ أَمَتِكَ [وفي قَبْضَتِكَ]، ناصيتي بِيَدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكْمَكَ ، عَدْلٌ فيَّ قَضاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أو أَنْزَلْتَهُ في كتابك ، أَوْ علَّمتَهُ أحداً من خَلقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في مَكْنُونِ الغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ القرآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَجَلاءَ هَمِّي وغَمِّي .

١٨١ ـ يا حَيُّ يا قَيُّومُ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ .

١٨٢ ـ لا إِلٰهَ إلا اللّٰهُ العظيمُ الحليمُ ، لا إله إلا اللّٰهُ رَبُّ العرشِ العظيمُ ، لا إله إلا

---

(١٧٨) روى الإمام أحمد ٣/ ٣ من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللّٰه عنه ، قال : قلنا يوم الخندق : يا رسول اللّٰه ! هل من شيء نقوله ؟ فقد بلغت القلوب الحناجر ؟ قال : « نعم ، اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا » قال : فضرب اللّٰه وجوه أعدائه بالريح وهزم اللّٰه بالريح . وهو حديث حسن، كما قال الألباني في « تخريج المشكاة » (٢٤٥٥) .

(١٧٩) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٠) وأحمد ٥/ ٤٢ والبخاري في « الأدب المفرد » رقم (٧٠١) وابن حبان رقم (٢٣٧٠) ، من حديث أبي بكرة رضي اللّٰه عنه ، وإسناده حسن . ولفظه : « دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو . . . »

(١٨٠) رواه أحمد ١/ ٣٩١ و ٤٥٢ وابن حبان رقم (٢٣٧٢) والحاكم ١/ ٥٠٩ ، من حديث عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٩٩) وما بين حاصرتين من المؤلف ولم أجدها في كتب السنة التي بين يديَّ .

(١٨١) رواه الترمذي رقم (٣٥٢٢) من حديث أنس رضي اللّٰه عنه ، وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد يرتقي بها ، انظر « المستدرك » ١/ ٥٠٩ و « الفتوحات الربانية » ٤/ ٥ و ٦ .

(١٨٢) رواه البخاري ١١/ ١٢٣ ومسلم رقم (٢٧٣٠) وابن ماجة رقم (٣٨٨٣) وأحمد ١/ ٢٢٨ و ٢٥٤ و ٣٣٩ و ٣٥٦ من حديث عبد اللّٰه بن عباس رضي اللّٰه عنهما .

اللّهُ رَبُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ ، ربُّ العرش الكريم .

١٨٣ ـ أعوذُ باللّهِ من الشيطانِ الرجيمِ .

٢٨ ـ باب
الدعاء عند صياح الديك ونهيق الحمار

١٨٤ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ ، أَعُوذُ باللّهِ من الشَّيْطانِ الرَّجيمِ .

٢٩ ـ باب
الدعاء في السفر ومشايعة المسافر

١٨٥ ـ اللّهُ أكبرُ (ثلاثاً) .

﴿ سُبْحَانَ الَّذي سَخَّرَ لَنَا هَذا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ * وإنَّا إلى ربِّنا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٣ ـ ١٤] .

---

(١٨٣) رواه البخاري ١٠/ ٤٣١ ، ومسلم رقم (٢٦١٠) وأبو داود رقم (٤٧٨١) من حديث سليمان بن صرد رضي اللّه عنه ، ولفظه قال : سَبب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده ، فبينما أحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمر وجهه، قال رسول اللّه ﷺ : «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد لو قال: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم . . . » الحديث .

(١٨٤) رواه البخاري ٦/ ٢٥١ ومسلم رقم (٢٧٢٩) وأبو داود رقم (٥١٠٢) والترمذي رقم (٣٤٥٥) وأحمد ٢/ ٣٠٧ و ٣٥٥ من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه . ولفظه عند مسلم « إذا سمعتم صياح الديكة ، فاسألوا اللّه من فضله ، فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار ، فتعوذوا باللّه من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً .

(١٨٥) رواه مسلم رقم (١٣٤٢) والترمذي رقم (٣٤٤٤) وأبو داود رقم (٢٥٩٩) وأحمد ٢/ ١٤٤ و ١٥٠ من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما .

اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ في سَفَرِنَا هذا البرَّ والتَّقْوى ، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَـرْضَى ، اللهمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنا هَذا واطْوِ لَنَـا بُعْدَهُ ، اللَّهمَّ أَنتَ الصَّـاحِبُ في السَّفَرِ ، والخَلِيفَةُ في الأهْلِ . اللَّهُـمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ في المالِ والأهلِ ، آيِبُونَ تَائِبونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنا حَامِدُونَ .

١٨٦ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفرِ ، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ ، والحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ ، وَدَعْوَةِ المَظلومِ ، وسُوءِ المَنْظَرِ في الأَهْلِ وَالمالِ .

١٨٧ ـ أَعُـوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّـامَّاتِ مِنْ شَـرِّ مَا خَلَقَ .

١٨٨ ـ « سَمِعَ سَامِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ ، وَحُسْنِ بَلائِهِ عَلَيْنا ، رَبَّنَا صَاحِبنا حَافِظْنَا وأَفْضِلْ علينا ، عائذاً باللَّهِ من النَّارِ .

١٨٩ ـ اللَّهُ أكبرُ (ثلاثاً) لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحمدُ وَهُوَ على كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ؛ آيبونَ تائِبونَ ، سَاجِدُونَ لربِّنا حَامِدُونَ ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْـدَهُ ، وَنَصرَ عَبْـدَهُ ، وَهزَمَ الأَحْـزَابَ وَحْدَهُ .

---

(١٨٦) رواه مسلم رقم (١٣٤٣) في الحج : باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ، من حديث عبد اللّه ابن سرجس رضي اللّه عنه قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر . . . » الحديث .

(١٨٧) روى مسلم رقم (٢٧٠٨) ، والترمذي (٣٤٣٣) وأحمد ٦/ ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٤٠٩ ، والدارمي رقم (٢٧٨٣) من حديث خولة بنت حكيم رضي اللّه عنها ، قالت سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « من نزل منزلاً ثم قال : أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » .

(١٨٨) رواه مسلم رقم (٢٧١٨) وأبو داود رقم (٥٠٨٦) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، ولفظه : « أن رسول اللّه ﷺ إذا كان في سفر وأسحر يقول : سمع اللّه سامع بحمد اللّه . . . » الحديث .

(١٨٩) رواه البخاري ١١/ ١٦٠ ومسلم رقم (١٣٤٤) والترمذي رقم (٩٥٠) ، وأبو داود رقم (٢٧٧٠) من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما . ولفظه : « أن رسول اللّه ﷺ كان إذا قفل من غزوٍ أو حجٍّ أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ، ثلاث تكبيرات ، ثم يقول : « لا إله إلا اللّه وحده . . . » . الحديث .

١٩٠ ـ اللهمَّ مُنْزِلَ الكتابِ، سَرِيعَ الحسابِ. اللَّهمَّ اهْزِمِ الأحزابَ، اللهمَّ اهزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ .

١٩١ ـ اللَّهُمَّ إنَّا نَجْعَلُكَ في نُحُورِهِم ، ونعوذُ بكَ من شُرُورِهم .

١٩٢ ـ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي ونَصِيري . بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ .

١٩٣ ـ بِسْمِ اللّه ، الحمدُ للّه ﴿ سُبْحَانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وإنَّا إلى ربِّنا لَمُنْقَلِبُون ﴾ الحمدُ لِلَّهِ (ثلاثاً) واللَّهُ أكبرُ (ثلاثاً) سُبْحَانَكَ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي فَاغْفِرْ لي فإنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ .

١٩٤ ـ يا أرضُ ! ربِّي وربُّكِ اللّهُ ، أعوذُ باللّه من شرِّكِ وشرِّ ما فيكِ ، وشرِّ ما خَلَقَ فيكِ ، وشرِّ ما يَدِبُّ عليكِ ، وأعوذُ باللّهِ من أَسَدٍ وأَسْوَدٍ ، ومِنْ الحيَّةِ والعَقْرَبِ ، ومِنْ شَرِّ سَاكِنِ البلدِ وَمِنْ والِدٍ وما وَلَدَ .

١٩٥ ـ أَسْتَوْدِعُ اللّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَآخِرَ عَمَلِكَ .

---

(١٩٠) رواه البخاري ٦/ ٧٦ ومسلم رقم (١٧٤٢) والترمذي رقم (١٦٧٨) من حديث عبد اللّه بن أبي أوفى رضي اللّه عنه ، ولفظه : « دعا رسول اللّه ﷺ على الأحزاب فقال : اللهم منزل الكتاب . . . » الحديث .

(١٩١) رواه أبو داود رقم (١٥٣٧) وأحمد ٤/ ٤١٤ و ٤١٥ من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه ، وإسناده صحيح .

(١٩٢) رواه أبو داود رقم (٢٦٣٢) والترمذي رقم (٣٥٧٨) وأحمد ٣/ ١٨٤ من حديث أنس رضي اللّه عنه ، وإسناده صحيح وصححه ابن حبان رقم (١٦٦١) وتقدم تخريجه برقم (٩٥) .

(١٩٣) رواه أبو داود رقم (٢٦٠٢) والترمذي (٣٤٤٣) من حديث علي بن ربيعة ، وقال هذا حديث حسن صحيح . انظر « الفتوحات الربانية » وما قاله الحافظ ٥/ ١٢٥ .

(١٩٤) رواه أبو داود رقم (٢٦٠٣) وأحمد ٢/ ١٣٢ من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما ، وفي سنده الزبير بن الوليد لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ٢/ ١٠٠ ووافقه الذهبي ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ٥/ ١٦٤ .

(١٩٥) رواه الترمذي رقم (٣٤٣٩) وأبو داود رقم (٢٦٠٠) وابن ماجة رقم (٢٨٢٦) من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما ، واسناده حسن ، وللحديث شواهد انظرها في « الفتوحات الربانية » ٥/ ١١٨ .

١٩٦ ـ أَسْتَوْدِعُ اللَّهُ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَواتِيمَ أَعْمالِكُمْ .

١٩٧ ـ زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوى ، وغَفَرَ ذَنْبَكَ ، ويَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُما كُنْتَ .

١٩٨ ـ اللهمَّ اطْوِ لَهُ البُعْدَ ، وهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرِ .

١٩٩ ـ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ . . .﴾ إلى آخر السورة .

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ . . . السورة .

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . . . السورة .

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ . . . السورة .

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . . . السورة .

٢٠٠ ـ بِسْمِ اللَّه الرحمن الرحِيمِ ، اللَّهُمَّ ربَّ السماواتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وربَّ الأَرضِينَ السَّبْعِ وَما أَقْلَلْنَ ، وربَّ الشياطينِ وما أَضْلَلْنَ ، ورَبَّ الرِّياحِ وَمَا ذَرَيْنَ ، فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ القَرْيَةِ وخَيْرَ أَهْلِها ، ونَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها وَشَرِّ أَهْلِها وَشَرِّ ما فيها .

---

(١٩٦) رواه أبو داود رقم (٢٦٠١) وابن السني رقم (٥٠٤) ، من حديث عبد اللّه بن يزيد الخطمي رضي اللّه عنه ، وإسناده صحيح .

(١٩٧) رواه الترمذي رقم (٣٤٤٠) والدارمي بلفظ آخر رقم (٢٦٧٤) والحاكم ٢ / ٩٧ من حديث أنس رضي اللّه عنه ، وحسنه الترمذي ، وهو كما قال .

(١٩٨) رواه الترمذي رقم (٣٤٤١) ، من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، وهو حديث حسن ، وصححه الحاكم ٢ / ٩٨ ووافقه الذهبي ، ولفظه « أن رجلاً قال لرسول اللّه ﷺ : إني أريد السفر فأوصني ، قال : عليك بتقوى اللّه والتكبير على كل شرف ، فلما أن ولى الرجل قال : اللهم اطو له البعد . . . » الحديث .

(١٩٩) لم أجده .

(٢٠٠) النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٤٣) وابن السني رقم (٥٢٤) وابن حبان رقم (٢٣٧٧) من حديث صهيب رضي اللّه عنه ، والحاكم ٢/١٠٠ وصححه ووافقه الذهبي ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ٥/١٥٤ . انظر « تخريج الكلم » رقم (١٧٨) للألباني .

٢٠١ ـ اللَّهُمَّ بَارِكْ لنا فيها (ثلاثاً) .

٢٠٢ ـ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا جَنَاهَا وَحَبِّبْنَا إلى أَهْلِهَا وَحَبِّبْ صَالحي أَهْلِهَا إِلَيْنَا .

٣٠ ـ باب
دعاء الاحرام والتلبية

٢٠٣ ـ لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْك ، لا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْك ، إِنَّ الحمدَ والنِّعْمَةَ لَكَ والمُلْكَ لا شَرِيكَ لَكَ .

لَبَّيْـكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ وَسَعْـدَيْكَ ، والخَيْـرُ في يَدَيْـكَ لَبَّيْكَ والـرَّغْبَاءُ إِلَيْـكَ وَالْعَمَلُ .

٢٠٤ ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رِضَاكَ والجَنَّةَ ، وَأَسْأَلُكَ العَفْوَ بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ .

٣١ ـ باب
دعاء الطواف والمقام والصفا والمروة

٢٠٥ ـ سُبْحَانَ اللَّهِ ، والحمدُ لِلَّهِ ، ولا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، واللَّهُ أَكبرُ ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إِلا باللَّهِ .

---

(٢٠٢) قطعة من حديث رواه ابن السني رقم (٥٢٧) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها . قال الحافظ في « تخريج الأذكار » ٥/ ١٥٨ : في سنده ضعف ، لكنه يعتضد بحديث ابن عمر ، فساق سنده إليه . ثم قال : وفي سنده ضعف ، لكن توبع ، فرواه مبارك بن حسان عن نافع عن ابن عمر ، وفي مبارك أيضاً مقال ، لكن يعضد بعض هذه الطرق بعضاً .

(٢٠٣) رواه البخاري ٣/ ٣٢٤ ومسلم رقم (١١٨٤) والترمذي رقم (٨٢٥) وأبو داود رقم (١٨١٢) والنسائي ٥/ ١٥٩ ـ ١٦٠ من حديث عبد اللَّه بن عمر رضي اللَّه عنهما .

(٢٠٤) عزاه صاحب « المشكاة » رقم (٢٥٥٢) للشافعي ، وضعفه الألباني .

(٢٠٥) روى ابن ماجة رقم (٢٩٥٧) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه ما لفظه : « من طاف بالبيت سبعاً ولا =

٢٠٦ ـ اللّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ والعافيةَ في الدُّنْيا والآخِرَةَ . ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ حَسَنَةً وقِنا عَذابَ النَّارِ .

٢٠٧ ـ اللَّهُمَّ قَنِّعْني بما رَزَقْتَني ، وبَارِكْ لي فيه ، واخلف عَلَيَّ كُلَّ غائبةٍ لي بخيرٍ ، ﴿واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبراهيمَ مُصَلًّى﴾ .

٢٠٨ ـ «اللَّهُمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ سِرِّي وَعَلانِيَتي ، فَاقْبَلْ مَعْذِرَتي ، وَتَعْلَمُ حَاجَتِي ، فَأَعْطِني سُؤْلي ، وتَعْلَمُ ما في نَفْسي فاغْفِرْ لي ذُنُوبي .

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ إيماناً يُبَاشِرُ قَلبي ، وَيَقِيناً صَادِقاً حتى أَعْلَمَ أَنَّهُ لا يُصيبُني إلَّا ما كَتَبْتَ لي ، وَرَضِّني بما قسمت لي يا أرحم الرَّاحمين .

٢٠٩ ـ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ١٥٨] أَبْدَأُ بما بَدَأَ اللَّهُ به : لا إِلَهَ

= يتكلم إلا بـ « سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه » محيت عنه عشر سيئات ، وكتب له عشر حسنات ، ورفع له عشر درجات ، ومن طاف فتكلم وهو في تلك الحال ، خاض في الرحمة برجليه كخائض الماء برجليه » وهو حديث ضعيف .
وللحديث شواهد انظرها « الفتوحات الربانية » ٤ / ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .

(٢٠٦) رواه ابن ماجة رقم (٢٩٥٧) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه ، وإسناده ضعيف . ولفظه : « وكل به سبعون ملكاً ـ يعني الركن اليماني ـ فمن قال اللهم إني أسألك العفو والعافية . . . النار ، قالوا آمين » .

(٢٠٧) قال ابن علان في « الفتوحات » ٤ / ٣٨٢ : أخرجه الحافظ عن ابن عباس رضي اللّه عنهما ، أنه كان يقول : احفظوا هذا الحديث وكان يرفعه إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم كان يدعو به بين الركنين .
وقال عقب تخريجه : هذا حديث غريب أخرجه الحاكم في « المستدرك » وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه . انظر بقية كلامه .

(٢٠٨) قطعة من حديث دعاء آدم عليه السلام من حديث عائشة رضي اللّه عنها ، قال الهيثمي في « المجمع » ١٠ / ١٨٣ : رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه النضر بن طاهر وهو ضعيف ، ولفظه : « لما أهبط اللّه آدم إلى الأرض قام وجاء الكعبة فصلى ركعتين ، فألهمه اللّه هذا الدعاء اللهم إنك تعلم . . . . » الحديث .

(٢٠٩) قطعة من حديث جابر رضي اللّه عنه الطويل رواه مسلم رقم (١٢١٨) في الحج : باب حجة النبي ﷺ .

إلا اللَّهُ وَحْدَهُ، اللَّهُ أكبرُ، لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحمدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ، لا إله إلا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ.

٢١٠ - اللَّهُمَّ إنَّكَ قلتَ: ٱدْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ، وإنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعادَ، وإنِّي أَسْأَلُكَ كَمَا هَدَيْتَني للإِسْلامِ أَنْ لَا تَنْزِعَهُ مِنِّي حتى تَوَفَّاني وأَنَا مُسْلِمٌ.

٢١١ - ربِّ ٱغْفِرْ وَٱرحَمْ أَنْتَ الأَعَزُّ الأَكْرَمُ.

٣٢ - باب
دعاء عرفة بعرفة

٢١٢ - لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحمدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

٢١٣ - اللَّهُمَّ لَكَ الحمدُ كالذي نقولُ وخَيْراً مِمَّا نَقُولُ.

اللَّهُمَّ لَكَ صلاتي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي، وَإِلَيْكَ مَآبي، وَلَكَ ربِّي تُراثي.

اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَوَسْوَاسِ الصَّدْرِ، وشَتَاتِ الأَمْرِ.

---

(٢١٠) رواه « الموطأ » ١/ ٣٧٢ و٣٧٣ في الحج: باب البدء بالصفا في السعي، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وإسناده صحيح.

(٢١١) وهو حديث موقوف على ابن عمر رضي الله عنهما. انظر « الفتوحات الربانية » ٤/ ٤٠١، و« حجة النبي ﷺ » للألباني ص ١٢٠.

(٢١٢) رواه « الموطأ » ١/ ٢١٤ - ٢١٥، والترمذي رقم (٣٥٧٩)، وهو حديث حسن. انظر « جامع الأصول » رقم (٢٣٣٤).

(٢١٣) رواه الترمذي رقم (٣٥١٥)، من حديث علي بن ثابت عن قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن علي رضي الله عنه، وقيس بن الربيع صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه، ولذلك قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ ما تجيءُ بِهِ الرِّيحُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما تَجيءُ به الرِّيح .

٢١٤ ـ لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمدُ يُحْيِـي وَيُمِيتُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

اللهمَّ اجْعَلْ في قَلْبي نوراً ، وفي سَمْعي نُوراً ، وفي بَصَري نُوراً ، وفي قَلبي نُوراً .

اللهمَّ اشْـرَحْ لي صَدْري ، وَيَسِّـرْ لي أَمْري ، وَأَعُـوذُ بِكَ مِنْ وَسَـاوِسِ الصَّدْرِ ، وَشَتَاتِ الأَمْرِ ، وَفِتْنَةِ القَبْرِ .

اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا يَلِجُ في اللَّيل ، وَشَرِّ مَا يَلِجُ في النَّهار ، وَشَرِّ مَا تَهُبُّ بِهِ الرِّيحُ ، وَشَرِّ بوائِقِ الدَّهْر .

٢١٥ ـ لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ ، إنَّما الخَيْرُ خَيْرُ الآخِرَةِ ،

٢١٦ ـ اللَّهُ أكبرُ ، ولِلَّهِ الحمدُ ، اللَّهُ أكبرُ ولِلَّهِ الحمدُ ، اللَّهُ أكبر ولِلَّهِ الحمدُ .

لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ .

٢١٧ ـ اللهمَّ اجْعَلْهُ حَجَّاً مَبْرُوراً ، وَذَنْباً مَغْفُوراً .

---

(٢١٤) قال العراقي في « تخريج الأحياء » ١ / ٢٥٣ : روى المستغفري في الدعوات من حديث علي رضي اللَّه عنه : « يا علي إن أكثر دعاء من قبلي يوم عرفة أن أقول لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له . . . . » الحديث ، وإسناده ضعيف .

(٢١٥) رواه الطبراني في « الأوسط » من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، وإسناده حسن كما قال الهيثمي في « المجمع » ٣/ ٢٢٣ ، ولفظه : « إن رسول اللَّه ﷺ وقف بعرفات ، فلما قال : لبيك اللهم لبيك قال : إنما الخير خير الآخرة » .

(٢١٧) قال في « الفتوحات الربانية » ٤ / ٣٧٥ : قال الحافظ : ذكره الشافعي وأسنده إليه البيهقي في « الكبير » وفي « المعرفة » ولم يذكر سند الشافعي به ، وسيأتي القول في الرمل بين الصفا والمروة نحوه .

٢١٨ ـ اللهمَّ اهْدِنَا بالهُدَى ، وَزَيِّنَّا بالتَّقْوى ، وَاغْفِرْ لنا في الآخِرَةِ والأولى .

اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ رِزْقاً حَلاَلاً طَيِّباً مُبارَكاً .

اللهمَّ إنَّك أَمَرْتني بالدُّعاءِ وَلَكَ الإجابَةُ وإنَّكَ لاَ تُخْلِفُ المِيعادَ ، ولا تُنْكِثُ عَهْدَكَ .

٢١٩ ـ اللهمَّ مَا أَحْبَبْتَ مِنْ خيْرٍ فَحَبِّبْهُ إلينا وَيَسِّرْهُ لنا ، وما كَرِهْتَ مِنْ شَرٍّ فكرِّهْهُ إلينا وَجَنِّبْنَاهُ ، وَلا تَنْزِعْ مِنَّا الاسلامَ بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنَا .

٢٢٠ ـ ﴿رَبَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذابَ النَّارِ﴾ [البقرة : ٢٠١] .

٢٢١ ـ اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ بِهِ نَبِيُّكَ ﷺ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعاذَ بِهِ نَبِيُّكَ ﷺ .

٢٢٢ ـ ﴿ رَبَّنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسرين ﴾ ﴿ رَبِّ اجْعَلني مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتي رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ . رَبَّنا اغْفِرْ لي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ ﴾ ﴿ رَبِّ ارْحَمْهُما كما رَبَّياني صَغِيراً ﴾ ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا وَلإِخْوَانِنَا الذينَ سَبَقُونا بالإيمانِ وَلاَ تَجْعَلْ في

---

(٢١٨) لم أجده.

(٢١٩) لم أجده.

(٢٢٠) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه ، ولفظه : « كان أكثر دعاء النبي ﷺ : ﴿ اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ﴾ » .

(٢٢١) رواه ابن ماجة رقم (٣٨٤٦) في الدعاء: باب الجوامع من الدعاء، وفي إسناده أم كلثوم بنت أبي بكر ، لم أر من تكلم فيها ، وعدها جماعة من الصحابة ، وفيه نظر ، لأنها ولدت بعد موت أبي بكر ، وباقي رجال الإسناد ثقات ، ويشهد له حديث أبي أمامة رضي الله عنه رواه الترمذي رقم (٣٥١٦) ،فهو به حسن ـ إن شاء الله .

قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمنوا رَبَّنا إنَّك رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ ﴿ وَتُبْ علينا إنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ولا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلا باللَّهِ العليِّ العظيمِ .

٢٢٣ ـ اللهمَّ إنَّكَ تَعْلَمُ وَتَرى مَكَاني وتَسْمَعُ كلامي ، وتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلانِيَّتي ، ولا يَخفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي ، وَأَنَا البَائِسُ الفَقِيرُ المستغيثُ المستجيرُ الـوَجلُ المُشْفِقُ المُقِرُّ المُعْتَرِفُ بِذَنْبِي ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ المِسْكِينِ ، وَأَبْتَهِلُ إلَيْـكَ ابْتِهَال المُذْنِبِ الذَّلِيلِ ، وأدعُوكَ دُعَاءَ الخَائِفِ الضَّرِيرِ مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُه ، وفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ ، وَنَحلَ لَكَ جَسَدُهُ ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ .

اللهمَّ لا تَجْعَلْني بِدُعَائِـكَ ربِّ شَقِيّاً ، وَكُنْ لي رَؤُوفـاً رَحِيمَاً ، يـا خَيْرَ المَسْؤُولِينَ، يا خَيْرَ المُعْطِينَ» يَا أَرْحَمَ الرَّاحمين ، والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمينَ ، آمين .

٢٢٤ ـ لا إلَه إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (مائة مرة) قُلْ هُوَ اللَّه أحدٌ . . السورة (مائة مرة) اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما صلَّيْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ إنَّكَ حميدٌ مَجِيدٌ ، وَعَلَيْنا معهم (مائة مرة) .

---

(٢٢٣) قال الهيثمي في « المجمع » ٣/ ٢٥٢ : رواه الطبراني في « الكبير » و « الصغير » ، وزاد : « الوجل المشفق » ، من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، وفيه يحيى بن صالح الأيلي ، قال العقيلي : روى عنه يحيى بن بكير مناكير ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٢٢٤) قال الألباني في «حجة النبي ﷺ » ص ١٢٤ : والحديث الوارد فيه لا يصح إسناده ، أخرجه البيهقي في « الشعب » ، وقال : هذا متن غريب وليس في إسناده من ينسب إلى الوضع، كما نقله في « اللآلي » (١٢٦١) وذكره ابن همام في « الفتح » (٢/ ١٦٧) بدون لفظ « ليس » . ا . هـ.

٣٣ - باب
الدعاء عند رؤية الهلال

٢٢٥ - اللهمَّ أَهِلَّهُ علينا بالأَمْنِ والإيمانِ ، والسَّلامَةِ والإسْلامِ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ .

٢٢٦ - هِلال خَيْرٍ وَرُشْدٍ ، هِلالُ خَيْرٍ وَرُشْدٍ ، هِلال خَيْرٍ وَرُشْدٍ . آمَنْتُ بالَّذِي خَلَقَكَ (ثلاث مرات) الحمدُ للَّهِ الذي ذَهَبَ بِشَهْرِ كذا ، وَجَاءَ بِشَهْرِ كَذَا ، أَعُوذُ باللَّهِ مِنْ شَرِّ هذا .

٢٢٧ - اللهمَّ بَارِكْ لنا في رَجَبٍ وَشَعْبانَ وَبَلِّغْنا رَمَضَانَ .

٣٤ - باب
دعاء الافطار

٢٢٨ - اللهمَّ لَكَ صُمْتُ ، وعلى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ ، ذَهَبَ الظَّمأُ ، وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إنْ شَاءَ اللَّهُ .

٢٢٩ - اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبي .

---

(٢٢٥) رواه الدارمي رقم (١٦٩٤) و (١٦٩٥) من حديث عبد اللَّه بن عمر وطلحة بن عبيد اللَّه رضي اللَّه عنهما والترمذي رقم (٣٤٤٧) وأحمد ١/ ١٦٤ ، وهو حديث حسن .

(٢٢٦) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٢) من حديث قتادة رضي اللَّه عنه . قال الحافظ في « تخريج الأذكار » : ووجدت له شاهداً مرسلاً ، أخرجه مسدد في « مسنده » الكبير ورجاله ثقات . قال : ووجدت له شاهداً موصولاً من حديث أنس وهو حديث حسن .

(٢٢٧) وهو حديث ضعيف . انظر « مشكاة » رقم (١٣٦٩) .

(٢٢٨) رواه أبو داود رقم (٢٣٥٨) من حديث معاذ بن زهرة ، مرسلاً ، لكن له شواهد يقوى بها .

(٢٢٩) رواه ابن ماجة رقم (١٧٥٣) ، وابن السني رقم (٤٨١) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما ، قال البوصيري في « الزوائد » : إسناده صحيح ، لأن إسحاق بن عبيد اللَّه بن الحارث ، قال النسائي : ليس به بأس ، وقال أبو زرعة : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وباقي رجال الإسناد على شرط البخاري . وقال الألباني في « الإرواء » رقم (٩٢١) : اسناده ضعيف وبين علته وردّ قول البوصيري .

٣٥ - باب
الدعاء في ليلة القدر

٢٣٠ - اللهمَّ إنَّكَ عفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي .

٣٦ - باب
الدعاء عند لبس الثوب الجديد

٢٣١ - اللهمَّ لَكَ الحمدُ كما كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ .

٢٣٢ - الحمدُ للَّهِ الذي كَسَانِي هذا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ وَلاَ قُوَّةٍ .

٢٣٣ - الحمدُ للَّه الَّذي رَزَقَنِي مِنَ الرِّياشِ مَا أَتَجَمَّلُ بِهِ في النَّاسِ ، وَأُوارِي بِهِ عَوْرَتي وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي .

٢٣٤ - الحمدُ للَّهِ الذي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتي وَأَتَجَمَّلُ بِهِ في حَيَاتِي .

---

(٢٣٠) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٨) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها ، وقال الترمذي : هذا حديث صحيح ، وهو كما قال .

(٢٣١) رواه أبو داود رقم (٤٠٢٠) والترمذي رقم (١٧٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٤٥٤٠) .

(٢٣٢) هو جزء من حديث طويل رواه أبو داود رقم (٤٠٢٣) من حديث معاذ بن أنس رضي اللَّه عنه ، وإسناده حسن ، وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ١/ ٣٠٠ و ٣٠١ والحاكم ١/ ٥٠٧ والألباني في « الارواء » (١٩٨٩) .

(٢٣٣) رواه أحمد في « المسند » ١/ ١٥٧ و ١٥٨ ، من حديث علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال الهيثمي في « المجمع » ٥/ ١١٩ : رواه أحمد وأبو يعلى وهو حديث ضعيف .

(٢٣٤) رواه الترمذي رقم (٣٥٥٥) وابن ماجة رقم (٣٥٥٧) من حديث أصبغ بن زيد عن أبي العلاء عن أبي أمامة ، وأبو العلاء مجهول لا يعرف اسمه . ورواه الترمذي والحاكم ٤/ ١٩٣ من حديث يحيى بن أيوب عن عبيد اللَّه بن زهر عن علي بن يزيد الألهاني عن القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي عن أبي أمامة ، وإسناده ضعيف أيضاً .

٣٧ - باب
دعاء كفارة المجلس

٢٣٥ - سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلا أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُـوبُ إِلَيْكَ .

٣٨ - باب
دعاء حفظ القرآن

٢٣٦ - اللهمَّ ارْحَمْني بِتَرْكِ المَعَاصِي أَبَداً ما أَبْقَيْتَنِي ، وَارْحَمْنِي أَنْ أَتَكَلَّفَ مَا لَا يَعْنِينِي ، وَارْزُقْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فيما يُـرْضِيـكَ عَنِّي . اللهمَّ بَـدِيـعَ السمـاواتِ والأرضِ ، ذَا الجَلَالِ والإِكْرَامِ ، والعِزَّةِ التي لا تُرَامُ ، أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ يَا رَحْمَنُ بِجَلَالِكَ وَنُورِ وَجْهِكَ أَنْ تُلْزِمَ قَلْبِي حِفْظَ كِتَابِكَ كما عَلَّمْتَنِي ، وَارْزُقْنِي أَنْ أَتْلُوَهُ علىٰ النَّحْوِ الَّذي يُرْضِيكَ عَنِّي . اللهمَّ بَدِيعَ السماواتِ والأرضِ ، ذا الجَلَالِ والإِكْرَامِ ، والعِزَّةِ التي لا تُرَامُ ، أَسْأَلُكَ يا اللَّهُ يَا رَحْـمٰنُ بِجَلَالِكَ وَنُورِ وَجْهِكَ أَنْ تُنَوِّرَ بكتابِكَ بَصَرِي ، وَأَنْ تُطْلِقَ بِهِ لساني ، وَأَنْ تُفَرِّجَ بِهِ عَنْ قَلْبِي ، وَأَنْ تَشْرَحَ بِهِ صَدْرِي ، وَأَنْ تَغْسِلَ بِهِ بَدَنِي ، فَإِنَّهُ لَا يُعِينُنِي على الحَقِّ غَيْرُكَ ، ولا يُؤْتِيهِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللَّهِ العَلِيِّ العظيم .

---

(٢٣٥) رواه الترمذي رقم (٣٤٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٦٠٦٨) .

(٢٣٦) رواه الترمذي رقم (٣٥٦٥) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢/ ٣٦١ طريق أسانيد هذا الحديث جيدة ، ومتنه غريب جداً ، والله أعلم . وانظر « جامع الأصول » ٤/ ٢٩٩ - ٣٠١ . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢١٧١) : موضوع .

٣٩ - باب
الدعاء اذا رأى مبتلى

٢٣٧ - الحمدُ للَّهِ الذي عافاني مما ابْتَلاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي على كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً .

٤٠ - باب
دعاء قضاء الدين

٢٣٨ - اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ وَالجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجالِ .

٢٣٩ - اللهمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ .

٤١ - باب
دعاء الاستسقاء

٢٤٠ - اللهمَّ اسْقِ عِبادَكَ وبهِيمَتَكَ ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ المَيِّتَ .

٢٤١ - اللهمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيعاً نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍّ ، عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ .

---

(٢٣٧) رواه الترمذي رقم (٣٤٢٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، وهو حديث حسن بشواهده .

(٢٣٨) رواه البخاري ١١/ ١٥٠ ومسلم رقم (٢٧٠٦) وأبو داود رقم (١٥٤٠) و (١٥٤١) و (٣٩٧٢) والترمذي رقم (٣٤٨٠) (٣٤٨١) والنسائي ٨/ ٢٥٧ - ٢٥٨ من حديث أنس رضي اللَّه عنه .

(٢٣٩) رواه الترمذي رقم (٣٥٥٨) وأحمد ١/ ١٥٣ من حديث علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه ، وقال الترمذي ، هذا حديث حسن ، وهو كما قال .

(٢٤٠) رواه أبو داود رقم (١١٧٦) من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي اللَّه عنهما ، وإسناده حسن .

(٢٤١) رواه أبو داود رقم (١١٦٩) من حديث جابر رضي اللَّه عنه ، وإسناده صحيح .

٢٤٢ ـ الحمدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ. الرَّحْمٰنِ الرَّحيم. مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. لا إلَهَ إلا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ.

اللهمَّ أَنْتَ اللَّهُ الغَنِيُّ وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا ٱلْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنا قُوَّةً وَبلاَغاً إلى حِينٍ.

٤٢ ـ باب
دعاءِ الرياح والرعدِ والمطر

٢٤٣ ـ اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخيْرَ مَا فِيها وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها وشَرِّ ما فيها وَشَرِّ ما أُرْسِلَتْ بِهِ.

٢٤٤ ـ اللهمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيرِ هَذِهِ الرِّيح وَخَيْرِ مَا فيها، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ.

٢٤٥ ـ اللهمَّ اجْعَلْها رَحْمَةً وَلاَ تَجْعَلْها عَذَاباً، اللهمَّ اجْعَلْها رِيَاحاً وَلاَ تَجْعَلْهـا رِيحاً.

---

(٢٤٢) رواه أبو داود رقم (١١٧٣) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها، وقال أبو داود وهذا حديث غريب إسناده جيد.

(٢٤٣) رواه البخاري ٦/ ٢١٦، ومسلم رقم (٨٩٩)، والترمذي رقم (٣٤٤٥) من حديث عائشة رضي اللَّه عنها.

(٢٤٤) رواه الترمذي رقم (٢٢٥٣) من حديث أُبي بن كعب رضي اللَّه عنه، وفي سنده حبيب بن أبي ثابت وهو ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس، وقد عنعنه، ولكن للحديث شواهد يقوى بها، ولذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة وعثمان بن أبي العاص وأنس وجابر وابن عباس رضي اللَّه عنهم.

(٢٤٥) رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» والشافعي في «مسنده» (٤٧) من حديث عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما بإسناد ضعيف جداً، فيه العلاء بن راشد مجهول، يرويه عنه إبراهيم بن أبي يحيىٰ وهو الأسلمي متهم.

٢٤٦ - اللهمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ ، وَلاَ تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ وَعافِنَا قَبْلَ ذلك .

٢٤٧ - ﴿سُبْحَانَ الَّذي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالملائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد ١٣] .

٢٤٨ - اللَّهمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما فيه. اللَّهمَّ سُقْياً نافِعاً، اللَّهمَّ صَيِّباً نافِعاً .

٤٣ - باب
دعاء التوبة

٢٤٩ - اللهمَّ إنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْها لاَ أَرْجِعُ إِلَيْها أَبداً .
اللهمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي ، وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلي .

٤٤ - باب
صلاة التسبيح

٢٥٠ - سُبْحَانَ اللَّهِ ، والحمدُ للَّهِ ، ولا إِلَه إلا اللَّهُ ، واللَّهُ أَكْبَرُ .

---

(٢٤٦) رواه الترمذي رقم (٣٤٤٦) وأحمد ٢/ ١٠٠ من حديث عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما ، وفي سنده أبو مطر شيخ الحجاج بن أرطأة ، وهو مجهول ، ولذلك قال الترمذي : هذا حديث غريب ، وضعفه الإمام النووي وتعقبه الحافظ فقال : رواه أحمد والبخاري في « الأدب المفرد » والترمذي والنسائي من طرق متعددة ، ثم قال : والعجيب من الشيخ النووي كيف يطلق الضعف على هذا الحديث وهو متماسك . انظر « الفتوحات الربانية » ٤/٢٨٣ و ٢٨٤ . ا. هـ. انظر « الأذكار » رقم (٥٥٢) طبعة دار البيان بدمشق .

(٢٤٧) رواه البخاري في « الأدب المفرد » رقم (٧٢٣) من حديث عبد اللّه بن الزبير رضي اللّه عنهما ، وإسناده صحيح ، وصححه النووي في « الأذكار » رقم (٥٥٣) والحافظ في « تخريج الأذكار » من قول عبد اللّه بن الزبير .

(٢٤٨) رواه أبو داود رقم (٥٠٩٩) وأحمد ٦/ ١٩٠ وابن ماجة رقم (٣٨٩٠) من حديث عائشة رضي اللّه عنها ، وإسناده صحيح ولفظه : « إن النبي ﷺ كان إذا رأى ناشئاً في أفق السماء ترك العمل وإن كان في صلاة ثم يقول : اللهم إني أعوذ بك من شرها ، فإن مطر قال : اللهم صيباً هنيئاً » .

(٢٤٩) لم أجده .

(٢٥٠) حديث صلاة التسبيح رواه أبو داود رقم (١٢٩٧) و (١٢٩٨) ، والترمذي رقم (٤٨٢) وابن ماجة رقم =

٤٥ - باب
الدعاء عند رؤية الثمار الجديدة

٢٥١ - اللهمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمرِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا في مَدِينَتِنَا ، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَبَارِكْ لنا في مُدِّنا .

٢٥٢ - اللَّهم كما أَرَيْتَنَا أَوَّلَهُ فَأَرِنا آخِرَهُ .

٤٦ - باب
الدعاء عند رؤية المرآة

٢٥٣ - اللهمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقي ، وَحرِّمْ وَجْهِي على النَّارِ .

٢٥٤ - الحمدُ للَّهِ الذي سوَّى خَلْقِي وَأَحْسَنَ صُورَتي ، وَزَانَ ما شَانَ مِنْ غيري .

٢٥٥ - الحمدُ للَّه الذي سوَّى خَلْقِي فعدَّله ، وصَوَّرَ صُورَةَ وَجْهِي فَأَحْسَنَها وَجَعَلني مِنَ المُسْلِمينَ .

= (١٣٨٦) ، والحاكم في « المستدرك » ١ / ٣١٧ و٣١٨ وصححه ووافقه الذهبي ، من حديث عبد اللَّه ابن عباس وأبي رافع رضي اللَّه عنهم ، وهو حديث صحيح لطرقه الكثيرة ، وقد صححه جماعة من العلماء ، ولفظه : أن النبي ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب : « يا عباس يا عماه ، ألا أعطيك ألا أمنحك ـ ألا احبوك ألا أفعل بك عشر خصال . . . » الحديث .

(٢٥١) رواه مسلم رقم (١٣٧٣) والترمـذي رقم (٣٤٥١) وابن السني رقم (٢٧٩) و (٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٢٥٢) روى البيهقي في « الدعوات الكبير » من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه ، قال : « رأيت رسول اللَّه ﷺ إذا أُتي بباكورة الفاكهة ، وضعها على عينيه وعلى شفتيه ، وقال : اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره ، ثم يعطيها من يكون عنده من الصبيان » . وابن السني رقم (٢٨٠) ، وإسناده ضعيف .

(٢٥٣) رواه ابن السني رقم (١٦٣) من حديث علي رضي اللَّه عنه وإسناده ضعيف ، ورواه أيضاً رقم (١٦٤) من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما ، وإسناده ضعيف أيضاً . وقد ثبت الدعاء من غير تقييد بالنظر إلى المرآة .

(٢٥٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » من حديث جعفر بن محمد عن أبيه مرسلاً .

(٢٥٥) رواه ابن السني رقم (١٦٥) من حديث أنس رضي اللَّه عنه ، وإسناده ضعيف .

٤٧ - باب
اسم اللَّه الأعظم

٢٥٦ - اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُك بأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ .

٢٥٧ - اللهمَّ إنِّيَ أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الحمدُ ، لا إِلَهَ إلا أنتَ، الحَنَّانُ المَنَّانُ بَدِيعُ السماواتِ والأرض ، يا ذا الجَلالِ والإِكْرَامِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ .

٢٥٨ - ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ١٦٣] .
﴿الٓم * اللَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ الحيُّ القَيُّومُ﴾ [آل عمران : ١ - ٢] .

٢٥٩ - لا إِلَه إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

---

(٢٥٦) رواه أبو داود رقم (١٤٩٢) والترمذي رقم (٣٤٧١) وأحمد ٥/ ٣٦٠ واب ماجة رقم (٣٨٥٧) من حديث بريدة رضي اللَّه عنه ، وهو حديث صحيح ، وصححه ابن حبان رقم (٢٣٨٣) والحاكم ١/ ٥٠٤ وأقره الذهبي . ولفظه : أن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك . . . . » للحديث .

(٢٥٧) رواه أبو داود رقم (١٤٩٥) وابن ماجة رقم (٣٨٥٨) والترمذي (٣٥٣٨) والنسائي ٣/ ٥٢ وأحمد ٣/ ١٢٠ وصححه ابن حبان (٢٣٨٢) والحاكم ١/ ٥٠٣ و٥٠٤ وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا . من حديث أنس رضي اللَّه عنه .

(٢٥٨) رواه أبو داود رقم (١٤٩٦) وابن ماجة رقم (٢٨٥٥) والترمذي رقم (٣٤٧٢) ، وأحمد ٦/ ٤٦١ من حديث اسماء بنت يزيد رضي اللَّه عنها ، أن النبي ﷺ قال : « اسم اللَّه الأعظم في هاتين الآيتين . . . . » الحديث . وهو حديث حسن بشواهده .

(٢٥٩) رواه الترمذي رقم (٣٥٠٠) وأحمد ١/ ١٧٠ والحاكم ١/ ٥٠٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قال . وحسنه الحافظ في « تخريج الأذكار » ٤/ ١١ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، ولفظه : « دعوة أخي ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له » .

٤٨ - باب
أسماء اللَّه تعالى

٢٦٠ - هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَه إلا هُوَ ، الرَّحْمٰنُ ، الرَّحِيمُ ، المَلِكُ ، القُـدُّوسُ ، السَّلَامُ ، المُؤْمِنُ ، المُهَيْمِنُ ، العَزِيزُ ، الجَبَّارُ ، المُتَكَبِّرُ ، الخَالِقُ ، البَارِىءُ المُصَوِّرُ ، الغَفَّارُ ، القَهَّارُ ، الوَهَّابُ ، الرَّزَّاقُ ، الفَتَّـاحُ ، العَلِيمُ ، القَابِضُ ، البَاسِطُ ، الخَافِضُ ، الرَّافِعُ ، المُعِزُّ ، المُذِلُّ ، السَّمِيعُ ، البَصِيرُ ، الحَكَمُ ، العَدْلُ ، اللَّطِيفُ ، الخَبِيرُ ، الحَلِيمُ ، العَظِيمُ ، الغَفُورُ ، الشَّكُـورُ ، العَلِيُّ ، الكَبِيرُ ، الحَفِيظُ ، المُقِيتُ ، الحَسِيبُ ، الجَلِيلُ ، الكَرِيمُ ، الرَّقِيبُ ، المُجِيبُ ، الوَاسِعُ ، الحَكِيمُ ، الـوَدُودُ ، المَجِيدُ ، البَـاعِثُ ، الشَّهِيدُ ، الحَقُّ ، الـوَكِيلُ القَـوِيُّ ، المَتِينُ ، الـوَلِيُّ ، الحَمِيـدُ ، المُحْصِي ، المُبْدِىءُ ، المُعِيـدُ ، المُحْيِي ، المُمِيتُ ، الحَيُّ ، القَيُّومُ ، الوَاجِدُ ، المَاجِدُ ، الوَاحِدُ ، الصَّمَدُ ، القَادِرُ ، المُقْتَدِرُ ، المُقَـدِّمُ ، المُؤَخِّرُ ، الأَوَّلُ ، الآخِـرُ ، الظَّاهِـرُ ، البَاطِنُ ، الوَالِي ، المُتَعَالِي ، البَرُّ ، التَّوَّابُ ، المُنْتَقِمُ ، العَفُوُّ ، الرَّؤُوفُ ، مَالِكُ المُلْكِ ، ذُو الجَلالِ والإكرامِ ، المُقْسِطُ ، الجَامِعُ ، الغَنِيُّ ، المُغْنِي ، المَانِعُ ، الضَّارُّ ، النَّافِعُ ، النُّورُ ، الهَادِي ، البَدِيعُ . الباقي ، الوَارِثُ ، الرَّشِيدُ ، الصَّبُورُ .

---

(٢٦٠) الترمذي (٣٥٠٢) وابن ماجة رقم (٣٨٦١) من رواية الأعرج عن أبي هريرة مرفوعاً وسنده ضعيف ، نعم بعض هذه الأسماء في القرآن ، ومنها ما ورد فيه الفعل أو المصدر دون الإسم ، ومنها ما ليس في القرآن .

قال ابن كثير في التفسير : والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه . وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك ، أي أنهم جمعوها من القرآن كما روى جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبو زيد اللغوي . والله أعلم ، وأخرجه البخاري ١١/ ١٨٠ - ٢٩٢ ، ومسلم رقم (٢٦٧٧) بدون ذكر الأسماء . انظر « جامع الأصول » ٤/ ١٧٤ - ١٧٥ .

٤٩ - باب
الاستعاذة

٢٦١ - اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ .

٢٦٢ - اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ والْحَزَنِ ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ .

٢٦٣ - اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ والكَسَلِ ، والجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ ، وَعَذَابِ القَبْرِ .

٢٦٤ - اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وزَكِّهـا أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاها ، أنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَها .

٢٦٥ - اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا .

٢٦٦ - اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ ، وَتَحوُّلِ عَافِيَتِكَ ، وَفُجاءَةِ نِقْمَتِكَ ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ .

---

(٢٦١) رواه البخاري ١١/ ٤٤٩ ومسلم رقم (٢٧٠٧) والنسائي ٨/ ٢٦٩ - ٢٧٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « تعوذ بالله من جهد البلاء . . . » الحديث .

(٢٦٢) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه . انظر « جامع الأصول » رقم (٢٣٧٩) .

(٢٦٣) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها ، انظر « جامع الأصول » رقم (٢٣٨١) .

(٢٦٤) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٧٢٢) والنسائي ٨/ ٢٦٠ وأحمد ٤/ ٣٧١ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه .

(٢٦٥) قطعة من الحديث السابق .

(٢٦٦) رواه مسلم رقم (٢٧٣٩) وأبو داود رقم (١٥٤٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

٢٦٧ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ .

٢٦٨ ـ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ ، لا إِلَهَ إلا أَنْتَ ، أَنْ تُضِلَّنِي ، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، والجنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ .

٢٦٩ ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ وَالقِلَّةِ والذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ .

٢٧٠ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ من الشِّقَاقِ والنِّفَاقِ وسُوءِ الأَخْلَاقِ .

٢٧١ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فإنَّها بِئْسَتِ البِطَانَةُ .

٢٧٢ـ اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ من البَرَصِ ، والجُذَامِ ، والجُنُونِ ، وَمِنْ سَيِّءِ الأَسْقَامِ .

٢٧٣ـ اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ والأَعْمَالِ والأَهْوَاءِ .

---

(٢٦٧) رواه مسلم رقم (٢٧١٦) وأبو داود رقم (١٥٥٠) والنسائي ٣/ ٥٦ من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢٦٨) رواه البخاري ١٣/ ٣١٣ ـ ٣١٤ ومسلم رقم (٢٧١٧) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢٦٩) رواه أبو داود رقم (١٥٤٤) والنسائي ٨/ ٢٦٢ وابن حبان رقم (٢٤٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واسناده صحيح .

(٢٧٠) رواه أبو داود رقم (١٥٤٦) والنسائي ٨/ ٢٦٤ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . واسناده ضعيف .

(٢٧١) رواه أبو داود رقم (١٥٤٧) والنسائي ٨/ ٢٦٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن ماجه رقم (٣٣٥٤) وهو حديث حسن .

(٢٧٢) رواه أبو داود رقم (١٥٥٤) والنسائي ٨/ ٢٧١ من حديث أنس رضي الله عنه ، واسناده قوي .

(٢٧٣) رواه الترمذي رقم (٣٥٨٥) وابن حبان رقم (٢٤٢٢) من حديث قطبة بن مالك رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٣٠٩) .

٢٧٤ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعي وَبَصَرِي ، وَشَرِّ لساني وشَرِّ قلبي وشَرِّ مَنِيِّي .

٢٧٥ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنَ الهَدْمِ ، وَأعُوذُ بِكَ من التَّرَدِّي ، وَمِنْ الغَرَقِ والحَرَقِ والهَرَمِ وأعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الموتِ . وأعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ أمُوتَ في سَبِيلِكَ مُدْبِراً . وَأعُوذُ بِكَ مِنْ أنْ أمُوتَ لَدِيغاً .

٢٧٦ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إلى طَبَعٍ .

٢٧٧ ـ اللَّهُمَّ ألْهِمْنِي رُشْدِي ، وَأعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي .

٢٧٨ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الجَنَّةَ (ثلاث مرات) .

٢٧٩ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَجِيرُكَ مِنَ النَّارِ (ثلاث مرات)

٢٨٠ ـ أعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ العظيمِ الذي ليس شَيْءٌ أعْظَمُ مِنْهُ . وَبِكَلِمَات اللَّهِ التَّامَّاتِ التي لا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ ، بأسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى ما عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أعْلَمْ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرأَ وَبَرَأَ .

---

(٢٧٤) رواه الترمذي رقم (٣٤٨٧) وأبو داود رقم (١٥٥١) والنسائي ٨/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ من حديث شكل بن حميد رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٣٠٣) .

(٢٧٥) رواه أبو داود رقم (١٥٥٢) والنسائي ٨/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ وأحمد ٣/ ٤٢٧ من حديث أبو اليسر رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٩٣) .

(٢٧٦) لم أجده .

(٢٧٧) رواه الترمذي رقم (٣٤٧٩) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، وهو حديث حسن . وأوله: « قال رسول الله ﷺ : يا حصين كم تعبد اليوم إلهاً ؟ . . . » الحديث .

(٢٧٨) رواه أبو داود رقم (٧٩٢) و (٧٩٣) وأحمد ٣/ ٤٧٤ وابن ماجه رقم (٩١٠) . وإسناده صحيح ، ولفظه أن النبي ﷺ قال لرجل : « كيف تقول في الصلاة ؟ » قال: « أتشهد وأقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار . . . » الحديث .

(٢٧٩) تقدم تخريجه برقم (٧١) .

(٢٨٠) رواه مالك ٢/ ٩٥١ و ٩٥٢ في الشعر : باب ما يؤمر به من التعوذ ، وهو من كلام كتب الأحبار ، ولفظه : « لولا كلمات أقولهن لجعلتني يهود حماراً ، فقيل له : وما هن ؟ قال : أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه . . . » الحديث .

٢٨١ ـ أعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الكُفْرِ والدَّيْنِ .

٥٠ ـ باب

جامع الدعاء

٢٨٢ ـ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي في أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي جِدِّي وَهَزْلِي وَخَطَئِي وَعَمْدِي وَكُلُّ ذلك عِنْدِي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ ، وَما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ المُقدِّم وأنتَ المُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ على كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

٢٨٣ ـ اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لي دِيني الذي هو عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لي دُنْيَايَ التي فيها مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لي آخِرَتِي التي فيها مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لي في كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ المَوْتَ راحةً لي مِنْ كُلِّ شَرٍّ .

٢٨٤ ـ اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَىٰ والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى .

٢٨٥ ـ اللَّهُمَّ اهْدِني وَسدِّدْني .

---

(٢٨١) رواه النسائي ٨/ ٢٦٤ و٢٦٥ من حديث دراج أبي السمح عن شيخه أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري . أقول: ودراج صدوق ، ولكن في حديثه عن شيخه أبي الهيثم ضعيف وهذا منها ، ولفظه : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : أعوذ بالله من الكفر والفقر ، فقال رجل : يا رسول الله ! أتعدل الكفر بالدين ؟ قال : نعم » .

(٢٨٢) رواه البخاري ١١/ ١٦٥ ـ ١٦٦ ، ومسلم رقم (٢٧١٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢٨٣) رواه مسلم رقم (٢٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢٨٤) رواه مسلم رقم (٢٧٢١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢٨٥) رواه مسلم رقم (٢٧٢٥) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٢٨٦ - اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي ، وَاهْدِنِي وعَافِنِي وارْزُقْنِي .

٢٨٧ - اللَّهُمَّ آتنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وقِنا عَذَابَ النَّارِ .

٢٨٨ . ربِّ أَعِنّي وَلاَ تُعِنْ عَلَيَّ ، وَانْصُرْنِي ولا تَنْصُرْ عَلَيَّ ، وَامْكُرْ لي ، وَلاَ تَمْكُرْ عَلَيَّ ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الهُدَىٰ لي ، وَانْصُرْني على مَنْ بَغَىٰ عليَّ . ربِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِراً ، لَكَ ذَاكِراً ، لَكَ رَاهِباً ، لَكَ مِطْوَاعاً ، لَكَ مُخْبِتاً ، إِلَيْكَ أَوَّاهاً مُنِيباً ربِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي ، وَأَجِبْ دَعْوَتِي ، وَثَبِّتْ حُجَّتِي ، وَسَدِّدْ لِسَانِي ، وَاهْدِ قَلْبِي ، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي .

٢٨٩ - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَفْوَ والْعَافِيَةَ .

٢٩٠ - رَبِّ إِنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ والمعافَاةَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

٢٩١ - اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ .
اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فيما تُحِبُّ .
اللَّهُمَّ مَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغاً لي فيما تُحِبُّ .

---

(٢٨٦) رواه أبو داود رقم (٨٥٠) والترمذي رقم (٢٨٤) وابن ماجة رقم (٨٩٨) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن ، وروواه الحاكم ٢٦٢/١ وصححه ووافقه الذهبي .

(٢٨٧) رواه البخاري ١١/ ١٦١ ومسلم (٢٦٩٠) وأبو داود رقم (١٥١٩) من حديث أنس رضي الله عنه . وتقدم برقم (٢٢٠) .

(٢٨٨) رواه الترمذي رقم (٣٥٤٦) وأبو داود رقم (١٥١٠) وأحمد ٣/ ٣١٠ وابن ماجة رقم (٣٨٣٠) وابن حبان رقم (٢٤١٤) ، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح .

(٢٨٩) تقدم تخريجه برقم (٨٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأوله : « لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح . . . » الحديث .

(٢٩٠) انظر الحديث السابق .

(٢٩١) رواه الترمذي رقم (٣٤٨٦) من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وفي سنده سفيان بن وكيع بن الجراح ، قال عنه الحافظ في « التقريب » ١/ ٣١٢ : كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه ، فنصح فلم يقبل ، فسقط حديثه .

٢٩٢ ـ اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنَ اليَقِينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيا ؛ وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا ما أَحْيَيْتَنا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانا ، وَلاَ تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا في دِينِنَا ، وَلاَ تَجْعَلِ الدُّنيا أَكْبَرَ هَمِّنا ، وَلاَ مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلا تُسَلِّطْ علينا مَنْ لاَ يَرْحَمُنْا .

٢٩٣ ـ اللَّهُمَّ انْفَعْنِي ما عَلَّمْتَنِي ، وَعَلِّمْنِي ما يَنْفَعُنِي ، وَزِدْنِي عِلْماً . الحمدُ للّهِ على كُلِّ حَالٍ ، وَأَعُوذُ بِاللّهِ من حالِ أَهْلِ النارِ .

٢٩٤ ـ اللَّهُمَّ زِدْنَا ولا تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا ولا تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا وَلاَ تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضِنَا وَارضَ عَنَّا .

٢٩٥ ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ ، والعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ . اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أحبَّ إليَّ مِنْ نَفْسِي ومالي وأهلي ، وَمِنْ الماءِ البارِدِ .

٢٩٦ ـ اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ ، وَقُدْرَتِكَ على الخَلْقِ ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتُ الحَيَاةَ خَيْراً لي ، وَتَوَفَّنِي إذا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لي .

---

(٢٩٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٩٧) وابن السني رقم (٤٤٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن . وصححه الحاكم ١/ ٥٢٨ ووافقه الذهبي .

(٢٩٣) رواه ابن ماجة رقم (٢٥١) و (٣٨٣٣) والترمذي رقم (٣٥٩٣) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واسناده ضعيف ، ولكن لأوله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه عند الحاكم ١/ ٥١٠ فهو به حسن ولفظه : « اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وارزقني علماً تنفعني به » .

(٢٩٤) رواه أحمد ١/ ٣٤ والترمذي رقم (٣١٧٢) وفي سنده يونس بن سليم الصنعاني وهو مجهول . كما في « التقريب» .

(٢٩٥) رواه الترمذي رقم (٣٤٨٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وفي سنده عبد الله بن ربيعة بن يزيد ، وهو مجهول .

(٢٩٦) رواه النسائي ٣/ ٥٤ ـ ٥٥ من حديث عطاء بن السائب عن أبيه ، واسناده جيد .

اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ في الغَيْبِ والشَّهَادَةِ ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ في الرِّضى وَالْغَضَبِ ، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ في الفَقْرِ والغِنَى ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لاَ يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَى بَعْدَ القَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ والشَّوْقَ إلى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ . اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإيمانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ .

٢٩٧ـ اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أُعَظِّمُ شُكْرَكَ ، وَأُكْثِرُ ذِكْرَكَ وَأَتْبَعُ نُصْحَكَ ، وَأَحْفَظُ وَصِيَّتَكَ .

٢٩٨ـ اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الصِّحَةَ والعِفَّةَ والأَمَانَةَ وحُسْنَ الخُلُقِ ، والرِّضَى بِالْقَدَرِ .

٢٩٩ـ اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنَ النِّفَاقِ ، وَعَمَلي من الرِّيَاءِ ، ولِسَانِي مِنَ الكَذِبِ ، وَعَيْنَيَّ مِن الخِيَانَةِ ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ .

٣٠٠ـ اللَّهُمَّ اجْعَلْ سَرِيرَتِي خَيْراً مِنْ عَلاَنِيَتِي ، وَاجْعَلْ عَلاَنِيَتِي صالِحَةً .

اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ صَالِحِ ما تُؤْتِي النَّاسَ مِنَ الأَهْلِ والمَالِ والولدِ غيرِ الضالِّ ولا المُضِلِّ .

---

(٢٩٧) رواه الترمذي (٣٦٠١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي سنده الفرج بن فضالة وهو ضعيف ، ولفظه : « دعاء حفظته من رسول الله ﷺ لا أدعه : اللهم اجعلني أعظم شكرك . . . » الحديث .

(٢٩٨) رواه البيهقي في « الدعوات الكبير » من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٢٩٩) رواه البيهقي في « الدعوات الكبير » من حديث أم معبد رضي الله عنها.

(٣٠٠) رواه الترمذي رقم (٣٥٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وليس اسناده بالقوي .

٥١ ـ باب
الدعاء عند المنام

٣٠١ـاللَّهُمَّ باسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا .

٣٠٢ـبِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْها ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ .

٣٠٣ـاللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إلَيكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ .

٣٠٤ـالحمدُ لِلّهِ الذي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانا ، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ له ولا مُؤْوِي .

٣٠٥ـسُبْحَان اللّهِ (ثلاثاً وثلاثين) الحَمْدُ للّهِ (ثلاثاً وثلاثين) اللّهُ أكبرُ (أربعاً وثلاثين) .

---

(٣٠١) رواه البخاري ١١/ ٩٦ من حديث حذيفة رضي الله عنه ، ورواه مسلم رقم (٢٧١١) من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه ، ورواه البخاري ١١/ ١١١ من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٣٠٢) رواه البخاري ١١/ ١٠٧ ومسلم رقم (٢٧١٤) والترمذي رقم (٣٣٩٨) وأبو داود رقم (٥٠٥٠) وابن ماجة رقم (٣٨٧٤) وأحمد ٢/ ٢٤٦ و ٢٨٣ و ٢٩٥ و ٤٢٢ و ٤٣٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٠٣) رواه البخاري ١١/ ٩٧ ومسلم (٢٧١٠) والترمذي رقم (٣٣٩١) وأبو داود رقم (٥٠٤٦) وابن ماجة رقم (٣٨٧٦) وأحمد ٤/ ٢٨٥ و ٢٩٠ و ٢٩٢ و ٢٩٦ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠٥ والدارمي رقم (٢٦٨٦) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه .

(٣٠٤) رواه مسلم رقم (٢٧١٥) والترمذي رقم (٣٣٩٣) وأبو داود رقم (٣١٥٣) وأحمد ٣/ ١٥٣ و ١٦٧ و ٢٥٣ من حديث أنس رضي الله عنه .

(٣٠٥) انظر الحديث ورواياته في « جامع الأصول » رقم (٢٢٤٠) وهو من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه . رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود .

٣٠٦ـاللهمَّ ربَّ السماواتِ وربَّ الأرضِ وربَّ كُلِّ شَيْءٍ ، فَالِقَ الحَبِّ والنَّوى ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجيلِ والقُرْآنِ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذي شَرٍّ أَنْتَ آخِذٌ بِناصِيَتِهِ .

أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ، وأنتَ الظَّاهِرُ فليس فَوْقَكَ شَيْءٌ ، وأنتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَك شَيْءٌ ؛ اقضِ عَنِّي الدَّيْنَ ، وَأَغنِنِي مِنَ الفَقْرِ . بِسْمِ اللَّهِ، وَضَعْتُ جَنْبِي للَّه .

٣٠٧ـاللهمَّ اغْفِر لي ذَنْبِي ، وَأَخْسِىءْ شَيْطاني ، وَفُكَّ رِهاني ، وَاجْعَلْني في النَّدِيِّ الأَعْلىٰ .

٣٠٨ـالحمدُ للّهِ الذي كَفَانِي وَآوَانِي وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي ، والذي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ ، وَالذي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ . الحمدُ للّهِ على كل حالٍ .

اللهمَّ ربَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمليكَهُ ، وإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ » .

٣٠٩ـاللهُمَّ ربَّ السماواتِ السَّبعِ وما أظلَّتْ ، وربَّ الأرضينِ وما أَقلَّتْ ، وربَّ الشياطينِ وما أَضلَّتْ ، كُنْ لي جَاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جميعاً أَنْ يَفْرُطَ عليَّ أَحَدٌ منهم ، وَأَنْ يَبْغِيَ ، عَزَّ جَارُكَ ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ ، ولا إِلَهَ غَيْرُكَ ، لآ إله إلا أَنْتَ .

---

(٣٠٦) رواه مسلم رقم (٢٧١٣) وأحمد ٢/ ٣٨١ و ٤٠٤ و ٥٣٢ وأبو داود رقم (٥٠٥١) والترمذي رقم (٣٣٩٧) وابن ماجة رقم (٣٨٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٠٧) رواه أبو داود رقم (٥٠٥٤) من حديث أبو الأزهر الأنماري رضي الله عنه ، واسناده حسن ، وقد حسنه أيضاً النووي في «الاذكار» رقم (٢٧٥) من طبعتنا ـ دار البيان بدمشق .

(٣٠٨) رواه أبو داود رقم (٥٠٥٨) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٧٩٨)، وابن السني رقم (٧٢٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وإسناده صحيح .

(٣٠٩) رواه الترمذي رقم (٣٥١٨) من حديث بريدة رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بالقوي ، والحكم بن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل العلم ، ويروي هذا الحديث عن النبي ﷺ مرسلاً من غير هذا الوجه .

٣١٠ ـ اللهمَّ قِني عَذابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبادَكَ (ثلاث مرات) .

٣١١ ـ اللهمَّ إنِّي أعُوذُ بِوَجْهِكَ الكريمِ ، وَكلماتِكَ التَّامَّاتِ ، مِنْ شَرِّ ما أنتَ آخذٌ بناصيتِهِ. اللَّهمَّ أنْتَ تَكْشِفُ المَغْرَمَ وَالمَأْثَمَ .

اللهمَّ لا يُهْزَمُ جُنْدُكَ ، ولا يُخْلَفُ وَعْدُكَ ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ ، سُبْحَانك وَبِحَمْدِكَ .

٣١٢ ـ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الذي لا إلَهَ إلاَّ هُوَ الحيُّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إليه (ثلاث مرات).

٣١٣ ـ ﴿ اللّهُ لا إِله إلا هُوَ الحيُّ القيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ له ما في السماواتِ وما في الأرضِ مَنْ ذَا الذي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ولا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلا بما شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّه السماواتِ والأرضِ ولا يَؤُدُهُ حِفْظُهما وهو العَليُّ العظيمُ ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

---

(٣١٠) رواه أحمد ٦/ ٢٨٧ و ٢٨٨ وأبو داود رقم (٥٠٤٥) من حديث حفصة رضي الله عنها ، وهو حديث صحيح .

(٣١١) رواه أبو داود رقم (٥٠٥٢) من حديث أبي اسحاق السبيعي عن الحارث الأعور وأبي ميسرة عن علي رضي الله عنه ، وهو حديث حسن . انظر « جامع الأصول » رقم (٢٢٦٣) .

(٣١٢) رواه الترمذي رقم (٣٣٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، واسناده ضعيف . ولفظه : « من قال حين يأوي الى فراشه : أستغفر الله . . . ثلاث مرات ، غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، أو عدد رمل عالج ، أو عدد ورق الشجر ، أو عدد أيام الدنيا » .

(٣١٣) روى البخاري تعليقا ٤/ ٣٩٦ ـ ٣٩٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه أتاه آتٍ يحثو من الصدقة ـ وكان قد جعله النبي ﷺ عليها ـ ليلة بعد ليلة ، فلما كان في الليلة الثالثة ، قال : لأرفعنك الى رسول الله ﷺ ، قال : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ـ وكانوا أحرص شيء على الخير ـ فقال : إذا أويت إلى فراشك ، فاقرأ آية الكرسي : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم . . . ﴾ حتى تختمها . . . » الحديث .

٣١٤ - ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ اليه مِنْ رَبِّهِ والمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإليك المصيرُ * لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلا وُسْعَهَا لها مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أَوْ أَخْطَأْنَا ربَّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصْراً كما حَمَلْتَهُ على الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ربَّنا ولا تُحمِّلْنَا ما لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أنتَ مولانا فَانْصُرْنَا على القومِ الكافرينَ ﴾ [البقرة : ٢٨٥ - ٢٨٦] .

٣١٥ - ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . . . ﴾ السورة .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ . . . ﴾ السورة .

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . . . ﴾ السورة .

٣١٦ - ﴿حم * والكتابِ المبينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ في ليلةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . . . ﴾ [الدخان : ١ - ٣] السورة .

٣١٧ - ﴿الٓمٓ * تَنْزِيلُ الكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ . . . ﴾[السجدة : ١ - ٢] السورة .

---

(٣١٤) روى البخاري ٩/ ٥٠ ومسلم (٨٠٨) والترمذي رقم (٢٨٨٤) وأبو داود رقم (١٣٩٧) وابن ماجة رقم (١٣٦٩) وأحمد ٤/ ١١٨ و١٢١ و١٢٢ من حديث أبي مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كَفَتَاهُ » .

(٣١٥) روى البخاري ٩/ ٥٦، ومسلم رقم (٢١٩٢) والترمذي رقم (٣٣٩٩) وأبو داود رقم (٣٩٠٢) من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه نفث يديه وقرأ المعوذات و ﴿ قل هو الله أحد﴾ ومسح بهما وجه، فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به » .

(٣١٦) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٠) في ثواب القرآن : باب ما جاء في فضل ﴿ حم الدخان ﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف . ولفظه : « من قرأ الدخان في ليلة ، أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » .

(٣١٧) رواه الدارمي رقم (٣٤١٤) في فضائل القرآن : باب في فضل سورة تنزيل السجدة وتبارك ، والترمذي رقم (١٤٠١) في الدعوات : باب رقم ٢٢ ، وأحمد ٣/ ٣٤٠ وأبو عبيد في « فضائله » وعبد بن حميد والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٧٠٦ - ٧٠٩) وابن السني رقم (٦٧٥) والحاكم وصححه وابن مردويه من حديث جابر رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « الأحاديث =

٣١٨ـ﴿ تبارك الذي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . . . ﴾ [تبارك : ١] السورة .

﴿ قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدُ اللّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ .

٣١٩ـ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ ما أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

٣٢٠ـ﴿ إِنَّ في خَلْقِ السَّماوَاتِ والأرضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ لآياتٍ لأُولي الأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠ ـ ٢٠٠] . إلى آخر السورة .

= الصحيحة » رقم (٥٨٥) . ولفظه : « كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿ألم تنزيل السجدة﴾ و ﴿ تبارك الذي بيده الملك ﴾ » .

(٣١٨) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٣) في ثواب القرآن ، وأحمد ٢ / ٢٩٩ و ٣٢١ ، وابن ماجه رقم (٣٧٨٦) وأبو داود رقم (١٤٠٠) ، والحاكم ١ / ٥٦٥ ولفظه : « سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له ﴿ تبارك الذي بيده الملك . . . ﴾» . وصححه ووافقه الذهبي ، وهو حديث حسن كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٠٨٧) .

(٣١٩) رواه أبو داود رقم (٥٠٥٥) ، والترمذي رقم (٣٤٠٠) وأحمد ٥ / ٤٥٦ ، والحاكم ١ / ٥٦٥ وصححه ووافقه الذهبي وهو حديث صحيح كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١١٧٢) .

(٣٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يقرأ عشر آيات من أواخر سورة آل عمران كل ليلة » رواه ابن السني رقم (٦٨٨) وفي اسناده مظاهر بن أسلم وهو ضعيف . ووردت قراءة هذه الآيات في صلاة الليل . انظر « جامع الأصول » رقم (٤١٩٧) وهو حديث متفق عليه .

الخاتمة وفيها خمسة فصول

الفصل الاول
في ذكر اللّه عز وجل

٣٢١ـ لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللّهَ إلا حَفَّتْهُمْ الملائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُم الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ .

٣٢٢ـ مَثَلُ الذَّي يَذْكُرُ رَبَّه والذي لا يَذْكُرُ رَبَّهْ ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ .

٣٢٣ـ إنَّ للّهِ ملائكةً يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ؛ فاذا وَجَدُوا قوماً يَذْكُرون اللّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إلى حَاجَتِكُمْ . قال : فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إلى السماءِ الدُّنيا . . . الحديث .

---

(٣٢١) رواه مسلم رقم (٢٧٠٠) والترمذي رقم (٣٣٧٥) من حديث الأغر أبي مسلم رحمه الله قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يعقد قوم يذكرون الله عز وجل . . . » الحديث .

(٣٢٢) رواه البخاري ١١/ ١٧٥ و ١٧٦ ومسلم رقم (٧٧٩) بلفظ آخر من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٣٢٣) رواه البخاري ١١/ ١٧٧ ـ ١٧٩ ومسلم رقم (٢٦٨٩) والترمذي رقم (٣٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٣٢٤ـأَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ ، وَأَرْفَعِها في دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ والوَرِقِ ، وخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُم ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُم ؟ قالوا : بلى قال : ذِكْرُ اللَّهِ .

٣٢٥ـطُوبى لِمَنْ طَالَ عُمْرُهُ ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ .

قال : يا رَسُولَ اللّه ! أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ ؟ قال : أَنْ تُفَارِقَ الدُّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللّه .

٣٢٦ـمَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ اللّهَ فيه كانَتْ عليه مِنَ اللّهِ تِرَةٌ ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مُضْطَجَعاً لا يَذْكُرُ اللّهَ فيه كانَتْ عليه مِنَ اللّهِ تِرَةٌ .

٣٢٧ـمَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لا يَذْكُرُونَ اللّهَ فيه إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ ، وكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً .

٣٢٨ـكُلُّ كَلَامِ ابنِ آدمَ عليهِ لا لَهُ ، إِلَّا أَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ ، أَو نَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ ، أَوْ ذِكْرُ اللّهِ .

---

(٣٢٤) رواه أحمد ٥/ ٢٣٩ من حديث زياد بن أبي زياد عن معاذ ، واسناده منقطع ، ورواه مالك ١/ ٢١١ موقوفاً على أبي الدرداء ، واسناده منقطع ، وقد وصله أحمد ٥/ ١٩٥ والترمذي رقم (٣٣٧٤) وابن ماجه رقم (٣٧٩٠) والحاكم ١/ ٤٩٦ كلهم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

(٣٢٥) رواه الترمذي رقم (٢٣٣١) وأحمد في « المسند » ٤/ ١٨٨ و ١٩٠ من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه واسناده صحيح . وعند الترمذي الفقرة الأولى فقط .

(٣٢٦) رواه أبو داود رقم (٤٨٥٦) و (٥٠٥٩) وابن حبان رقم (٢٣٢١) وابن السني رقم (٤٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،وهو حديث صحيح ،كما قال الألباني في« الأحاديث الصحيحة» رقم(٧٨).

(٣٢٧) رواه أحمد ٢/ ٣٨٩ و ٤٩٤ و ٥١٥ و ٥٢٧ وأبو داود رقم (٤٨٥٥) والترمذي رقم (٣٣٧٧) وابن السني رقم (٤٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٣٢٨) رواه الترمذي رقم (٢٤١٤) وابن ماجة رقم (٣٩٧٤) من حديث أم حبيبة رضي الله عنها ، وهو حديث حسن .

٣٢٩ ـ لا تُكْثِرُوا الكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللّهِ، فإنَّ كَثْرَةَ الكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرٍ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللّهِ القَلْبُ القَاسِي .

٣٣٠ـ أيُّ المالِ نَتَّخِذُ ؟ قال : لِسَاناً ذَاكِرَاً ، وَقَلْباً شَاكِرَاً ، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُهُ على إيمَانِهِ . لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللّهِ .

٣٣١ـ أيُّ العبادِ أفضلُ وَأَرفعُ درجةً عند اللّه يوم القيامة ؟ قال : الذَّاكِرُونَ اللّه كَثيراً والذَّاكِرَاتُ . . . الحديث .

٣٣٢ـ الشَّيْطَانُ جَاثِمٌ عَلىٰ قَلْبِ ابنِ آدمَ ، فاذا ذَكَرَ اللّهَ خَنَسَ ، وإذا غفل وسوس .

٣٣٣ـ ذاكرُ اللّهِ في الغافِلينَ كالمُقَاتِلِ خَلْفَ الفَارِّينَ . الحديث .

٣٣٤ـ مَا عَمِلَ العَبْدُ عَمَلاً أنجى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِنْ ذِكْرِ اللّهِ .

---

(٣٢٩) رواه الترمذي رقم (٢٤١٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٦٢٧٩) : ضعيف .

(٣٣٠) رواه الترمذي رقم (٣٠٩٣) من حديث ثوبان رضي الله عنه . اسناده منقطع . انظر « جامع الأصول » رقم (٦٥٥) .

(٣٣١) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٣) وأحمد ٣/ ٧٥ من حديث دراج بن سمعان أبي السمح عن أبي الهيثم سليمان بن عمرو العتواري عن أبي سعيد الخدري ، وحديث دراج عن أبي الهيثم ضعيف ، ولذلك قال الترمذي : هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث دراج .

(٣٣٢) قال المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢/ ٤٠٠ : رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي من حديث أنس رضي الله عنه ، وأخرجه الطبراني ٣٠/ ٢٢٨ من حديث جرير عن منصور عن سفيان عن ابن عباس ، وهو منقطع ، وذكره الحافظ بنحوه ونسبه لسعيد بن منصور .

(٣٣٣) قال المناوي في « فيض القدير » ٣/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩ : قال الحافظ العراقي : في سنده ضعف ، فيه عمران ابن مسلم القصير ، قال في « الميزان » : قال البخاري : منكر الحديث ، ثم أورد له هذا الخبر .

(٣٣٤) رواه « الموطأ » ١/ ٢١١ في القرآن : باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى ، فقال : قال زياد بن أبي زياد : وقال أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل . . . الخ ورواه الترمذي تعليقاً على الحديث رقم (٣٣٧٤) قال : قال معاذ . وقال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٥٥٢٠) : صحيح .

٣٣٥ - إنَّ اللّه تعالى يقول : أَنا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَني وَتَحَرَّكَتْ بي شَفَتَاهُ .

٣٣٦ - لِكُلِّ شَيْءٍ صَقَالةٌ ، وصَقَالَةُ القُلُوبِ ذِكْرُ اللّهِ . . . الحديث .

* * *

(٣٣٥) رواه البخاري ١٣/٤١٧ تعليقاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ورواه مسنداً أحمد في « المسند » ٢/٥٤٠ ، وابن ماجه رقم (٣٧٩٢) وصححه ابن حبان رقم (٢٣١٦) « موارد » ، والحاكم ١/٤٩٦ ووافقه الذهبي ، وهو كما قالوا .

(٣٣٦) رواه البيهقي في « الدعوات الكبير » من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ولفظه : « لكل شيء صقالة ، وصقالة القلوب ذكر الله ، وما من شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله » قالوا : ولا ٱلجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع » وهو حديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (١٩٣٠) .

الفصل الثاني

في فضل تلاوة القرآن وفضائل سوره

٣٣٧ـخَيْرُكُمْ مَنْ تَعلَّم القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ .

٣٣٨ـالمَاهِرُ بِالقُرآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ ، والذي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فيه وهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ .

٣٣٩ـلَا حَسَدَ إلا على اثنين : رَجُلٌ آتاهُ اللّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ الليلِ وَآنَاءَ النَّهارِ . وَرَجُلٌ آتاهُ اللّهَ مالاً فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ .

٣٤٠ـالمؤمنُ الذي يَقْرَأُ القُرْآن وَيَعْمَلُ بِهِ كالأُتْـرُجَّةِ ، والمؤمنُ الـذي لا يَقْرَأُ القرآنَ وَيَعمَلُ به كالتَّمْرَةِ .

---

(٣٣٧) رواه البخاري ٩/ ٦٦ ـ ٦٧ وأبو داود رقم (١٤٥٢) والترمذي رقم (٢٩٠٩) و (٢٩١٠) وابن ماجة رقم (٢١١) من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٣٣٨) رواه البخـاري ٨/ ٥٣٢ ومسلم (٧٩٨) وأحمد ٦/ ٩٨ و ١٧٠ و ٢٢٩ و ٢٢٦ ، والترمـذي رقم (٢٩٠٦) وأبو داود رقم (١٤٥٤) وابن ماجة رقم (٣٧٧٩) من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣٣٩) رواه البخاري ٩/ ٦٥ ومسلم رقم (٨١٥) والترمذي رقم (١٩٣٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣٤٠) رواه البخاري ٩/ ٥٨ ـ ٥٩ ومسلم رقم (٧٩٧) والترمذي رقم (٢٨٦٩) وأبو داود رقم (٤٨٣٠) والنسائي ٨/ ١٢٤ ـ ١٢٥ وابن ماجة رقم (١٢٤) ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه .

٣٤١ـإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكتابِ أَقْواماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ .

٣٤٢ـلَا تَجْعَلوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ؛ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيه سُورَةُ البَقَرةِ .

٣٤٣ـاقْرَؤُ وا القُرْآنَ فإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ . اقْرَؤُ وا الزَّهْرَاوَيْنِ : البَقَرَةَ ، وَسُورَةُ آلِ عمران ، فَإِنَّهما تَأْتِيَانِ يَوْمَ القِيامَةِ كَأَنَّهما غَمامَتانِ أَوْ غَيايَتَانِ(١) ، أو فِرْقَانِ(٢) مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا . اقْرأوا سُورَةَ البقرةِ فإِنَّ أَخْذَها بَرَكَةٌ ، وَتَرْكَها حَسْرَةٌ ، ولا يَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ .

٣٤٤ـيا أبَا المُنْذِرِ : أَتَدْرِي أيُّ آيةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّه مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ قلتُ : ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ ﴾ قال : فَضَرَبَ صَدْرِي وقال : لِيَهْنِكَ العِلْمُ يا أَبَا المُنْذِر .

٣٤٥ـأَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُما لم يُؤْتَهما نَبِيٌّ قَبْلَكَ : فَاتِحَةُ الكِتَابِ ، وخَوَاتِيمُ سُورَةِ البقرةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنهما إِلَّا أُعْطِيتَهُ .

٣٤٦ـمَنْ حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِنْ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ .

٣٤٧ـإِنِّي أُحِبُّ هذه السُّورَةَ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، قال : « إِنَّ حُبَّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ » .

---

(٣٤١) رواه مسلم رقم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣٤٢) رواه مسلم رقم (٧٨٠) والترمذي رقم (٢٨٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٤٣) رواه مسلم رقم (٨٠٤) وأحمد ٥/ ٢٤٩ ، والحاكم ١/ ٥٦٤ من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه .

(٣٤٤) رواه مسلم رقم (٨١٠) وأبو داود رقم (١٤٦٠) من حديث (أبي المنذر) أبي بن كعب رضي الله عنه .

(٣٤٥) رواه مسلم رقم (٨٠٦) والنسائي ٢/ ١٣٨ من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣٤٦) رواه مسلم رقم (٨٠٩) وأبو داود رقم (٤٣٢٣) والترمذي رقم (٢٨٨٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣٤٧) رواه الترمذي عقب الحديث رقم (٢٩٠٣) من حديث أنس رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

٣٤٨ـأَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتْ الليلةَ لم يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ﴾ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الناسِ ﴾ .

٣٤٩ـيُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ : اقْرَأْ وَارْتَقِ ، وَرَتِّل كَما كُنْتَ تُرَتِّل في الدُّنيا ، فإِنَّ مَنْزِلَتِكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُها .

٣٥٠ـإِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ كالبَيْتِ الخَرِبِ .

٣٥١ـيَقُولُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعالى : مَنْ شَغَلَهُ القُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي ، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ما أُعْطِي السَّائِلِينَ ، وَفَضْلُ كلامِ اللَّهِ تعالى على سائِرِ الكلام كَفَضْلِ اللَّهِ على خَلْقِهِ .

٣٥٢ـمَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثالِهَا ، لَا أَقُولُ : آلم حَرْفٌ : ولكن أَلِفٌ حَرْفٌ ، ولام حَرْفٌ وَمِيم حَرْفٌ .

---

(٣٤٨) رواه مسلم رقم (٨١٤) والترمذي رقم (٢٩٠٤) و (٢٩٠٥) وأبو داود رقم (١٤٦٢) والنسائي ٢ /١٥٨ و٨/ ٢٥١ ـ ٢٥٤، وأحمد ٤/ ١٤٤ و١٥٠ و١٥١ و١٥٢ و١٥٣ و١٥٥ و١٥٨ و٢٠١ من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه .

(٣٤٩) رواه الترمذي رقم (٢٩١٥) وأبو داود رقم (٢٤٦٤) وأحمد ١٩٢/٤ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وصححه ابن حبان رقم (١٧٨٩) . وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٧٩٧٧) .

(٣٥٠) رواه الترمذي رقم (٢٩١٤) وأحمد ٢٢٣/١ والدارمي رقم (٣٣٠٩) ، وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان وفيه لين، ومع ذلك فقد قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه الحاكم ١/ ٥٥٤ وصححه وتعقبه الذهبي بأن قابوس فيه لين ، وفي الباب عند الدارمي رقم (٣٣١٠) عن ابن مسعود موقوفاً عليه .

(٣٥١) رواه الترمذي رقم (٢٩٢٧) والدارمي رقم (٣٣٥٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه واسناده ضعيف ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، انظر « فيض القدير » ٤/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥ و « الأحاديث الضعيفة » رقم (١٣٣٥) .

(٣٥٢) رواه الترمذي رقم (٢٩١٢) والدارمي (٣٣١١) وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

٣٥٣-مَنْ قَرأَ القُرْآن وَعَمِلَ بما فيه ، أُلْبِسَ وَالِدَاه تَاجاً يَوْمَ القِيَامَةِ ضَوْؤُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ في بُيُوتِ الدُّنيا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ ، فَمَا ظَنُّكُمْ بالَّذِي عَمِلَ بِهذا ؟ .

٣٥٤-مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَاسْتَظْهَرَهُ ، فَأَحَلَّ حَلالَهُ ، وحَرَّمَ حَرَامَهُ ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ ، وشَفَّعَهُ في عَشْرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهم قد وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ .

٣٥٥-إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْباً ، وَقَلْبُ القرآن ﴿ يٓس ﴾ ، مَنْ قَرأَ ﴿ يٓس ﴾ : كَتَبَ اللَّهُ بِقِرَاءَتِها قِرَاءَة القرآن عَشْرَ مَرَّاتٍ .

٣٥٦-إنَّ سُورَةً في القرآن ثلاثون آيةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ ، وهي : ﴿ تبارَكَ الذي بِيَدِهِ المُلْكُ ﴾ .

٣٥٧-﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ تَعْدِلُ نِصْفَ القُرْآنِ، وَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ ، وَ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ﴾ تَعْدِلُ رُبُعَ القُرْآنِ .

٣٥٨-مَنْ قَرَأَ كُلَّ يَوْمٍ مِائَتَيْ مَرَّةً : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ مُحِيَ عَنْهُ ذُنُوبُ خمسينَ

---

(٣٥٣) رواه أبو داود رقم (١٤٥٣) من حديث زبان بن فائد عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه ، واسناده ضعيف .

(٣٥٤) رواه الترمذي رقم (٢٩٠٧) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف جداً ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من الوجه ، وليس إسناده بصحيح .

(٣٥٥) رواه الترمذي رقم (٢٨٨٩) والدارمي رقم (٣٤١٩) من حديث أنس رضي الله عنه ، وفي سنده هارون أبو محمد شيخ مجهول . قال الألباني في « الأحاديث الضعيفة » رقم (١٦٩) : موضوع .

(٣٥٦) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٣) وأبو داود رقم (١٤٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الحاكم ١/٥٦٥ وصححه ووافقه الذهبي ، وهو حديث حسن ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (٢٠٨٧) . وتقدم تخريجه برقم (٣١٨) .

(٣٥٧) رواه الترمذي رقم (٢٨٩٦) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وفي سنده يمان بن المغيرة البصري ، وهو ضعيف ، قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة . ورواه الحاكم ١/٥٦٦ وصححه وتعقبه الذهبي فقال : يمان ضعفوه .

(٣٥٨) رواه الترمذي رقم (٢٩٠٠) من حديث حاتم بن ميمون عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه ، وفي سنده حاتم بن ميمون الكلابي أبو سهل البصري صاحب السقط ، وهو ضعيف ، ورواه أيضاً الدارمي =

سَنَةً ، إلاَّ أنْ يَكُونَ عَلَيْهِ دَيْنٌ .

٣٥٩ ـ كان يَتَعَوَّذُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بـ ﴿قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾ وَ ﴿قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، وَيَقُولُ : يا عُقْبَةُ ! تَعَوَّذْ بِهِما ، فَما تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا .

٣٦٠ـ قِرَاءَةُ القُرْآن في الصَّلاةِ أفْضَلُ مِنْ قِرَاءَةِ القُرآنِ في غَيْرِ الصَّلاةِ ، وَقِـرَاءَةُ القُرْآن في غيرِ الصلاةِ أفْضَلُ مِنَ التَّسْبِيحِ والتَّكْبِيرِ .

٣٦١ـ قِرَاءَةُ الرَّجُلِ القُرْآن في غيرِ المُصْحَفِ ألْفُ دَرجَةٍ ، وَقِرَاءَتُهُ في المُصْحَفِ تُضَعَّفُ على ذلك إلى ألْفَي دَرجَةٍ .

٣٦٢ـ إنَّ هٰذِهِ القُلُوبُ تَصْدَأُ كما يَصْدَأُ الحَدِيدُ إذا أصَابَهُ الماءُ . قيل : يا رَسُولَ اللَّه ! وما جَلاَؤُهَا ؟ قال : « كَثْرَةُ ذِكْرِ المَوْتِ ، وَتِلاَوَةُ القُرْآنِ » .

٣٦٣ـ في فَاتِحَةِ الكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ داءٍ .

٣٦٤ ـ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿آلِ عِمْرانَ﴾ يَوْمَ الجُمُعَةِ صَلَّتْ عليه الملائكةُ إلى اللَّيلِ .

رقم (٣٤٤١) من حديث محمد الوطاء عن أم كثير الأنصارية عن أنس رضي الله عنه ، وفي روايته « خمسين مرة » ولم يذكر : « إلا أن يكون عليه دين » .

(٣٥٩) رواه أبو داود رقم (١٤٦٢) من حديث عقبة ، رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، ومعناه في « الصحيحين » .

(٣٦٠) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » من حديث عائشة رضي الله عنها ، وفيه كما قال المناوي في « فيض القدير » ٤/ ٥١٣ : محمد بن سلام ، قال ابن مندة له غرائب عن الفضل بن سليمان ، وفيه مقال عن رجل من بني خزيمة مجهول . اهـ. قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٠٨٦) : ضعيف .

(٣٦١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » من حديث عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده ، قال المناوي: قال الهيثمي ١٦٥/٧ : فيه أبو سعيد بن عون وثقه ابن معين مرة ، وضعفه أخرى ، وبقية رجاله ثقات . اهـ . قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٠٨٥) : ضعيف .

(٣٦٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » ومحمد بن نصر في « قيام الليل » ، وأبو نعيم في « الحلية » ١٩٧/٨ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . وفي اسناده عبد الرحيم بن هارون الغساني وهو متروك. وأورد الذهبي هذا الحديث وعده من منكراته .

(٣٦٣) رواه الدارمي رقم (٣٣٧٣) والبيهقي في « شعب الإيمان » من حديث عبد الملك بن عمير ، وهو حديث مرسل .

(٣٦٤) رواه الدارمي رقم (٣٤٠٠) عن مكحول مرسلاً .

٣٦٥-اقْرَؤُوا سُورَة ﴿ هُوْدٍ ﴾ يومَ الجُمُعَةِ .

٣٦٦ ـ مَنْ قَرَأَ سُورَةَ ﴿ الكَهْفِ ﴾ في يومِ الجُمُعَةِ ، أَضَاءَ له مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ .

٣٦٧ ـ مَنْ قَرَأَ ﴿ يَس ﴾ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تعالى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ، فَاقْرَؤُوها عِنْدَ مَوْتَاكُمْ .

٣٦٨ ـ إنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَناماً ، وإنَّ سَنَامَ القُرْآنِ سُورَةُ ﴿ البَقَرَةِ ﴾ . وَإنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَاباً ، وَإنَّ لُبَاب القُرْآن المُفَصَّلُ .

٣٦٩-لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ ، وَعَرُوسُ القُرْآن ﴿ الرَّحمٰنُ ﴾ .

٣٧٠ ـ كان يُحِبُّ هذه السُّورَة : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ ﴾ .

٣٧١-« أَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيةٍ في كُلِّ يَوْمٍ ؟ » قالوا : وَمَنْ يَسْتَطِيعُ

---

(٣٦٥) رواه الدارمي رقم (٣٤٠٦) و (٣٤٠٧) عن كعب الأحبار ، واسناده منقطع .

(٣٦٦) رواه الدارمي رقم (٣٤١٠) موقوفاً على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، وهذا الموقوف في حكم المرفوع لأنه ليس للرأي فيه مجال . انظر «الارواء» رقم (٦٢٦) .

(٣٦٧) رواه البيهقي في « الشعب » من حديث معقل بن يسار ، واسناده ضعيف ، ورواه الدارمي رقم (٣٤٢٠) وأبو نعيم في « الحلية » ٢/ ١٥٩ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن حبان من حديث جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه ، دون لفظه « فاقرؤوها عند موتاكم » وهو حديث ضعيف .

(٣٦٨) رواه الدارمي رقم (٣٣٨٠) موقوفاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، واسناده حسن .

(٣٦٩) ذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ونسبه للبيهقي في « الشعب » وقال المناوي ٥/ ٢٨٦ : وفيه علي ابن الحسن دبيس عده الذهبي في الضعفاء والمتروكين، وقال الدارقطني : ليس بثقة فالحديث ضعيف .

(٣٧٠) رواه أحمد ، قال الهيثمي في « المجمع » ٧/ ١٣٦ : وفيه ثوير بن أبي فاختة وهو متروك . وقال الحافظ في « التقريب » : ضعيف ، رمي بالرفض . فالحديث ضعيف ، كما قال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٤٥٤٧) .

(٣٧١) قال المنذري ٢/ ٣٧٩ : رواه الحاكم عن عقبة بن محمد عن نافع عن ابن عمر ، ورجال إسناده ثقات إلا أن عقبة لا أعرفه .

أَنْ يَقْرَأَ أَلْفَ آيةٍ في كُلِّ يَوْم ؟! قال : « أَمَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ؟ .

٣٧٢ـمَنْ قَرَأَ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، بُنِيَ لَهُ قَصْرٌ فِي الجَنَّةِ ، وَمَنْ قَرَأَ عِشْرِين مَرَّةً بُنِيَ له بها قَصْرَانِ في الجَنَّةِ ، وَمَنْ قَرَأَ ثَلاثِين مَرَّةً بُنِيَ لَهُ بها ثَلاثَةُ قُصُورٍ في الجَنَّةِ . فَقَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ! إذاً لنُكْثِرَنَّ قُصُورَنا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أَوْسَعُ مِنْ ذٰلِكَ » .

٣٧٣ـإذا أَحَبَّ أَحَدُكم أَنْ يُحَدِّثَ رَبَّه فَلْيَقْرَأِ القُرْآنَ .

* * *

(٣٧٣) قال المناوي : ٢٤٨/١ : فيه الحسين بن زيد ، قال الذهبي : ضعيف . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٢٩٢) : الحديث ضعيف جداً .

الفصل الثالث

في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

٣٧٤ـأَفْضَلُ الكلامِ أَرْبَعٌ : سُبحَانَ اللَّهِ ، والحمدُ للَّهِ ، ولاَ إِلٰهَ إِلا اللَّهُ ، واللَّهُ أَكْبَرُ .

٣٧٥ـسُبْحَانَ اللَّهِ ، والحمدُ للَّهِ ، وَلاَ إِلٰهَ إِلا اللَّهُ ، واللَّهُ أكبرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مما طَلَعَت عليه الشَّمْسُ .

٣٧٦ـمَنْ قال : « سُبْحَان اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » في يومٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خطاياه وإِنْ كانتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ .

٣٧٧ـكَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ في المِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلى الرَّحْمٰن : سُبْحَان اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ العظيمِ .

---

(٣٧٤) رواه مسلم رقم (٢١٣٧) في الآداب : باب كراهية التسمية بالأسماء القبيحة ، من حديث سمرة بن جندب رضي اللَّه عنه .

(٣٧٥) رواه مسلم رقم (٢٦٩٥) في الذكر : باب فضل التسبيح والتهليل والدعاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٧٦) رواه البخاري ١١/ ١٧٣ ومسلم رقم (٢٦٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٧٧) رواه البخاري ١١/ ١٧٥ ومسلم رقم (٢٦٩٤) والترمذي رقم (٣٤٦٧) وأحمد ٢/ ٢٣٢ وابن ماجة رقم (٣٨٠٦) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

٣٧٨- أ يَعْجِزُ أَحَدُكم أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ قال : « يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ ، أو يُحطَّ عنه أَلْفُ خَطِيئَةٍ » .

٣٧٩- سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أيُّ الكلامِ أَفْضَلُ ؟ قال : « مَا اصْطَفَى اللَّهُ لملائِكَتِهِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ » .

٣٨٠- لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كلماتٍ (ثلاث مرات) لَوْ وُزِنَتْ بِما قُلْتَ مُنْذُ اليومِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ، عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَى نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلماتِهِ .

٣٨١- مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحمدُ وَهُوَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ في يَوْمِهِ مائةَ مَرَّةٍ ، كانت له عَدْلَ عَشْرِ رِقابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مائةُ سَيِّئَةٍ ، وَكانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذٰلِكَ حتى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ .

٣٨٢- مَنْ قال : سُبْحَانَ اللَّهِ العظيمِ وَبِحَمْدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ في الجَنَّةِ .

---

(٣٧٨) رواه مسلم رقم (٢٦٨٩) والترمذي رقم (٣٤٦٣) وأحمد ١/ ١٧٤ و١٨٠ و١٨٥ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٣٧٩) رواه مسلم رقم (٢٧٣١) في الذكر : باب فضل سبحان الله وبحمده ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه .

(٣٨٠) رواه مسلم رقم (٢٧٢٦) والترمذي (٣٥٥٠) وأبو داود رقم (١٠٥٣) والنسائي ٤/ ٧٧ وأحمد ٦/ ٣٢٥ و٤٣٠ وابن ماجة رقم (٣٨٠٨) من حديث جويرية رضي الله عنها .

(٣٨١) رواه البخاري ١١/ ١٦٨ - ١٦٩ ، ومسلم رقم (٢٦٩١) والترمذي رقم (٣٤٦٤) وأحمد ٢/ ٣٠٢ و٣٧٥ وابن ماجة رقم (٣٨٦٧) وابن حبان رقم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣٨٢) رواه الترمذي رقم (٣٤٦٠) و (٣٤٦١) ، وابن حبان رقم (٢٣٣٥) ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح ، وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢/ ٤٢٢ : رواه البزار باسناد جيد ، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . انظر الأحاديث الصحيحة » رقم (٦٤) .

٣٨٣ـ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحمدُ للَّهِ .

٣٨٤ـ أَوَّلُ مَنْ يُدْعى إِلى الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ الحَامِدُونَ ، الذين يَحْمَدُونَ اللَّهَ في السرَّاءِ والضَّرَّاءِ .

٣٨٥ـ قال موسى : يا ربِّ ! عَلِّمْني شيئاً أَذْكُرُكَ بِهِ أَوْ أَدْعُوكَ بِهِ فقال : يا مُوسى ! قُلْ : لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ . فقال : يا ربِّ ! كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هذا ؛ إِنَّما أُريدُ شيئاً تَخُصُّني بِهِ قال : يا موسى ! لَوْ أَنَّ السماواتِ السَّبْعَ وعَامِرَهُنَّ غَيْري ، والأَرَضِينَ السَّبْعَ وُضِعْنَ في كَفَّةٍ ، وَلَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ في كَفَّةٍ ، لَمَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ .

٣٨٦ـ التَّسْبِيحُ نِصْفُ الميزانِ ، والحمدُ للَّهِ تَمْلَؤُهُ ، وَلَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ لَيْسَ لَها حِجَابٌ دُونَ اللَّهِ تَخْلُص إليه .

٣٨٧ـ ما قال عَبْدٌ لا إله إلا اللَّهُ مُخْلِصاً قَطُّ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى يُفْضِيَ إِلى العَرْشِ مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ .

---

(٣٨٣) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٠) وابن ماجة رقم (٣٨٠٠) وابن حبان رقم (٢٣٣٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وهو حديث حسن ، حسنه الترمذي وغيره .

(٣٨٤) قال المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢ / ٤٣٧ رواه ابن أبي الدنيا والبزار والطبراني في الثلاثة بأسانيد أحدها حسن ، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . وقال الألباني في « الأحاديث الضعيفة » رقم (٦٣٢) : ضعيف .

(٣٨٥) رواه النسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٨٣٤) و (١١٤١) وابن حبان رقم (٢٣٢٤) ، والبغوي في « شرح السنة » ٥/٥٤ ـ ٥٥ من حديث دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ودراج عن أبي الهيثم ضعيف ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ١ /٥٢٨ ووافقه الذهبي ، وكذا الحافظ في « الفتح » ٢٠٨/١١ ط سلفية .

(٣٨٦) رواه الترمذي رقم (٣٥١٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، وليس إسناده بالقوي .

(٣٨٧) رواه الترمذي رقم (٣٥٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده حسن ، وقد حسنه الترمذي وغيره .

٣٨٨-إنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ ، عَذْبَةُ الماءِ ، وَإنّها قِيعَانٌ ، وَإنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللّهِ والحَمْدُ لِلّهِ ، ولا إلَهَ إلا اللّهُ ، واللّهُ أكبرُ .

٣٨٩-عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ والتَّقْدِيسِ ، وَاعْقِدْنَ بالأَنَامِلِ ، فَإنَّهُنَّ مُسْؤُولاتٌ مُسْتَنْطَقَاتٌ ، وَلا تَغْفُلْنَ فَتَنْسَيْنَ الرَّحْمَةَ .

٣٩٠-قُلْ : لا إلَهَ إلا اللّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، اللّهُ أكبرُ كبيراً ، والحمدُ لِلّهِ كثيراً ، وسُبْحَانَ ربِّ العَالَمِينَ ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللّهِ العزيزِ الحكيم . قال : فهؤلاء لِرَبِّي ، فمالي ؟ فقال : قُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعافِنِي .

٣٩١-إنَّ الحمدَ لِلّهِ ، وسُبْحَانَ اللّهِ ، ولا إلَهَ إلاّ اللّهُ واللّهُ أكبرُ ، تُسَاقِطُ ذُنُوبَ العَبْدِ كَمَا يَتَسَاقَطُ وَرَقُ هذه الشَّجَرَةِ .

٣٩٢-أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ : لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللّهِ ، فَإنّها مِنْ كَنْزِ الجَنَّةِ . قال مكحول : فَمَنْ قَال : لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللّهِ ، وَلا مَنْجَى مِنَ اللّهِ إلا اليه ، كَشَفَ اللّهُ عنه سَبْعِينَ باباً من الضُّرِّ أَدْنَاها الفَقْرُ .

---

(٣٨٨) رواه الترمذي رقم (٣٤٥٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : وفي الباب عن أبي أيوب ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال ، فإن له شواهد بمعناه . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٠٥) .

(٣٨٩) رواه أبو داود رقم (١٥٠١) والترمذي رقم (٣٥٧٧) والحاكم ١/ ٥٤٧ وصححه ووافقه الذهبي ، من حديث يسيرة رضي الله عنها ، وهو حديث حسن .

(٣٩٠) رواه مسلم رقم (٢٦٩٦) وأحمد ١/ ١٨٠ و ١٨٥ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٣٩١) رواه الترمذي رقم (٣٥٢٧) من حديث الفضل بن موسى عن الأعمش عن أنس رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب ، قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٥٩٧) صحيح .

(٣٩٢) رواه الترمذي رقم (٣٥٩٦) وقال : هذا حديث إسناده ليس بمتصل ، مكحول لم يسمع من أبي هريرة. وقال المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢/ ٤٤٤ : ورواه النسائي والبزار مطولاً ورفعا « ولا ملجأ من الله إلا إليه » ورواتهما ثقات محتج بهم ، ورواه الحاكم وقال : صحيح ، ولا علة له . ا هـ. قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢١٦) : صحيح .

٣٩٣ـلَا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللّهِ دَوَاءٌ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ دَاءً أَيْسَرُهَا الهَمُّ .

٣٩٤ـسُبْحَانَ اللّهِ هي صلاةُ الخَلَائِقِ ، والحمدُ لِلّهِ كَلِمَةُ الشُّكْرِ ، ولا إلَهَ إلا اللّه كَلِمَةُ الإِخْلَاصِ ، واللّهُ أكبرُ تَمْلأُ ما بَيْنَ السماءِ والأرضِ .

٣٩٥ـوإذا قال العبد : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلَّا بِاللّهِ ، قال اللّهُ تعالى : أَسْلَمَ وَاسْتَسْلَمَ .

* * *

---

(٣٩٣) قال المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢ / ٤٤٤ : رواه الطبراني في « الأوسط » ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد . قال المنذري : بل في إسناده بشر بن رافع أبو الأسباط ، ضعفه أحمد وغيره ، وقوّاه ابن معين وغيره ، وقال ابن عدي : لا بأس بأخباره لم أر له حديثاً منكراً . انظر « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٥٢٨) .

(٣٩٤) رواه رزين ، من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما مرفوعاً ، كما قال صاحب « المشكاة » رقم (٢٣٢٢) وقال الألباني : لم أجده في شيء من كتب السنة ولا غيرها .

(٣٩٥) رواه البيهقي في « الدعوات الكبير » ، كما قال صاحب « المشكاة » رقم ٢٣٢١ ، من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

الفصل الرابع

في فضل الاستغفار والتوبة

٣٩٦ ـ وَاللّهِ إنّي لأَسْتَغْفِرُ اللّهَ وَأَتوبُ إليه في اليوم أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً .

٣٩٧ ـ يا أَيُّها الناس تُوبوا إلى اللّهِ ، فإِنّي أَتُوبُ اليه في اليوم مَائة مَرَّةٍ .

٣٩٨ ـ إنَّ اللّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بالليْلِ لِيَتُوبَ مُسيءُ النَّهارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها .

٣٩٩ ـ إنَّ العَبْدَ إذا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ ، تَابَ اللّهُ عليه .

٤٠٠ ـ مَنْ تَاب قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبها ، تَابَ اللّهُ عليه .

٤٠١ ـ للّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ اليه مِنْ أَحَدِكُمْ كان عـلـى رَاحِلَتِـهِ

---

(٣٩٦) رواه البخاري ١١/ ٨٥ والترمذي رقم (٣٢٥٥) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

(٣٩٧) رواه مسلم رقم (٢٧٠٢) وأبو داود رقم (١٥١٥) من حديث أغر مزينة رضي اللّه عنه .

(٣٩٨) رواه مسلم رقم (٢٧٦٠) في التوبة : باب غيرة اللّه تعالى ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي اللّه عنه .

(٣٩٩) قطعة من حديث الإفك عن عائشة رضي اللّه عنها ، رواه البخاري ٥/ ١٩٨ ـ ٢٠١ وفي أبواب عدة ، ومسلم رقم (٢٧٧٠) ، وأحمد ٦/ ١٩٦ .

(٤٠٠) رواه مسلم رقم (٢٧٠٣) من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه .

(٤٠١) رواه البخاري ١١/ ٩١ ـ ٩٢ ، ومسلم رقم (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه .

بِأَرْضٍ فلاةٍ ، فَانفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ ، فَأَيِسَ منها ، فَأَتى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا ، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ ، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ ، إذْ هُوَ بِهَا قَائِمَة عِنْدَهُ ، فَأَخذَ بِخُطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرحِ : اللَّهُمَّ أنتَ عَبْدِي وَأَنا رَبُّك ؛ أَخْطأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرحِ .

٤٠٢ ـ إنَّ عَبْداً أَذْنَبَ ذَنباً فقال : ربِّ ! أَذْنَبْتُ ذَنباً فاغْفِرْهُ . فقال ربُّهُ : عَلِمَ عَبْدِي أنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيأْخُذُ بِهِ ؟ غفرتُ لِعَبْدِي . . الحديث .

٤٠٣ ـ قال اللَّهُ تعالى : يَا ابْنَ آدمَ! إنَّكَ إنْ دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي ، غَفَرْتُ لَكَ على مَا كان فِيك وَلاَ أُبَالِي ، يا ابْنَ آدمَ ! إنَّكَ لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الأرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بي شَيْئاً ، لأَتَيْتُكَ بِقُرابِها مَغْفِرَةً .

٤٠٤ ـ قال اللَّهُ تعالى : مَنْ عَلِمَ أنِّي ذُو قُدْرَةٍ على مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرْتُ لَهُ وَلاَ أُبَالِي ، مَا لَمْ يُشْرِكْ بي شَيْئاً .

٤٠٥ ـ مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً ، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ .

---

(٤٠٢) رواه البخاري ١٣/ ٣٩٣ ، ومسلم رقم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي اللَّه عنه .

(٤٠٣) رواه الترمذي رقم (٣٥٣٤) ، وفي سنده كثير بن فائد لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال .

(٤٠٤) قال الخطيب التبريزي رقم (٢٣٣٨) : رواه في « شرح السنة » من حديث عبد اللَّه بن عباس رضي اللَّه عنهما . وأشار الألباني بأنه حديث حسن .

(٤٠٥) رواه أبو داود (١٥١٨) وأحمد ١/ ٢٤٨ وابن ماجة رقم (٣٨١٩) وفي سنده الحكم بن مصعب المخزومي الدمشقي ، قال أبو حاتم الرازي : مجهول ، وذكره ابن حبان في الثقات وفي الضعفاء أيضاً ، وترجمه البخاري في « التاريخ الكبير » ولم يذكر فيه جرحاً ، وباقي رجاله ثقات ، وقد صحح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على « المسند » رقم (٢٢٣٤) بناء على أنه ثقة عند البخاري لأنه لم يذكر فيه جرحاً ، فانظره . وقال الألباني في « ضعيف الجامع » رقم (٥٨٤١) : ضعيف .

٤٠٦ - مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ ، وَإِنْ عَادَ فِي اليومِ سَبْعِينَ مَرَّةً .

٤٠٧ - كُلُّ بني آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِين التَّوَّابون .

٤٠٨ - إنَّ المؤمنَ إذا أَذْنَبَ كانتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ في قَلْبِهِ ، فَإِنْ تَابَ وَاسْتَغْفَرَ ، صُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ زادَ زَادَتْ حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ ، فَذَلِكُم الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تعالى : ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ على قُلُوبِهِمْ ، مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] .

٤٠٩ - إنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العبدِ مَا لَمْ يُغرْغِرْ .

٤١٠ - إنَّ الشَّيْطَانَ قال : وَعِزَّتِكَ يا ربِّ لا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهم في أَجْسَادِهِمْ فَقَال الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ : وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي وارْتِفَاعِي فِي مَكَانِي ، لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي .

٤١١ - ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا على أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

---

(٤٠٦) رواه الترمذي (٣٥٥٤) وأبو داود رقم (١٥١٤) من حديث أبي نصيرة عن مولى لأبي بكر عن أبي بكر رضي اللَّه عنه، وفيه جهالة مولى أبي بكر ، ولذلك قال الترمذي : هذا حديث غريب إنما نعرفه من حديث أبي نصيرة ، وليس إسناده بالقوي . .

(٤٠٧) رواه الترمذي رقم (٢٥٠١) وابن ماجة رقم (٤٢٥١) والدارمي رقم (٢٧٣٠) وأحمد ٣/ ١١٨ من حديث أنس رضي اللَّه عنه ، وإسناده حسن .

(٤٠٨) رواه الترمذي رقم (٣٣٣١) وابو ماجة رقم (٤٢٤٤) وأحمد ٢/ ٢٩٧ ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واسناده حسن . وصححه ابن حبان رقم (١٧٧١) والحاكم ٢/ ٥١٧ ، وقال : حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٤٠٩) رواه الترمذي رقم (٣٥٣١) وأحمد ٢/ ١٣٢ - ١٣٣ والحاكم ٤/ ٢٥٧ وابن ماجة (٤٢٥٣) ، من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن ابن عمر ، واسناده حسن , وللحديث شواهد .

(٤١٠) رواه أحمد ٣/ ٢٩ دون قوله : « وارتفاع في مكاني » وإنما رواه بهذه الزيادة البغوي في « شرح السنة » وفيه عندهما ابن لهيعة عن دراج وكلاهما ضعيف ، ورواه الحاكم من طريق أخرى عن دراج بدون الزيادة ، وأخرجه أحمد ٣/ ٢٩ و٤١ من طريق أخرى عن أبي سعيد بدونها أيضاً فهي زيادة منكرة . وأما أصل الحديث فمن مجموع الطريقين . ا هـ . « المشكاة » رقم (٢٣٤٤) .

(٤١١) رواه الترمذي رقم (٣٢٣٥) ، وأحمد ٦/ ٤٥٤ ، من حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنه ، وقال=

الذُّنوبَ جَمِيعاً ﴾ [الزمر : ٥٣] ولا يُبالِي .

٤١٢ـيقول : ربِّ اغْفِرْ لي ، وَتُبْ عَلَيَّ ، إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ « مائة مرة » .

٤١٣ـمَنْ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللّهَ الذي لا إله إلا هُوَ الحيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إليه ، غُفِرَ لَهُ وَإنْ كَان قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ .

٤١٤ـإنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ في الجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : يا ربِّ ! أَنَّى لي هذه ؟ فيقول : بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ .

٤١٥ـمَا المَيِّتُ في القَبْرِ إلَّا كالغَرِيقِ المُتَغَوِّثِ ، يَنْتَظِرُ دَعْوَةً تَلْحَقُهُ مِنْ أَبٍ ، أَوْ أُم ، أو أخٍ ، أو صَدِيقٍ ، فإذا لَحِقَتْهُ كان أحبَّ إليه من الدُّنيا وما فيها ، وإنَّ اللّه تعالى لَيُدْخِلُ على أهلِ القُبُورِ مِنْ دُعَاءِ أَهْلِ الأَرْضِ أَمْثَالَ الجِبَالِ ، وإنَّ هَدِيَّةَ الأَحْيَاءِ إلى الأَمْوَاتِ الإسْتِغْفَارُ لَهُمْ .

= الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب . أقول : وشهر ابن حوشب ضعيف . وأوله : « سمعت رسول الله ﷺ يقرأ . . . » .

(٤١٢) رواه أحمد ٢ / ٢١ و٦٧ والترمذي رقم (٣٤٣٠) وأبو داود رقم (١٥١٦) وابن ماجة رقم (٣٨١٤) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب .

(٤١٣) رواه الترمذي رقم (٣٥٧٢) من حديث بلال بن يسار بن زيد رضي الله عنه ، وأبو داود رقم (١٥١٧) من حديث هلال بن يسار رضي الله عنه ، وقال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وانظر « جامع الأصول » رقم (٢٤٤٧) ، وما قاله الحافظ المنذري في « الترغيب والترهيب » ٢ / ٤٧٠ .

(٤١٤) رواه أحمد في « المسند » ٢ / ٥٠٩ ، ورواه بمعناه ابن ماجة رقم (٣٣٦٠) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، رجاله ثقات .

(٤١٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . وأشار الألباني في « المشكاة » رقم (٢٣٥٥) بأنه ضعيف .

٤١٦ - طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَاراً كَثِيراً .

٤١٧ - اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا ، وإِذَا أَسَاؤُوا اسْتَغْفَرُوا .

٤١٨ - التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

---

(٤١٦) رواه ابن ماجة رقم (٣٨١٨) والنسائي في « عمل اليوم والليلة » رقم (٤٥٥) من حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه ، واسناده صحيح .

(٤١٧) رواه ابن ماجة رقم (٣٨٢٠) والبيهقي في الدعوات الكبير » من حديث عائشة رضي الله عنها . قال البوصيري في « الزوائد » : فيه علي بن زيد ، وهو ضعيف .

(٤١٨) رواه ابن ماجة رقم (٤٢٥٠) والبيهقي في « شعب الإيمان » وقال : تفرد به النهراني وهو مجهول . قال في « المقاصد الحسنة » رواه ابن ماجة والطبراني في « الكبير » والبيهقي في « الشعب » من طريق أبي عبيد الله بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ، رفعه ، ورجاله ثقات ، بل حسنه شيخنا ، يعني لشواهده ، وإلا فأبو عبيدة جزم غير واحد بأنه لم يسمعّ من أبيه . انظر « الأحاديث الضعيفة » رقم (٦١٥ - ٦١٦) .

الفصل الخامس

فضل الصلاة والسلام على النبي ﷺ

٤١٩ ـ مَنْ صلَّى عَليَّ صَلاَةً واحدةً صَلَّى اللّهُ عَليه عَشْراً .

٤٢٠ ـ مَنْ صلَّى عليَّ صَلاَةً وَاحِدَةً ، صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَواتٍ ، وحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجاتٍ .

٤٢١ ـ أَوْلى النَّاسِ بي يَوْمَ القِيامَةِ أَكثرهُم عليَّ صلاة .

٤٢٢ ـ إن للّهِ ملائكةً سَيَّاحِينَ في الأرضِ يُبْلِغُوني مِنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ .

٤٢٣ ـ مَا مِنْ أَحدٍ يُسَلِّمْ عَلَيَّ إلاَّ ردَّ اللّهُ عليَّ رُوحي حَتَّى أَرُدَّ عليه السلامَ .

---

(٤١٩) رواه مسلم رقم (٤٠٨) والترمذي رقم (٤٨٥) وأبو داود رقم (١٥٣٠) والنسائي ٣/ ٥٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤٢٠) رواه النسائي ٣/ ٥٠ وأحمد ٣/ ١٠٢ و٢٦١ وابن حبان (٢٣٩٠) من حديث أنس رضي الله عنه وصححه الحاكم ١/ ٥٥٠ ووافقه الذهبي . وهو كما قالا . .

(٤٢١) رواه الترمذي رقم (٤٨٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وابن حبان رقم (٢٣٨٩) وفيه عبد الله بن كيسان وهو الزهري مولى طلحة بن عبد الله بن عوف لم يوثقه غير ابن حبان ، وقال ابن القطان : لا يعرف حاله .

(٤٢٢) رواه النسائي في « السنن » ٣/٣ ٤ في السهو : باب السلام على النبي ﷺ ، وفي « عمل اليوم والليلة » رقم (٦٦) ، وابن حبان رقم (٢٣٩٢) والدارمي رقم (٢٧٧٧) وأحمد ٣٨٧/١ و ٤٤١ و٤٥٢ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم (٤٢١/٢) ووافقه الذهبي .

(٤٢٣) رواه أبو داود رقم (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واسناده حسن .

٤٢٤-إنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةِ عليك ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتي ؟ فقال : « ما شِئْتَ » . قُلْتُ : الرُّبُعُ ؟ قال : « مَا شِئْتَ ، فإن زِدْتَ فَهُوَ خيرٌ لَكَ » . قُلْتُ : النِّصْفُ ؟ قال : «مَا شِئْتَ ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيرٌ لَكَ » قُلْتُ : فالثُّلُثَيْنِ ؟ قال : «مَا شِئْتَ ، فإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » . قُلْتُ : أَجْعَلُ لَكَ صَلاتِي كُلَّها ؟ قال : «إذاً تُكفى هَمُّكَ ، ويُكفر لَكَ ذَنْبُكَ » .

٤٢٥-البَخِيلُ الَّذي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عليَّ .

٤٢٦-مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ ؛ وَمَنْ صلّى عَليَّ غائباً أُبْلِغْتُهُ .

٤٢٧-مَنْ صلَّى عَلى النَّبيِّ ﷺ واحِدَةً صلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَملائِكَتُهُ سَبْعِينَ صَلاةً .

٤٢٨-مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللّهَ فيه ، وَلَمْ يُصَلُّوا على نَبِيِّهِمْ إلَّا كَانَ عَلَيْهِم تِرَةً ، فَإنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ ، وَإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ .

٤٢٩-أَكْثِرُوا الصَّلاَةَ عَليَّ يَوْمَ الجُمْعَةِ ، فَإنَّهُ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ المَلائِكَةُ ؛ وإنَّ أَحَداً

---

(٤٢٤) رواه الترمذي رقم (٢٤٥٩) وأحمد ٥/١٣٦ من حديث أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه ، وصححه الحاكم ٢/٤٢١ ووافقه الذهبي ، وهو حديث صحيح ، كما قال الألباني في « صحيح الجامع » رقم (١٢٢١) .

(٤٢٥) رواه الترمذي رقم (٣٥٤٠) ، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو حديث صحيح لطرفه وشواهده . انظر « مشكاة المصابيح » رقم (٩٣٣) .

(٤٢٦) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » ، وفي اسناده محمد بن مروان السدي ، وهو كذاب ، ولذلك أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » ، لكن تعقب بأن له متابعاً ينجو به الحديث من اطلاق الوضع عليه ، كما فعل شيخ الاسلام ابن تيمية وغيره ، ويظل في حيز الضعف ، مع أن ابن تيمية صرح بأن معناه صحيح ثبت بأحاديث أخر ، كأنه يشير إلى الأحاديث المتقدمة . وقال الألباني في « الأحاديث الضعيفة » رقم (٢٠٣) : موضوع .

(٤٢٧) رواه أحمد ٢ / ١٨٧ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً ، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف .

(٤٢٨) رواه الترمذي رقم (٣٣٧٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٤٢٩) رواه ابن ماجة رقم (١٦٣٧) ورجاله ثقات ، إلا أنه منقطع في موضعين ، كما بينه البوصيري ، ولكن للحديث شاهد من حديث أوس بن أوس الذي رواه أبو داود والنسائي والدارمي وابن ماجة ، واسناده =

لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ إِلاَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلاَتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا .

٤٣٠ -مَنْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وقال : اللهمَّ أَنْزِلْهُ المَقْعَدَ المُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي .

* * *

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَىٰ المُرْسَلِينَ . والحمدُ للّهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

* * *

= صحيح ، كما بينه الألباني في « الأحاديث الصحيحة » رقم (١٥٤٧) ولفظه : « أكثروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة عليَّ ؛ قالوا : كيف تعرض عليك وقد أرمت ؟ قال : إن الله تعالى حرَّم على الأرض الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء » .

(٤٣٠) رواه أحمد في « المسند » ٤ / ١٠٨ من حديث رُوَيفع وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ووفاء بن شريح الحضرمي لم يوثقه غير ابن حبان ، ولم يرو عنه إلا اثنان ، ولذلك أشار الحافظ إلى أنه لين الحديث . ومن هذا الوجه رواه اسماعيل القاضي رقم (٥٣) . كما قال الألباني في « تخريج المشكاة » رقم (٩٣٦) . وقال الألباني في « تخريج فضل الصلاة على النبي ﷺ » : وقد رواه البزار والطبراني في « الأوسط » و « الكبير » ، قال المنذري ٢ / ٦٨٢ والهيثمي ١٠ / ١٦٣ : وأسانيدهم حسنة . قلت : وغالب الظن أنه عندهم من طريق ابن لهيعة فإن كان كذلك ففي تحسينه نظر . ا هـ .

تم الكتاب ، وفرغت من تخريج أحاديث هذا المجموع المبارك وتصحيحه والنظر فيه يوم الأحد غرة شهر رمضان المبارك من عام خمس وأربع مئة بعد الألف من هجرة نبينا محمد ﷺ والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

بشير محمد عيون

الفهارس العامة

فهرس الأحاديث النبوية



* * *

دليل الأعلام

* * *

دليل الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

***

دليل الملل والنحل

* * *

دليل الكتب

***

دليل الأماكن والبلدان

***

دليل الذيام والغزوات

***

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
باب الدعاء بعد ركعتي الفجر	٦٩٠
باب الدعاء عند الخروج من البيت	٦٩٠
باب الدعاء عند دخول المسجد	٦٩١
باب الدعاء والذكر بعد صلاة الصبح والمغرب	٦٩٢
باب الدعاء والذكر عند الصبح والمساء	٦٩٢
باب الدعاء عند الخروج من المسجد	٦٩٩
باب الدعاء عند دخول البيت	٧٠٠
باب الدعاء عند الأكل والشرب	٧٠٠
باب الدعاء عند دخول الخلاء والخروج منه	٧٠١
باب الدعاء قبل الوضوء وبعده	٧٠٢
باب الدعاء بعد التكبيرة الأولى	٧٠٢
باب الدعاء في الركوع وبعده وفي السجود وبين السجدتين	٧٠٣
باب التشهد والصلاة على النبي ﷺ والدعاء	٧٠٥
باب الدعاء والذكر بعد الصلاة	٧٠٧
باب الدعاء عند عيادة المريض	٧٠٨
باب الدعاء والذكر عند من حضره الموت	٧١٠
باب الدعاء في صلاة الجنازة ودفنها	٧١١
باب الدعاء عند زيارة القبور	٧١٣
باب دعاء الاستخارة	٧١٤
باب دعاء الحاجة	٧١٥
باب خطبة الحاجة كالنكاح وغيره	٧١٥
باب الدعاء عند دخول السوق	٧١٦
باب الدعاء عند الكرب والغضب	٧١٧
باب الدعاء عند صياح الديك ونهيق الحمار	٧١٨
باب الدعاء في السفر ومشايعة المسافر	٧١٨
باب دعاء الاحرام والتلبية	٧٢٢
باب دعاء الطواف والمقام والصفا والمروة	٧٢٢

الموضوع	الصفحة

* * *